المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية

الكتاب الأساسي

في تعليم اللّغة العربيّة لِغير النّاطِقين بها

الْمُسْتَوَى الثَّامِن

الجزء الثالث

(الطبعة الثانية)

تأليف

السّعيد محمد بدوي

فتحي علي يونس

تونس ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م

الـدرس الأول

دَعْـوَةٌ إِلَـى الـدَّرْسِ

مَـرْحَبًا بكم مـع الجزءِ الـثـالـثِ مـن الكـتـاب الأساسِيّ في تعليـم اللغـة العـربيـه لغير النـاطـقيـن بهـا. لـقـد أكمـلـتم بنـجـاح - والحـمـد لله - دراسـة الـجـزء الـثـانـي كـمـا أكـمـلـتـم مـن قبـلـه دراسـة الـجـزء الأول.

في الـجـزء الـثـانـي

درستم موضوعاتٍ عن الحضـارة والثـقـافـة العـربيـة المـعـاصـرة :

- قرأتم عن الوطن العربي، وأقطاره وعواصمه وأعلامه ونظم الحكم والإدارة فيه، وموقعه على خريطة العالم، وأهميته من النواحي الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والروحية والفكرية. وعرفتم أن **فهم الحياة العربية يساعد على فهم اللغة العربية.**
- وقرأتم عن الفنون العربية : الشعر، وحفظتم منه شيئا والمسرح الشعري ودرستم نموذجا من أشهر مسرحية عربية وهي مسرحية « مجنون ليلى » للشاعر أحمد شوقي والعمارة الإسلامية والتخطيط الوظيفي لمدينة صنعاء والخط العربي وأنواعه واستخداماته وعرفتم أن **الخط العربي سيد الفنون الاسلامية، وأنه يتطور في كل عصر ليعبر عن نوعية حضارة العصر الذي يوجد فيه.**
- وقرأتم عن مشكلة الغذاء في العالم، والحوار بين الشعوب - وخاصة بين شعوب الشمال وشعوب الجنوب - وقمر الاتصالات العربية « عربسات ».

أيضا اكتسبتم مهارات لـغـويـة أساسـيـة :

- تعلمتم مهارة استخدام القاموس العربي.
- وتعلمتم وصف الألوان والأصوات والطعوم والملموسات والمشمومات والأشكال الهندسية.
- وتعلمتم كتابة الرسائل الشخصية والرسمية.
- وتعلمتم قراءة الجريدة وعرفتم أن :
  قراءة الجريدة بانتظام وسيلة ناجحة لدراسة المجتمع العربي، وهي أيضا وسيلة ناجحة لدراسة اللغة العربية التي تعبر عن هذا المجتمع.

أيضا درستم اللغة التي تستخدمها الحضارة والثقافة العربية المعاصرة :

- درستم النظام الاشتقاقي لكلمات اللغة (الجذر والمصدر والفعل واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وجميع المشتقات).
- ودرستم نظام الجملة في اللغة العربية وأنواعها : **الجملة الاسمية والجملة الفعلية المبنية للمعلوم، والجملة الفعلية المبنية للمجهول وجملة كان وأخواتها وجملة إن وأخواتها وغيرها.**
- ودرستم بعض الأساليب العربية : أسلوب الشرط وأسلوب الاستفهام وأسلوب التعجب وأسلوب التفضيل وغيرها.

أيضا حفظتم عشرات من التعبيرات اللغوية الحديثة وعرفتم كيفية استخدامها في القراءة والكتابة :

- عرفتم تعبيرات مثل نظام الحكم، مجلس الوزراء، المساكن الشعبية، المعاهدات الدولية، سوق استهلاكية، السلطة القضائية، الحاجة المشتركة، أسعار الفائدة، الغاز المسيل للدموع، ظاهرة عالمية، من المقرر أن .... من حيث المبدأ .... وعشرات وعشرات غيرها.

لقد كان **الهدف** من الكتاب الثاني ـ كما رأيتم ـ هو دراسة اللغة العربية في صورها المعاصرة.

أما في الجزء الثالث

فإن الهدف هو دراسة اللغة العربية ـ كما سترون ـ **في صورها التراثية**. وهي صور ترتبط بصيغ حضارية وفكرية اختصت بها الحضارة العربية الإسلامية في الماضي.

ولتحقيق هذا الهدف :

- ستدرسون **نماذج من المؤلفات العربية التي تمثل نصوص التراث العربي الإسلامي.**
- ستدرسون **نصوصا** من الفقة الإسلامي للفقيه الشهير أبي يوسف (توفي ١٨٢ هـ / ٨٩٨ م)، ومن التصوف الإسلامي في محبة الله لابن الحسن الديلمي (٤٠٠ هـ (؟) / ١٠٠٩ م)، وفؤاد العسل للصيدلي الأندلسي الشهير ابن البيطار (توفي ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)، وفي العمران البشري لابن خلدون منشئ علم الاجتماع (توفي ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م)، وفي تشريح العين لطبيب العيون الشهير حنين بن اسحق (توفي ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م)، ومن رحلات ابن بطوطة الرحالة العربي الذائع الصيت (توفي ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)، ومن السيرة النبوية عن صفات الوحي لأبي الحسن الشامي (توفي ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م)، ومن المقامات لبديع الزمان الهمذاني (٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م)، ومن ابن سحنون (توفي ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) في التربية الإسلامية، ونصوصا أخرى.
- ستدرسون شيئا عن العلوم العربية الإسلامية ذاتها (الفقه، والكيمياء، والتفسير، وعلم الاجتماع، والطب، والتصوف، والفلسفة، وعلم الحيوان، والرحلات وغيرها) ستعرفون مجالاتها، وتنوعها وأصولها التاريخية، ودورها في الحفاظ على ما وصل إليها من علوم الأمم السابقة ومعارفها، ثم ما قامت به من تنمية هذه العلوم والمعارف وترقيتها وتطويرها، وإعدادها للدور الذي قامت به في بناء المدنية الحديثة.

- ستتعرفون على طائفة من علماء التراث العربي، وستأخذون فكرة عن الطريقة التي تعلموا بها. والظروف التي ساعدت على نبوغهم وتفوقهم، والدور الذي أدوه في إبقاء شعلة المعرفة مضيئة.
- ستجدون بين كل درس والذي يليه مقطوعة من الشعر العربي، وهو أهم جنس أدبي في تاريخ الأدب العربي القديم. سيسبق كل مقطوعة اسم الشاعر الذي قالها، والموضوع الذي قيلت فيه، والبحر الشعري الذي تجري عليه. ثم يليها تعريف قصير بالشاعر، وشرح لبعض ما بها من صعوبات. من مدارستكم هذه المقطوعات ستعرفون ميول الشعراء العرب وأحلامهم، وطرقهم في التعبير، والمجالات التي وجدوا فيها منفذا لمشاعرهم، وستعرفون عددا من نوابغ هذا الفن القديم.
- ستكتسبون مهارات لغوية جديدة، وستقتربون من نوعية اللغة المستخدمة في كل علم من علوم التراث، وستدرسون جانبا من المصطلحات العربية العلمية، فتلمسون الفرق بين طرق التعبير اليوم وطرق التعبير في الماضي.

وتــذكــروا :

- أن تقرأوا النصوص المأخوذة من كتب التراث، والمستخدمة في هذا الكتاب بعناية ودقة، وتستخدموا القواميس وغيرها من المساعدات الدراسية في استبطان معاني هذه النصوص، وفهم الإشارات الواردة فيها، والوقوف على مقاصدها البعيدة والقريبة. ولا تنسوا أن هذه النصوص هي في الحقيقة الموضوع الأساسي لهذا الكتاب.
- أن تقرأوا المقطوعات الشعرية الواردة في الكتاب قراءة صحيحة تحافظ على الضبط اللغوي وموسيقى الشعر العربي، وليكن ذلك بمساعدة الأستاذ. ثم بعد ذلك تحفظوها وتحاولوا الاستشهاد بها في كتابتكم وفي الحديث مع الآخرين.
- أن تقوموا بالتدريبات اللغوية الواردة في الكتاب ولا تتركوا شيئا منها.
- أن تتحدثوا بالعربية الفصحى كلما سنحت الفرصة.
- أن تكتبوا رسائل بالعربية إلى من تعرفون من العرب.
- أن تبحثوا عن الكتب العربية التي أخذت منها النصوص الواردة في هذا الكتاب، ثم تقرأوا منها موضوعات إضافية.

١ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما الذي قرأته عن الوطن العربي في الجزء الثاني ؟
٢ ـ هل فهم الحياة العربية يساعد على فهم اللغة العربية ؟
٣ ـ عن أي الفنون قرأت في الجزء الثاني ؟
٤ ـ ما أشهر مسرحية عربية ؟
٥ ـ ما المدينة التي قرأت عن التخطيط الوظيفي لها ؟
٦ ـ ما الذي تعرفه عن الخط العربي ؟
٧ ـ ما هي المهارات اللغوية الأساسية ؟
٨ ـ ما أنواع الجمل العربية التي درستها ؟
٩ ـ ماذا حفظت من الشعر العربي ؟
١٠ ـ ماذا كان الهدف من الجزء الثاني ؟
١١ ـ ما الهدف من الجزء الثالث ؟
١٢ ـ ما موضوع نص ابن البيطار ؟

١٣ ـ مَن طبيب العيون الذي ستقرأ له نصا في الجزء الثالث ؟
١٤ ـ ما موضوع نص ابن سحنون ؟
١٥ ـ من منشئ علم الاجتماع ؟
١٦ ـ ماذا فعل علماء التراث العربي الإسلامي بالعلوم التي وصلت إليهم من السابقين عليهم ؟
١٧ ـ أين ستجدون المقطوعات الشعرية ؟
١٨ ـ ما الذي سيسبق كل مقطوعة ؟
١٩ ـ وما الذي سيلي كل مقطوعة ؟
٢٠ ـ ما الذي ستعرفونه من مدارسة هذه المقطوعات ؟
٢١ ـ كيف ستلمسون الفرق بين طرق التعبير اليوم وطرق التعبير في الماضي ؟
٢٢ ـ كيف ينبغي أن تتعاملوا مع نصوص التراث الموجودة في الكتاب ؟
٢٣ ـ كيف ينبغي أن تتعاملوا مع المقطوعات الشعرية الموجودة بين كل نص وآخر ؟
٢٤ ـ لماذا يجب أن تستعينوا بالأستاذ في قراءة الشعر بصفة خاصة ؟
٢٥ ـ لماذا ينبغي أن تتحدثوا بالفصحى ؟
٢٦ ـ ماذا ينبغي أن تفعلوا بالنسبة لكتب التراث التي أخذت منها نصوص الكتاب ؟

٢ ـ املأ الفراغ في كل جملة بالكلمة المناسبة :

١ ـ ندرس الآن في ــــــ الثالث من الكتاب الأساسي.
٢ ـ العالم العربي مهم من النواحي ــــــ و ــــــ و ــــــ و ــــــ.
٣ ـ فهم ــــــ العربية يساعد على ــــــ اللغة العربية.
٤ ـ الشعر من ــــــ العربية المهمة.
٥ ـ الحوار بين الشعوب، وخاصة بين ــــــ الشمال وشعوب ــــــ حوار ضروري.
٦ ـ تناول الشاعر أحمد شوقي في شعره كثيرا من الموضوعات الوطنية والقومية، وكتب أيضا ــــــ الشعرية، ومن أشهر هذه المسرحيات مسرحية ــــــ.
٧ ـ من المهارات اللغوية مهارة ــــــ القاموس العربي.
٨ ـ من الأشياء التي يصعب وصفها بدقة وصف ــــــ وكذلك وصف ــــــ الهندسية.
٩ ـ تهدد مشكلة الغذاء كثيرا من السكان وخاصة في ــــــ.
١٠ ـ تساعد قراءة الجريدة العربية بانتظام على ــــــ المجتمع العربي.
١١ ـ يشتمل النظام الاشتقاقي لكلمات اللغة العربية على ــــــ.
١٢ ـ هناك نوعان من التقويم في العالم العربي : التقويم ــــــ والتقويم ــــــ.
١٣ ـ الهدف من الجزء الثاني كان دراسة اللغة العربية في صورها ــــــ.
١٤ ـ الهدف في الجزء الثالث هو دراسة اللغة العربية في صورها ــــــ.
١٥ ـ ستدرسون نصا من ــــــ للفقيه أبي يوسف.
١٦ ـ ستدرسون نصا من السيرة النبوية في ــــــ.
١٧ ـ ستدرسون نصا من ــــــ لبديع الزمان الهمذاني.
١٨ ـ ستدرسون نصا في ــــــ لابن سحنون.
١٩ ـ سيسبق كل مقطوعة شعرية اسم ــــــ الذي قالها والموضوع الذي ــــــ فيه و ــــــ الشعري الذي تجري عليه.
٢٠ ـ يجب أن تتحدثوا بالفصحى كلما ــــــ الفرصة.

٣ ـ حوّل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية والجملة الفعلية إلى جملة اسمية فيما يأتي :

تذكر أن الجملة الاسمية هي التي تبدأ باسم نتحدث عنه ويكون مرفوعا وتذكر أن الجملة الفعلية هي التي تبدأ بفعل.

١ ـ المثل يتحدث عن علاقة الإنسان بالناس الذين يتعامل معهم.
٢ ـ النقد سهل والفن صعب.
٣ ـ الوحدة خير من جليس السوء.
٤ ـ درست اللغة العربية التي تكتب بها الحضارة والثقافة العربية.
٥ ـ يُرَتَّب القاموس العربي عادة حسب حروف الجذر.
٦ ـ أكتب إليك هذه الرسالة من أول عاصمة عربية أزورها.
٧ ـ قال الأستاذ لطلابه : « الجذر في اللغة العربية مثل جذر الشجرة ».
٨ ـ هناك مدن عربية إسلامية كثيرة على حالتها الأصلية حتى اليوم.
٩ ـ يزدهر الاقتصاد بالتخطيط المتقن.
١٠ ـ لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد.
١١ ـ فهم الحياة العربية يساعد على فهم اللغة العربية.
١٢ ـ كل جريدة لها نظام ثابت في تبويبها.

٤ ـ أدخل « كان » أو إحدى أخواتها على كل جملة مما يأتي وغير ما يلزم :

تذكر أن « كان » وأخواتها تدخل على المبتدأ والخبر فيبقى المبتدأ مرفوعا ويسمى اسمها، وينصب الخبر ويسمى خبرها. وتذكر أن من أخوات كان : أصبح ـ أضحى ـ أمسى ـ ظل ـ بات ـ صار ـ ليس ـ مازال.

١ ـ الجزء الثاني من الكتاب الأساسي مفيد.
٢ ـ المهارات اللغوية متنوعة.
٣ ـ مشكلة الغذاء في العالم مشكلة مؤرقة.
٤ ـ مهارة استخدام القاموس ضرورية لمتعلم اللغة.
٥ ـ الشعر فن مهم من الفنون العربية.
٦ ـ الخط العربي سيد الفنون الإسلامية.
٧ ـ نظام الجملة في اللغة العربية نظام سهل.
٨ ـ قراءة الجريدة العربية بانتظام وسيلة ناجحة لدراسة المجتمع العربي.
٩ ـ الروابط العربية الإفريقية قديمة قدم التاريخ.
١٠ ـ بين الوطن العربي وأوربا مشاكل ناشئة عن فقدان الثقة.
١١ ـ اللغة العربية مفيدة في تعليمها.
١٢ ـ العلماء العرب يقدمون الكثير للمعرفة الانسانية.

٥ ـ اجعل الجمل الآتية منفية بإدخال أداة نفي مناسبة :

تذكر أن من أدوات النفي :

ليس وهي تنفي الجملة الاسمية وهي من أخوات كان.

ما وهي تنفي الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

لا وهي تنفي الجملة الفعلية وبعض الجمل الاسمية.

لن وهي تنفي الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع وتنصب الفعل.

لم وهي تنفي الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع وتجزم الفعل.

١ ـ الجامعات مفتوحة للجميع.

٢ ـ نتفق مع هؤلاء في الرأي.

٣ ـ قمر الاتصالات يغطي بخدماته الوطن العربي كله.

٤ ـ ستتحسن الأوضاع الاقتصادية قريبا.

٥ ـ تنخفض درجة الحرارة هذا الصيف.

٦ ـ يصل القادمون في موعدهم.

٧ ـ فائدة الخط العربي جمالية فقط.

٨ ـ فن العمارة هو سيد الفنون الإسلامية.

٩ ـ يستخدم الخط المغربي في إسبانيا الآن.

١٠ ـ تهتم الجرائد كلها بقضايا الأدب والثقافة.

٦ ـ اختر العبارات المناسبة للجمل الآتية (أ، ب، ج)

١ ـ أصبحت أجيد اللغة العربية لأني :

أ ـ أستطيع الكشف عن الكلمات في القاموس.

ب ـ أعرف استخدام الخط العربي.

ج ـ أستطيع القراءة والكتابة والحديث بها.

٢ ـ التقويم الهجري يبدأ :

أ ـ بتاريخ ميلاد النبي محمد.

ب ـ بتاريخ هجرة النبي محمد إلى المدينة.

ج ـ بانتصار المسلمين على الكفار في مكة.

٣ ـ ترتبط كثير من الكلمات في العربية بجذر واحد :

أ ـ لأن اللغة العربية لغة اشتقاقية.

ب ـ لأن الكلمات في العربية كثيرة.

ج ـ لأن معاني الكلمات متقاربة.

٧ ـ أكمل الجمل الآتية بمصدر مؤول مناسب :

تذكر أن المصدر المؤول يتكون من (أنْ) والفعل، أو (أنّ) واسمها وخبرها أو (ما) والفعل أو (كي) والفعل أو (لو) والفعل.

١ ـ من المقرر ....
٢ ـ من المفيد في المستقبل ....
٣ ـ أحـب ....
٤ ـ أود ....
٥ ـ نظرا إلى ....
٦ ـ من المستحسن ....
٧ ـ يستحب ....
٨ ـ من المتفق عليه ....
٩ ـ مما يسعد البشرية ....
١٠ ـ مما يعمل على التقارب بين الناس ....
١١ ـ يجب على كل فرد ....
١٢ ـ سرني كثيرا ....
١٣ ـ من الضروري جدا في هذه المرحلة ....

٨ ـ استفهم عن الموضوعات الآتية مستخدما أداة الاستفهام المناسبة :

١ ـ عدد دروس الكتاب الثاني.
٢ ـ اللغة العربية لغة اشتقاقية.
٣ ـ طريقة دراستك للغة العربية.
٤ ـ مكان دراستك للغة العربية.
٥ ـ الوقت الذي تحب أن تذهب فيه لمشاهدة المسرح.
٦ ـ الشخص الذي تحب أن يصاحبك.
٧ ـ الشيء الذي يقرؤه صديقك.
٨ ـ طريقة حضور صديقك إليك.
٩ ـ سبب تأخره عن موعده.
١٠ ـ الكتاب الذي تحب أن تقرأه.
١١ ـ الموضوعات التي درستها في الكتاب الثاني.
١٢ ـ نماذج المؤلفات العربية في العصور الذهبية.

تذكر أن أدوات الاستفهام هي : الهمزة (أ) ـ هل ـ كيف ـ متى ـ أين ـ لماذا ـ أيّ ـ مَنْ ـ مَا ـ كَمْ.

٩ ـ اربط بين كل جملتين مما يأتي بأداة الشرط المناسبة :

١ ـ يعرف تنظيم الجريدة ـ يستطيع قراءتها بسهولة.
٢ ـ تخلو الجريدة من الأخبار المهمة ـ لا يقبل عليها القراء.
٣ ـ أصيبت السيارة في حادث ـ تقوم شركة التأمين بالتعويض.
٤ ـ تسافر إلى الشرق ـ نسافر معا.
٥ ـ يسافر كثيرا ـ تزداد خبرته.
٦ ـ يفهم الحياة العربية ـ يتعلم اللغة العربية.

تذكر أن أدوات الشرط التي درستها هي : إذا ـ لو ـ مَنْ ـ إنْ.

١٠ ـ اقرأ أبيات الشعر الآتية وأجب منها عن الأسئلة التي تليها :

إذا كنتَ في كل **الأمورِ** **مُعاتِبًا** ... صديقَك لمْ تلقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
وإن أنتَ لم تَشْرَبْ مِرَارًا على القَذَى ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تصفو **مَشَارِبه**
فَعِشْ واحدا أَوصِلْ أخاكَ فإنَّهُ ... **مُقَارِفُ** ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُهْ

أ ـ حدد أجزاء أسلوب الشرط في الأبيات.
ب ـ هات منها أسلوب استفهام.
ج ـ هات الأفعال المنفية فيها.
د ـ بين سبب ضبط الكلمات المكتوبة بالبنط الأسود.
هـ ـ أعد كتابة هذه الأبيات بخط الرقعة.
و ـ اكتب معاني هذه الأبيات بعبارة من عندك.

الــدرس الــثــانـــي

أبو حاتم الرازي يتحدث عن :

فضــل اللــغــة الــعــربــيــة

تكاد تكون دراسة اللغة العربية أقدم علوم التراث العربي الإسلامي، فقد ظهرت أول نبتة لها في أوائل القرن الأول الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي (١٦ ق. هـ ٦٩ هـ/ ٦٠٦–٦٨٨ م) للحفاظ على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، ثم قويت وثبتت جذورها على يدي الخليل بن أحمد (١٠٠–١٧٥ هـ/٧١٨–٧٩١ م) واضع قاموس العين ومنشئ علم العروض (موسيقى الشعر وأوزانه) وتلميذه سيبويه (١٢٩–١٨٠ هـ/٧٤٦–٧٩٦ م) صاحب المؤلف الشهير المسمى بالكتاب ثم تفرعت دراسة اللغة إلى فروع عدة من أهمها **الأصوات** و**الصرف** (دراسة صيغة الكلمة) و**النحو** (دراسة بناء الجملة) و**المعاجم** (القواميس) و**فقه اللغة** (دراسة خصائصها وطبيعتها وتطورها التاريخي... الخ) و**المعاني** (دراسة الدلالات الحقيقية والمجازية للاستعمال اللغوي) وغيرها. وكتاب الزينة هو نوع من دراسة التطور التاريخي لدلالة الألفاظ. أما النص الذي أخذناه منه فهو نوع من دراسة خصائص اللغة العربية.

مــداخــل إلــى دراســة الــنــص

عن الـكـاتـب :

- **هو أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي.**
- ولد في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ولكن أحدا لا يعرف تاريخ ميلاده بالضبط، **شأنه في ذلك شأن** كثير من العلماء الذين ولدوا في بيئات متواضعة ثم حققوا لأنفسهم من الشهرة ما خلّد أسماءهم في التاريخ. **توفي عام ٣٢٢ هجرية (٩٣٣ ميلادية).**

- **يختلف العلماء في مسقط رأسه** : بعضهم يقول إنه ولد في الري بفارس (ولذلك سمي الرازي أي المنسوب إلى الري) ثم عاش فترة من الزمن في بلاد المغرب في وقت كانت فيه الدعوة للفاطميين على أشدها.

> والفاطميون طائفة من الشيعة، ينتسبون إلى السيدة فاطمة بالذات وهي بنت النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا زوجة علي بن أبي طالب. والشيعة فرقة إسلامية تشايع (أي تناصر وتتبع) علي بن أبي طالب ابن عم النبي وزوج ابنته فاطمة.

والبعض الآخر يقول بعكس ذلك، أي أنه ولد في المغرب ثم انتقل إلى الري بعد صباه.

- نشأ أبو حاتم بين علماء العربية وأهل الحديث ورجال العقيدة **فأخذ عنهم** وأصبح من **أهل الفضل** والأدب والمعرفة باللغة والحديث النبوي ومسائل الألوهية والنبوة.
- أثر اتصاله بالمغرب (ما يسمى الآن شمال افريقيا) في تكوينه الفكري والديني فنشأ على حب الفاطميين وأصبح واحدا من المدافعين عن فكرتهم أو من **الدعاة** الفاطميين كما كانوا يلقبون.

> منصب الداعي في نظام الدعوة الفاطمية يصل إليه الشخص بعد فهمه لحقيقة الدعوة وفلسفتها والإيمان بها إيمانا ثابتا والثقة بها، وبعد فترة تدريب واختبار شاق.

- عاش أبو حاتم في وقت اشتدت فيه الاضطرابات في العالم الإسلامي : **ففي المشرق** كانت الدولة العباسية تتعرض للانهيار، **وفي المغرب** كانت الدعوة الفاطمية تحاول الاستفادة من هذه الظروف لبناء دولتها على أنقاض الخلافة العباسية.
- أظهر أبو حاتم نشاطا سياسيا ودينيا كبيرا في طبرستان وأذربيجان والديلم وأصفهان والري، واستطاع أن يحول عددا من قادة عصره إلى دعوة الأئمة الفاطميين.
- اشتهر أبو حاتم **بمناظراته** مع فلاسفة عصره حول **الخالق والنبوة والروح والمادة والمكان والزمان**.
- كان الرازي محافظا سلفيا في آرائه الدينية والكلامية واللغوية وقد ألف كتبا كثيرة من أهمها كتاب « أعلام النبوة » وكتاب « الإصلاح » وكتاب « الرجعة » وكتاب « الزينة » الذي أخذنا منه النص الذي معنا.

عن الكتاب :

- كتاب « الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية » أول مرجع عربي يتضمن الكلمات العربية التي استخدمت في القرآن الكريم للدلالة على معان جديدة لم تكن تدل عليها هذه الكلمات من قبل. مثال ذلك كلمة الأعراف التي كانت تعني أولا المكان المرتفع ثم جاءت في القرآن بمعنى مكان بين الجنة والنار.
- حاول المؤلف في كتابه الزينة أن يفسر الألفاظ التي تغيرت معانيها ومدلولاتها في العصر الإسلامي عما كانت عليه في العصر الجاهلي.
- الكتاب بهذه الصورة يضع أساس علم لغوي هام هو علم **المصطلحات الإسلامية**.

- جمع المؤلف في كتابه بعض الألفاظ التي وردت في القرآن وبعض الألفاظ التي اصطلح عليها المسلمون. وذكر معانيها ومدلولاتها **الجاهلية** والاسلامية، وقدم شواهد على هذه المعاني من الشعر المعروف، وأورد ما قاله علماء العربية، وعلماء تفسير القرآن في تفسير كل كلمة. مثلا من الكلمات التي يتناولها كلمة **عرش**، التي جاءت في القرآن في قوله تعالى « وتَرَى المَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ ». هنا يتناول الرازي المعاني التي جاءت لهذه الكلمة في اللغة العربية وهي : السرير أو الكرسي الذي يجلس عليه الملك وكذلك المظلة أو السقف أو السطح أو أربعة كواكب متلازمة أو القوة والعزة... الخ.

- يذكر المؤلف أن غرضه من تأليف الكتاب تفسير كلمات جاءت في القرآن والشريعة ولكنه يدخل في ميدان أوسع من ذلك، فهو يفسر **كلمات موجودة** في الطبيعة مثل السماء والأرض والإقليم والجزيرة، وكلمات دار حولها نقاش بين علماء المسلمين مثل القضاء والقدر واللوح والقلم.

- لا نعرف بالتحديد متى وأين ألّف الرازي كتاب الزينة والغالب أنه ألفه قبل عام ٣١٠ هـ.

- نجح الرازي في تقديم موضوعات الكتاب تقديما لغويا واقعيا. ونجح كذلك في أن يجعل كتابه نافعا للأديب والفقيه وللعامة والخاصة طوال قرون عديدة.

- **كتاب الزينة أول كتاب يسجل تأثير التغييرات الاجتماعية على الألفاظ اللغوية، كما أنه أول كتاب من نوعه في اللغة العربية** يدرس معاني الألفاظ وتطورها ويقدم الأمثلة التي تؤيد هذه المعاني، ويرتبها ترتيبا تاريخيا معظم الأحيان.

- يبدو الرازي في كتابه لغويا **أكثر منه فقيها** : فهو يطيل الكلام عن الجانب اللغوي للألفاظ التي يشرحها ويختصر في الحديث عن الجانب الديني.

- يتبع المؤلف في آرائه اللغوية مذهب أهل السنّة ولعله بذلك يحاول أن ينفي عن نفسه صفة التشيع، ويخفي كونه من دعاة **الفاطميين** بالمشرق الإسلامي.

- يتبع أبو حاتم في كتابه طريقة **الاشتقاقيين** وهم الذين يربطون بين الألفاظ ومعانيها ربطا وثيقا، ثم يحاولون الرجوع بالألفاظ المشتركة في حروفها إلى معنى أصلي عام اشتقت منه هذه الكلمات.

- طبع الكتاب في القاهرة عام ١٩٥٦ بتحقيق الدكتور حسين الهمداني.

عن النــص :

- موضوع النص الذي اخترناه هنا هو فضل لغة العرب ويظهر في هذا النص مدى حب أبي حاتم للغة العربية **شأنه في ذلك شأن غيره** من الاشتقاقيين، بل شأن علماء العربية عموما.

- يرى أبو حاتم أن اللغة العربية تسمو على كل لغات البشر. فهي في القمة على حين تحتل العبرية والسريانية والفارسية مراتب أدنى منها. أما اليونانية والهندية فلا يرى لها أي فضل.

- يحتج أبو حاتم لفضل اللغة العربية بأنها استكملت الحروف والأصوات وعنده أن ما في اللغة الفارسية من حروف ليست في اللغة العربية إنما هي حروف مولدة لا خير فيها.

- يضع أبو حاتم اللغة العربية فوق لغته الأصلية وهي الفارسية شأنه في ذلك شأن كثير من علماء المسلمين من غير العرب.

النـــص

فضل لغة العرب

أفضَلُ ألْسِنَةِ (لغات) الأمم كلّها أربعةٌ : العربيّةُ، والعبرانيّةُ، والسُّريانيّةُ، والفارسيةُ، لأنَّ الله ـ عزَّ وجَلَّ ـ أنزَلَ كُتُبَه على أنبيائه ـ عليهمُ السلامُ ـ آدمَ ونوح وإبراهيمَ ومَنْ بعدَهم من أنبياءِ بني إسرائيل ـ بالسريانية والعِبْرانيّةِ، وأنزل القرآنَ على محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بالعربيّةِ. وذُكِرَ أنَّ المجوسَ كان لهم نبيّ وكتابٌ، وأنَّ كتابَه كان بالفارسيّةِ. هذا ما اتفق عليه أصحابُ الشرائع. وقال قومٌ بفَضْلِ اللغةِ اليونانيةِ والهنديةِ، لأن كتُبَ الفلاسفةِ والأطبّاءِ وأصحاب النّجومِ (علماء الفلك) والهندسةِ والحسابِ بها. وهذا قولٌ منبوذٌ عندَ أهلِ المِلَلِ.

وقلنا : إنَّ أفضَلَ اللغاتِ الأربعِ لغةُ العربِ. وهي أفصَحُ اللغاتِ وأكملُها، وأتمُّها وأعذَبُها وأبيَنُها (أكثرُها بيانًا أي أقْدَرُ على التعبيرِ) ولم يَحْرِصِ النّاسُ على تعلّمِ شَيْءٍ منَ اللغاتِ في دهْرٍ من الدّهورِ، ولا في وقْتٍ من الأوقاتِ، كحرصِهم على تعلّم لغةِ العرب. ولا رَغِبُوا في شيءٍ من القرونِ والأزمنةِ رغبةَ هذهِ الأمةِ في لسانِ العربِ منْ بَيْنِ الألسنةِ، حتى إنّ جميعَ الأمم فيها راغبون، وعليها مُقبِلون، ولها بالفضلِ مُقِرُّون، وبفصاحتها مُعْتَرِفُون، وحتى نَقلُوا الكتبَ المنزلةَ مِثْلَ التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وسائرِ كتبِ الأنبياءِ من السريانيةِ والعبرانيةِ إلى العربيةِ، ونقلُوا ما قالتْهُ حكماءُ العَجَمِ منَ الفارسيّةِ إلى العربيةِ، وسائرَ ذلك مِنْ كتبِ الفلسفةِ والطبِّ والنجومِ والهَنْدَسَةِ والْحِسَابِ من اليونانيةِ أو الهنديّةِ إلى العربيةِ. وحَرصَتْ كلُّ أمة على تعلّمِ العربيةِ ليُتَرْجِمُوا (ليعبّروا عَنْ) ما في أيديهم بها. ولم يَرْغَبْ أهلُ القرآنِ والكتابِ العربيّ في نقلِهِ إلى شَيْءٍ من اللغاتِ، ولا قَدَرَ أحدٌ من الأممِ أن يترجمَه بشيءٍ من الألسنةِ. ولو قَدرُوا عليه لفشَا ذلك فيهم (انتشر)، وجَرَتِ الألسنةُ بـه عـنـدهُم، ولكنْ تعذّر ذلك عليهم لكمالِ لغةِ العربِ ونقصانِ سائرِ اللـغـاتِ.

* * * * * * *

فإنْ قَالَ قائلٌ : لمْ يفعلُوا ذَلك زهدًا فيه ورغبـةً عنْهُ، أكْذَبَهُ العِيَانُ، (المشاهدة) وأوْهَن (أضعف) حُجتَه (دليلَه) ما جُبِلَ (طبع) عَلَيْهِ أشرافُ النّاسِ من المحبّةِ لمعرفةِ الأشياءِ والعِلْمِ بها وَلِنِزاعِ نفوسِ ذوي الإقْدَامِ والرِّفْعَةِ إلى الوقوفِ على جميعِ الآدابِ، فإنّ المُلوكَ وأهلَ الشرفِ من كلّ أمّـةٍ قد رَغِبُوا في نَقْلِ كتبٍ لها مقدارٌ صغيرٌ وخطَرٌ يسيرٌ إلى لغتِهم، شَوْقًا مِنْهم إلى معرفَتِها، وعِشْقا للوقوفِ على حقائِقِها والعلم بها والبصيرةِ فيها. فكيفَ القرآنُ الّذي عَظَّمَ اللهُ شَأْنَهُ، وأجَلَّ مِقْدارَهُ، وأخْضَعَ رِقَابَ الأمم لِسُنَّتِهِ، وَأمْضَى عَلَيْهم (نَفَّذَ فيهم) ما شَرَعَ فيه مِنْ أحْكَامِهِ ؟ وقَدْ حاوَلَ كثير مِنَ النّاسِ ذلك، فَعَسُرَ عليه نَقْلُهُ وتعذَّرَ تَرْجَمَتُهُ. فَتَرْجَمُوا مِنْهُ شَيْئًا يَسِيرًا، مِثْلَ بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ومِثْلَ سُورةِ الْحَمْدِ، على اسْتِخْرَاجٍ شَدِيدٍ (بِرَبْطٍ بَعيدٍ بَيْنَ الْمَعَانِي) ونَقْلٍ بَعِيدٍ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عن مُحمدِ بنِ المُنْذِرِ الهرَوِيّ عن محمدِ بنِ عَبْدِ اللهِ العُتْبِيّ قال : قَالَ عليّ ـ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ ـ : كلامُ العربِ كالميزانِ الّذِي يُعْرَفُ به الزيادةُ والنُّقصَانُ. وهُو أعْذَبُ منَ الماءِ وأرَقُّ مِنَ الْهَوَاءِ إنْ فَسَّرْتَه بِذَاتِه اسْتَصْعَبَ، وإنْ فَسَّرْتَه بغَيْرِ مَعْنَاهُ اسْتَحَالَ. فالعَرَبُ أشجارٌ وكلامُهم ثِمَارٌ، يُثْمِرُونَ والناسُ يَجْنُونَ. بِقَوْلِهِمْ يَقُولُونَ وإلَى عِلْمِهِم يَصِيرُونَ.

* * * * * *

فَعَلَى هذا لُغَةُ العربِ **مُمْتَنِعَةٌ** (صعبة) عَلَى سَائِرِ اللُّغَاتِ. واللُّغَاتُ كلُّهَا منقادةٌ لها، ولَوْ ذَهَبْنَا نَصِفُ اللغاتِ كلَّها عَجَزْنَا عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُعْطَهُ أحدٌ قَبْلَنَا، ولكنَّا نَذْكُر مِنْ ذَلِكَ على قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ ومِقْدَارِ الطَّاقَةِ، **ونَتَكَلَّمُ** بما عَلِمْنَا منه **مَحَبَّةً** لإيرادِ فَضْلِ لغةِ الْعَرَبِ، **إذْ كانَ** فيه إظهارُ فضيلةِ الإسلامِ على سائرِ المِلَلِ، وإبْرَازُ فَضْلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلّم) على جميعِ الأنبِيَاءِ والرسلِ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ، وإن كانَ ذلكَ ظاهرًا بنعمةِ الله بارزا بِحَمْدِ اللهِ، لأنَّ دينَ الإسْلَامِ عربيٌّ، والقرآنُ عربِيّ، وبيانُ الشرائعِ والأحْكَامِ والفرائضِ والسُّنَنِ بالْعَرَبِيَّةِ.

* * * * * *

وَنَقُولُ : إنَّ لغةَ العربِ هي اللغةُ التامَّةُ الحروفِ الكاملةُ الألْفاظِ لم يَنْقُصْ منها شَيْءٌ من الحروفِ فَيَشِينَهَا النقصَانُ، ولم يزِدْ فيها شيءٌ فتَعِيبَها الزيادةُ. وسائرُ اللغات فيها زيادةُ حروفٍ مُوَلَّدَةٍ (مُسْتَحْدَثَة) وينقصُ عنها حروفٌ هي أصْلِيَّةٌ. ونَعْتَبِرُ من ذلك باللّغةِ الْفَارِسِيَّةِ، لأنَّا طُبِعْنَا عَلَيْهَا وَنَشَأْنَا فيها، على أنَّا قَدْ تَدَبَّرْنَا سائرَ اللغاتِ، فوجَدْنا فيها مثلَ ما ذَكَرْنَا من الزِّيادةِ والنقصان، الذي هو العيبُ البيِّنُ والشَّيْنُ الظَّاهِرُ. والحروفُ التامَّةُ كلُّها هي ثمانيةٌ وعشْرُونَ حَرْفًا لا زِيادَةَ فيها ولا نُقْصَانَ. ودارَتْ لغةُ العربِ على هذه الحروفِ، لم يزِدْ عليها حرفٌ. وسائرُ اللغاتِ زَادَتْ عَلَيْهَا ونقصَتْ مِنْهَا.

ولهذِهِ الحروفِ أحْيَازٌ (مخارِجُ) مُخْتَلِفَةٌ. ومَدَارِجُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ : فالحاءُ والخاءُ والعَيْنُ والغَيْنُ والهَاءُ وأَلِفُ الهمزةِ حَيِّزُهَا الحَلْق، والقَافُ والكافُ حَيِّزُهَا اللَّهَاةُ، والجيمُ والضّادُ والشينُ حَيِّزُهَا شَجَرُ الْفَمِ، والصَّادُ والسِّينُ والزَّايُ حَيِّزُهَا أسَلَةُ اللِّسَانِ إلَى أطْرافِ الثَّنَايَا، والطَّاءُ والدَّالُ والتَّاءُ حَيِّزُهَا الْحَنَكُ بتَطْبِيقِ اللّسَانِ إلى أطْرَافِ الثَّنَايَا، والظَّاءُ والذَّالُ والثَّاءُ حَيِّزُهَا اللِّثَةُ. والرَّاءُ واللّامُ والنُّونُ حَيِّزُهَا زَلَقُ اللّسَانِ إلى الشَّفَتَيْنِ. والْفَاءُ والْبَاءُ والمِيمُ حَيِّزُهَا الشَّفَةُ، والألِفُ والْيَاءُ والْوَاوُ هَوَائِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا جَرْسٌ ولا اصْطِكَاكٌ لأنّها تَنْسلُّ من جَوْفِ الْحَنَكِ. فهذه ثمانيةٌ وعشْرُونَ حرفًا مدارِجُهَا وأحْيَازُهَا على ما قَدْ ذَكَرْنا. وهكذا بَيَّنَها العلماءُ وقَدْ بُنِي



أحياز (مخارج) الأصوات العربية، كما وصفها الرازي، و
تختلف بعض الشيء عن الوصف الحديث لها.

عليها اللغاتُ. واشْتَمَلَ على كلّ لغةِ العربِ، حتى لمْ يَنْقُص عَنْها حرفٌ ولم يزدْ علَيْها حرفٌ، بلْ تَمّتْ عليها واعتدلَتْ فيها.

* * * * * *

وسائرُ اللغاتِ نقَصَتْ وزادَتْ مثْلَ اللّغةِ الفارسيةِ، فإنّها قصرتْ عنِ العَيْنِ والغَيْنِ والحاءِ والقافِ والطاءِ والظاءِ والصادِ والضادِ والذالِ والثاءِ، حتى لا يوجد في لغتهم الأصليّةِ كلامٌ يُتَكَلَّمُ به علَى هذِهِ الحروفِ فإذا اضْطُرُّوا إلى أن يَتَكَلَّمُوا بكلمَة عَرَبِيَّة أو مُعَرَّبَةٍ في بِنْيَتِها حرفٌ من هذِه الأحرفِ قَلَبُوا ذلكَ الحرفَ إلى حرفٍ قَرِيبِ الْحَيِّزِ والمدْرَجِ مِنْه (أي يجدُون بينهما مشابَهةً) كما قَلَبُوا الحاءَ إلى الهاءِ فقالُوا لمُحَمَّد : مُهَمَّد، وقلبوا العين إلى الألِفِ ممدودةً مهموزةً فأشمُّوهَا مَعْنَى العَيْنِ فقالُوا لِعَلِيّ : أَلِيّ، وقلبُوا الغيْنَ إلى الواوِ فقالوا للْغُلاَمِ : وُلاَم، وقلبُوا القاف إلى الكافِ فقالوا للقمَرِ : كَمَر، وقلبوا الطاءَ إلى التّاءِ فقالوا للطّاووس : تَاوُوس وقلبوا الظاءَ والضادَ إلى الدالِ فقالوا في معنى ضَرَبه وظَلَمه : دَرَبَهُ ودَلَمَهُ، وقلبُوا الصاد إلى السينِ فقالوا للصَّنَم : سَنَم، وقلبوا الذّالَ إلى الدال فقالوا للذّليل : دلِيل، والثاءَ إلى التاءِ فقالوا للْكَثِيرِ : كَتِير.

* * * * * *

فَعَلى هذا كلّ ما جَاءَ في لغتِهم مِمَّا فيهِ هذه الأَحْرُفُ قَلَبُوهَا إلى هذه، فظهرَ فيها هذا النقصانُ القبيحُ. وولّدُوا أحْرُفا ليستْ بأصْلِيَّةِ، فولَّدُوا بَيْنَ الفاءِ والْبَاءِ حَرفًا فقالُوا للرجل « بَاى »، ولِلْبُسْتَانِ « بَاغ » فالباء التي هي في اسم الرجلِ حَيِّزُهَا بيْنَ الفَاءِ والباءِ، والتي في اسم البستان هي الباءُ الأصليَّةُ. وهو عَيْبٌ ظاهرٌ في لغتِهِم الأصليّة ثمّ خالَطَتْها لغةُ العربِ حينَ أظْهرَ اللهُ الإسْلاَمَ، وأسلَمَتِ العجمُ، وتوالَدُوا على اللغةِ العربيةِ ونشأُوا فيها، فخَلطوا بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَرَاضُوا (دَرَّبُوا) أنفسَهُمْ بِهَا ومرنُوا علَيْها، فأَدْخَلُوا هذِهِ الأحرفَ في كلامِهِمْ، وسَهُلَتْ على ألفاظِهمْ فإذا حاوَلُوا تسطيرَها بكتاباتِهم تعذّر ذلِكَ عَلَيْهِمْ، لأنّها لم تُبَنَ عَلَى هذِهِ الأحرُفِ، فأحوجُوا إلى الاحْتِيَالِ فيه وفي اسْتِخْرَاجِهِ. وإذا اعتبَرْتَ سائرَ اللغاتِ والكتاباتِ وجدْتَ فيها من الزيادةِ والنقصانِ مثلَ هذا أو قريبًا مِنْه. فقدْ ناظَرْتُ عليهِ (ناقَشْتُ فيه) قومًا عَرَفُوا العبرانيّةَ والسرانيّةَ، فوجدْتُ الأمْرَ قريبًا مِمَّا ذَكَرْنا، وتَرَكْنا الاسْتِقْصَاء اقْتِصَارًا على ما قد شَرَحْناه من لغةِ الفارسيّةِ، لأنّا لَمْ نُحْكِمِ الأمْرَ في تلْكَ كَإحْكَامِنَا فِي هَذه اللُّغَةِ.

التــدريبــات

١ ـ ادرسوا التعبيرات التالية في الموضوع السابق :

- شأنه في ذلك شأن ....
- بيئات متواضعة.
- حققوا لأنفسهم من الشهرة ما خلد أسماءهم في التاريخ.

- مسقط رأسه.
- كانت دعوة الفاطميين **على أشدها**.
- أخذ عنهم.
- المشرق العربي.
- المغرب العربي.
- يبدو في كتابه **لغويا أكثر منه فقيها**.
- أهل الملل.
- لم يحرص الناس على تعلم شيء **كحرصهم** على تعلم اللغة العربية.
- لم **يفعلوا ذلك زهدا فيه** ورغبة عنه.
- فإن الملوك وأهل الشرق من كل أمة قد رغبوا في نقل كتب لها مقدار صغير وخطر يسير **فكيف القرآن** الذي عظم الله شأنه !
- لم نحكم الأمر في تلك كإحكامنا / إحكامنا في هذه اللغة.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ متى عاش أبو حاتم الرازي ؟
٢ ـ ما البلاد التي تنقل بينها ؟
٣ ـ ما الخصائص السياسية للعصر الذي عاش فيه الرازي ؟
٤ ـ ما موضوع المناظرات التي أكسبت أبا حاتم شهرته ؟
٥ ـ ما أهم الموضوعات التي يتناولها كتاب الزينة ؟
٦ ـ أين قام أبو حاتم بنشاطه السياسي ؟
٧ ـ من هم الفاطميون ؟
٨ ـ كيف يعالج الاشتقاقيون الألفاظ ؟
٩ ـ بم يحتج أبو حاتم الرازي لفضل اللغة العربية ؟
١٠ ـ كم لغة ورد ذكرها في النص ؟
١١ ـ لماذا يحرص الناس على تعلم العربية في رأي الرازي ؟
١٢ ـ بماذا وصف علي بن أبي طالب كلام العرب ؟
١٣ ـ ما مخارج (أحياز) حروف العربية التي ذكرها أبو حاتم ؟
١٤ ـ لماذا يعتقد الرازي أن اللغة العربية أفضل اللغات ؟
١٥ ـ ما رأيك فيما يقوله أبو حاتم الرازي عن اللغة العربية ؟
١٦ ـ وزع الحروف العربية على الرسم طبقا لوصف الرازي لها.

٣ ـ صواب أو خطأ :

١ ـ يبدو أبو حاتم الرازي في كتابه فقيها أكثر منه لغويا.
٢ ـ يرى مؤلف كتاب الزينة أن لغة العرب تشبه اللغة الفارسية.
٣ ـ الحاء والخاء والعين والفاء والهاء والهمزة حيزها من شجر الفم.
٤ ـ الفاء والباء والميم حيزها الشفة.
٥ ـ كتب الفلاسفة والأطباء وأصحاب النجوم والهندسة والحساب كانت باليونانية والهندية.

٦ ـ الفاطميون هم الذين يتشيعون لعلي بن أبي طالب وينتسبون إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم وزوجة علي.

٧ ـ كتاب الزينة كتاب يضع أساس علم لغوي هو علم المصطلحات الإسلامية.

٨ ـ الاشتقاقيون هم الذين يحاولون الرجوع بالألفاظ المشتركة في حروفها إلى معنى أصلي عام.

٩ ـ حاول كثير من الناس ترجمة القرآن فوجدوا ذلك سهلا جدا.

١٠ ـ كان أبو حاتم الرازي متطورا في آرائه الدينية واللغوية والكلامية.

١١ ـ تغيرت معاني الألفاظ ومدلولاتها في العصر الإسلامي عما كانت عليه في العصر الجاهلي.

١٢ ـ يرى أبو حاتم أن الحروف التامة هي ثمانية وعشرون حرفا.

٤ ـ املأ الفراغ في الجمل التالية بالكلمة المناسبة :

١ ـ يتبع أبو حاتم الرازي في آرائه اللغوية .... أهل السنة.
أ ـ أوامر — ب ـ مذهب — ج ـ برنامج

٢ ـ يرى أبو حاتم الرازي أن اللغة العربية .... على كل لغات البشر.
أ ـ تتحسن — ب ـ تتجاوز — ج ـ تسمو

٣ ـ كثير من الناس .... في تعلم لغات أخرى.
أ ـ يحرص — ب ـ يرغب — ج ـ يريد

٤ ـ يتفق أهل .... المختلفة على كثير من الأمور الدينية.
أ ـ العقائد — ب ـ الديانات — ج ـ المذاهب

٥ ـ لم يحرص الناس على تعلم شيء كـ .... على تعلم اللغة العربية.
أ ـ حبهم — ب ـ رغبتهم — ج ـ حرصهم

٦ ـ يتحدث الرازي عن .... اللغة العربية.
أ ـ فضل — ب ـ كرم — ج ـ أصل

٧ ـ الذين يتشيعون لعلي بن أبي طالب يسمون ....
أ ـ الفاطميين — ب ـ الشيعة — ج ـ الطالبيين

٨ ـ يحتج أبو حاتم الرازي لفضل اللغة العربية بأنها استكملت الحروف و ....
أ ـ الأصوات — ب ـ الألفاظ — ج ـ الحركات

٩ ـ يختلف العلماء في .... رأس أبي حاتم الرازي.
أ ـ موضع — ب ـ مسقط — ج ـ مكان

١٠ ـ ....: أبو حاتم الرازي عن كثير من علماء العربية والحديث.
أ ـ سمع — ب ـ أخذ — ج ـ جمع

١١ ـ جمع الرازي في كتاب الزينة الألفاظ التي .... عليها المسلمون.
أ ـ اصطلح — ب ـ اعتمد — ج ـ تعاون

٥ ـ انف الجمل الآتية مستخدما أداة النفي المناسبة (لم، لن، لا، ما، ليس) :

١ ـ استطاع الناس قديما ترجمة القرآن الكريم.
٢ ـ يمكن نقل كل المعاني من لغة إلى لغة.
٣ ـ اتصال المشرق العربي بالمغرب العربي اتصال ضعيف.
٤ ـ منصب الداعي يحصل عليه كل شخص بسهولة.
٥ ـ الألفاظ التي تغيرت معانيها ومدلولاتها قليلة.
٦ ـ الكلمات التي يتناولها كتاب الزينة قليلة الأهمية.
٧ ـ يبدو أبو حاتم في كتاب الزينة فقيها أكثر منه لغويا.
٨ ـ حروف اللغة العربية أقل من كل اللغات.
٩ ـ العرب يستخدمون حروفا تختلف عن حروف اللغات الأخرى.
١٠ ـ يسعى أهل كل لغة إلى نشر لغتهم بين الناس.

٦ ـ أكد الجمل الآتية مستخدما (إنّ) وغيّر ما يلزم كما في النموذج :

النموذج :

أ ـ لغةُ العرب لغةٌ تامة الحروف.
ب ـ إنَّ لغةَ العرب لغةٌ تامة الحروف.

١ ـ كلام العزب كالميزان يعرف به الزيادة والنقصان.
٢ ـ الحروف التامة في العربيّة ثمانية وعشرون حرفا.
٣ ـ مخرج الحاء والخاء والعين والغين شجر الفم.
٤ ـ شأن الرازي في جهل الناس بتاريخ ميلاده شأن كثير من العلماء.
٥ ـ الفاطميون من الشيعة هم الذين ينتسبون إلى السيدة فاطمة.

أحيانا تدخل (اللام على خبر (إنَّ) لتقوية التوكيد مثل :
- إنَّ اللّهَ لغفورٌ رَحِيمٌ.

أو على اسمها إذا كان متأخرا عن خبرها مثل :
- إنَّ في ذلك لعبْرَةً.

أو على ضمير من الاسم والخبر يسمى ضمير الفصل مثل :
- إنَّ هذا لَهُو القصصُ الحقُّ.

٧ ـ أدخل كان أو إحدى أخواتها على الجمل الآتية وغيّر ما يلزم كما في النموذج :

النموذج :

أ ـ كتابُ الزينة معروفٌ عند علماء اللغة العربية.(كان)
ب ـ كان كتابُ الزينةِ معروفًا عند علماء العربية.

١ ـ الداعيان مهتمان بنشر دعوتهما سرا وعلانية. (ظل)
٢ ـ الكلمات التي تناولها كتاب الزينة كلمات شائعة. (ليس)

٣ ـ مخارج الحروف العربية تحتاج لتدريب كبير. (مازال)
٤ ـ العرب أشجار وكلامهم ثمار. (ما فتئ)
٥ ـ أبو حاتم الرازي محب للغة العربية جدا. (كان)

لاحظ الجملتين التاليتين :

أ ـ **لو قدر الناس على نقل القرآن إلى لغة أخرى لفشا ذلك فيهم.**
ب ـ **لو أن الناس قدروا على نقل القرآن إلى لغة أخرى لفشا ذلك فيهم.**

- هاتان الجملتان نوع من أسلوب **الشرط.**
- تذكر أن أسلوب الشرط يتكون من ثلاثة أجزاء :

١ ـ أداة الشرط **٢ ـ الشرط** **٣ ـ جواب الشرط**

- في الجملة ـ أ ـ هنا **أداة الشرط هي لو والشرط** هو قدر الناس على نقل القرآن إلى لغة أخرى **والجواب** هو لفشا فيهم
- لو الشرطية : تسمى « حرف **امتناع** لامتناع »، أي أنها تفيد امتناع حدوث الجواب لامتناع حدوث الشرط.

الجزء الذي يسمى الشرط يمكن أنْ يكون جملة فعلية ـ كما في الجملة رقم أ ـ ويمكن أن يكون جملة أسمية ـ كما في الجملة رقم (ب).

الجواب في جملة (لو) يمكن أن تدخل عليه **اللام** كما في الجملتين السابقتين.

٨ ـ اذكر سبب نصب المكتوب بالبنط الأسود في الجمل الآتية (تمييز ؟ مفعول به ؟ مفعول لأجله ؟ مفعول مطلق ؟ صفة لمنصوب ؟ معطوف على منصوب ؟) :

١ ـ أظهر أبو حاتم **نشاطا سياسيا ودينيا** في طبرستان وأذربيجان.
٢ ـ لم يرغب الناس في الماضي في شيء من اللغات **رغبة** هذه الأمة في لسان العرب.
٣ ـ لم يفعلوا ذلك **زهدا** فيه **ورغبة** عنه.
٤ ـ نتكلم بما علمنا منه **محبة** لإيراد فضل لغة العرب.
٥ ـ الحروف التامة كلها هي ثمانية وعشرون **حرفا.**
٦ ـ تركنا **الاستقصاء اقتصارا** على ما قد شرحناه.
٧ ـ لم نحكم **الأمر** في تلك اللغات **إحكامنا** في هذه اللغة.
٨ ـ الملوك وأهل الشرف من كل أمة قد رغبوا في نقل كتب لها مقدار صغير **شوقا** منهم إلى معرفتها، **وعشقا** للوقوفَ على حقائقها.
٩ ـ كتاب الزينة يفسر **كلمات موجودة** في العالم مثل السماء والأرض والاقليم.
١٠ ـ أورد أبو حاتم **المعاني** التي جاءت لكلمة العرش.

٩ ـ أكملَ جمل الشرط الآتية :

١ ـ لو سافرتَ إلى الشرق ....
٢ ـ لو أنّ القوتين العظميين ـ أمريكا وروسيا ـ اتفقتا ....

٣ ـ لو قَرَأْتَ عن اللغة العربية كثيرا ....
٤ ـ لو عَرَفْتَ مخارج الحروف الصحيحة ....
٥ ـ لو .... لـ ....

لاحظ المفرد وجمعه في الجملتين التاليتين :

- كان أبو حاتم الرازي **داعيا** من **الدعاة** الفاطميين.
- ينظر الرازي إلى فضل اللغة العربية كأنه **حقيقة** من **الحقائق** الثابتة
- هذا النوع من الجمع اسمه ـ كما درست سابقا ـ جمع تكسير.

١٠ ـ اجمع المفردات الآتية جمع تكسير كما في الجملتين السابقتين :

المفرد	جمع التكسير	المفرد	جمع التكسير
الساعي	....	الراعي	....
القاضي	....	الرامي	....
الغازي	....	الشادي	....
الدقيقة	....	الصحيفة	....
الكتيبة	....	الكنيسة	....
العجوز	....	الغريبة	....
الوثيقة	....	الساري	....
الشاري	....	الداعي	....
العجيبة	....	الضريبة	....
الجريدة	....	الفريدة	....

لاحظ الإسم المكتوب بالبنط الأسود في الجملة التالية :

ولد أبو حاتم أحمد بن حمدان في **الرَّي** بفارس، وَمنها اكتسب اسم **الرازي.**

- **الرَّازي** لقبٌ لأبي حاتم أحمد بن حمدان.
- الرازي اسم منسوب إلى الرِّي.
- تذكر أن النسب : هو إضافة « ياء » مشددة إلى آخر الاسم مع كسر ما قبلها ومعاملة الاسم بعد إضافة « الياء المشددة » إليه كأن « الياء » جزء منه، مثل :
  - القرن الرابع **الهجري** (نسبة إلى الهجرة)
  - كان الرازي محافظا **سلفيا** (نسبة إلى السَّلَف)
  - في آرائه **الدينية** (نسبة إلى الدين)
    والكلامية (نسبة إلى علم الكلام)
    واللغوية (نسبة إلى اللغة)

- هناك أسماء ينسب إليها بطريقة مخصوصة، منها :

- الري	الرازي
مَرْو	مروزي أو مروى
أذربيجان	أذربي أو أذربيجاني
طبرستان	طبرسي أو طبرستاني
خوزستان	خوزي أو خوزستاني
حضرموت	حضرمي
عبد شمس	عبشمي

لاحظوا الأسلوب التالي :

- .... شأنه في ذلك شأن ....
- يضع أبو حاتم اللغة العربية فوق لغته الأصلية - وهي الفارسية - شأنه في ذلك شأن كثير من علماء المسلمين من غير العرب.

١١ - أكمل كما في النموذج :

النموذج :

الذين ينتسبون إلى السيدة **فاطمة** من الشيعة يسمون **الفاطميين**.

١ - العصر الذي قبل الإسلام كان عصرا **جاهلا** ولذلك يسمى العصر ....

٢ - النشاط الذي يهتم **باللغة** يسمى النشاط ....

٣ - الكلام الذي ينسب إلى **النبي** يسمى الحديث ....

٤ - الذي ينسب إلى .... يسمى **المدني**.

٥ - يقول العلماء العرب : لا تأخذوا العلم عن **صحفي** أي الذي يستخدم ....

٦ - النظام الخاص الذي تسير عليه **الكنيسة** يعرف بالنظام ....

٧ - العالم الذي يهتم **بالتربية** يسمى العالم ....

١٢ - أكملوا كما في المثال السابق :

١ - لم أدرس اللغة الألمانية شأني في ذلك شأن ....

٢ - يحتاج تعلم العربية إلى مجهود كبير .... غيرها من اللغات.

٣ - .... شأننا في ذلك شأن غيرنا من دارسي العربية.

١٣ - ضع كل تعبير مما يأتي في المكان المناسب من الجمل التالية :

- على أشده - شأنها في ذلك شأن - رغبة عنه - حققوا لأنفسهم من الشهرة - فكيف الشعر - مخارج الحروف.

١ - لم أترك قراءة الفلك .... أو كراهية فيه.

٢ - القراءة الصحيحة تحافظ على .... محافظة سليمة.

٣ - كان القتال .... عندما صدر قرار وقفه في لبنان.

٤ ـ اللغة العربية ليست صعبة .... كثير من اللغات.
٥ ـ أحب القصة والرواية والمسرح .... الذي هو أبو الفنون.
٦ ـ إن الأدباء العظام قد .... ما أبقى ذكرهم حيا.

١٤ ـ تعبير كتابي :

ذكر أبو حاتم أسبابا رئيسية لفضل اللغة العربية على غيرها من اللغات، اذكر ثلاثة منها بأسلوبك الخاص.

اقـرأ واحـفـظ

بَشّار بن بُرْد فى الغَـزَل
(من بحر الهَـزَج)

مِنَ الْمَشْهُورِ بِالْحُبِّ إِلَى قَاسِيَةِ الْقَلْبِ
سَلامُ اللّهِ ذِى الْعَرْشِ عَلَى وَجْهِكِ يا حُبِّى
فَأَمَّا بَعْدُ يا قُرَّ ةَ عَيْنِى ومُنَى قَلْبِى
وَيَا نَفْسِى الّتى تَسْكُـ ـنُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْجَنْبِ
لَقَدْ أنكرْتُ يا عَبْدُ جَفَاءً مِنْكِ فى الْكُتْبِ
أَمِنْ ذَنْبٍ فلا و اللّـ ـهِ ما أحدَثْتُ مِنْ ذَنْبِ
وَلَا واللّهِ ما فِى الشَّرْ قِ مِنْ أُنْثَى وَلَا الْغَرْبِ
سِوَاكِ اليومَ أَهْوَاهَا عَلَى جِدٍّ ولا لِعْبِ

الشاعر : من أشهر الشعراء العباسيين. كان أعمى قبيح الوجه. أبدع في الغزل والهجاء. وهو رأس مدرسة التجديد في معاني الشعر. توفي سنة ١٦٧ هـ (٧٨٣ م).

شروح : **يا حبي** : يا حبيبتي، **قرة عيني** : راحة نفسي، **يا عبدُ** : ترخيم (أي اختصار) لاسم المحبوبة وهو « عَبْدَة » وسبب اختصار الاسم هو الحفاظ على وزن الشعر كما أن فيه تمليحا وتدليلا للمحبوبة.

الدرس الثالث

من الأدب الجغرافي العربي :

ابن بطوطة يجوب العالم القديم

اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) فغطت الأراضي الممتدة ما بين الهند شرقا والمحيط الأطلسي غربا. وكانت الدولة تدار ـ بأسلوب مركزي ـ من العاصمة بغداد بالعراق. وقد نشأ عن هذا الحكم المركزي ضرورة الانتقال السريع للجيوش والتجار والبريد والأفراد وغير ذلك، مما استدعى شق الطرق، وتنظيم البريد، وإيجاد نظام لجمع المعلومات عن بلاد الخلافة الإسلامية وغيرها من البلاد القريبة منها والبعيدة عنها.

وكان أهم سبب للسفر والانتقال من مكان إلى مكان داخل بلاد الخلافة الإسلامية هو أداء فريضة الحج في مكة المكرمة، وهي فريضة على كل شخص مسلم قادر، سواء أكان يقيم قريبا من مكة (في الجزيرة العربية) أم بعيدا عنها (في أقصى مكان في العالم الإسلامي). وقد ترتب على هذه الحركة النشطة داخل الدولة الاسلامية وخارجها ما يعرف **بأدب الجغرافيا الوصفية**، وهو أدب يرتبط به **أدب الرحلات** ارتباطا وثيقا.

يقوم هذا الأدب على المزاوجة بين علم الجغرافيا بصورته العلمية الدقيقة التي نعرفه بها الآن، وبين **الإبداع الأدبي الفني**. ويحفل تاريخ أدب الرحلات في التراث العربي بأسماء خلدها التاريخ، بعضها حقيقي مثل الكلبي والمعصومي، والمقدسي وابن جبير، وابن بطوطة، وبعضها خرافي مثل السندباد البري والسندباد البحري. كذلك يحفل التراث العربي بأسماء مؤلفات خلدها التاريخ لعل أشهرها على الإطلاق كتاب رحلة ابن جبير، وكتاب رحلة ابن بطوطة الذي معنا.

مـداخـل إلى دراسـة الـنـص

عـن الـكـاتـب :

- هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي، واسمه المشهور به ابن بطوطة (بتشديد الطاء الأولى وضمها).
- ينتمي ابن بطوطة إلى منطقة المغرب العربي (التي كانت تشمل بلاد الشمال الإفريقي والأندلس) وهي منطقة أنجبت (أخرجت) معظم الرحالة العرب أمثال ابن جبير، والادريسي، والطرطوشي، والبكري والقرطبي، وغيرهم.
- ولد في مدينة طنجة في ١٧ رجب سنة ٧٠٣ هـ (الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٣٠٤ م) وتوفي سنة ٧٧٩ هـ (الموافق ١٣٧٧ م)، وهو ينتمي إلى قبيلة كبيرة معروفة باشتغالها بالعلم هي قبيلة « لواته ».
- حفظ القرآن على يد أبيه، ثم تلقى العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث، والعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، حتى بلغ العشرين من عمره، أو زاد عليها بقليل.
- قضى معظم حياته مسافرا في رحلاته الثلاث الشهيرة. وحين انتهى منها، جلس يتحدث عنها ويمليها في مسجد فاس، ومن هذا الإملاء صاغ « ابـن جـزي » قصة الرحلة كما سيأتي بعد.
- لقد قضى ابن بطوطة الاثنين والعشرين عاما الأولى من حياته في التعلم، والثلاثين عاما التالية في الرحلة، والجزء الباقي من حياته في التعليم.
- تولى القضاء في تونس، وفي كثير من البلاد التي زارها، **وكـان يجـلـس للـتـدريس** في المساجد الجامعة (الرئيسية) في كثير من المدن والعواصم الإسلامية.
- بدأ رحلته الأولى، وهي المشرقية التي بلغ (وصل) فيها إلى بلاد الصين سنة ٧٢٥ هـ (يونيو ١٣٢٥ م)، وعاد منها سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م)، وقام برحلته الثانية، وهي الأندلسية التي استغرقت وقتا قصيرا، فيما بين عامي ٧٥٠ هـ و ٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م)، ثم قام برحلته الثالثة إلى جوف إفريقيا، والتي استغرقت عامين من اليوم الأول في سنة ٧٥٣ هـ إلى آخر عام ٧٥٤ هـ (الموافق ١٣٥٤ م).
- جاوز تجوال ابن بطوطة مائة وخمسا وسبعين ألف ميل، فهو بهذا يعد منافسا قويا لمعاصره الأكبر منه سنا ماركو بولو البندقي.
- لا تخلو المقارنة بين ابن بطوطة وماركو بولو من بعض الطرافة : فالصياغة الأدبية لكلا الرحلتين ـ مثلا ـ لا ترجع إلى صاحب الرحلة بل إلى شخص آخر، كما أن كلا المصنفين يكمل أحدهما الآخر بالنسبة لمعلوماتنا عن آسيا، فالرحالة البندقي عرف الشرق الأقصى خيرا مما عرفه المغربي، والرحالة المغربي كان لديه إحساس ذاتي بظروف حضارة العالم الذي يصفه أكثر مما كان لدى البندقي.
- كان الحافز الأصلي لابن بطوطة على الخروج في رحلته الأولى هو نفس ذلك الحافز الذي **لـعـب دورا كـبـيـرا** في الأقطار الاسلامية، وهو الرغبة في أداء فريضة الحج.

عـن الـكـتـاب :

- عنوان كتاب رحلة ابن بطوطة الكامل هو : « **تحـفـة الأنظار في غـرائب الأمـصـار وعجائب الأسـفـار** ».

- يضم الكتاب وصفا تفصيليا للرحلات الثلاث التي قام بها ابن بطوطة واستغرقت حوالي ثلاثين سنة.
- لم يكتب ابن بطوطة الكتاب بنفسه، بل ربما لم تخطر فكرة تدوين الرحلة على باله أصلا، فقد أمر أبو عنان حاكم مدينة فاس بالمغرب كاتبه ابن جزي أن يقوم بتدوين الرحلة، فكان يجلس في المسجد للاستماع إلى حكاية ابن بطوطة عن الرحلة، بألفاظ ابن بطوطة نفسه، ومن هذا صاغ ابن جزي الحكاية بأسلوبه هو، منتهيا من ذلك في عام ٧٥٦ هـ (الموافق ١٣٥٥ م).
- غطت رحلات ابن بطوطة الثلاث رقعة مكانية (مساحة من الأرض) شملت معظم أجزاء العالم المعروفة آنذاك.
- في رحلته الأولى ـ وكانت بهدف أداء فريضة الحج ـ خرج وحيدا من طنجة في أقصى الغرب فمر بمدن الشمال الإفريقي حتى دخل تونس فاشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة الشهير. ثم خرج إلى الإسكندرية فوصف أحياءها وأهلها ومنارتها المعروفة، ومنها قصد إلى القاهرة فمكث فيها زمنا، ووصف كثيرا من أحوالها ومعالمها. ثم سار جنوبا في طريق الصعيد (القسم الجنوبي من مصر) حتى مدينة عيزاب على البحر الأحمر. وحين تعذر عليه عبور البحر إلى الحجاز عاد مرة أخرى إلى القاهرة، ومنها سافر إلى الشام ثم الحجاز حيث أدى فريضة الحج كما أراد.
- ولا تنتهي رحلة ابن بطوطة هنا، بل يبدو أن حب السفر كان قد تملكه فنراه يتوجه إلى العراق ثم فارس، ثم يعود إلى العراق مرة أخرى، ومنها إلى مكة، حيث أدى فريضة الحج مرة ثانية.
- ثم يعبر البحر الأحمر ويسافر على طول الساحل الشرقي لأفريقيا ليعبر البحر مرة أخرى إلى اليمن، ثم لا يلبث أن يعبر البحر مرة ثالثة راجعا إلى أفريقيا. ومن هناك يعود إلى الجزيرة العربية فالبحرين، ثم يجتاز البحر الأحمر للمرة السادسة ليصل راجعا إلى القاهرة.
- من القاهرة يواصل سفره شمالا فيجتاز الشام ويدخل آسيا الصغرى متجها إلى البحر الأسود فيعبره نازلا بشبه جزيرة القرم عند ميناء كفا (فيدوسيا حاليا).
- ثم يتجول في أنحاء القرم، وروسيا الجنوبية، ليصل إلى أرض البلغار ومنها إلى القسطنطينية. ثم يعود مرة أخرى ليعبر نهر الفولجا ويصل إلى بخارى فأفغانستان ويدخل الهند في غرة المحرم (أول يوم من السنة) عام ٧٣٤ هـ (١٢ سبتمبر ١٣٢٣ م). حيث يعمل بالقضاء في مدينة دلهي لمدة خمس سنوات.
- ثم خرج قاصدا زيارة الصين فعجز عن الوصول إليها برا فتوجه بحرا إلى جزر المالديف ـ حيث قضى فيها عامين في منصب القضاء أيضا ـ ومنها خرج إلى سيلان والبنغال والهند الشمالية، ومن هناك اتجه إلى كانتون في الصين.
- في طريق العودة أخذ السفينة من سومطرة إلى ظفار في جنوب الجزيرة العربية عام ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م)، ومنها عاد إلى التجول في أنحاء إيران والعراق والشام ومصر ثم عاد إلى مكة حيث أدى فريضة الحج للمرة الرابعة.
- ثم ذهب إلى فلسطين وشهد بها الوباء المخيف الذي اجتاحها عام ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م). وهنا ألحت عليه رغبة العودة إلى الوطن فرجع مارا بمصر وتونس، وعرج في طريقه على جزيرة سردينيا، منتهيا إلى مدينة فاس بالمغرب عام ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م).
- ألحت على ابن بطوطة رغبة السفر مرة أخرى فخرج في **رحلته الثانية** ليعبر مضيق جبل طارق متجها إلى غرناطة فيقيم فيها بعض الوقت ثم يعود مرة أخرى إلى المغرب. ويقال إنه قد تعرف في تلك الرحلة على ابن جزي الذي دون رحلته في صورتها المعروفة لنا.
- ثم يعاود الحنين إلى السفر ابن بطوطة **مرة ثالثة** فيخرج في غرة المحرم عام ٧٥٣ هـ (١٨ فبراير ١٣٥٢ م) في رحلته الأفريقية فيزور فيها سجلماسة وتمبكتو بمملكة مالي (وكانت قد اعتنقت الإسلام منذ وقت قصير) ثم يعود عابرا جبال أطلس شتاء في ظروف قاسية فيصل إلى فاس في نهاية عام ٧٥٤ هـ (١٣٥٣ م). فيقضي بقية حياته دون مزيد من الأسفار، **لتوافيه المنية في عام ٧٧٩ هـ** (١٣٧٧ م) أي بعد حوالي أربعة وعشرين عاما.

- **يمتاز كتاب ابن بطوطة بأن مادته ـ على النقيض من كتب الغالبية من الجغرافيين العرب ـ لم تجمع من صفحات** الكتب، بل جمعها ابن بطوطة عن طريق التجربة الشخصية، وعن طريق محادثات مع شخصيات تعرف عليها خلال رحلاته.
- شغل الاهتمام بالمواضيع الجغرافية مكانة ثانوية لدى ابن بطوطة، بالنسبة لاهتمامه بالبشر. فالكتاب خزانة مملوءة بمادة غنية لا في مجال الجغرافية التاريخية وتاريخ عصره فحسب، بل عن جميع أوجه حضارة ذلك العهد. فتراه يعرض لجميع الظواهر الاجتماعية بالسرد حتى تلك التي يهملها المؤرخون عادة فتمر أمام أنظارنا مراسم البلاطات الأجنبية وأزياء الشعوب المختلفة، وتقاليدها وحرفها وأصناف الأطعمة والأغذية : **ففي مصر** يتحدث عن زيارات القبور، والطرق الصوفية، وهلال رمضان، وخروج المحمل بكسوة الكعبة وغيرها. **وفي الشام** يتحدث عن المسجد الأقصى، والحياة الاجتماعية والفكرية والمذاهب السائدة ويصف الطاعون الذي اجتاح البلاد. وفي **بلاد الهند** يقدم لنا صورة متحركة لعالم الأفيال، ويروي قصصا كثيرة عن ظلم الحكام وقسوتهم، ويصف طبقات المجتمع والطوائف الدينية وعادات الزواج والطعام وألوان الفنون ووضع المرأة الاجتماعي وغيرها وغيرها الكثير.
- لا يمثل الكتاب وثيقة ممتازة لتجربة فردية فحسب، بل يقدم كذلك نموذجا صادقا لأفكار وتصورات مواطن إسلامي من أهل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).
- لقد قيل الكثير والكثير عن قيمة كتاب ابن بطوطة كوثيقة هامة في تاريخ الإنسانية. ولكن أكثره تأثيرا ما قاله ابن جزي في ختام الكتاب : « ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر ومن قال رحال هذه الملة (أي الإسلام) لم يبعد (لم يبتعد عن الحق، أي لم يبالغ).
- طبع كتاب « رحلة ابن بطوطة » طبعات كثيرة جدا في باريس والقاهرة وبيروت وغيرها، وذلك منذ سنة ١٨٥٨ م، وترجم إلى لغات أجنبية كثيرة منها اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية، والإيطالية، والتركية، واختصر ولخص مرات عديدة، ورسمت خرائط للطرق التي سلكتها هذه الرحلة. أما الدراسات التي كتبت عنها **فأكثر من أن تحصى.**

عن النص :

- يقع هذا النص المختار في بداية الجزء الثاني من رحلة ابن بطوطة الأولى. وهو يصور وصوله إلى وادي السند، أو « بنج آب » (المياه الخمسة، أو الأنهار الخمسة كما ترجمه ابن بطوطة).
- يبدأ النص بمقدمة يصف فيها ابن بطوطة مياه وادي السند، وزروعه، ويشبهه بوادي النيل.
- يدخل بعد ذلك في الموضوع الأساسي للنص، وهو كيفية حمل البريد وتوصيله.
- يشرح النص طريقة توصيل البريد، فيتكلم عن المسافات وأبعادها، وعن علامات الطريق، وأماكن الانتظار في كل مرحلة، وما يحمله عمال البريد من أدوات وطريقة عدوهم (جريهم)، والأصوات التي يحدثونها عند اقترابهم من نهاية كل مرحلة. ويتكلم عن سرعة هذه الطريقة في توصيل البريد، **وكيف أنها أسرع من استخدام الخيل.**
- يتناول النص الذي معنا في نهايته موضوعا طريفا يتعلق بعادة تبادل الهدايا بين السلطان أبي المجاهد محمد شاه ملك الهند والوافدين على البلاد من الغرباء، ويصف ابن بطوطة كيف استغل التجار المحليون هذه العادة في تحقيق المكاسب لأنفسهم بالحيلة. وقد حدث هذا مع ابن بطوطة ذاته، فعندما وصل ولم يكن معه شيء يهديه ـ بل لم يكن يدري شيئا عن هذه العادة أصلا ـ التقطه تاجر عراقي من أهل تكريت يسمى محمد الدوري فاتفق معه على أن يعطيه هدية ثمينة يقدمها للسلطان، وبعد أن يعطيه السلطان هدية المقابل ـ كما هي عادته ـ يقتسمها معه التاجر العراقي. ويعلق ابن بطوطة على ذلك بقوله : « وقد استفاد بسببي فائدة عظيمة، وعاد من كبار التجار » أما ابن بطوطة فإنه يقول عن نفسه « وقد سلبني الكفار ما كان بيدي فلم ألق منه (أي من هذا المال الذي ربحه) خيرا ».

- يتبع هذا النص الطريقة السردية المباشرة التي تأخذ شكل القصة، والتي تبدو فيها الحوادث وكأنها تجري أمامنا في واقع الحياة.
- لغة النص لغة سهلة ليس بها تعقيد. وطريقته في الوصف تخلو من المبالغة. ويبدو أنه كان يتكلم ـ وهو يملي رحلته ـ على سجيته، ويستخدم اللغة التي يمكن أن تجري على ألسنة العلماء والمثقفين في أحاديثهم اليومية.
- ونبرة الصدق واضحة في حديثه ولا نشعر بأي نوع من التكلف ونحن نتابع وصفه لما حدث له، ونحس أننا دائما ميالون إلى تصديق ما يقول.

النــص

قال الشيخُ أبو عبد الله بنُ محمد بْنِ ابرَاهيمَ اللّوَاتي الطنجيّ المعرُوفُ بابْن بطوطة، رحمهُ الله تعالى :

وَلَمَّا كانَ بتاريخ الغُرَّةِ مِنْ شهْرِ اللّهِ المُحَرَّمِ مُفْتَتَح عامِ أربعةٍ وثلاثينَ وسَبْعِمائةٍ وصَلْنَا إلَى وادِي السِّنْد المعروفِ ببنْج آب. ومعنَى ذلك : المياهُ الخَمْسَة. وهذا الوادِي من أعظمِ أوديةِ الدّنيا. وهو يَفِيضُ في أوانِ الحَرّ فيزْرَعُ أهلُ تلك البلاد علَى فَيْضِه، كما يفْعَلُ أهلُ الدِّيارِ المصريّةِ في فَيْضِ النِّيل. وهذَا الوادِي هُو أولُ عَمَالةِ السلطانِ المعَظَّمِ مُحمد شاه ملكِ الهندِ والسّندِ، ولمَّا وَصَلْنا إلى هذا النهرِ جاءَ إلينا أصحابُ الأخبارِ المُوَكَّلُونَ بذلك. وكتبُوا بخبرِنا إلى قُطبِ المُلْكِ أمير مدينةِ ملْتَان. وكانَ أميرُ أمراءِ السندِ على هذا العهدِ مملوكًا للسلطانِ يُسمَّى سرتيز، وبَيْنَ يديهِ تُعْرَضُ عساكرُ السلطانِ. ومَعْنَى اسمه : الحادُّ الرَّأْسِ، لأنّ سر هو الرّأس، وتيز معناه الحادّ. وكانَ في حينِ قُدُومنا بمدينةِ سيوستانَ مِنَ السّند. وبيْنَها وبينَ ملْتَانَ مسيرةُ عَشْرةِ أيامٍ. وبيْنَ بلادِ السّند وحَضْرَةِ (عاصمةِ) السلطانِ مدينةِ دَهْلى (دلهي) مسيرةُ خمسينَ يومًا. وإذا كتَب المخبرونَ إلى السلطانِ من بلادِ السند يصلُ الكتابُ إليهِ في خَمْسَةِ أيامٍ بالبريدِ.

ذِكْــرُ الْبَرِيــدِ

والبَريدُ ببلادِ الهندِ صِنْفَانِ. فأمّا بريدُ الخَيْلِ فيُسَمُّونَهُ الْولاَق، وهو خَيْلٌ تكونُ للسُّلْطَانِ في كلّ مسافةِ أربعةِ أمْيَالٍ. وأمّا بريدُ الرَّجَّالةِ فيكونُ في مسافةِ المِيلِ. الواحدُ منه ثلاثُ رُتَبٍ ويسمّونها الدَّاوَة. والدَّاوَةُ هي ثُلُثُ مِيلٍ. والمِيلُ عِنْدَهُم يسمَّى الكرْوَة. وترتيبُ ذلك أن يكون في كل ثُلُثِ ميلٍ قريةٌ معمورةٌ. ويكونُ بخارجها ثلاثُ قِبابٍ يقْعُدُ فيها الرِّجال مُستعدّين للحركة، قد شدُّوا أوْساطَهم. وعنْدَ كلّ واحدٍ منهم مِقْرَعَةٌ مقْدارُ ذِرَاعيْن، بأعلاها جَلاجِلُ (أجراس) نُحَاسٍ. فإذا خَرج البريدُ من المدينةِ أخَذ الكِتَابَ بأعْلَى يَدِه،

والمقرعةَ ذاتَ الجلاجلِ باليَدِ الأخرى، وخرجَ يَشْتَدّ بمُنْتَهَى جَهْدِهِ (انطلق يجري بأقصى سرعته) فإذا سمِع الرجالُ الذين بالقِبَابِ صوتَ الجلاجلِ تأهَّبُوا له. فإذا وصلَهُمْ أخَذَ أحَدُهُم الكتابَ مِنْ يدِه ومرَّ بأقصَى جَهْده، وهو يحرّكُ المقْرَعَةَ حتَّى يصلَ إلى الدّاوة الأخْرى. ولا يزالون كذلك حتَّى يصلَ الكتابُ إلى حيْثُ يُرادُ منْه. وهذا البريدُ أسرَعُ من بريدِ الخيْلِ. وربّما حملُوا على هذا البريدِ الفواكِهَ المُستَطْرَفَةَ بالهنْدِ من فواكِهِ خُراسانَ، يجعلُونها في الأطباقِ ويشْتَدُّونَ بها حتَّى تَصِلَ إلى السُّلْطَانِ. وكذلكَ يَحْمِلُونَ أيْضًا الْكِبَار مِنْ ذوِي الْجِنَاياتِ : يَجْعَلُون الرجلَ منهم على سريرٍ، ويرفعُونَه فوقَ رؤوسهم ويسيرونَ به شَدًّا (يجرون به). وكذلك يحمِلُونَ الماءَ لشُرْبِ السلطانِ إذا كانَ بدولةِ آبَادَ، يَحْملُونه مِنْ نَهْرِ الْكَنْكِ الذي تحجُّ الهنودُ إليهِ. وهو على مسيرةِ أربعينَ يومًا منْها. وإذا كتبَ المخبرُون إلى السلطانِ بخبرِ مَنْ يصلُ إلى بلادِه، استوْعَبُوا الكتابَ وأمْعَنُوا في ذلك وعرَّفُوه أنه وردَ رجلٌ صورتُه كذا ولباسُه كذا. وكتبُوا عددَ أصحابِه وغِلْمَانِه وخُدَّامه ودَوابِّه وترتيبَ حالِه في حَرَكَتِهِ وسُكُونه وجميع تَصَرُّفَاتِهِ، لا يُغَادِرون مِنْ ذلك كلِّه شيئا (أي لا يتركون من هذه التَّفَاصيلِ أيَّ شيْء) فإذا وَصَلَ الوَارِدُ إلى مَدِينة مِلْتان وهي قَاعِدةُ بلادِ السِّنْدِ، أقامَ بها حتَّى يَنْفُذَ أمرُ السُّلْطَانِ بقُدومِهِ وما يُجرى له من الضِّيافَةِ. وإنَّما يُكْرَمُ الإنسانُ هنالك بقَدْرِ ما يظْهرُ من أفعالِهِ وتصرُّفاتِه وهِمَّته، إذْ لا يُعْرَفُ هنالِك ما حَسَبُه ولا آباؤُه. ومن عادةِ ملِكِ الهنْدِ السلطانِ أبي المُجاهِدِ محمدِ شاه إكرامُ الغرباءِ ومحبتُهم وتخصيصُهم بالولاياتِ والمراتِبِ الرفيعةِ. ومعظمُ خواصِّهِ وحجابِه ووزرائِه وقُضاتِهِ وأصْهَارِهِ غرباءُ. ونَفَذَ أمرُه بأنْ يسمَّى الغرباءُ في بلاده بالأعِزَّةِ. فصارَ لهمْ ذلك اسمًا عَلَمًا. ولا بدَّ لكلِّ قادمٍ على هذا الملكِ من هديَّةٍ يُهْدِيها إليه ويقدّمُها وسيلةً بَيْنَ يدَيْه. فيكافئُهُ السلطانُ عليها بأضعافٍ مُضَاعَفَةٍ. وسيمُرُّ من ذِكْرِ هدَايَا الغرباءِ إليه كثيرٌ. ولمَّا تعوَّدَ الناسُ ذلكَ منْه صار التُّجَّارُ الذينَ ببلادِ السِّنْدِ والهنْدِ يُعطونَ كلَّ قادمٍ على السلطان الآلافَ من الدنانير دَيْنًا، ويُجهّزونه بما يُرِيدُ أن يُهْدِيَه إليْهِ أو يصرفَ فيه لنفسِهِ من الدّوابِّ للركوبِ والجِمَالِ والأمتعَةِ، ويحمُونَهُ بأموالِهِمْ وأنْفُسهم، ويقفُون بَيْنَ يدَيْهِ كالحَشَمِ. فإذا وصَلَ إلى السلطان أعطاهُ العطاءَ الجزيلَ، فقَضى ديونَهمْ، ووفَّاهم حقوقَهم. فنفقَتْ تجارتُهم (ازدهرت تجارتهم)، وكثُرتْ أرباحُهم، وصار لهم ذلك عادةً مستمرَّةً.

ولمَّا وَصَلْتُ إلى بلادِ السِّنْدِ سلكْتُ ذلكَ المنْهَجَ واشتريْتُ من التّجّارِ الْخَيْلَ والجِمَالَ والمَمَالِيكَ وغيْرَ ذلكَ ولَقَد اشتريْتُ من تاجِرٍ عراقيّ من أهلِ تَكْريت يُعْرَفُ بمحمّدٍ الدُّرّيّ بمدينةِ غَزْنَةَ نَحْوَ ثلاثين فَرسًا، وجمَلا عَلَيْهِ حمْلٌ مَنَ النُّشّابِ (السهام)، فإنّه مما يُهْدى إلى السّلْطَانِ، وذهب هذَا التاجرُ إلى خُرَاسَانَ ثمَّ عادَ إلى الهنْد. وهنالِكَ تَقَاضَى مِنّي مالَه، واستفادَ بِسَبَبِي فائدةً عظيمةً، وعادَ مِنْ كبارِ التّجَّارِ. ولقيتُه بمدينةِ حَلَبَ بَعْدَ سِنِينَ كثيرةٍ وقَدْ سَلَبَني الكفَّارُ ما كان بِيَدِي (ممتلكاتي) فَلَمْ أَلْقَ منْهُ خَيْرًا.

التـــدريـبـــات

١ ـ لاحـظـوا هـذه الـتـعـبـيـرات :

- أصحاب الأخبار = المسؤولون عن إبلاغ الأخبار، أي الذين يتعرفون على أحوال الناس ويبلغون بها الحاكم.
- المُوَكَّلون بالأخبار = المسؤولون عن إبلاغ الأخبار.
- بريد الرَّجَّالة = (جمع رَاجِل أي غير الراكب) أي الذين يسافرون جريا على الأقدام.
- خرج يَشْتَدّ بمنتهى جهده = انطلق يجري بأقصى سرعته.
- يسيرون به شَدًا = يجرون به بأقصى سرعة.
- استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك = أي كتبوا في الخطاب جميع التفاصيل.
- لا يغادرون من ذلك كله شيئا = لا يهملون من هذه التفاصيل أي شيء.
- ينفذ أمر السلطان بقدومه = يصدر أمر السلطان بوصوله.
- نَفَقت تجارتهم = أي باعوا كل ما عندهم، فلم يبق من تجارتهم شيء.
- سَلَبوني ما بيدي = سرقوا مني كل ما أملك.

٢ ـ أسـئـلـة حـول الـنـص :

١ ـ متى ولد ابن بطوطة ؟ وأين ؟

٢ ـ ما اسمه ؟ وما اسم قبيلته ؟

٣ ـ ما العلوم التي تلقاها في صدر شبابه ؟

٤ ـ كم سنة قضاها في رحلاته ؟

٥ ـ ما المناصب التي تولاها في حياته ؟

٦ ـ متى بدأ رحلته الأولى ؟ ومتى انتهى من رحلته الأخيرة ؟

٧ ـ من أمر بكتابة رحلة ابن بطوطة ؟ ومن كتبها ؟

٨ ـ متى توفي ابن بطوطة ؟

٩ ـ ما عنوان الكتاب الذي يحتوي على رحلات ابن بطوطة ؟

١٠ ـ هل تعرف رحالة عربا آخرين غير ابن بطوطة ؟ ومن هم ؟

١١ ـ كم رحلة قام بها ابن بطوطة ؟ وما اسم كل رحلة ؟

١٢ ـ من أين بدأت رحلة ابن بطوطة الأولى ؟ وأين انتهت ؟

١٣ ـ ما أهم البلاد التي زارها ابن بطوطة في رحلاته الثلاث ؟

١٤ ـ ماذا كان الهدف الأصلي لرحلته الأولى ؟

١٥ ـ ما أهم ما سجله ابن بطوطة في مشاهداته عن مصر ؟

١٦ ـ ماذا وصف في بلاد الشام ؟

١٧ ـ كم مرة عبر ابن بطوطة البحر الأحمر ؟

١٨ ـ هل كان يكتفي بوصف المشاهد الجغرافية ؟

١٩ ـ ما الذي شد انتباهه في رحلته إلى الهند ؟

٢٠ ـ كم مرة أدى ابن بطوطة فريضة الحج ؟

٢١ ـ كم مرة دخل مصر في رحلاته ؟
٢٢ ـ ما الدليل على اهتمام العالم بكتاب رحلات ابن بطوطة ؟
٢٣ ـ بم شرح ابن بطوطة معنى عبارة « بنج آب » ؟
٢٤ ـ ما الفكرة الأساسية في النص المنقول عن ابن بطوطة هنا ؟
٢٥ ـ متى دخل ابن بطوطة بلاد السند ؟
٢٦ ـ ماذا تعرف عن « عطية السلطان » ؟ ومن هو هذا السلطان ؟
٢٧ ـ ماذا أهدى ابن بطوطة لسلطان وادي السند ؟
٢٨ ـ كيف تصرف للحصول على هدية يقدمها للسلطان ؟
٢٩ ـ كم نوعا للبريد في الهند كما ذكر ابن بطوطة ؟
٣٠ ـ ما بريد الولاق ؟
٣١ ـ ما بريد الرجّالة ؟
٣٢ ـ أي البريدين أسرع ؟ ولماذا في رأيك ؟
٣٣ ـ ما الصفات التي ذكرها ابن بطوطة لملك الهند ؟
٣٤ ـ بماذا كان هذا الملك يسمي الغرباء ؟
٣٥ ـ ما جنسية التاجر الذي حصل منه ابن بطوطة على هدية السلطان ؟
٣٦ ـ أين لقيه ابن بطوطة بعد سنين كثيرة من الحادثة الأولى ؟
٣٧ ـ أين ذهبت الأموال التي ربحها ابن بطوطة من هدية السلطان ؟

صـــواب أم خـطـــأ :

١ ـ ابن بطوطة هو أشهر الرحالة العرب.
٢ ـ بدأ ابن بطوطة أولى رحلاته وعمره اثنان وعشرون عاما.
٣ ـ ابن بطوطة هو الذي كتب بنفسه كتاب رحلاته.
٤ ـ مدينة طنجة هي المدينة التي كان ابن بطوطة يبدأ منها رحلاته.
٥ ـ من العادات الاجتماعية للمصريين زيارة القبور والاحتفال بكسوة الكعبة.
٦ ـ بريد الخيل أسرع من بريد الرجالة.
٧ ـ وصف ابن بطوطة ملك الهند والسند بأنه ظالم طاغية لا يحب الغرباء.
٨ ـ كان سلطان السند يفرض على الزائرين هدايا يقدمونها إليه.
٩ ـ كان البريد الذي وصفه ابن بطوطة يقتصر على الرسائل فقط.
١٠ ـ معظم حاشية السلطان وحجابه ووزرائه من الغرباء.
١١ ـ كان التجار يكرمون زوار السلطان ويقرضونهم خوفا من السلطان.
١٢ ـ التاجر الذي اشترى منه ابن بطوطة هدايا الملك رد إليه الجميل في مدينة حلب.
١٣ ـ التاجر الذي اشترى منه ابن بطوطة هدايا الملك كان سوريا.
١٤ ـ كان الملك يهدي زواره ويعطيهم أكثر مما أعطوه.
١٥ ـ كان الغريب في بلاد السند يكرم بقدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته.
١٦ ـ كان رجال البريد يحملون المذنبين على رؤوسهم.
١٧ ـ المرحلة في بريد الخيل أقصر من المرحلة في بريد الرجالة.

٤ ـ **ضع كل كلمة أو عبارة مما يأتي في مكانها المناسب :**

مفتتح ـ أقصى جهد ـ ذوو الجنايات ـ بأضعاف مضاعفة ـ العطاء الجزيل ـ تجارة نافقة ـ الحسب ـ مسيرة ـ بقدر ما ـ غرة ـ بريد الرجالة.

١ ـ إذا قدمت للسلطان هدية كافأ عليها ....، وهذا دليل السخاء.
٢ ـ يقدم .... إلى المحاكمة لينالوا جزاءهم العادل على ما ارتكبوه.
٣ ـ بذلت في طلب العلم .... حتى أحقق غايتي.
٤ ـ وصل ابن بطوطة إلى وادي السند .... عام أربعة وثلاثين وسبعمائة.
٥ ـ تسببت عادة تبادل الهدايا بين السلطان والزوار في قيام .... في المدينة.
٦ ـ يكرم الإنسان بقدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته لا على أساس .... النسب والجاه.
٧ ـ بين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة دهلى .... خمسين يوما.
٨ ـ كان .... أسرع من بريد الخيل في بلاد السند.
٩ ـ أول العام الهجري هو .... المحرم.
١٠ ـ ينال المرء في حياته .... يبذل من جهد وعمل.
١١ ـ كان الوافدون على السلطان يهدونه وينتظرون منه .... على هداياهم.

لاحظ المفرد وجمعه :

هَدِيَّـة ———————— **هدايا**

٥ ـ **اجمع الكلمات الآتية على مثال الجمع السابق واستخدم الجمع في جملة مفيدة :**

مفرد	جمع	مفرد	جمع
عطية ————	....	سجية (طبيعة)	....
رزية (مصيبة)	....	خطيئة (ذنب)	....
سبيّة (أسيرة)	....	بلية (مصيبة)	....
مطية (الدابة)	....	قضية	....
دنية (رذيلة)	....	مرأة	....

ـ استخرج من النص ثلاثة أفعال مضارعة مرفوعة وثلاثة منصوبة.

٦ ـ **حول الجملة إلى مفرد، والمفرد إلى جملة فيما تحته خط مما يأتي :**

نموذج :

يقيم الغرباء عند السلطان **وهم مكرمون معززون.**

يقيم الغرباء عند السلطان **مكرمين معززين.**

١ ـ **يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة.**
٢ ـ وخرج **يشتد بمنتهى جهده.**
٣ ـ وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند **يجعلونها في الأطباق.**
٤ ـ ولقد اشتريت من تاجر عراقي **يعرف بمحمد الدوري** نحو ثلاثين فرسا.
٥ ـ تعرض عساكر السلطان **وقد ركبوا خيولهم.**
٦ ـ خرج رجال البريد **حاملين** الفواكه في الأطباق.
٧ ـ جلس الوزراء **يتشاورون** في أمر الهدايا التي يقدمونها للسلطان.

لاحظ هذا التركيب :

والبريد ببلاد الهند صنفان : **فأما بريد الخيل فيسمونه الولاق وأما بريد الرجالة فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب.**

- هذا نوع من أسلوب الشرط. والأداة هنا هي **أمـا** ـ وهي حرف شرط وتفصيل ـ والشرط في الجملة الأولى هو : **بريد الخيل** والجواب منها هو : **يسمونه الولاق.** والشرط والجواب جملة واحدة.
- في هذا النوع من التركيب يجب أن تدخل **الفـاء** على الجواب، كما ترى هنا.

٧ ـ بيّن الشرط والجواب وأداة الشرط في الجمل الآتية :

١ ـ وأما بريد الرجالة فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب.
٢ ـ فأما اليتيم فلا تقهر.
٣ ـ وأما السائل فلا تنهر.
٤ ـ وأما بنعمة ربك فحدث.

٨ ـ أكمل ما يأتي :

١ ـ زرت بلادا كثيرة، أما ....
٢ ـ قرأت عددا من الكتب، أما ....
٣ ـ عرفتك وعرفت أخاك أما أنت ....
٤ ـ شاهدت كثيرا من الآثار القديمة أما ....
٥ ـ الحكومات أنواع أما الديمقراطية منها ....
٦ ـ فصول العام في مصر مختلفة أما شتاؤها ....
٧ ـ حياة المرء متنوعة أما شبابه ....
٨ ـ تتنوع وسائل المواصلات فأما ....
٩ ـ يحتاج الكائن الحي إلى الغذاء والهواء أما ....
١٠ ـ قرأت درسين أما أولهما ....

لاحظ هذا التركيب

ولما وصلت إلى بلاد الهند سلكت ذلك المنهج

- هذا نوع آخر من أسلوب الشرط والأداة هنا هي (لما) والشرط هو **وصلت إلى بلاد الهند** والجواب هو **سلكت ذلك المنهج**.
- أداة الشرط « **لما** » هي بمعنى حين، أو **وقت** ولذلك تسمى في كتب القواعد « لمّا الحينية ».
- يجب مع أداة الشرط (لما) أن يكون كل من **الشرط والجواب** فعلا ماضيا.

٩ ـ أكمل الجمل الشرطية الآتية :

١ ـ لما فاضت مياه نهر السند ....

٢ ـ لما .... أسرعوا بها إلى السلطان.

٣ ـ أما بريد الرجالة .... أسرع من بريد الخيل.

٤ ـ لما .... اتفق مع تاجر تكريتي.

٥ ـ لما .... حملوه على رؤوسهم إلى السلطان.

لاحظ هذا الأسلوب :

ترتيب ذلك أن يكون في ثلث كل ميل قرية معمورة.

- هذه جملة اسمية الطرف الأول فيها هو : **ترتيب ذلك،**

  الطرف الثاني فيها هو : أن يكون في ثلث كل ميل قرية معمورة
- الطرف الثاني في مثل هذا التركيب يبدأ بأن (المصدرية) يتبعها فعل مضارع.
- أن المصدرية والفعل الذي يليها ـ في مثل هذا التركيب ـ يكوّنان معا ما يسمى : **المصدر المؤول**، وهو يقوم بوظيفة الاسم.
- المصدر المؤول مثل : أن يكون، أن يزور، أن يسافر، يقابل المصدر الصريح مثل : كون، زيارة، سفر.

١٠ ـ أكمل كما في النموذج السابق :

١ ـ علامة انتظام البريد أن ....

٢ ـ .... أن تقدم له المساعدة.

٣ ـ العادة في حمل الفاكهة ....

٤ ـ .... أن يعطيه السلطان هدية ثمينة.

٥ ـ نظام بريد الرجالة أن ....

٦ ـ عادة التجار مع ضيوف السلطان أن ....

٧ ـ .... أن يحرك المقرعة حتى يصل إلى المرحلة الأخرى.

١١ ـ حول المصدر الصريح إلى مصدر مؤول، والمؤول إلى صريح في الأمثلة الآتية (كما في النموذج) :

ـ أرادوا أن **يلحقوا** بالسلطان

أرادوا **اللحاق** بالسلطان

١ ـ من عادة السلطان **إكرام** الغرباء.

٢ ـ تسببت عادة الإهداء في **أن تكثر** أرباح التجار.

٣ ـ من واجب رجال الأخبار أن يكتبوا للسلطان بكل ما يحدث.

٤ ـ على التاجر **خدمة** الزوار **وتقديم** الهدايا، **والوقوف** بين أيديهم كالحشم (التابعين)

٥ ـ يقوم النظام على **أن يصل** البريد في أسرع وقت.

من الشعر العربي (٢)

اقرأ واحفظ

أبو العلاء المعرّي في الرّثاء

(من بحر الخفيف)

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي ... نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرَنُّمُ شَادِ
وَشَبِيهٌ صَوْتُ النَّعِيِّ إِذَا قِيـ ... ـسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ الْحَمَامَةُ أَمْ غَنَّـ ... ـتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمَيَّادِ
صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرَّحْـ ... ـبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفِّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْـ ... أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
سِرْ إِنِ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُوَيْدًا ... لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ... ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ ... مِنْ قَدِيمِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
تَعَبٌ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْـ ... ـجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ
إِنَّ حُزْنًا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا ... فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
ضَجْعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الْـ ... ـجِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السُّهَادِ

الشاعر: شاعر فيلسوف من العصر العباسي عاش معتزلا الناس وكان أعمى فسمى نفسه « رهين المحبسين » أي سجين البيت والعمى. كان نباتيا (لا يأكل اللحم)، واشتهر شعره بالتأمل في شؤون الدنيا والموت. مات سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م).

شروح : **غير مُجْد** : غير مفيد ـ **تَرَنُّم** : غِناء ـ **النَّعِيّ** : الذي يخبر بموت إنسان (ويسمى الناعي أيضا ـ **المَيَّاد** : المُتَحَرِّك المُهتزّ ـ **أديمَ الأرض** : ظهر الأرض ـ **اسْطَعْتَ** : أي استطعت ـ **رُفاتِ العِبَاد** : جُثَث النّاس ـ **السُّهاد** : الأرق، عدم القدرة على النوم

صَاحِ = يا صاحبي : منادى حذف منه حرف النداء، وهو منادى مرخم

الترخيم : هو حذف الحرف الأخير من المنادى مثل :	
يا أحمد ــــــــــ يا أحم	يا محمود : يا محمو
يا زَيْنب ــــــــــ يا زَيْنُ	يا منصور : يا منصو
يا سعاد ــــــــــ يا سعا	يا مروان : يا مَرْوُ

من الفلسفة الإلهية :

حي بن يقظان يبحث عن الخالق

من المشاكل التي شغلت فلاسفة المسلمين ـ ولا تزال تشغلهم إلى الآن ـ ما أسموه **مشكلة المعرفة**، وتتلخص هذه المشكلة في محاولة الإجابة على السؤال التالي : كيف يستطيع الإنسان أن يصل إلى الكشف عن أسرار ما وراء الطبيعة أو الوصول إلى معرفة الخالق ؟

هل يكون ذلك بالعقل ؟ أو أن العقل بطبيعة تكوينه قاصر عن ذلك ؟

هل يكون ذلك بالإلهام ؟ الناتج عن الرياضة الروحية، وتهذيب النفس والبعد بها عن الماديات بحيث تصبح مستعدة لتلقي النور الالهي الذي يشرق عليها حاملا معه **الكشف**، أو المعرفة الكاملة ؟ أو هل تكون المعرفة عن **طريق النقل عن الأنبياء** ؟ والرسل وتنفيذ تعليماتهم ؟ أو أن الانسان لا بد له أن يستخدم طاقاته العقلية والروحية إلى جانب النقل إذا أراد تحقيق سعادته الكاملة ؟ من المناقشات التي دارت حول هذه الآراء المتعارضة نشأ ما **يعرف بفلسفة الألوهية**.

الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل له رأيه الخاص في هذه المشكلة. وقد اتخذ من قصة حي بن يقظان ـ التي أخذنا منها هذا النص ـ وهي قصة رمزية ـ وسيلة إلى شرح فكرته.

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- هو الطبيب الفيلسوف الأندلسي أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي.

- ينتسب ابن طفيل إلى قيس إحدى قبائل الجزيرة العربية الشهيرة وإن كان قد ولد في وادي آس بالأندلس، وهي بلدة في واد خصيب تبعد عن غرناطة بحوالي ستين كيلومترا.
- يذكر المؤرخون أن ميلاده كان قبل سنة ٥٠٦ هـ (١١١٢ م).
- لا يحفظ التاريخ شيئا عن طفولته ولا عن شبابه ولا عن المركز الاجتماعي الذي كانت تشغله أسرته : كيف قضى طفولته ؟ وأين قضاها ؟ وكيف تعلم ؟ وعلى من تعلم ؟ كل ذلك يهمله التاريخ.
- يرد ذكر ابن طفيل لأول مرة دارسا للطب، ثم كاتبا لدى حاكم ولاية غرناطة ثم كاتما للأسرار لدى الأمير أبي سعيد حاكم طنجة (ببلاد المغرب العربي) ثم طبيبا لأبي يعقوب يوسف المنصور صاحب المغرب العربي خليفة الموحدين ٥٥٩-٥٨٠ هـ (١١٦٣-١١٨٤ م) ثم وزيرا وصديقا مقربا له.
- جمع ابن طفيل العلماء من جميع الأقطار في بلاط أبي يوسف، وشجع الخليفة على إكرامهم. ووجه نظره إلى الفيلسوف العظيم ابن رشد فذاع صيت ابن رشد وعلا قدره.
- شجع ابن طفيل ابن رشد على تلخيص كتب الفيلسوف اليوناني أرسطو وشرحها، وكان ذلك تحقيقا لرغبة شخصية من أبي يعقوب في أن يتم إنجاز هذا العمل العظيم.
- كتب ابن طفيل، في هذا الفترة الهادئة المطمئنة من حياته، كتبا في أنواع الفلسفة ـ من الطبيعيات والإلهيات وغيرها ـ ورسالة في النفس. ويذكر ابن رشد أن ابن طفيل ابتكر نظاما فلكيا يخالف النظام الذي وضعه بطليموس كما ذكر البطروجي ـ عالم الفلك ـ أنه أخذ قوله في الدوائر الخارجية والدوائر الداخليةُ عن ابن طفيل.
- لم يصل لنا شيء من كل ما كتب ابن طفيل سوى رسالة حي بن يقظان.
- كان ابن طفيل طبيبا بارعا بشهادة عمله في القصر، وفلكيا مشهودا له من أحد كبار الفلكيين، وفيلسوفا إلهيا يشهد له ماورد في رسالة حي بن يقظان، كما كان أيضا أديبا بارع الأسلوب، أنيق العبارة، سلس التركيب دقيقا في أداء المعاني، قادرا على توضيح القضايا الصعبة من أقرب سبيل. ولغة رسالة حي بن يقظان وتصميمها الفني خير شاهد على ذلك.
- كان ابن طفيل شاعرا إلى جانب كل ذلك. ومن شعره في اختلاف الناس من حيث الاستعداد الطبيعي لتقبل المعاني السامية (وهي فكرة من الأفكار الرئيسية في رسالة حي بن يقظان) قوله (من بحر المنسرح) :

مَا كُلُّ مَنْ شَمَّ نَالَ رَائِحَةً	لِلنَّاسِ فِي ذَا تَبَايُنٌ عَجَبُ
قَوْمٌ لَهُم فِكْرَةٌ تجول بهم	بَيْنَ الْمَعَانِي، أولئك النُّجُبُ
وفِرْقَةٌ في القشور قد وقفوا	ولَيْسَ يَدْرُون لُبَّ مَا طَلَبُوا
لاَ يَتَعَدَّى امرؤٌ جِبِلَّتَهُ	قَدْ قُسِّمَتْ فِي الطَّبِيعَةِ الرُّتَبُ

معاني الكلمات :

تَبَايُن = اختلاف
تَجُول = تدور
النُّجُب = الأذكياء
القُشُور : الأمُور السطحية
اللُّبُّ = القلب، الأمر الباطن
جِبِلَّة = طبيعة (خاصة الطبيعة الإنسانية)

- توفي ابن طفيل عام ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) ، ودفن في جنازة عظيمة سار فيها الخليفة بنفسه.

عن الكتاب :

عنوان الكتاب هو قصة حي بن يقظان :

- تصور هذه القصة حكاية رضيع خافت عليه أمه من القتل، فوضعته في تابوت (صندوق من الخشب) وأغلقت التابوت وألقت به على شاطىء جزيرة مهجورة ليس فيها إنسان. ولما بكى الطفل من الجوع سمعته غزالة كانت قد فقدت رضيعها فأثار فيها بكاء الطفل حنان الأمومة، فكسرت غطاء الصندوق، وأرضعته من لبنها. وبالتدريج أصبح الطفل ابنا لها وأصبح أيضا عضوا في قطيع الغزلان الذي ترعى معه الأم.

- نشأ الطفل في هذه الجزيرة المنعزلة عن العالم، وبعيدا عن صحبة البشر فأخذ ينظر إلى المخلوقات والدنيا من حوله ويتأمل فيها ويقارن بين أحوالها، ويفكر في نظام الكون والحياة من حوله. وتدرج في كل ذلك ليصل من **المحسوس إلى المعقول ومن الجزئيات إلى الكليات**، حتى وصل إلى تكوين فكرة عن الخالق وعن الملأ الأعلى (الملائكة).

- بعد ذلك أخذ في الرياضة الروحية وتهذيب نفسه، والالتزام بالتفكير في الله وتخصيص وقته للعبادة حتى وصل إلى مقام **الولاية**. (حالة من الصفاء والنقاء النفسي قريبة من مكانة النبوة). **وقد تم له ذلك** بنفسه وبدون مساعدة من أحد من البشر اعتمادا على فطرته (أي طبيعته) التي فطره (أي خلقه) الله عليها.

- من الواضح أن ابن طفيل قد جعل من هذه القصة وسيلة لتصوير فلسفته وآرائه في **كيفية الوصول إلى الله**. وتتلخص هذه الآراء في : **أن صاحب الفطرة السليمة يستطيع أن يصل إلى وجود الله والإيمان به**. كذلك تهديه فطرته إلى اكتشاف الطريق الذي يوصله إلى **مقام الولاية** أو القرب من الله.

- ويرى ابن طفيل أن السائر في طريق المعرفة يحتاج في المرحلة الأولى إلى **النظر العقلي ثم الرياضة الروحية** (حتى تصل به إلى مرتبة الولاية) ثم **النقل عن الرسول** لتطابق التجربة الشخصية التعاليم السماوية.

- وقد رمز ابن طفيل لتوفر الفطرة السليمة عند الطفل عن طريق الاسم الذي أطلقه على بطل القصة : « **فهو حي** » **وأبوه يقظان** ومن شأن الحي المولود من أب متيقظ أن يستخدم كل ما حوله لكي ينمي جسمه ويرقي قدراته العقلية والروحية. أما طريق الوصول إلى الله فهو بالتدريب المتواصل للروح وللعقل لكي تصفو النفس وترقى فتصل إلى معرفة الله.

- التدريب النفسي يتحقق - في رأي ابن طفيل - بملازمة التفكير في الله كل ساعة. وتركيز الانتباه بحيث لا يشغل الإنسان شيء. وفي سبيل ذلك كان حي بن يقظان في القصة يغمض عينيه، ويسد أذنيه فتغيب عنه جميع المحسوسات.

- وبالمثل تتقوى الروح عن طريق إضعاف حاجات الجسم. فيقتصر على ما يحفظ عليه الحياة فقط، ولا يتناول طعاما إلا إذا شعر بضعف شديد يقطعه عن بعض الأعمال. ويرى ابن طفيل أن خير الأطعمة هو الفواكه التي تم نضجها.

- كذلك على الإنسان أن يلتزم النظافة التامة في جسمه ويستعمل الروائح الطيبة فتنتعش روحه وترق عاطفته.

- كذلك يجب أن يساعد الإنسان غيره. وكان « حي » يقوم بمساعدة الحيوان ويساعد النبات على النمو، **بل يصل به الأمر إلى أن** يعاون الماء في جريانه فيزيل العقبات التي تقف في طريقه.

- ترجمت قصة حي بن يقظان إلى اللاتينية سنة ١٦٧١ م، ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغات الإنجليزية والروسية والإسبانية والألمانية وغيرها.

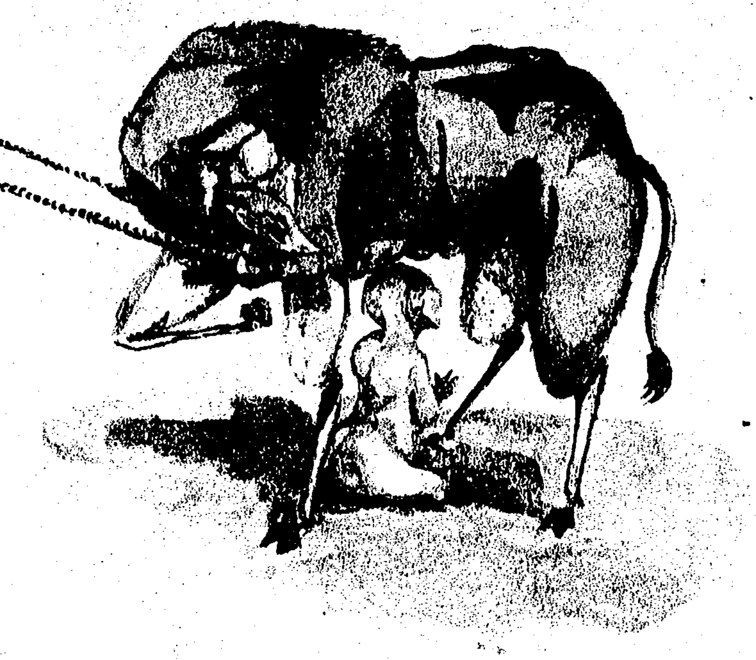
- يقال إن قصة حي بن يقظان في إحدى ترجماتها هي التي ألهمت دانيال ديفو ١٦٥٩/١٧٣١ م كتابة قصته الشهيرة روبنسون كروزو.

- للكتاب طبعات كثيرة جدا، منها تحقيق ودراسة الدكتور عبد الحليم محمود، القاهرة، بدون تاريخ.

عـــن الـنـــص :

- يبدأ النص الذي اخترناه هنا بعد أن عثرت الظبية على الطفل الرضيع ـ حي بن يقظان ـ وأرضعته وبدأت تعتني به.
- ويذكر كيف تعلم الطفل المشي، وانضم إلى قطيع الغزلان، وأصبح واحدا منها، وكيف كانت الغزالة الأم تحميه من الوحوش، وتغطيه من البرد أثناء الليل.
- ثم يذكر أن الطفل تعلم أصوات الغزلان وأصوات الطيور، وأدرك معانيها من **إنذار، ونداء** وغيره، وقد قبلته الحيوانات، فأحب بعضها وكره البعض الآخر.
- وقد قارن حي بن يقظان بين ما لدى الوحوش من أسلحة طبيعية للدفاع عن أنفسها (من قرون ومخالب وأنياب وغيرها) وبين خلوه هو من أي نوع من الأسلحة.
- ثم قارن بين صورة جسمه وصورة أجسام الظباء والحيوانات مطبقا المقارنة على كل عضو عنده وعندها، وانتهى إلى ضرورة حصوله على كساء يكسو به جسمه، ويحميه مثل غيره من الحيوان، ثم جرب أوراق الشجر، ثم الأغصان وأخيرا الريش الذي كون كسوة طيبة له.
- ثم تقدمت الغزالة الأم في السن وأصابها الهزال وضعفت عن البحث عن غذائها، فأخذ حي بن يقظان يساعدها ويجمع لها الطعام ويطعمها.
- تموت الغزالة وتسكن حركتها فيصيبه الجزع ولا يعرف طبيعة ما حدث لها، فيأخذ في البحث في جسمها ليعرف السبب في سكونها.
- يستخدم عقله في اكتشاف السبب : بحث في أعضائها الظاهرة عضوا عضوا فلم يجد في واحد منها آفة أو خللا، فانتهى إلى أن السبب لا بد وأن يكون في عضو غائب عنه.
- ويهتدي بالاستدلال العقلي إلى أن هذا العضو لا بد وأن يكون في واحد من تجاويف الجسم الثلاث : الرأس أو الصدر أو البطن.
- يهتدي بالاستدلال العقلي إلى أن هذا العضو لا بدّ وأن يكون في **الوسط** أي في تجويف الصدر، فيقرر أن يبحث عنه ليرى ما حل به من الضرر، لعله يزيله لتعود إلى الغزالة الحياة.
- شق حي بن يقظان صدر الغزالة وبعد المقارنة بين محتويات الصدر توصل إلى أن **الـقـلـب** هو المطلوب له وأنه أهم عضو في هذا التجويف بل في الجسم كله.
- يشق حي بن يقظان القلب فيرى فيه فراغين : في أحدهما دم متجمد والآخر خال لا شيء فيه. فيقرر أن شيئا هاما كان يسكن هذا البيت وأنه رحل عنه لسبب ما.
- ويستمر التفكير ليقرر أن هذا الشيء لن يعود إلى مسكنه مرة أخرى، وأنه كان هو محرك القلب بل محرك الجسم كله.
- وينتهي النص وعند حي بن يقظان شوق شديد إلى معرفة حقيقة هذا الشيء الذي قامت عليه حياة الغزالة.

النـــص

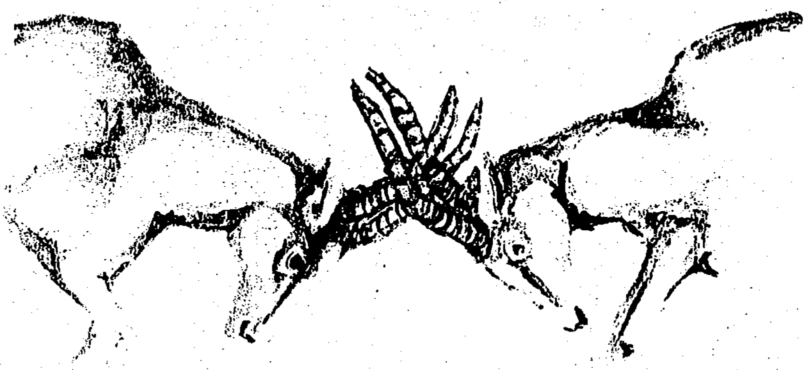


نشأة حي بن يقظان : إنَّ الظَّبْيَةَ الَّتي تكفَّلَتْ به وافَقَتْ خِصْبًا ومَرْعَى أثيثًا، فكثُر لحْمُها ودَرَّ لبَنُهَا، حتَّى قامَ بغذاءِ ذلك الطفلِ أحسنَ قِيامٍ. وكانَتْ مَعهُ لا تَبْعُدُ عَنْه إلا لضَرُورةِ الرَّعْيِ. وأَلِفَ الطفلُ تلكَ الظبيةَ (أحبَّها) **حَتَّى كَانَ بحيْثُ إذا هي أبطأَتْ عَنْه اشْتَدَّ** بكاؤه فطارت إليه.

ولمْ يكن بِتلْكَ الجزيرةِ شيء من السِّبَاعِ الْعَادِيةِ، فَتَرَبَّى الطفْلُ ونَمَا واغْتَذَى بلبنِ تِلْك الظَّبْيَةِ إلى أن تَمَّ لَه حَوْلَان. وتدرَّجَ في الْمَشْي **وأَثْغَرَ** فكانَ يَتْبَعُ تلكَ الظبيةَ، وكانتْ هي تَرْفُقُ بِهِ وتَرْحَمُهُ وتحملُه إلى مَواضِعَ فيها شَجرٌ مُثْمِر فكانت تُطْعِمُهُ ما تَسَاقَطَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا الحُلْوَةِ النَّضِيجَةِ، وما كانَ منْها صُلْبَ القِشْرِ كسرَتْه لَهُ بطَواحِنِهَا، ومتى **عادَ إلى اللَّبَنِ أرْوتْه، ومَتَى ظَمِئَ إلَى الْمَاءِ أَوْرَدَتْه ومَتَى ضَحا ظَلَّلَتْه، ومتى خَصِرَ (اشتد عليه البرد) أدفَأَتْه. وإذا جَنَّ الليلُ صَرَفَتْه إلى مكانِه الأوَّلِ**، وجلَّلَتْه بنَفْسِها وبريشٍ كانَ هناك، ممَّا مُلِئَ به التَّابوتُ أوَّلا فِي وَقْتِ وَضْعِ الطِّفْلِ فيهِ. وكانَ في غُدُوِّهما ورَوَاحِهِمَا قَدْ أَلِفَهُمَا رَبْرَبٌ يَسْرَحُ ويَبِيتُ مَعَهُمَا حَيْثُ مَبِيتُهُمَا.

حَيٌّ يُقَلِّدُ الْحَيَوَانَاتِ : فَمَا زَالَ الطفلُ مع الظِّبَاءِ عَلَى تلكَ الحالِ : يَحْكِي نَغْمَتَهَا بصوتِهِ حتَّى لا يَكَادُ يفرِّقُ بَيْنَهُمَا، وكذَلكَ كانَ يَحْكِي جميعَ ما يسمعُهُ منْ أصْوَاتِ الطيرِ وأنواعِ سائرِ الْحَيَوَانِ، محاكَاةً شديدةً لقُوَّةِ انْفعَالِهِ لِمَا يُريدُه **وأَكْثَرُ مَا كَانتْ** مُحَاكَاتُه لأصواتِ الظِّبَاءِ في **الاسْتِصْرَاخِ (طلب المساعدة) والاسْتِئْلَافِ (طلب الإلْف أي الصحبة) والاستدْعَاءِ** والاستدْفَاع (طلب المساعدة في الدفاع) **إذْ للْحَيَوَانَاتِ في هذه الأحوالِ المختلفةِ أصواتٌ مُخْتلِفَةٌ**. فَأَلِفَتْهُ الْوُحُوشُ وأَلِفَهَا، ولمْ تُنْكِرْهُ ولا أنْكَرَهَا، فلمَّا ثَبَتَ فِي نَفْسِه أمثلةُ الأشْيَاءِ بَعْدَ مَغِيبِها عَنْ مُشَاهَدَتِهِ، حدَثَ له نُزُوعٌ إلى بَعْضِهَا، وكراهيةٌ لِبَعْضٍ.

الحاجة تدفعه إلى التفكير : وكانَ في ذلك كلّه ينظُرُ إلى جميعِ الْحَيوانَاتِ فيرَاهَا كاسِيةً بالأَوْبَارِ والأَشْعَارِ وأَنْوَاعِ الرِّيشِ، وكانَ يَرَى ما لَها مِن الْعَدْوِ وقُوَّةِ البَطْشِ، وما لَهَا من الأَسْلِحَةِ المُعَدَّةِ لمُدَافعَةِ مَنْ يُنَازِعُهَا، مثْلُ الْقُرُونِ والأنْيَابِ والْحَوَافِرِ **والصَّيَاصِي** (القُرون) والمَخَالِبِ ثُمَّ يَرْجِعُ إلى نَفْسِهِ **فَيَرَى ما به من العُرْيِ، وعَدَمِ السِّلَاحِ، وضعْفِ العَدْوِ، وقِلَّةِ البَطْشِ** عِنْدَما كانت تنازِعُه الوُحُوشُ أَكْلَ الثَّمَرَاتِ، **وتَسْتَبِدُّ بها دُونَه**، وتَغْلِبُه علَيْهَا، فلا يستطيعُ المُدَافَعَةَ عن نَفْسِهِ، ولا الفِرَارَ عَنْ شَيْءٍ مِنْها.





وكانَ يرَى أَتْرَابَهُ من أَوْلَادِ الظِّبَاءِ، قَدْ نبتَتْ بِهَا قُرونٌ، بَعْد أن لَمْ تَكُنْ، وصارَتْ قويَّةً بَعْد ضَعْفِهَا في العَدْوِ. ولم يرَ لِنَفسِهِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّه فكانَ يُفكِّر في ذلك ولا يَدْرِي ما سَبَبُهُ. وكانَ يَنْظرُ إلى ذَوِي الْعَاهَاتِ والخَلْقِ النَّاقِصِ فلا يجدُ لِنفسِهِ شَبِيهًا فِيهِمْ. وكانَ أيضًا يَنْظر إلى مَخَارِجِ الفُضُولِ مِنْ سائِرِ الحَيَوانِ، فيراها مَسْتُورَةً، أَمَّا مخارجُ أَغْلَظِ الفَضْلَتَيْنِ فبالأَذْنَابِ، وأَما مَخْرَجُ أرقِّهما فبالأَوْبَارِ ومَا أشبهَها. ولأنَّها كانَتْ أيضا

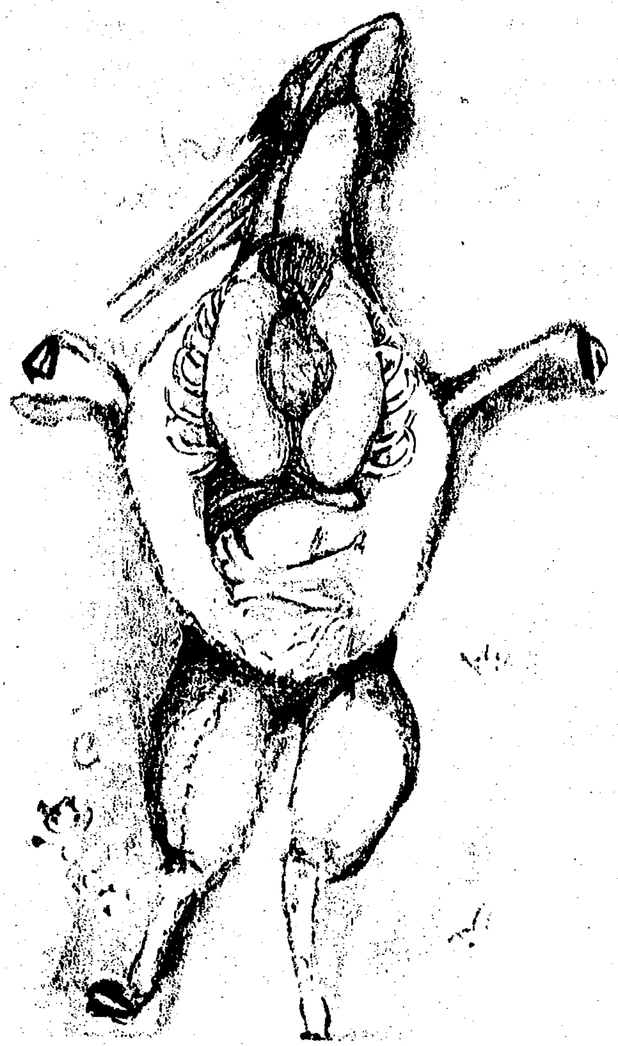
أخفَى قُضْبانًا مِنه. فكانَ ذلك يُكْرِبُه ويَسُوءُهُ فلمَّا طالَ هَمُّهُ في ذلك كلِّه، وهو قَدْ قَارَبَ سَبْعَةَ أعْوَامٍ، ويَئِسَ من أن يكمُلَ له ما قَدْ أضَرَّ بِهِ نَقْصُه، اتَّخذ من أوراقِ الشَّجَر العريضَةِ شَيْئا جَعَلَ بَعضَهُ خَلْفَهُ وبَعضَهُ قُدَّامَهُ، وعَمِلَ من الخُوصِ والحَلْفَاءِ شبهَ حِزَامٍ عَلَى وسَطِهِ، علَّقَ بِهِ تلكَ الأوراقَ، **فَلَمْ يَلْبَثْ إلا يَسِيرًا حتى ذَوَى** ذلك الورقُ وجفَّ وتساقطَ. فما زالَ يَتَّخِذُ غيْرَهُ ويخْصِفُ (يخيط) بَعْضَهَا ببعْضٍ طاقَاتٍ مُضاعَفَةً، وربَّمَا كانَ ذلك أطْوَلَ لِبَقَائِهِ، إلا أنَّهُ على كلِّ حالٍ، قصيرُ المُدَّةِ، واتَّخذَ مِنْ أغْصَانِ الشَّجَرِ عِصِيًّا وسَوَّى أطْرَافَهَا وعدلَ مَتْنَهَا. وكانَ يهُشُّ بها (يطرد بها) على الوحوشِ المُنازِعَةِ لَهُ فَيَحْمِلُ على الضعيفِ منْها، ويقاومُ القويَّ منها، **فنَبُلَ (ارتفع) بذلك قَدْرُهُ** عِنْدَ نَفْسِهِ بَعْضَ نَبَالَةٍ، ورَأَى أن لِيَدَيْهِ فَضْلًا كثيرًا على أيْدِيها : إذْ أمْكَنَ لَهُ بِهِمَا مِنْ سَتْرِ عَوْرَتِهِ واتِّخاذِ العِصِيِّ الَّتِي يُدَافِعُ بِهَا عَنْ حَوْزَتِهِ، ما استَغْنَى بِهِ عَمَّا أرادَه من الذَّنَبِ والسِّلاحِ الطبيعيِّ.

وفي خلالِ ذلكَ تَرَعْرَعَ وأرْبَى على السَّبعِ سِنِينَ، وطَالَ بِهِ العَنَاءُ في تَجْدِيدِ الأوْرَاقِ الَّتِي كان يسْتَتِرُ بها. فكانَتْ نَفْسُه عندَ ذلك تُنَازِعُهُ إلى اتِّخاذ ذَنَبٍ منْ أذْنَابِ الوحوشِ المَيِّتَةِ ليعلِّقَهُ على نَفْسِهِ : إلا أنَّه كانَ يَرَى أحْيَاءَ الوحوشِ تَتَحَامَى (تبعد عنه) مَيِّتَهَا وتفرُّ عنه فلا يتأتَّى له الإقدامُ على ذلكَ الفعلِ، إلى أنْ صادَفَ في بعْضِ الأيَّامِ نسْرًا ميِّتًا فَهُدِيَ إلى نَيْلِ أمَلِهِ منْهُ. واغْتَنَمَ (استغل ـ انتهز) الفرصَةَ فِيه. إذْ لَمْ يرَ للوحوشِ عَنْه نُفْرَةً (هروب) فأقْدَمَ عليْهِ (تجرأ عليه)، وقطعَ جَنَاحَيْهِ وذَنَبَه صِحَاحًا كما هي، وفتَحَ رِيشَهَا وسوَّاها، وسلخَ عنه سائرَ جِلْدِهِ، وفَصَّلَهُ على قِطْعَتَيْنِ : ربَط إحداهما على ظَهْرِهِ، والأخرى على سُرَّتِهِ وما تَحْتَها، وعلَّقَ الذَّنَبَ من خَلْفِه، وعلَّقَ الجَنَاحَيْنِ على عضُدَيْهِ، فأكسبَهُ ذلك سَتْرًا ودِفْئًا ومهَابَةً في نفوسِ جميعِ الوُحُوشِ، حتّى كانَتْ لا تُنَازِعُهُ ولا تُعَارِضُهُ. فصَارَ لا يَدْنُو إليه شيءٌ منْها سِوى الظَّبْيَةِ الَّتِي كَانَتْ أرْضَعَتْهُ ورَبَّتْه : فإنَّها لَمْ تفارِقْهُ ولا فارَقَهَا إلى أنْ أسنَّتْ (كبرت في السّن) وضَعُفَتْ، فكانَ يَرْتَادُ بِهَا المَرَاعِي الخِصْبَةَ، ويَجْتَنِي لها الثَّمَرَاتِ الحُلْوَةَ، ويُطْعِمُهَا.

العاطفة باعث قوي على التفكير والتجربة : ومازَالَ الهزالُ والضَّعْفُ يَسْتَوْلِي عَلَيْهَا ويَتَوَالَى، إلى أن أدْرَكَهَا الموتُ، فسكنَتْ حركاتُها بالجُمْلَةِ، وتعطَّلَتْ جميعُ أفْعَالِهَا. فلمَّا رآها الصبيُّ على تلكَ الحالةِ جَزِعَ جَزَعًا شديدًا، **وكادَتْ نفسُه تَفِيضُ أسفًا عَلَيْهَا**. فكانَ يُنادِيها بالصَّوْتِ الذي كانَتْ عادَتُهَا أن تُجِيبَهُ عِنْدَ سَمَاعه، ويصيحُ بأشدِّ ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ : فلا يَرَى لَها عِنْد ذلك حَرَكَةً ولا تَغْيِيرا فكانَ يَنْظُرُ إلى أُذُنَيْهَا وإلى عَيْنَيْهَا فَلَا يَرَى بهما آفَةً (نقص ـ مرض ـ خلل) ظاهرةً، وكذلك كانَ يَنْظُرُ إلى جميع أعْضَائِهَا فلا يرى بِشَيْءٍ مِنْهَا آفَةً. فكان يَطْمَعُ أن يَعْثُرَ على موضعِ الآفَةِ فَيُزِيلُهَا عَنْها، **فَتَرْجِعُ إلى ما كَانَتْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَتَأَتَّ (لم يمكن) له شَيْءٌ** من ذلكَ ولا استطاعهُ وكانَ الذي أرْشَدَهُ لهذَا الرَّأْيِ ما كان **قَدِ اعْتَبَرَهُ في نفْسِهِ** (رأى مثله في نفسه) قَبْلَ ذَلك : لأنَّهُ كَانَ يَرَى أنّه إذَا غمض عَيْنَيْهِ أو حاجَبهما بشيء لا يُبْصِر شيْئا حتى يزول ذلك العائقُ وكذلكَ كانَ يَرَى أنَّهُ إذا أدْخل أصْبُعَيْه في أذُنَيْهِ وسدَّهما لا يسْمَعُ شيئا حَتَّى يزولَ ذلكَ العارِضُ، وإذَا أمْسَكَ أنْفَهُ بيدِهِ لا يَشُمُّ شيئا من الروائِحِ حَتَّى يَفْتَحَ أنْفَهُ، **فاعْتَقَدَ** مِنْ أجلِ ذلكَ أنَّ جميعَ ما لَه من الإدراكاتِ والأفْعَالِ قد تَكُونُ لها عَوَائِقُ تَعُوقُهَا، فإذا أزيلَتْ تِلْكَ العوائقُ، عادتِ الأفْعَالُ.

فلَمَّا نَظَر إلى جمِيعِ أعْضَائِهَا الظَّاهِرَةِ ولَمْ يَرَ فِيها آفَةً ظَاهِرَةً ـ وكانَ يَرَى مَعَ ذلكَ العَطَالَةَ (الخلل) قد شَمِلَتْهَا ولم يُخْتَصَّ بها عُضْوٌ دُونَ عُضْوٍ ـ وقَعَ في خاطرِهِ أن الآفَةَ التي نَزَلَتْ بها إنّما هي في عُضْوٍ غائِبٍ عَنِ الْعِيَانِ، مُسْتَكِنٍ في باطِنِ الجَسَدِ، وأنَّ ذلكَ العضوَ لا يُغْنِي عنه في فِعْلِهِ شيء من هذِهِ الأعضَاءِ الظاهِرةِ. فلَما نزلتْ به الآفةُ عمَّتِ المَضَرَّةُ. وشَمِلَت العُطْلَة، وطمِعَ لَوْ أنَّهُ عَثُرَ على ذلِك العضوِ وأزالَ عنه ما نزلَ به، لاستقامَتْ أحْوَالُه وفاضَ على سائِرِ البدَنِ نفعُهُ، وعادتِ الأفعَالُ إلى ما كانَتْ عَلَيْهِ.

وكانَ قدْ شاهَد قبلَ ذلك في الأشباحِ الميِّتَةِ من الوحوشِ وسِواها أنَّ جميعَ أعْضائِهَا مُصْمَتَةٌ لا تَجْوِيفَ فيها إلا القحْفَ (عظم الرأس)، والصَّدْرَ، والبَطْنَ، فوَقَعَ في نَفْسِهِ أنَّ العُضْوَ الذي بتلْك الصِّفَةِ لَنْ يَعْدُو أحدَ هذِهِ المَوَاضِعِ الثَّلاثَةِ، وكانَ يَغْلِبُ على ظَنِّه غلبَةً قَوِيَّةً أنَّه إنّما هو في المَوْضِعِ المتوسِّطِ مِنْ هَذه المَواضِعِ الثلاثَةِ : إذْ كان قَدِ استَقرَّ في نَفْسِهِ أنَّ جمِيعَ الأعْضَاءِ مُحْتَاجَةٌ إلَيْه وأنَّ الواجِبَ يحسِبُ ذلك أن يكونَ مَسْكَنُه في الوَسَطِ. وكانَ أيضًا إذَا رَجَعَ إلى ذاتِه، شعرَ بمِثل هذا العُضْوِ في صَدْرِهِ، لأنه كانَ يَعْتَرِضُ سائِرَ أعْضَائِهِ كاليَدِ، والرِّجْلِ، والأذُنِ، والأنْفِ والعَيْنِ، ويقدِّرُ مفارقَتَها، فيتأتّى له أنه كانَ يَسْتَغْنِي عَنْهَا، وكانَ يُقَدِّرُ في رأسِهِ مثلَ ذلك ويظنُّ أنَّهُ يَسْتَغْنِي عَنْهُ، فإذا فَكَّرَ في الشيءِ الَّذِي يَجِدُهُ في صَدْرِهِ، لم يَتَأَتَّ لَه الاستغْنَاءُ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ. وكذَلك كانَ عنْدَ مُحَارَبَتِهِ الوحوشَ أكثَر ما كانَ يتَّقي من صَيَاصِيهم عَلَى صَدْرِهِ، لشعُورِهِ بالشَّيْءِ الَّذِي فيه. فلمَّا جزَم الحكمَ بأنَّ العُضْوَ الَّذِي نزلتْ به الآفَةُ إنَّما هو في صَدْرِها، أجْمَعَ عَلَى الْبَحْثِ عَلَيْهِ والتَّنْقِيرِ عَنْهُ، لَعَلَّهُ يَظْفَرُ به، ويَرَى آفتَهُ فيُزيلُهَا، ثم إنَّه خافَ أن يكونَ نفسُ فِعْلِهِ هذا أعظمَ من الآفَةِ الَّتي نزلَتْ بِها أوّلا فيكونَ سَعْيُهُ عَلَيْهَا.



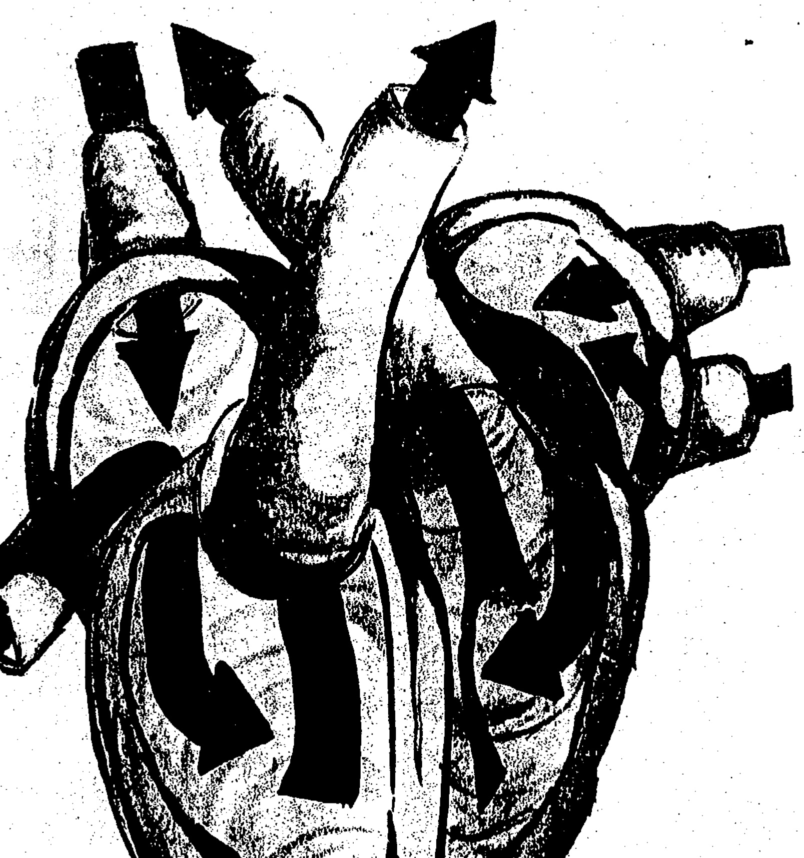
ثمّ إنّه تفكَّرَ : هل رأى من الوحوشِ وسِواهَا، مَنْ صَار في مثلِ تلْكَ الْحَالِ، ثمّ عَادَ إلى مثْلِ حالِه الأولِ ؟ فلمْ يجِدْ شيْئًا فحصلَ له مِنْ ذلك اليأسُ من رُجوعِها إلى حالِها الأولى إنْ هو تَرَكَها، وبقِيَ لهُ بعضُ رجاء في رجوعِها إلى تلك الحالِ إنْ هُوَ وَجَدَ ذلك العُضْوَ وأزَالَ الآفَةَ عَنْه.

أخْذُه في التشريح ومعرفتُه بالقلب : فَعَزَمَ عَلى شقِّ صَدْرِها وتَفْتِيش ما فِيه فاتّخذَ من كُسُورِ الأحجارِ الصَّلْدَةِ (الجامدة)، وشُقوقِ القَصَبِ اليابسَةِ، أشباهَ السَّكاكِين، وشقَّ بها بَيْنَ أضْلاعِهَا حتّى قطعَ اللَّحْمَ الذي بَيْنَ الأضلاعِ، وأفْضَى إلى الحِجَابِ المُسْتَبْطِنِ للأضْلاعِ فَرَآهُ قوِيًا، فَقَوِي ظَنُّهُ بأنّ مثْلَ ذلك الحجابِ لا يكونُ إلا لِمِثْلِ ذلك العضو وطمِعَ بأنه إذا تجاوزَهُ ألْفَى (وجد) مطلوبَهُ فحاولَ شَقَّهُ، فصَعُبَ عَلَيْهِ، لعدم

الآلاتِ، ولأنها لم تَكُنْ إلّا مِنَ الْحِجَارَةِ والْقَصَبِ، فاسْتَجَدَّهَا ثانيةً واستجدَّهَا وتلطَّفَ في خَرْقِ الحِجَابِ حتّى انْخرَقَ له، فأفْضَى (وصل) إلَى الرِّئَةِ فظنَّ أولا أنها مَطْلوبُهُ، فما زالَ يُقَلِّبُهَا ويطْلُبُ مَوْضِعَ الآفَةِ بها.

وكان أولا إنّما وجدَ منْها نصفَها الّذي هو في الجانِب الواحدِ. فلمَّا رَآها مَائِلَة إلى جهةٍ واحدةٍ، وكانَ قد اعْتَقَدَ أنّ ذلك العضوَ لا يكونُ إلّا في الوسطِ في عَرضِ البَدَنِ، كمَا هو في الوسَطِ في طوله. فما زالَ يُفتّشُ فِي وسطِ الصدْرِ حتّى ألفى « الْقَلْب » وهو مُجَلَّل بِغِشَاءٍ في غَايَةِ الْقُوَّةِ مَرْبُوطٍ بعَلائِقَ في غايَةِ الوثَاقَةِ (القوة)، والرِّئَةُ مُطِيفَةٌ به من الجهةِ الّتي بدأ بالشَّقِّ مِنْها، فقال في نفسه : إنْ كانَ لهذا العضوِ من الجهةِ الأخرى مثلُ ما لَه مِنْ هذه الْجِهَةِ، فهُو في حقِيقةِ الْوسَطِ، ولا مَحالَة أنه مَطلُوبي، لا سيَما مَعَ ما رَأى له مِنْ حُسْنِ الوَضْعِ، وجَمَالِ الشَّكْلِ، وقِلَّةِ التَّشتُّتِ (التفرق) وقُوَّةِ اللَّحمِ، وأنَّهُ مَحْجُوبٌ بمثلِ هذا الحِجابِ الّذي لمْ أرَ مِثْلَهُ لِشَيءٍ منَ الأعْضَاءِ.

فبَحَثَ عن الجانِبِ الآخرِ من الصَّدْرِ، فَوَجَدَ فيهِ الحِجَابَ المُسْتَبْطِنَ للأضْلَاعِ، وَوَجَدَ الرِّئَةَ كَمِثْلِ ما وَجَدَهُ مِنْ هذِهِ الْجِهَةِ. فَحَكَمَ بأنَّ ذَلِك العُضْوَ هو مطلوبُهُ، فحاولَ هَتْكَ (شق) حجابِهِ، وشَقَّ شِغَافِهِ، فَبِكَدٍّ (صعوبة) واسْتِكْرَاهٍ ما قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ، بَعْدَ اسْتِفْرَاغِ مَجْهُودِهِ.



وَجَرَّدَ القلبَ فرآهُ مُصْمَتا مِنْ كُلّ جِهَةٍ، فنَظَرَ : هَلْ يَرى فيهِ آفةً ظاهرةً ؟ فلمْ يَر فيه شيئًا فشدَّ عَلَيْهِ يَدَهُ، فتبيَّنَ لهُ أنَّ فيه تَجْويفًا، فقال : « لَعَلَّ مَطْلُوبِي الأقْصَى إنَّما هُو داخِلَ هَذَا العُضْوِ، وأنَا حتّى الآن لمْ أصِلْ إليْهِ، فشقَّ عَلَيْهِ، فألْفى فيه تَجْوِيفَيْنِ اثْنَيْنِ : أحدُهما من الجهةِ اليُمْنَى، والآخرُ من الجهةِ اليُسْرَى والَّذي مِنَ الْجِهَةِ اليُمْنَى مَمْلُوء بعَلَقٍ (دم) مُنْعقِدٍ، والَّذي من الجهةِ اليُسْرَى خالٍ لا شَيْءَ فيه فقالَ : « لَنْ يَعْدُو مَطلَبِي أنْ يَكُونَ مَسْكَنُهُ أحَدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ » ثم قَالَ : « أمَّا هذَا البيتُ الأيْمن، فلا أرى فيه غَيْرَ هَذا الدَّمِ المُنْعَقِد. ولا شكَّ أنه لمْ يَنْعَقِدْ حتَّى صَارَ الجسَدُ كلُه إلى هذَا الْحَالِ » إذْ كان قَدْ شاهَدَ أنَّ الدِّماءَ مَتَى سالَتْ وخَرَجتْ انْعَقَدَتْ (تجلطت ـ تخثرت) وجَمُدَتْ، ولمْ يكنْ هذا إلّا دمًا كسَائِرِ الدِّماءِ، وأنا أرى أنَّ هذا الدَّم موجودٌ في سائرِ الأعضاءِ لا يَخْتَصُّ به عُضْوٌ دُونَ آخر، وأنا لَيْس مطلوبي شيْئا بهذِهِ الصِّفَةِ إنَّما مَطْلُوبِيَ الشيءُ الَّذِي يُخْتَص به هذا الموضِعُ الَّذِي أجِدُنِي لا أسْتَغْنِي عَنْه طَرْفَةَ عَيْنٍ، وإليهِ كانَ انْبعاثِي مِنْ أول. وأمَّا هَذَا الدَّمُ

فكمْ مرةٍ جرحتْني الوحوشُ في المُحارَبَة فسال مني كثيرٌ منه فما ضرَّني ذلك ولا أفقدَني شيْئا من أفْعالي، فهذا بَيْتٌ ليس فيه مطلوبي. وأما هذا البيْتُ الأيْسَرُ فأراه خاليا لا شَيْء فيه وما أرى ذلك لباطِلٍ، فإنّي رأيْتُ كُلَّ عُضْو منَ الأعضاء إنّما هو لِفِعْلٍ يُخْتَصُّ به، فكَيْفَ يَكُونُ هذا البيتُ على ما شَاهَدْتُ مِنْ شَرَفِهِ بَاطِلا (لا فائدة منه) ؟ ما أرى إلّا أنَّ مَطْلُوبِي كانَ فيه فارْتَحَلَ عنْهُ وأخْلاهُ. وعِنْدَ ذَلِكَ طَرَأَ علَى هَذَا الْجَسَدِ من الْعُطْلَةِ مَا طَرَأَ : فَفَقَدَ الإدْرَاكَ وعَدِمَ الْحَرَاكَ.

فَلَمَّا رَأى أن السَّاكِنَ في ذلكَ الْبَيْتِ قَدِ ارْتَحَلَ قَبْلَ انهدَامِهِ وتَرَكَهُ وهُو بِحَالِهِ، تحقَّقَ أنَّهُ أحْرَى أنْ لاَ يَعُودَ إِلَيْهِ بَعْدَ أن حَدَثَ فِيه مِنَ الْخَرَابِ والتَّخْرِيقِ ما حَدَثَ فصَارَ عِنْدَه الجسدُ كلُّه خَسِيسًا لاَ قَدْرَ لَهُ بالإضافَةِ إلى ذلكَ الشيءِ الّذِي اعتقدَ في نَفْسِهِ أنّه يسْكُنُهُ مدة ويرحلُ عَنْه بعد ذلك. فاقْتَصَرَ على الْفِكْرَةِ في ذلكَ الشيء ما هُو ؟ وكيفَ هوَ ؟ وما الذي ربطه بهذا الْجَسَدِ ؟ وما السببُ الذي أزْعَجَهُ إنْ كَان خَرَجَ كارِهًا ؟ وما السبب الّذِي كَرَّهَ إليهِ الجسدَ، حتى فارقَهُ إنْ كَانَ خَرج مُخْتَارا.

وتشتَّت فكرُه في ذلك كُلِّه، وسَلَا (غفل) عَنْ ذلكَ الجسدِ وطَرَحَهُ وعَلِمَ أنَّ أمَّهُ الّتي عَطَفَتْ عَلَيْهِ وأرْضعتْهُ، إنَّما كانتْ ذلك الشيءَ المُرْتَحِلَ، وعنْه كانتْ تَصْدُرُ تلكَ الأفعالُ كلُّها، لا هذا الجسَدَ العاطلَ، وأن هذا الجسَدَ بجمْلَتِه، إنَّما هو كالآلة وبمنزلَةِ الْعِصِيِّ الّتي اتَّخذَهَا هو لِقِتَالِ الوُحُوشِ. فانْتَقَلَتْ عَلَاقَتُهُ من الْجَسَدَ إلى صَاحِبِ الْجَسَد ومُحَرِّكِه، ولم يَبْقَ لَـهُ شَوْقٌ إلَّا إِلَيْهِ.

التــدريــبــات

١ ـ لاحـظ هـذه الـتـعـبـيـرات :

- جَنَّ الليل : اشتد ظلامه.
- صرفته إلى مكانه الأول : أرجعته إلى المكان الذي كان فيه.
- تستبد بها دونه : تأخذها لنفسها وتحرمه منها.
- كادت نفسه تفيض أسفا : حزن كثيرا.
- طرفة عين : غمضة عين : سريعا جدا.
- اتخذ من الأحجار (أشباه السكاكين) : صنع من الأحجار.
- لا يعدو أحد هذه المواضع : لا يتجاوز أحد هذه المواضع.
- أسَنَّت : صارتْ كبيرة في السنّ.

٢ ـ أسـئـلـة حـول الـنـص :

١ ـ ما اسم مؤلف قصة حي بن يقظان ؟ وما كنيته ؟ وما لقبه ؟
٢ ـ في أي قرن عاش ابن طفيل ؟ وبماذا اشتهر ؟
٣ ـ لماذا أهمل التاريخ طفولة ابن طفيل ؟
٤ ـ لمَن اشتغل ابن طفيل كاتما للأسرار ؟

٥ ـ لمن اشتغل طبيبا ؟
٦ ـ ما الجميل الذي صنعه ابن طفيل في الفيلسوف ابن رشد ؟
٧ ـ لماذا ترجمت رسالة حي بن يقظان إلى كثير من اللغات الأجنبية ؟
٨ ـ متى توفي ابن طفيل ؟ وما دلالة سير الخليفة في جنازته ؟
٩ ـ ما الذي تصوره رسالة حي بن يقظان ؟
١٠ ـ ما الهدف من هذه القصة ؟
١١ ـ ما الذي يوحي به اسم « حي بن يقظان » ؟
١٢ ـ من الذي ربى حي بن يقظان ؟
١٣ ـ كيف كانت الظبية تطعم الطفل ؟
١٤ ـ ما الأصوات التي كان الطفل يحاكيها ؟
١٥ ـ لماذا ألف الوحوش وألفته ؟
١٦ ـ ما الذي لاحظه الطفل في المقارنة بينه وبين الحيوانات ؟
١٧ ـ متى فكر الطفل في ستر جسده ؟
١٨ ـ كيف اهتدى إلى اتخاذ ما يستره ؟
١٩ ـ كيف اهتدى إلى اتخاذ ما يدافع به عن نفسه ؟
٢٠ ـ كيف استفاد من النسر الميت ؟
٢١ ـ متى بدأ يطعم الظبية ويرعاها ؟
٢٢ ـ ماذا حدث له عندما ماتت الظبية ؟
٢٣ ـ لماذا كان يفتش في أعضائها وهي ميتة ؟
٢٤ ـ كيف قارن حواسه وحواس الظبية ؟
٢٥ ـ ما الذي فكر فيه حين رأى خلو أعضائها الظاهرة من العطل ؟
٢٦ ـ لماذا فكر أن هناك عضوا مهما غائبا ؟
٢٧ ـ ما المكان الذي تصوره مناسبا لهذا العضو المهم الغائب ؟
٢٨ ـ متى عزم شق صدر الغزالة وتفتيش ما فيه ؟
٢٩ ـ مِمَّ اتخذ آلات الشق والتشريح ؟

تذكر أن حروف الجر إذا دخلت على « ما » الاستفهامية تسقط منها الألف فتصبح كالتالي :

مِنْ + ما = مِمَّ، في + ما = فِيمَ، على + ما = عَلامَ

عن + ما = عَمَّ، إلى + ما = إلامَ، حَتَّى + ما = حَتَّامَ

٣٠ ـ ماذا قال لنفسه عندما رأى القلب ؟
٣١ ـ ماذا رأى في القلب ؟
٣٢ ـ ما الفكرة التي اهتدى إليها بعد أن عرف فساد القلب ؟
٣٣ ـ ما الطريق إلى معرفة الله في رأي ابن طفيل ؟
٣٤ ـ ما الحاجة إلى النقل عن الرسل في نظر ابن طفيل ؟
٣٥ ـ هناك مثل عربي يقول : « الحاجة تفتق (تدعو إلى ابتكار) الحيلة » هات من نص ابن طفيل ما يؤكد صحة هذا المثل.

٣ ـ صــواب أو خــطــأ :

١ ـ يلقب ابن طفيل بالقيسي لأنه كان ينتسب إلى قبيلة قيس ؟
٢ ـ جمع ابن طفيل العلماء في بلاط الخليفة لينافسهم.
٣ ـ أعظم شارحي أرسطو هو الفيلسوف ابن رشد.
٤ ـ حفظ التاريخ كتب ابن طفيل كلها.
٥ ـ استفاد البطروجي من النظريات الفلكية لابن طفيل.
٦ ـ لم تترجم « حي بن يقظان » إلى اللغات العالمية إلا في العصر الحديث.
٧ ـ كان ابن طفيل إلى جانب الفلسفة والطب أديبا شاعرا.
٨ ـ لم يقلد الطفل (حي بن يقظان) أصوات الحيوانات والطيور.
٩ ـ رغبة الطفل في الكساء والدفاع عن النفس دفعته إلى التفكير ؟
١٠ ـ كانت الوحوش تخاف منه بعد أن اكتسى ثوب الريش.
١١ ـ قصة حي بن يقظان قصة حقيقية رواها ابن طفيل.
١٢ ـ تهدف قصة حي بن يقظان إلى تشريح الجسد ومعرفة أجزائه.
١٣ ـ يستطيع الإنسان السوي أن يعرف الله معتمدا على عقله وحده.
١٤ ـ ابن طفيل هو الذي لخص كتب الفيلسوف اليوناني أرسطو.
١٥ ـ عاش ابن طفيل في القرن الحادي عشر الميلادي.

٤ ـ أكمل الجمل الآتية بما يناسبها :

١ ـ ابتكر ابن طفيل نظاما .... يخالف النظام الذي وضعه بطليموس.
أ ـ هندسيا   ب ـ طبيا   ج ـ فلكيا

٢ ـ ترجمت رسالة حي بن يقظان سنة ١٦٧١ .... إلى اللاتينية.
أ ـ هجرية   ب ـ ميلادية   ج ـ قبطية

٣ ـ ربت الطفل حي بن يقظان .... كانت قد فقدت رضيعها.
أ ـ غزالة   ب ـ زرافة   ج ـ نعامة

٤ ـ تدرج الطفل في الهداية من .... إلى المعقول.
أ ـ المعروف   ب ـ المحسوس   ج ـ المدروس

٥ ـ يستطيع .... الفطرة السليمة أن يصل إلى الله وحده.
أ ـ صديق   ب ـ صاحب   ج ـ زميل

٦ ـ أحسن الأطعمة في رأي بن طفيل هو .... التي تم نضجها.
أ ـ اللحوم   ب ـ الأسماك   ج ـ الفواكه

٧ ـ استعمل ابن طفيل اسم (يقظان) ليدل على أن الطفل ....
أ ـ متنبه   ب ـ سريع   ج ـ قلق

٨ ـ يتحقق التدريب النفسي بملازمة .... الله كل ساعة.
أ ـ الرضوخ لـ   ب ـ التفكير في   ج ـ التوكل على

٩ ـ تتقوى عن طريق .... حاجات الجسم

أ ـ إشباع ب ـ إضعاف ج ـ إرضاء.

١٠ ـ اهتدى حي إلى القلب عن طريق ... جثة الظبية.

أ ـ تمزيق ب ـ تقطيع ج ـ تشريح

٥ ـ أعد قراءة الأبيات الآتية وأجب منها عما يليها من الأسئلة :

(ملحوظة : هذه الأبيات من بحر المنسرح) :

مَا **كُلُّ** مَنْ شَمَّ نَالَ رَائِحَةً ... لِلنَّاسِ فِي ذَا **تَبَايُنٌ** **عَجَبُ**

قَوْمٌ لَهُم **فِكْرَةٌ** تَجُولُ بِهِمْ ... بَيْنَ المَعَانِي، أولئك **النُّجُبُ**

وَفِرْقَةٌ فِي القُشُورِ قَدْ **وَقَفُوا** ... وَلَيْسَ يَدْرُونَ لُبَّ مَا طَلَبُوا

لَا يَتَعَدَّى **امْرُؤٌ** جِبِلَّتَهُ ... قَدْ قُسِّمَتْ فِي الطَّبِيعَةِ **الرُّتَبُ**

أ ـ الأسماء التي تحتها خط مرفوعة. بيِّن سبب رفع كل منها على جدَة.

(فاعل ـ نائب فاعل ـ مبتدأ ـ صفة).

ب ـ هات من الأبيات جملا تعبر عن المعاني الآتية :

١ ـ « يختلف الناس في درجات إدراكهم للأشياء ».

٢ ـ « العقلاء هم الذين يهتمون ببواطن الأمور لا بظواهرها ».

٣ ـ « الناس مختلفون في تناولهم للأمور »

٤ ـ « لا يستطيع الإنسان أن يتجاوز طبيعته التي فطره الله عليها »

٥ ـ « هناك من الناس من يأخذ الأمور بظواهرها ولا يفكر في بواطنها ».

٦ ـ اكشف عن هذه الكلمات في المعجم :

الاستدعاء ـ تنازعه ـ اتخاذ ـ يرتاد ـ مستكن ـ مسكن ـ المرتحل ـ الاهتداء ـ الاستدفاع.

٧ ـ لخص قصة حي بن يقظان بأسلوبك، واستخدم هذه التعبيرات :

وضعه في تابوت ـ وبالتدريج ـ يستنتج نظام الكون ـ متى عاد ـ إذا جن الليل... ـ ترعرع ـ إلى أن أسنَّت وضعفت.

لاحظ التركيبين التاليين :

١ ـ متى عاد إلى اللبن أرْوَتْهُ.

٢ ـ إذا جنَّ الليل صَرَفَتْه إلى مكانه الأول.

ـ هذان التركيبان هما نوعان من أسلوب الشرط : **الأول** أداته مَتَى، **والثاني** أداته إذا.

ـ **في التركيب الأول متى، والشرط** عاد إلى اللبن، **والجواب** أروته.

ـ في التركيب الثاني الأداة **إذا والشرط** جن الليل **والجواب** صرفته إلى مكانه الأول.

ـ متى أداة شرط تجزم الفعل المضارع إذا وقع في مكان **الشرط** ومكان **الجواب** مثل : متى يشعرْ بالبرد تُدْفِئْه

ـ إذا أداة شرط، غير جازمة، وهي للزمان المستقبل.

ـ ستجد أن الفعل الذي يقع موقع الشرط في جملة إذا هو من نوع الماضي غالبا.

٨ ـ أكمل الجمل الآتية مستخدما فيها أداة الشرط متى مرة، وأداة الشرط إذا مرة أخرى مع وضع فعل الشرط وفعل الجواب في الصورة المناسبة لكل منهما :

١ ـ (الأداة) يعود إلى اللبن ....

٢ ـ (الأداة) .... تلبسه.

٣ ـ (الأداة) يجد الثمرة صلبة ....

٤ ـ (الأداة) يظمأ إلى الماء ....

٥ ـ (الأداة) يتخذ من أوراق الشجر كساء ....

لاحظ هذا الأسلوب :

وألِفَ الطفلُ تلك الظَّبيَةَ **حتى كان بِحَيْثُ إذا هي أبطأتْ عنه اشتد بكاؤه.**

٩ ـ أكمل الجمل التالية مستعينا بالمثال السابق :

١ ـ تعود ابن بطوطة على الرحلة حتى كان بحيث ....

٢ ـ .... حتى كان بحيث إذا لم يكن لدى القادم على السلطان مال أقرضه التجار.

٣ ـ أحبَّ علماء المسلمين اللغة العربية حتى كانوا بحيث ....

٤ ـ .... حتى كانت بحيث إذا ظمئ أروته.

٥ ـ .... حتى كانت بحيث ....

لاحظ هذا الأسلوب :

كان يحكي جميع ما يسمعه من أصوات، وأكثرُ ما كانت محاكاته لأصوات الظِّباء.

١٠ ـ أكمل العبارات التالية على نسق المثال السابق :

١ ـ كان ابن بطوطة مهتما بوصف كل ما تقع عليه عينه وأكثر ما كان يهتم به ....

٢ ـ .... وأكثر ما كان يُفضّلُهُ اللغة العربية.

٣ ـ كان حي بن يقظان يألَفُ الحيوان وأكثرُ ما كان ....

٤ ـ .... وأكثرُ ما كانت زيارتُه لمكة.

٥ ـ .... وأحلى ما كان يَستَطعِمُهُ ....

من الشعر العربي (٣)

اقرأ واحفظ

في الشكوى من ابن عاقٍّ (لا يُكرِّم والديه)

لشاعرة عربية قديمة (من بحر البسيط)

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَعْظَمُهُ ... أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ زَغَبَا

حَتَّى إِذَا آضَ كَالْفُحَّالِ شَذَّبَهُ ... أَبَّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الْكَرَبَا

أَضْحَى يُمَزِّقُ أَثْوَابِي يُؤَدِّبُنِي ... أَبَعْدَ شَيْبِي يَبْغِي عِنْدِيَ الْأَدَبَا

إِنِّي لَأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ ... وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا

قَالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِي ... مَهْلًا فَإِنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا

وَلَوْ رَأَتْنِي فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ ... ثُمَّ اسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

الشاعر : لا توجد معلومات في كتب التراث الأدبي عن هذه الشاعرة.

شروح : **أمُّ الطعام** : مكانه الرئيسي وهي الحَوْصلة في الطائر والمَعِدَةُ في الإنسان والحيوان ـ **الزَّغَب** : الريش الصغير (تُشبِّهُهُ بالطائر الصغير) ـ **آضَ** : صار، تحول ـ **الفُحَّال** : النَّخْلَة الذَّكر ـ **شذَّبه** : أصلحه ـ **أبّاره** : من يُلَقِّح النخل (أي يضع اللّقاح : وهو غبار أعضاء التذكير في النخلة الذكر، ويربطه على أعضاء التأنيث في النخلة الأنثى) ويقلّم الزَّوائد فيه ـ **الكَرَبا** : الزوائد ـ **التَّرجيل** : الترتيب والتمشيط **واللِّمَّة** : شعر مُقَدَّم الرأس ـ **العِرْس** : الزوجة ـ **الأرَب** : المنفعة ـ **مَهْلًا** : انتظر وتأن ولا تتسرَّع.

الدرس الخامس

يحيى بن ماسويه يتحدث عن :

اللؤلؤ والغوص عليه

صناعة صيد اللؤلؤ وتجارته من ألوان النشاط الحضارية الكبرى في حياة المجتمع العربي، وهي تقف جنبا إلى جنب مع عدد قليل جدا من المعالم الأساسية في التراث، مثل إبداع الشعر وإنشاده، وتربية الخيل والاعتزاز بها، ومثل صناعة النفط وتجارته في العصر الحديث. لذلك لا ندهش حينما نرى كثيرا من الأدباء والمؤرخين وعلماء الاجتماع وعلماء الحيوان وعلماء الكيمياء وعلماء الطبيعة، يولون هذا الموضوع قدرا كبيرا من اهتمامهم، فالشاعر العربي يحب أن يشبه المحبوبة باللؤلؤة النادرة الباهرة التي تتعب الصيادين وتستعصي عليهم، بل تقضي على الكثير منهم، انتظارا للصائد الماهر الذي تؤهله صفاته النادرة الباهرة لاصطيادها. وعلماء الحيوان يصفون الحيوان الذي داخل الصدفة ويوضحون أعضاءه وتأثير كل عضو على الصدف الذي يتكون بداخله، والكيميائيون يقدمون تحليلا للؤلؤ وأنواعه وألوانه ومدى تماسكه والمواد التي يتكون منها. أما علماء الاجتماع فيرسمون صورة حية لمجتمع صيادي اللؤلؤ، وطرقهم في الغوص، وملابسهم، وأنواع الطعام الذي يتناولونه، والأدوات التي يستخدمونها والأصوات التي تصدر عنهم، ودرجاتهم وطرق التدريب التي يتبعونها. والنص الذي معنا هنا مأخوذ من واحد من أوائل الكتب التي خصصت لوصف الجواهر النفيسة ـ ومن بينها اللؤلؤ ـ وكيفية استخراجها، وقيمتها العلمية والتجارية.

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- هو أبو بكر يحيى (أو يوحنا) بن ماسويه **الخوزي (المنسوب إلى خوزستان)**.

- كان كبير أطباء الخلفاء العباسيين في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وأحد أعلام عصره في الطب والتأليف والترجمة.
- يقال إن أباه (ما سويه الخوزي) كان أميا (لا يقرأ ولا يكتب). ولكن لأنه اشتغل دقاقا للأدوية في بيمارستان جنديسابور في خوزستان (كان هذا المستشفى مشهورا في الشرق القديم بمستواه العلمي الرفيع) فقد أصبح خبيرا بمعرفة الأمراض وعلاجها، وبانتقاء الأدوية، ثم توصل إلى أن يكون طبيب هارون الرشيد وأفراد بيته.
- أشرف ما سويه على تعليم ابنه يحيى وتهذيبه تهذيبا عاليا وجلب له المدرسين، فنشأ يحيى نابها مثقفا، قد أخذ بأسباب العلوم، وبخاصة الطب واللغات القديمة.
- ظهر نبوغ يحيى في عهد المأمون (ابن الرشيد). حين وضعه المأمون أمينا على ترجمة الكتب الإغريقية القديمة التي كان يجلبها معه من جولاته العديدة في بلاد الروم وخاصة حملة عام ٢١٥ هـ (٨٣٠ م).
- خدم يحيى بطبه من الخلفاء العباسيين المأمون ١٩٨ هـ (٨١٣ م) ثم الواثق ٢٢٧ هـ (٨٤٢ م) ثم المتوكل ٢٣٢ هـ (٨٤٧ م) ونال لدى كل منهم مكانة عظيمة. وكان الخلفاء وأسرهم يطمئنون إليه ويقربونه إليهم حتى إنهم كانوا لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته. وكان يقف على رؤوسهم ومعه الأوعية المملوءة بالمواد الهاضمة والمقوية للحرارة الغريزية في الشتاء، وفي الصيف الأشربة الباردة (كما يقول أحد المؤرخين).
- جمع ابن ماسويه في شخصه جوانب عدة : فهو تارة شماس في الكنيسة، وتارة أخرى نديم الخلفاء والملوك وأنيسهم. ثم إنه أديب له مجلس أدب وفكر حافل. وأستاذ طب ماهر « يدرس ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون ». فضلا عن كونه صاحب تآليف عديدة في مختلف فروع الطب وفنونه، وما كتابه في الجواهر وصفاتها إلا أنموذج آخر على تعدد اهتماماته العلمية وتنوعها.
- كان ابن ماسويه رائدا في أكثر من ضرب من ضروب الطب. وذكر أنه أول من ألف في علم التشريح، واعتمد في تأليفه على تشريح قرد كان يربيه لهذه الغاية. وأول من كتب في أمراض العين، وأول من وضع الشروح على الجذام والحميات والمواد الطبية والسموم.
- من مؤلفاته الأخرى : « كتاب المعدة » وكتاب « تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه ومعرفة أسباب الأوجاع » وكتاب « الماليخوليا وأسبابها وعلامتها وعلاجها » وكتاب « في خواص الأغذية والبقول والفواكه والألبان » وكتاب « محنة الطبيب » وكتاب « ماء الشعير » وغيرها.
- كانت وفاة ابن ماسوية في يوم الأحد الثاني من جمادى الآخرة سنة ٢٤٣ هـ (٢٥ سبتمبر ٨٥٧ م). أما تاريخ ميلاده فلم يعن بتسجيله أحد. وهذا يشهد بمدى الرقي الذي حققه ابن ماسويه في حياته. شأنه في ذلك شأن أبي حاتم الرازي.

عن الكتاب :

عنوان الكتاب « الجواهر وصفاتها ـ وفي أي بلد هي وصفة الغواصين والتجار »

- من أوائل ما كتبه العرب في علم الحجارة النفيسة. ولذلك فهو وثيقة هامة تكشف عن بداية اشتغال العرب بهذا العلم وتأليفهم فيه.
- ألف الكتاب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حين ظهرت البداية الحقيقية لاشتغال العرب بالعلوم التجريبية، فلمع عدد كبير من الباحثين منهم يعقوب الكندي، وأبو بكر الرازي، وبنو موسى بن شاكر، وبنو الصباح والفارابي، والتباني، وغيرهم. فوضعوا بذلك أسس الثقافة القوية التي استندت إليها حضارة العرب في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وهو العصر الذي شبه بعصر النهضة الأوروبية في نهاية القرون الوسطى.

- شمل اهتمام العلماء في هذه الفترة مجالات واسعة من المعرفة فألفوا في الفلك والهندسة والموسيقى والحساب والكيمياء والطبيعة والطب والحيل (الميكانيكا) والبيطرة وعلم الحيوان والنبات وغير ذلك من العلوم.

- أدى الاهتمام المبكر بدراسة علم الكيمياء إلى ظهور عدد من الفروع المتخصصة من هذا العلم. فألف علماء العرب الأوائل في المعادن وخواصها، وطرق استخراجها وصهرها وتغير تركيبها. ثم اتصلت جهود الكيميائيين بجهود الباحثين عن الأحجار الكريمة بجهود الأطباء والصيادلة المهتمين بما ينسب إليها من منافع طبية علاجية، فتحول الاهتمام بهذه الأحجار إلى علم قائم بذاته، وتفرعت الدراسة لتشمل التركيب الكيميائي والأحجار وأيضا صفاتها وخواصها، ومواطن (أماكن) استخراجها، وطرق صقلها، وتقدير أثمانها، ومدى إمكان استخدامها في علم الصيدلة، وغير ذلك من الفوائد الجمة الكثيرة.

- يشتمل الكتاب على معلومات حضارية تتصل بتجارة الجواهر من لآلئ وأحجار، والغواصين على اللؤلؤ وطرقهم في استخراجه، ومواطن استخراج الحجارة في الشرق القديم، وأثمان الحجارة وأوزانها المختلفة، وأوصاف كل نوع منها ومزاياه وخصائصه التي يختص بها عن غيره، وما يذكره من أسماء جغرافية كالبحار والجبال والمد والجزر ومصطلحات فنية تتعلق بعلم الجواهر الكريمة في ذلك العصر.

- أسلوب ابن ماسويه في كتابه هذا كأسلوبه في كتبه الأخرى - يعتمد الايجاز الشديد، وتركيز المعاني بأقل الألفاظ. ولذلك فهو لا يهتم بالنصوص الأدبية المتصلة بموضوعه، ولا ينقل كلام الأدباء عند حديثه على نوع من الجواهر. ومادة ابن ماسويه في كتابه علمية محضة (خالصة) لا أثر لروح العصر الأدبية عليها البتة (مطلقا).

- من آثار هذه النزعة العلمية المجردة التي غلبت على الكتاب أنه جاء خلوا (خاليا) من ذكر التأثيرات الطبية والمنافع الصحية التي كانت تنسب إلى الأحجار الكريمة، من مثل ما نجده مثلا في كتاب « **الجماهر في معرفة الجواهر** » للعالم الموسوعي الكبير أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م).

- حقق الكتاب تحقيقا قيّما وطبعه بالقاهرة عام ١٩٧٧ م الدكتور عماد عبد السلام رؤوف.

عـن الـنـص :

- معنا هنا نصان واردان في موضعين مختلفين من الكتاب، النص الأول عنوانه **صفة اللؤلؤ وموضعه**، ويتناول وصف اللؤلؤ وأنواعه، ووصف الأصداف التي يوجد فيها، وتوزع أنواعه داخل الأصداف. النص الثاني عنوانه **صفة الغواصين والغاصة** (جماعة الغوص)، ويتناول وصف الغواصين الذين يصطادون اللؤلؤ، وطرقهم في الغوص، ودرجاتهم في المعرفة، وطرق تدريبهم.

في النص الأول يذكر ابن ماسويه أن اللؤلؤ يتكون من دابة (أي حيوان، أو كائن حي) يعيش داخل صدفتين ملتصقتين ولها فم وأذنان. والصغير من الأصداف يسمى **البلبل** والكبير يسمى **الصدف**. ثم يصف حياة الأصداف في البحر وأجزاء كل صدفة والمواضع التي يوجد فيها اللؤلؤ داخل الصدفة، وتأثير ذلك على حجم اللؤلؤ ولونه وشكله (فأحسنه الذي يوجد بجانب الفم وأردؤه الذي يكون ملتصقا باللحم الأسود وأوسطه الذي يكون داخل الأذن).

في النص الثاني يبين ابن ماسويه أعداد الرجال في كل سفينة ووظائفهم والطعام الذي يتناولونه وأدوات الغوص، وطرق استخداماتها، وأعماق الغوص وطرق الغوص، وزمانه، وعدد الغوصات ومدى تتابعها، وأخطار الغوص وكيفية البحث عن الأصداف في البحر، وطريقة استخراجها وكيفية استخراج اللؤلؤ منها.

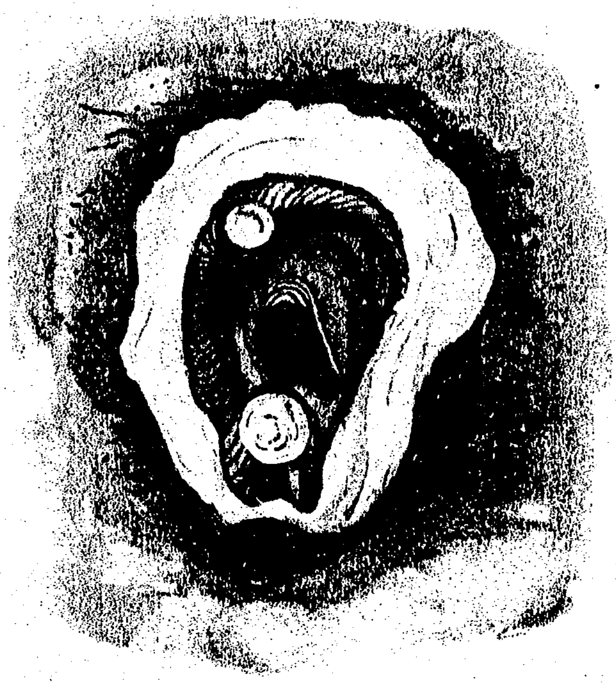
النـــص

النصّ الأول : صفـة اللـؤلـؤ ومـوضعـه :

اللؤْلؤُ يكُون في دابَّةٍ في البَحْرِ جِلْدَتُهَا صَدَفَتَانِ مُلتزقَتَانِ بِلَحْمٍ أَسْوَدَ ذَاتِ فمٍ وأُذُنَيْنِ، ولَها شَحْمٌ (دهن) يَلي الفَم من داخلٍ في عامَّةِ الصَّدَفَتَيْنِ، والْبَاقِي رَغْوَةُ ماءٍ. وهي تكونُ صِغَارًا ثم تَـنْـتَـشِرُ (تتسع) وتَعْظُمُ حتَّى تَـنْـتَـهي إلى الغايةِ من العِظَمِ.

والصِّغَارُ الّذي صَارَ فيهِ اللؤلؤُ يسمّى البُلْبُل، وهو يسْبَحُ ويَرْعَى بالّليلِ مُجْتَمِعًا لا يَتَفَرَّقُ، وبعْضُهُ إلى جانبِ بَعْضٍ وفَوْقَ بَعْضٍ كجَمْعِ الجَرَادِ.

والكِبَارُ يسمَّى الصدَف، ويكونُ في البحرِ متفرِّقًا، ويلتصِقُ بالحشَرَات في قرارِ البحرِ، وشحْمُهُ أقلُّ من شحْمِ البُلبُلِ، وإذَا كانتْ أمطارُ السَّنَةِ في أوَّلها، كان البلبلُ في تلك السنةِ كبيرًا، واللؤلؤ في الصدف حولَهُ. كما يدُورُ (اللؤلؤ) مع جُزْءٍ في الصَّدَفَتَيْنِ، مِمَّا يَلِي (يكون بجوار) اللحم الأسْوَدَ، مِمَّا يَلِي الشَّحْمَةَ والْفَمَ والأذُنَ. فمَا كانَ مِنَ اللُّؤْلُؤ دونَ (منفصلا عن) الْحَرْفِ الأسودِ مِنْ دَاخِلِ (الصدفة) صَحِيحٌ، وما كانَ ملتزقًا بالسَّوَادِ كانَ أسفلُه سقيما طِينيًّا ومُتَكسِّرا، وما كان منْه (من اللؤلؤ) يلي الفَمَ فهو مُدَحْرَجٌ (كُرَويّ تامُّ الاستدارة)، ويقال إنها مُدَحْرَجَةٌ بفِيها. . .



واللؤلؤةُ التي تلي الفمَ هي الجيدةُ البالغةُ، وأكبرُها مِثْقَال (٤,٤٩ جراما) ودانِقٌ (٠,٧٤ جراما) وهي الـدُّرَّةُ. وما كانَ منها يَلِي الفَمَ، فهي الَّتي تُسمَّى **الطَّوْر** وهي الصُّلْبَةُ الشبيهةُ بالعظْمِ، لَها وَجْهٌ حَسَنٌ شَبِيهٌ بالْحَجَرِ، وتَزِنُ ما بَيْنَ دَانِقٍ إلى خَمْسة مَثَاقِيلَ، ويبلغ أكبرُها أَلْفَ دينارٍ، ولَيْس لها اليومَ ثَمَنٌ (غالية جدا) وهي توجدُ في جانبٍ واحِدٍ من الصدف، ولَيْسَتْ تَكُونُ إلا في الفرد وما كانَ داخلَ الأذنِ (أُذُنُ الحيوانِ الذي يُكَوِّن اللؤلؤ داخل الصدفة) يَنْتَثِرُ منه شيءٌ - إذا تقشّر الجلدُ عَنْه - مثلُ الرَّملِ، ثم يخْرُج بعدَه لؤلؤ جيِّدٌ تُساوِي الحبَّةُ مائةَ دينارٍ، وإنما يكون في أذنٍ واحدةٍ، وليس هذا كلّه في البلبلِ. وربَّما غاصَ الجماعةُ من الغَوَّاصِ في النَّاحِيَةِ الّتي فيها بلبلٌ فيسْتَوِي وَزْنُ جميع ما يَجِدُون فِيه من اللؤلؤ بالقَرارِيط (القيراط يساوي ٠,٢٢٣٢ من الجرام) لأنَّ البلبلَ ربما مات في البَحْرِ وينتشرُ ما فيه من اللؤلؤ فيَفْسُد.



نصفهم غاصة ونصفهم يمسكون الحبال ... وفي طرف الحبل حجر معلق ... فيضع الغائص قدمه عليه وينحدر في الماء عريانا وعليه فوطته ومعه مخلاة محمولة في عنقه ... فإذا صاروا إلى القرار فإذا وجدوا البلبل ملأوا مخالبهم منه.

النص الثاني : صفة الغوّاصين والغاصة :

الْغَاصَةُ يَرْكبُ مِنْهمُ السفينةَ ما بَيْنَ السِّتَّةِ نَفَر إلى اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، نِصْفُهُمْ غاصَةٌ ونِصْفُهُمْ يُمْسِكُونَ الحبالَ على الْغَاصَةِ، كلّ رجلٍ لرجُلٍ، وإنما يستأجِرُهم التجّارُ مُشاهَرَةً (بالشهر). وفي كلّ سَفِينَةٍ أمِينٌ مِنْ قِبَل (طرف) التَّاجِرِ، ولهم حِبَالٌ من كَتَّانٍ طولُها ما بَيْنَ الْعِشْرِينَ ذِرَاعًا إلى الْخَمْسِين.

* * * * * *

وَغوْصُ الْبَحْرِ أكثرُه على أرْبَعَةَ عشرَ قيمَانًا (جمع قامة وهي طول الرجل) وكانَ فيما مضَى يبلغُ عشرينَ قيمَانا، وإنّما هو على قَدْرِ الصَّبْر في الماءِ وكلّما عَمُقَ كانَ (الغوص) أشدَّ علَيْهِمْ وأكثرَ لإفادتهِ.

* * * * * *

وفي طرفِ الحبْلِ حجرٌ مُعلّق يكونُ نَحْوَ ثلاثين مَنًا، (أي وزن ستين رطلا) فيضَعُ الغائصُ قدمَه عليهِ وينْحَدِرُ في الْمَاءِ إلى قَرَارِ البحرِ عُرْيَانًا وعَلَيْهِ فُوطَتُه ومَعَه مِخْلَاةٌ مِنْ شَرِيطٍ محمولةٌ في عُنقِه، ولَهُ مَلَازِمُ (جمع ملزم وهي أداة تشبه مشبك الغسيل) مِنْ ذبلٍ (جلد السلحفاة البحرية) أو عَاجٍ أو قُرونٍ يُلْزِمُهُ أنفَهُ لِئَلّا يَدْخُلَهُ الماءُ، ولا يُعَدُّ الغائصُ في الغاصةِ حتّى يَنْخرِقَ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَحَلْقِهِ **فَيَنْبَعِثُ دَمًا** ثم يتمزّقُ ويستمرّ فيكونُ فيه تَنَفُّسٌ ضَعِيفٌ.

* * * * * *

والمبتدِئُون في التَّعْلِيم إذَا انحدَرُوا بالأرْسَانِ (الحبال) صارُوا إلى الْقَرَارِ، فإذا وجدُوا الْبُلْبُلَ مَلأُوا مَخالِيَهُمْ مِنْه، ثُمَّ يُحَرِّكُونَ الْحِبَالَ فَيُجَرُّونَ حَتَّى يَظْهَروا فَوْقَ الْمَاءِ، ثم يَسْبَحُونَ إلى الْمَرْكَبِ. وإنْ لم يجدْ أحدُهم البلبلَ تَرك حَجَرَهُ ودَارَ في الْبَحْرِ، ويتبعُ الصَّدَفَ الْكِبَارَ وهي مُلْتَصِقَةٌ بالْحشرِ (بقشرة القاع) فيقْلَعُه بيدِهِ حتى يملأَ مِخْلَاتَه ويتباعَدَ مِنْ حَجرِهِ مقدارَ دَعْوةٍ، (نداء أو صياح) ويَصيرَ تحتَ الماءِ نصْفَ ساعَةٍ. وإنْ أعْجَلَهُ أمرٌ عن الحجَرِ أوْ ضَلَّ عَنْ مَوْضِعِهِ ذلك، ظَهَرَ فَوْقَ الْمَاءِ ثمَّ سَبَحَ إلى سفِينَتِهِ أو يُلْقُونَه بسَفِينَةٍ أُخْرَى أو سَبَحُوا إليه فاسْتَنْقَذُوهُ وإلا قد انْبَهَر (اختنق) وبَقِيَ. وله إذا خَرَج صَيْحَةٌ للتَّنَفُّسِ علَى قَدْرِ إبْطَائِهِ والشَّدَّةِ عَلَيْهِ أو السهولةِ، فيستريحُ قليلًا ثم يرجعُ إلَى غَوْصِهِ.

* * * * * *

ويغوصُ في اليومِ ثلاثَ غَوْصَاتٍ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ انْتِصَافِ النَّهَارِ ولَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا إلا تَمرَاتٍ، فإذا خرَجَ من غَوْصِهِ طَعِم. وأكْلُهم السَّمَكُ الْمَالِحُ والطريّ والتَّمْرُ، وربّما نالُوا الْخُبْزَ القلِيلَ. فإذا فَرَغُوا من غَوْصِهِمْ أخذُوا في شِقّ الصدَفِ، فما خرجَ من شيءٍ دفَعُوه إلى الأمينِ. ويموتُ الصدفُ في السفينةِ إذا خرَجَ من الماءِ، فإذا مات انشقَّ فُوهُ وانفتحَ فَسَهُلَ شَقُّهُ، وإذا كانَ حيّا اشْتَدَّ شَقُّهُ.

* * * * * *

ومرجعُهم إلى مَوْضِعِ الجهازِ فيما بَيْنَ ثلاثةِ أيَّامٍ إلى أربعينَ يوْمًا على قَدْرِ قُرْبِ الْمَغَاصِ وبُعْدِهِ، يتردَّدُون لهذِه ويغُوصون علَى طريقَتِهم في ذَهَابِهِمْ وجيئَتِهِمْ، الغوصةَ بَعْدَ الغَوْصَةِ، فربَّمَا أصابُوا في بعضِ الغَوْصَاتِ الصدفةَ فيها الحبةُ الفائقةُ النادرةُ، وربّما اتّفَقَ منْهُم الاثْنَانِ والثلاثةُ في قرارِ الْبَحْرِ فيَقْتَتِلُونَ على الصَّدَفِ في الْمَاءِ.

وفي البحْرِ سَمَكٌ معروفٌ (يبدو أنه سمك القرش)، فربَّما ضربَ الغائصَ فيَقُدُّه باثْنَتَيْنِ، ورُبَّما ابْتَلَعَهُ. ومواضعُ السَّمَكِ معروفَةٌ، فلَهُمْ إذا صَارُوا في قرارِ الْبَحْرِ نُبَاحٌ مثْل نُبَاحِ الْكَلْبِ يَفِرُّ مِنْهُ السَّمَكُ، وإذا نَجَا أَحَدُهُمْ بَادَرَ لِلْخُرُوجِ وتَرَكَ الحَجَرَ مَوْضِعَهُ.

التدريبات

١ ـ لاحظ التعبيرات التالية :

- أخذ بأسباب العلوم : أحاط بها.
- يجتمع إليه (تلاميذ كثيرون) : يلتفون حوله.
- العلوم التجريبية : العلوم التي يقوم منهجها على التجربة.
- يعد الغائص في الغاصة : يعترف به خبيرا في الغوص.
- الدرة اليتيمة : التي لا نظير لها وكأنها الأولى من نوعها.
- كان يقف بحضرة السلطان : أمامه أو في مجلسه.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ في أي قرن هجري وميلادي عاش ابن ماسويه ؟
٢ ـ ما الصفة التي اشتهر بها في عصره ؟ وما أهم مؤلفاته ؟
٣ ـ بم كان يشتغل أبوه ؟
٤ ـ من هم الخلفاء الذين خدمهم يحيى بن ماسويه ؟
٥ ـ من أبرز العلماء العرب الذين اشتغلوا بالعلوم التجريبية (من النص) ؟
٦ ـ ما أهم العلوم التي اشتغل بها العلماء في عصر ابن ماسويه ؟
٧ ـ ما أهم المعلومات التي اشتمل عليها كتاب ابن ماسويه ؟
٨ ـ لماذا خلا كتاب ابن ماسويه من التأثيرات الطبية والمنافع الصحية التي كانت تنسب إلى الأحجار الكريمة ؟
٩ ـ ما الفرق بين البلبل والصدف ؟
١٠ ـ متى يفسد اللؤلؤ ؟
١١ ـ كم رجلا يكونون على سفينة الغوص ؟
١٢ ـ كيف كان يوزع العمل على الرجال في سفينة الغوص ؟
١٣ ـ ماذا يفعل الغائص إذا ضل عن موضعه ؟
١٤ ـ كم غوصة يقوم بها الغائص في اليوم ؟
١٥ ـ ما الأخطار التي يتعرض لها الغواصون على اللؤلؤ ؟
١٦ ـ ماذا يفعل الغاصة إذا هاجمهم السمك ؟
١٧ ـ متى يعد الرجل في الغواصين ؟

٣ ـ صواب أم خطأ :

١ ـ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر من تأليف أبي زكرياء يحيى بن ماسويه.
٢ ـ يعتمد أسلوب ابن ماسويه على الإيجاز الشديد.

٣ ـ حفل كتاب ابن ماسويه بالقصص والأبيات الشعرية المتصلة بالجواهر.
٤ ـ يتبع كتاب ابن ماسويه في تأليفه النزعة العلمية المجردة.
٥ ـ يتكون اللؤلؤ من حيوان يعيش داخل الأصداف.
٦ ـ أحسن اللؤلؤ هو الذي يكون ملتصقا باللحم الأسود.
٧ ـ يكون البلبل كبيرا إذا ما كانت أمطار السنة في أولها.
٨ ـ كلما عمق الغوص كان صعبا وأكثر لإفادته.
٩ ـ أحيانا يتقاتل الغواصون على الصدف في الماء.
١٠ ـ الدرة اللؤلؤة التي تلي الفم.
١١ ـ لا بد أن يأكل الغائص جيدا قبل أن ينزل الماء.
١٢ ـ لا يغوص الغائص إلا غوصة واحدة في اليوم.
١٣ ـ المبتدئون في الغوص هم الذين يصيدون « البلبل ».
١٤ ـ لؤلؤ الأذن يكون في الأذنين معا.

٤ ـ إملأ الفراغات بالتكملة المناسبة في الجمل الآتية :

١ ـ إذا دخل ماء البحر إلى الدر فإنه .... لونه.
أ ـ يحمر　　ب ـ يصفر　　ج ـ يخضر

٢ ـ كلما كثر عدد الدر في الصدف كان .... جسما.
أ ـ أكبر　　ب ـ أصغر　　ج ـ أحسن

٣ ـ كتاب الجواهر وصفاتها كتاب في ....
أ ـ الفلك　　ب ـ الطب　　ج ـ الأحجار الثمينة

٤ ـ ألف .... كتاب الجماهر في معرفة الجواهر.
أ ـ يحيى بن ماسويه　　ب ـ يعقوب الكندي　　ج ـ أبو الريحان البيروني

٥ ـ كان يحيى بن ماسويه .... رؤوس الخلفاء ومعه الأدوية الهاضمة.
أ ـ يقعد　　ب ـ يقف　　ج ـ يجلس

٦ ـ أكثر غوص البحر على .... قامة من قامة الرجل.
أ ـ أربع عشرة　　ب ـ عشرين　　ج ـ خمس عشرة

٧ ـ ربما اتفق غائصان أو ثلاثة في قرار البحر .... على الصدف في الماء.
أ ـ فيقتسمون　　ب ـ فيقتتلون　　ج ـ فيصطادون

٨ ـ كان من صفات ابن ماسويه أنه .... الملوك والخلفاء
أ ـ مطرب　　ب ـ طبيب　　ج ـ بيطري

٥ ـ ضع كل عبارة مما يأتي في المواضع المناسبة من الجمل الآتية :

فضلا عن ـ وبخاصة ـ وخاصة ـ يجتمع إليه ـ أخذ بأسباب ـ بحضرة.

> تذكر أن الاسم بعد (بخاصة) يكون مرفوعا، وبعد (خاصة) يكون منصوبا.

١ ـ كان ابن سينا شاعرا وطبيبا .... كونه فيلسوفا.
٢ ـ كان الجلوس .... الخلفاء يحتاج إلى مؤهلات مخصوصة.
٣ ـ كان ابن ماسويه بارعا في علوم الطب .... علم التشريح.
٤ ـ لم يهتم أحد بتسجيل تاريخ ميلاد الناس قديما .... غير العلماء والحكام.
٥ ـ كان القرن الرابع الهجري قمة الحضارة الاسلامية لأنه .... العلم.
٦ ـ كان كل عالم مشهوز .... تلاميذ كثيرون يأخذون عنه.
٧ ـ أحب قراءة الأدب .... الشعر العربي القديم.
٨ ـ من .... العلم ناله.
٩ ـ كتب ابن ماسويه مهمة .... كتابه في الجواهر.

٦ ـ **هات النسب والمنسوب إليه في كل نسب مما في الجمل الآتية :**

١ ـ كان أبو زكريا يحيى بن ماسويه الخوزي كبير أطباء الخلفاء العباسيين في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي.

٢ ـ جعل الخليفة المأمون يحيى بن ماسويه أمينا على ترجمة الكتب الإغريقية القديمة.

٣ ـ كان الخلفاء يتناولون المواد الهاضمة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء مع أطعمتهم.

٤ ـ تعاونت جهود الكيمائيين وجهود الباحثين عن الأحجار الكريمة وجهود الأطباء والصيادلة المهتمين بما ينسب إليها من منافع طبية علاجية فكونت علما بذاته.

٥ ـ ألف العالم الموسوعي الكبير أبو الريحان البيروني كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » وألف عمر بن الوردي الحموي كتاب « جريدة العجائب وفريدة الغرائب ».

٧ ـ **حوّل كل جملة مما يأتي كما في (أ) و (ب) :**

أ ـ نشأ يحيى **نابها مثقفا**. (حال مفرد)
ب ـ نشأ يحيى وهو **نابه مثقف** (حال جملة)

١ ـ ظهر نبوغ يحيى **صغيرا**.
....
....

٢ ـ كان التلاميذ يجتمعون إلى العلماء **راغبين في العلم**.
....
....

٣ ـ اشتغل العرب بالعلم **مخلصين** لخدمته.
....
....

٤ ـ جاء كتاب ابن ماسويه **خلوا** من التأثيرات الطبية والمنافع الصحية.
....
....

٥ ـ ينحدر الغائص في الماء إلى قرار البحر عريانـا.

....

....

لاحظ التركيب التالي :

إذا كان الثامنَ عشَرَ من شهر ابريل خرجت الأصداف من قعور البحار.

١ ـ **كان** : في مثل هذا التركيب تعني **حدث**، أو **جاء**، أو **وقع**. وهي لا تحتاج إلى خبر وتسمى هنا : « كان التامة ».

ـ **كان التامة** : تختلف عن كان التي تحتاج إلى اسم وخبر (والتي تسمى كان الناقصة) مثل : كان الثامن عشر من ابريل يوما خرجت فيه الأصداف من البحر.

٢ ـ **الثامن عشر** : عدد مركب من كلمتين، وهو مبني على فتح الجزأين أي أنه يكون بالفتحة دائما وفي جميع المواضع (كما هو هنا) ومثله : الحادي عشر؛ والثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر، والتاسع عشر.

ـ أيضا تبنى الأعداد التالية على فتح الجزأين : أحَدَ عشرَ (إحدى عشرةَ)، ثلاثةَ عشرَ (ثلاثَ عشرةَ)، أربعةَ عشرَ (أربعَ عشرةَ)، خمسةَ عشرَ (خمسَ عشرةَ)، ستةَ عشرَ (ستَ عشرةَ)، سبعةَ عشرَ (سبعَ عشرةَ)، ثمانيةَ عشرَ (ثمانيَ عشرةَ)، تسعةَ عشرَ (تسعَ عشرةَ).

ـ اثنَا عشرَ واثنَتَا عشرةَ : الجزء الأول فيهما يكون مثل المثنى والجزء الثاني مبني على الفتح.

٨ ـ أكمل الجمل الآتية بحيث تكون (كان) فيها تامة :

مثال : إذا كان الشتاءُ اشتدت برودة الجو.

١ ـ إذا كان .... صام المسلمون.
٢ ـ لما كانت غرة المحرم ....
٣ ـ حيث يكون اللؤلؤ ....
٤ ـ ولما كان .... قصد ابن بطوطة مكة لأداء الحج.
٥ ـ متى كان .... انتهى يوم الغواصين على اللؤلؤ.
٦ ـ حيث يكون القِلِيب ....

قارن بين التراكيب التالية :

١ ـ كتاب ابن ماسويه في الجواهر وصفاتها دليل على تعدد اهتماماته.
٢ ـ ما كتاب ابن ماسوية في الجواهر وصفاتها إلا دليل على تعدد اهتماماته.
٣ ـ إنما كتاب ابن ماسويه في الجواهر وصفاتها دليل على تعدّد اهتماماته.

- الجملتان رقم ٢ و ٣ نوع مما يسمى **أسلوب الحصر** في اللغة العربية.
- في الجملة رقم ٢ **أداة الحصر** مكونة من : **ما** (..............) إلا (..............)
وفي الجملة رقم ٣ **أداة الحصر** هي : إنما (..............)   (..............)
- في الجملة رقم ٢ يمكن أن يحل محل **ما النافية** أدوات نفي أخرى مثل، **ليس** أو أدوات استفهام وهي التي تفيد الاستنكار أو النفي مثال « هل هذا إلا بشر مثلكم ؟! » أي ليس هذا إلا بشر مثلكم.

٩ ـ حوّل الجمل فيما يأتي إلى أسلوب حصر مستخدما النفي و « إلا » أو « إنما » :

١ ـ تزداد حرارة الجو في شهر أغسطس في مصر.
٢ ـ يصيد اللؤلؤ القادرون على الغوص في عمق البحر.
٣ ـ تعتمد الزراعة في مصر على نهر النيل.
٤ ـ توجد آثار البابليين في العراق.
٥ ـ أدى استغلال الموارد الطبيعية في العالم العربي إلى ارتفاع مستوى المعيشة.
٦ ـ الدعوة الإسلامية أكبر الأحداث في تاريخ العرب.
٧ ـ تحتوي صادرات السعودية على كميات كبيرة جدا من النفط.
٨ ـ الأديان العالمية الثلاثة ظهرت في الشرق الأوسط.

١٠ ـ استخدم ما يأتي في جمل مفيدة :

تارة... وتارة ـ أما.... وأما.... ـ السادس عشرَ ـ فضلا عن ـ الأحجار الكريمة ـ صيد اللؤلؤ ـ لو أن ـ حيث يكون ـ إنما ..... ـ ليس ...... إلا ـ سبعة عشر.

لاحظ هذه الكلمات :

أ ـ منافع ـ جواهر ـ لآلئ ـ مواطن ـ خصائص ـ مواضع
ب ـ جماهير ـ أساليب ـ مثاقيل ـ مواعيد ـ عناقيد.

- الكلمات الموجودة في « أ » هي صيغ جمع تكسير على وزن (مَفَاعِل)
والكلمات الموجودة في « ب » هي صيغ جمع تكسير على وزن مَفَاعِيل.
- كل جمع يكون على صيغة « مَفَاعل » أو « مفاعيل » يعرف بأنه على صيغة **منتهى الجموع**، والمقصود به كل جمع ثالثه ألف بعدها حرفان أولهما مكسور، أو ثلاثة وسطها ساكن.
- إذا كان الاسم على صيغة منتهى الجموع، مُنِعَ من الصَّرْف فلا ينوّن، ويُجَرّ بالفتحة بدلا من الكسرة ـ مثل : تَزِنُ الدُّرَّة ما بين دانق إلى خمسة **مَثَاقِيلَ**.
- الاسم الممنوع من الصرف إذا دخلت عليه (ال) أو إذا كان مضافا جر بالكسرة مثل :
  - اهتم كتاب ابن ماسويه بصفة **الجواهرِ** والغواصين عليها.
  - لم يهتم الصيادلة **بمنافعِ** الجواهرِ المنسوبة إليها.

١١ ـ ضع كل اسم مما يأتي في موضعه الملائم مع ضبط آخره ضبطا صحيحا :

حقائق ـ منافع ـ عناقيد ـ جرائد ـ عجائب الآثار ـ كنائس ـ مساجد ـ مواثيق ـ معاهد العلم ـ عصافير ـ بلابل.

١ ـ نشر هذا الخبر في .... كثيرة.

٢ ـ للأحجار الكريمة .... متعددة فضلا عن التزين بها.

٣ ـ عرفنا .... كثيرة عن اللؤلؤ وصيده.

٤ ـ في اللؤلؤ .... وأصداف، وكلاهما يختلف عن الآخر.

٥ ـ تتجمع حبات العنب في .... جميلة.

٦ ـ زرنا الأقصر فوجدنا فيها من .... ما أدهشنا.

٧ ـ اتفقت الأمم المتحدة على .... معينة تحترمها كل دولة.

٨ ـ تدرس اللغة العربية الآن في بعض .... في أنحاء العالم.

٩ ـ عند باعة الطيور عثرت على .... جميلة.

١٠ ـ تقوم في القاهرة دور العبادة المختلفة من .... جنبا إلى جنب.

١١ ـ صف الطريقة القديمة للغوص على اللؤلؤ والأخطار التي كان يتعرض لها الغاصة بعبارتك.

مـن الـشـعـر الـعـربـي (٤)

الأَعْشى في الغَوْص على اللؤلؤ
(من بحر الكامل)

اقـرأ واحـفـظ

كجُمَانةِ الْبحريّ جاءَ بها	غَوَّاصُها من لُجّةِ الْبَحْرِ
صُلْبُ الفُؤادِ رئيسُ أربعةٍ	مُتخالفي الألْوانِ والنَّجْرِ
فتنازَعُوا حتّى إذا اجْتمعُوا	أَلْقَوْا إليْه مَقالِدَ الأمْرِ
وَعلَتْ بهِمْ سَجْحاءُ خادِمَةٌ	تَهْوي بِهِمْ في لُجّةِ الْبَحْرِ
حتّى إذا ما ساءَ ظَنُّهُمُ	ومَضى بِهِمْ شَهْرٌ إلى شَهْرِ
أَلْقَى مَراسِيَهُ بِتَهْلُكَةٍ	ثَبَتَتْ مَراسِيها فما تَجْري
فانْصَبَّ أَسْقَفُ رأْسُه لِبَدٌ	نُزِعَتْ رَباعِيتاهُ للصَّبْرِ
أَشْغَى يَمُجُّ الزيتَ مُلتمِسٌ	ظَمآنُ مُلتهِبٌ من الفَقْرِ
قَتَلَتْ أباهُ فقالَ أَتْبَعُهُ	أو أَستفيدُ رغيبَةَ الدَّهْرِ
نَصَفَ النهارُ الماءُ غامِرُهُ	وشَريكُهُ بالْغَيْبِ ما يَدْري
فأَصابَ مُنْيَتَهُ فجاءَ بها	صَدَفيَّةً كَمُضيئةِ الْجَمْرِ
يُعْطَى بها ثَمَنًا ويَمْنَعُها	ويقولُ صاحِبُهُ ألا تَشْري!
وتَرَى الشَّوارِيَ يَسْجُدونَ لها	ويَضُمُّها بيَدَيْهِ لِلنَّحْرِ

الشاعر : الأعشى شاعر جاهلي غزير الشعر، وهو أحد أصحاب المعلقات (أنظر كلاما عنها في المقطوعة المختارة من طرفة بن العبد) ويسمى « صناجة العرب » (أي قيثارة الشعر) لأن شعره كان حلوا جدا. مات سنة ٨ هـ (٦٢٩ م). تنسب القصيدة أيضا إلى المسيب بن علس خال الأعشى.

شروح : **الجُمانة** : حبة من الفضة على شكل الدرة ـ **لُجّة البحر** : عمق البحر ـ **صَلْب الفؤاد** : قوي القلب ـ **النَّجر** : الأصل ـ **ألقوا إليه مقاليد الأمر** : سلموه شؤون القيادة ـ **السَّجْحاء** : في أصل اللغة هي الناقة (وأراد بها هنا السفينة) ـ **انصب** : رمى بنفسه في البحر ـ **أسْقف** : طويل منحن ـ **رأس لبد** : متلبد الشعر ـ **نُزعت رَباعِيتاه** : مُثنّى رَباعية والرَّباعية من الأسنان هي المتوسطة بين الناب والسّن الأمامية. وقد نزعت (أي خُلِعت الرباعيتان) ـ **للصَّبْرِ** : ليطول صَبْرُه تحت الماء ـ **أشغى** : متخالف الأسنان ـ **رَغيبَة الدهر** : فرصة العمر ـ **مُنْيَته** : هدفه ـ **الجَمْر** : قطع النار المتوهجة ـ **ألا تشْرِي** : ألا تبيع (إلحاح في طلب الشراء) ـ **الشواري** : الحريصون على الشراء ـ **النحر** : الرقبة (وذلك حرصا عليها).

الدرس السادس

محمد بن سحنون يؤلف في :

أصول التربية الإسلامية

التعليم من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي؛ فأول كلمة على الإطلاق نزلت من القرآن كانت كلمة اقرأ. وفي أول معركة انتصر فيها المسلمون على كفار قريش (وهي غزوة بدر) اشترط المسلمون لتحرير أسرى قريش أن يعلّم كل من يستطيع الكتابة من هؤلاء الأسرى عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة. والكتاب الذي معنا هو أقدم وثيقة معروفة تسجل لنا الأسس التربوية التي قام عليها تعليم الأطفال المسلمين منذ أول العصر الإسلامي.

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- هو محمد بن سحنون، واسمه عبد السلام بن سعيد حبيب التنوخي، وأبوه سحنون بن سعيد بن حبيب بن ربيعة التنوخي، الفقيه المشهور صاحب « المدونة » وهو كتاب مشهور يعتمد عليه الدارسون في الفقه المالكي.
- ولد محمد بن سحنون بالقيروان سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧ م) وتوفي سنة ٢٥٦ هـ (٨٦٩ م).
- نظرا لشهرة أبيه فإنه لا يختلف أحد في مولده ولا في تربيته وتعليمه تحت رعاية والده، والذي توسم فيه منذ الصغر ذكاء فطريا واستعدادا واضحا للعلم.
- كان والده يقول لمعلمه « لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف، فإني أرجو أن يكون نسيج وحده، وفريد أهل زمانه وأخاف أن يكون عمره قصيرا ».

- بعد أن حفظ القرآن وتعلم العلوم الضرورية انتقل إلى الدراسة العالية، **فسمع من أبيه**، وتفقه على يديه، وكان يناظره في شتى المسائل العلمية.

- كان الناس يدرسون عليه بعض كتب أبيه في حياته، فإذا دخل أبوه على المجلس تنحى الابن وقعد مع الناس يسمع معهم من أبيه.

- ألف بعض كتبه في حياة أبيه، وكان ـ بالإضافة إلى اهتمامه بالبحث العلمي والتأليف ـ مواظبا على التدريس ونشر العلم بجامع عقبة بن نافع بالقيروان وفي داره، وخاصة بعد وفاة أبيه عام ٢٤٠ هـ (٨٥٤ م). فقد أخذ محل أبيه الراحل فأصبحت القيروان مقصد الطلاب من كل ناحية.

- كان ابن سحنون حجة في تفسير القرآن وإماما في الفقه، وعالما بالحديث والتاريخ والعقيدة والمناظرة والطبقات (تاريخ المشاهير في العلوم الإسلامية) والسير (تاريخ حياة النبي وصحابته والدعوة الإسلامية) وقد ألف في جميع فنون العلم كتبا كثيرة تصل إلى مائتي كتاب منها : « كتاب التاريخ » في ٦ أجزاء، و« طبقات العلماء » في ٧ أجزاء، و« تفسير الموطأ » (موطأ الإمام مالك بن أنس في الحديث النبوي) في ٤ أجزاء، و« مسائل الجهاد » في ٢٠ جزءا، و« كتاب الأشربة » (الأحكام المتعلقة بشرب الخمر) في ٣ أجزاء و« كتاب الإمامة ». ولما وصل هذا الكتاب إلى بغداد كتب بالذهب وأهدي إلى الخليفة.

- صحت مخاوف والده فمات ابن سحنون وعمره ٥٤ عاما فقط وذلك سنة ٢٥٦ هـ (٨٦٩ م) ولما خرج الناس لدفنه أغلقت الكتاتيب (جمع كتّاب وهي مدارس يحفظ فيها التلاميذ القرآن) والحوانيت من أجله، وصلى عليه أمير البلاد ابراهيم بن أحمد بن الأغلب بنفسه. وضربت على قبره قبة (خيمة كبيرة) وضربت الأخبية (الخيام) حول قبره وأقام الناس فيها شهورا كثيرة، حتى قامت الأسواق والبيع والشراء حول قبره نحوا من سنة. فخاف من ذلك الأمير ابن الأغلب، فبعث إلى ابن عم لابن سحنون ففرق الناس. ويقال إن الناس لم يفرقهم إلا هجوم الشتاء.

عن الكتاب :

عنوان هذا الكتاب « آداب المعلمين... »

- ألف الكتاب في أوائل القرن الثالث الهجري (أوائل التاسع الميلادي) وهو من الكتب الرائدة (التي سبقت غيرها) في التربية والتعليم، بل هو أقدم كتاب معروف لنا يبحث في أصول التربية الإسلامية.

- يقدم محمد بن سحنون في كتابه الأسس التربوية التي نصت عليها تعاليم الدين الإسلامي، أو أخلاقيات التعليم من وجهة نظر المبادئ الإسلامية، وخاصة ما ورد منها في الأحاديث النبوية، وما يرويه العلماء من أقوال الصحابة والتابعين. ولا يذكر آراءه الشخصية على الإطلاق، وعلى هذا فالكتاب وثيقة هامة تسجل الأوضاع التي كانت عليها المدارس الإسلامية (أو الكتاتيب) في عصر صدر الإسلام (عصر النبي والخلفاء الراشدين) والعصر الأموي على وجه الخصوص.

- يتحدث الكتاب عن ضرورة تعليم القرآن الكريم، وضرورة أن يكون هناك معلمون يعلمون الأطفال، ويقرر أن التعليم، مهمة أخلاقية في المقام الأول، ويذكر أن الأجر الذي يتناوله المعلم ليس عوضا عن مجهوده من حيث المبدأ، ولكنه مورد رزق له. أما التعليم ذاته فلا يقابل بالمال.

- يقرر الكتاب أيضا ضرورة المساواة بين الأطفال داخل المدرسة لا فرق بين أولاد الفقراء وأولاد الأغنياء.

- ينظم الكتاب أيام العمل وأوقاته وأيام العطلات، ومتى يجوز للمعلم أن يأذن للأطفال في العودة إلى منازلهم.
- ينهى الكتاب عن استخدام الأطفال في قضاء حوائج المعلم، أو الذهاب لاستدعاء الأطفال الغائبين وغير ذلك مما يضيع وقت الطفل ويبعده عن التعليم.

- كذلك يبين الكتاب القواعد التي ينبغي اتباعها عند توقيع العقاب البدني على الأطفال. ويبين أنواع الأخطاء، ودرجة العقوبة المسموح بها لكل نوع، والأعضاء التي لا يجوز توجيه الضربات إليها. ويبين بالتفصيل حدود مسؤولية المعلم عن الأضرار البدنية التي قد يلحقها بالطفل.
- كذلك يذكر الكتاب أنواع المواد الدراسية التي **يجب أن يتعلمها** الأطفال، والمواد التي **يستحب** لهم أن يتعلموها، والمواد التي **يجوز** لهم أن يتعلموها، والمواد التي **يكره** لهم أن يتعلموها.
- ويؤكد الكتاب على ضرورة انصراف المعلم إلى تعليم الأطفال بنفسه، ويقرر أنه من الجائز أن يسمح للأطفال أن يُمليَ بعضهم بعضا بشرط أن يكون في ذلك فائدة لهم.
- وأخيرا فالكتاب يبين الأخلاقيات الإسلامية للتعليم، كما تقررها الأحاديث النبوية والنصوص الدينية الموثقة.
- طبع الكتاب في الجزائر عام ١٩٦٩ م بتحقيق ودراسة الدكتور محمود عبد المولى.

عـن الـنـص :

- النص الذي معنا هنا مأخوذ من أماكن متفرقة من كتاب « آداب المعلمين »، وقد وضعت نقاط تبين الأماكن التي حذف فيها أجزاء من النص الكامل.
- يبدأ النص بحديث نبوي عن أفضلية تعليم القرآن وتعلمه، ثم يبين أفضل الأعمار للتعلم : فكلما كان الإنسان صغير السن كلما كان التعلم أسرع وأكثر ثباتا.
- ثم ينتقل النص لبيان ضرورة وجود معلمين يعلمون الأطفال، وإلا ذهب العلم والتراث الإنساني.
- ويبين النص أن أجر المعلم هو لمعيشته وليس للتعلم ذاته، لأن التعليم في الإسلام عمل أخلاقي لا يجوز للإنسان أن يتلقى عليه أجرا.
- ثم يتناول ابن سحنون قضية هامة جدا وهي ضرورة التسوية بين أولاد الفقراء وأولاد الأغنياء في داخل المدرسة، لأهمية ذلك بالنسبة لنفسية الأطفال.
- ثم ينتقل ابن سحنون ليعالج مسألة تأديب الأطفال وضربهم، ويبين أن استخدام القسوة حرام، وأن الضرب ينبغي أن يتبع نظاما واضحا : فالضرب يجون على عدم حفظ القرآن وعلى سوء الأدب، ولكن الضرب على عدم الحفظ ينبغي أن لا يتجاوز ثلاث ضربات حتى لا يكره الطفل القرآن، كما أن الضرب يكون في أماكن معينة من الجسم، ولا يشمل الرأس أو الوجه.
- ثم يبين أن المعلم لا يجوز أن يطلب من الأطفال شيئا فوق الأجرة. ولا يجوز له أن يرغم الأطفال على إعطائه هدايا، فكل هذا عند الله حرام !
- وتأتي بعد ذلك مسألة الإجازات والأعياد وأوقات الدراسة، فيبين ابن سحنون تعاليم الإسلام في كل هذا.
- ثم يتناول قضية التعليم ذاتها، فيقرر أن على المعلم أن يعلم الأطفال بنفسه إلا في حالات محددة بينها ابن سحنون.
- ويتناول المؤلف مسألة هامة جدا هي وجوب تفرغ المعلم لمهمة تعليم الأطفال : فيقرر أن الاسلام يوجب على المعلم أن يجلس مع الأطفال ويعلمهم طول الوقت، ولا يجوز له أن يتحدث مع آخرين، ولا ينشغل بالتاليف أو ينسخ الكتب أو يغيب عنهم حتى لزيارة المرضى أو للسير في الجنازات.
- ويحدد الكتاب الموضوعات التي يعلمها المعلم للأطفال، ويبين درجاتها في القبول من وجهة نظر الدين الاسلامي. فإلى جانب تعليم القرآن ينبغي أن يعلمهم الحساب والشعر، وقواعد اللغة العربية، والخط والألفاظ اللغوية، والقراءة الحسنة، والخطابة.



لا بدّ للناس من معلم يعلم أولادهم ولولا ذلك لكان الناس أميين.

- وفي الوقت ذاته يرى ابن سحنون أنه لا ينبغي للمعلم أن يعلمهم الغناء في قراءة القرآن.
- ويذكر النص أيضا أن على المعلم أن يأمر الأطفال بأداء الصلاة.
- وأخيرا ينتهي النص علد قضية هامة يكثر ظهورها في مدارس الأطفال وهي اعتداء الأطفال على بعضهم البعض. كيف يتولى الحكم فيها ؟ وهل يأخذ بشهادة المعتدى عليه ؟ أم بشهادة جمع من الأطفال ؟

النــــص

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ قَالَ : « أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وعَلَّمَهُ ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآن فِي شَبِيبَتِهِ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ ودَمِهِ، وَمَنْ تَعَلَّمَهُ في كِبَرِهِ وهُوَ يَتَفَلَّتُ مِنْهُ (أي يهرب منه) ولا يَتْرُكه (أي لا يترك تعلمه) فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ».

(..)

وَحَدَّثُونَا عن سُفْيانَ الثَّوْرِيّ، عَنْ علاءِ بْنِ السَّائِبِ : قالَ : قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ : ثَلاثٌ لَا بُدَّ للنَّاسِ مِنْهُم : « لا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ يحكمُ بَيْنَهُمْ ولَوْلا ذلكَ لأكَلَ بعضُهم بعْضًا، ولا بدَّ لَهم مِنْ شِرَاءِ الْمَصَاحِفِ وبَيْعِها ولولا ذَلِكَ لقلّ كتابُ اللَّهِ، ولا بـدَّ للناسِ من مُعلِّمٍ يُعلِّمُ أولادهُمْ، ويأْخُذُ على ذَلِك أجرًا، ولوْلا ذلك لكان النّاسُ أُمِّيِّين ».

(..)

وعَن ابْنِ وَهْبٍ، وعن ابن جُرَيْجٍ قالَ : قلتُ لعطاءٍ : **أَأَخْذُ الأجْرِ عَنْ تَعْلِيمِ الكتابِ (القرآن) ؟ أَعَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا كَرِهَهُ ؟ قَالَ : لَا.**

(..)

وقال مَالِكٌ : « لَا بَأسَ بِمَا يَأْخُذُ المعلِّمُ عَلَى تَعْلِيمِ القرْآنِ وإِنِ اشْترط شيئًا كان لهُ حـلالًا جائِـزًا ».

(..)

حَدَّثَنَا آدمُ بْنُ بهْرَامَ بْنِ إيَاسٍ، عَن الرَّبِيـعِ، عَنْ صبيحٍ عَنْ أنس بْنِ مَالِكٍ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم : « أَيُّمَا مُؤَدِّبٍ ولِي ثلاثة صِبْيَةٍ مِنْ هذِهِ الأمَةِ فلَمْ يُعلِّمْهُمْ بِالسَّوِيَّة، فقيرهمْ مع غنيِّهِمْ، وغنيَّهم معَ فقيرِهِمْ، حُشِرَ يومَ القِيامَةِ معَ الخَائِنِينَ ».

(..)

عنْ عُبيْدِ بْنِ إسحاقَ، عنْ سَيْفِ بْنِ محمدٍ قال : كنتُ جالسًا عِنْدَ سعْد الخفّاف فجاءه ابنُهُ يبْكِي فقال : يا بُنَيّ، ما يُبْكِيكَ ؟ قال : ضَرَبَنِي المُعلِّمُ. قال : **أَمَا واللَّهِ لأُحَدِّثَنَّكُمُ اليَوْمَ** : حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رسولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ : « **شِرَارُ أُمَّتِي مُعَلِّمُو صِبْيَانِهِمْ، أَقَلُّهُمْ رَحْمَةً لِلْيَتِيمِ وأَغْلَظُهُمْ عَلَى الْمِسْكِينِ** ».

قال محمدٌ وإنّما ذلك لأنّه **يضْرِبُهم إذا غضِبَ، ولَيْسَ على منافِعِهِمْ. ولا بَأْسَ أنْ يضْرِبَهُمْ على مَنافِعِهِمْ، ولَا يجاوزُ** (يزيد عن) **بالأدبِ ثلاثا** (ثلاث ضربات) **إلّا أنْ يَأْذَنَ الأبُ في أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إذا أذى أحدا. ويؤدبُهم عَلَى اللَّعِبِ والبَطَالَةِ ولا يجاوزُ بالأدبِ عَشْرَةً. وأمَّا قراءَةِ القرآنِ فلا يجاوِزُ أَدَبَهُ ثلاثًا.**

(..)

ولا يَحلُّ للمُعَلِّمِ أنْ يُكَلِّفَ الصبيَانَ فَوْقَ أجْرَتِهِ شَيْئًا، مِنْ هَدِيَّة وغَيْرِ ذلك، ولا يسألُهم في ذَلِك، فإنْ أَهْدَوْا إلَيْهِ عَلَى ذلك (أي بَعْدَ أن يطلُب الهَدِيَّة) فهو حَرَامٌ، إلّا أنْ يُهْدُوا إليه مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ؟ إلا أن تكُون المسألَةُ على وَجْهِ المَعْرُوفِ (بدون ضغط)؟ فإنْ لَمْ يفعلُوا فلا يضْرِبْهم في ذلك. وأَيْضًا إنْ كانَ يهدِّدُهُمْ في ذلك فلا يحلُّ لهُ ذلك، لأنَّ التَّخْلِيَة داعيةٌ إلى الْهَدِيَّةِ، وهو مكروهٌ. قلتُ له : (لوالدي سحنون) كَمْ تَرَى أن يَأْذَنَ لَهُمْ : (المعلم للصبيان) في الأَعْيَادِ ؟ قال (عيد) الفطرِ يَوْما وَاحِدًا. ولا بأس أن يأذَنَ لهم ثلاثةَ أيّامٍ، والأضحى ثلاثةَ أيَّامٍ. ولا بأس أن يأذن لهم خَمْسَةَ أيَّامٍ.

قلت : أَفَيُرْسِلُ الصبيَانَ بعضَهم في طلَبِ بَعْضٍ ؟ قال : لا أَرَى ذَلك يجوزُ لَه، إلا أنْ يأذَنَ لَهُ آبَاؤُهُمْ أو أولِيَاءُ الصبيانِ في ذلكَ، أو تكونَ المواضعُ قريبةً لا يشْتَغِلُ (لا يضيع كثير من وقته) الصبيُّ في ذلِكَ. ولْيَتَعَاهدِ الصبيانَ هو بِنَفْسِهِ في وقْتِ انْقِلَابِ الصِّبْيَانِ (انصرافهم من الكتاب) ويخبرْ أولياءَهُمْ أنَّهم لَم يجِيئُوا.

(..)

قالَ : وأَحِبُّ للمعلّمِ أن لا يوليَ أحدا من الصّبيانِ الضربَ، ولا يجعلَ لَهم عريفًا (رئيسا) منْهم، إلا أن يكونَ الصبيُّ قَدْ خَتَمَ وعَرَفَ القرآن (أتمّ حفظ القرآن) وهو مُسْتَغْنٍ عن التّعليم، فلا بأسَ بذلكَ، وأنْ يُعينَهُ (يساعد الصبيُّ المُعَلّمَ في التعليم) فإنَّ ذلكَ منفعةٌ للصّبيِّ، (ولا يحلُّ أن يأمرَ أحدًا أن يعلِّمَ أحدًا مِنْهم إلّا أن يكونَ في ذلك منفعة للصبيّ، فِي تَخْرِيجِهِ (تدريبه) أو يأذنَ والدُه في ذلِك. ولْيَلِ (يتولى) هو ذَلِكَ بنفْسِهِ أو يستأجِرَ مَنْ يُعِينُهُ إذا كَانَ في مثل كَفَالته.

(..)

ولا يحلُّ لِلْمُعَلِّمِ أنْ يَشْتَغِلَ عَنِ الصِّبْيَانِ إلّا أنْ يكونَ في وقْتٍ لا يَعْرِضُهُمْ (يختبر حفظهم) فيهِ فلا بأس أن يتحدَّثَ (إلى الآخرين) وهو في ذلك ينظرُ إليْهم ويَتَفَقَّدُهم (يراقبهم).

(..)

قال : وَلْيَلْزَمِ المعلمُ الاجتهادَ، وليتفرَّغْ لهم، **ولا يجوزُ له الصلاةُ على الجنائزِ إلّا فيما لا بدَّ له منْه مِمَّنْ يلْزَمُه النظرُ في أمْرِهِ (يدخل في مسؤوليته)، لأنَّهُ أَجِيرٌ لَا يَدَعُ عَمَلَهُ. ولا يَتَّبِعُ الجَنَائِزَ، ولا عِيَادَةَ المَرْضَى.**

(..)

ويَنْبَغِي لَهُ أنْ يَجْعَلَ لهم وقْتًا يعلِّمُهم فيه الكَتْبَ ويجعلَهم يتَخَابَرُونَ (ربما كانت : يتحاورون أو يتنافسون) **لأنَّ ذَلِك ممّا يُصلِحُهُمْ ويُخرِّجُهُمْ ويبِيحُ لهمْ أدبَ بَعْضِهِمْ بعْضًا، ولا يُجَاوِزُ ثَلاثًا. ولا يجوزُ له**

أن يَضْرِبَ رَأْسَ الصَّبِيِّ ولا وجهَهُ. ولا يجوزُ له أن يمنعَه منْ طعامِهِ وشرابِهِ إذا أَرْسِلَ وَرَاءَهُ.

(...)

قُلْتُ فهلْ تَرَى للْمُعَلّم أن يكتُبَ لِنفْسِهِ كُتُبَ الفِقْهِ (ينسخ وينقل) ولِغَيْرِهِ ؟ قال : أَمَّا فِي وَقْتِ فَرَاغِهِ مِنَ الصبيانِ فلا بَأْسَ أَنْ يكتُبَ لِنَفْسِهِ وللنَّاس، مِثْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ في الانْقِلَابِ، وأَمَّا ما داموا حولَه فلا. أي لا يجوزُ لَه ذلك. وكيْفَ يجوزُ له أن يَخْرُجَ مِمَّا يَلْزَمُهُ النظرُ فِيه إلَى مَا لَا يَلْزَمُه ؟ ألا تَرَى أنَّه لا يَجُوزُ له أن يُوكِل تَعْلِيمَ بَعْضِهِمْ إلى بَعْضٍ (يترك تعليم بعضهم البعض) فَكَيْفَ يَشْتَغِلُ بِغَيْرِهِمْ؟

(...)

قُلْتُ : فَيَأْذَنُ لِلصَّبِيِّ أنْ يَكْتُبَ لأَحَدٍ كِتَابًا ؟ فقال لَا بَأْسَ بِهِ. وهَذَا مِمَّا يُخَرِّجُ الصَّبِيَّ إذَا كَتَبَ الرَّسَائِلَ ؟ **وَيَنْبَغِي أَنْ يعلّمَهم الحسابَ وليْس ذلك بلازم لَهُ إلّا أَنْ يُشْتَرطَ ذَلك عَلَيه ؟ وكذَلك الشِّعْرُ ؟ والغريبُ ؟ والعربيَّةُ ؟ والخَطُّ ؟ وجَمِيع النَّحْو ؟ (و) هو فِي ذلكَ مُتَطَوِّعٌ. ويَنْبغي لَه أَنْ يعلّمهم إعْرَابَ** القرآن وذلكَ لَازِمٌ لَهُ ؟ والشكلُ والهجاءُ. والخطّ الحَسَنُ ؟ والقراءةُ الحسنةُ ؟ والتَّوقِيتُ والتَّرتِيلُ، يلْزَمُهُ ذَلِك. ولا بأْسَ أن يعلّمَهُمْ الشِّعْرَ مِمَّا لا يكونُ فيه فُحْشٌ (خروج عن الأدب) مِنْ كلامِ العربِ وأَخْبَارِهَا ؟ ولَيْسَ ذلك بواجبٍ عَلَيْهِ.

(...)

وَلا بَأْس أَنْ يُعَلِّمَهُمُ الخُطَبَ إنْ أرادوا. ولا أرى أنْ يُعَلِّمَهُمْ أَلْحَانَ الْقُرْآنِ لأَنَّ مالكًا قَال : لا يجوزُ أن يُقْرَأ بالألْحَانِ. ولَا أَرَى أن يعلِّمَهُمُ التَّحْبِيرَ (النغمات في قراءة القرآن) لأنَّ ذَلكَ داعيةٌ إلى الْغِنَاءِ وهُو مَكْرُوهٌ وأَرَى أَنْ يُنْهَى عن ذَلِكَ بأشَدِّ النَّهْيِ.

(...)

قَالَ سُحْنُون ولا يجوزُ للمعَلّمِ أنْ يُرْسِلَ الصبيانَ في حوائِجِهِ. وَيَنْبَغِي للمُعَلِّمِ أن يَأْمُرَهُمْ بالصَّلَاةِ إذَا كانُوا بَنِي سَبْعِ سِنِينَ، ويضربهُم عليْها إذا كانُوا بَنِي عَشْرَةٍ.

(...)

وسُئِلَ سحنونُ عن المُعلّم : يَأْخُذُ الصِّبْيَانَ بقولِ بَعْضِهم عَلَى بعْضٍ في الأذى ؟ (ادعى أحدهُمْ أنّ غيرهِ أذاه أي أوقعَ به مكروها) قال : ما أرى هذا من ناحيةِ الحُكْمِ (لا يؤخذ هذا دليلا قاطعا)، وإنّما على المُؤدِّب أن يؤدّبهم إذا آذى بعضُهم بعضًا. وذلك عندي إذا استفاضَ عِلْمُ الأذَى من الجماعةِ منْهم (شهد عدد كبير فيهم بما وقع) أو كانَ الاعترافُ (من الجاني)، إلا أن يكونُوا (الذين وقع عليهم الأذى) صبيانًا قدْ عرفَهم بالصِّدْقِ فَيَقْبَلَ قَولَهُمْ ويعاقِبَ على ذلك. ولا يُجاوزُ في الأدبِ كما أعلمتُك ويأمُرهم بالكفِّ عن الأذى، ويرد ما أخذ بعضُهم لبعضٍ. وليْس هو من ناحيةِ القضاء، وكذلك سمعتُ من غيرِ واحدٍ من أصحابِنا. وقد أجيزت شهادتُهم في القَتْل والجِرَاح **فكيْف بهذا** ! واللهُ أعْلَمُ.

التدريبات

١ ـ لاحظ التعبيرات التالية :

- سمع من أبيه : أخذ الحديث النبوي عن أبيه.
- نسيج وحده : على هيئة خاصة به : لا مثيل له.
- فريد أهل زمانه : أحسن أهل عصره.
- ضربوا على قبره قبة : أقاموا فوق قبره خيمة.
- الحرام : ما لا يجوز فعله شرعا (مثل السرقة).
- المكروه : ما يجوز فعله شرعا، ولكن عدم فعله أفضل (مثل الإسراف في الطعام).
- الحلال : المباح الذي يستوي فعله وتركه شرعا (مثل العمل يوم الجمعة).
- المستحب : ما يجوز تركه ولكن فعله أولى شرعا (مثل زيارة المريض).
- الواجب أو الفرض : ما يلزم القيام به شرعا (مثل الصلاة والصوم والزكاة).

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ من هو محمد بن سحنون ؟ ومتى ولد ؟ وأين عاش ؟
٢ ـ ماذا عرفت عن كتاب « المدونة » ؟
٣ ـ لماذا لا يختلف المؤرخون في مولد محمد بن سحنون ؟
٤ ـ ماذا طلب والده من معلمه ؟ وما رأيك في هذا الطلب ؟
٥ ـ ما أشهر كتب ابن سحنون ؟
٦ ـ ما المجالات العلمية التي اشتغل بها ابن سحنون ؟
٧ ـ كم سنة عاشها ابن سحنون ؟
٨ ـ من الأمير الذي صلى عليه ؟ وماذا تفهم من صلاة الأمير عليه ؟
٩ ـ بماذا تفسر إقامة الناس حول قبره بعد موته ؟
١٠ ـ لماذا خاف الأمير من تجمع الناس حول قبره ؟
١١ ـ ماذا تعرف عن كتاب « آداب المعلمين » ؟
١٢ ـ ماذا تفهم من عدم ذكر المؤلف لآرائه الشخصية في كتابه « آداب المعلمين » ؟
١٣ ـ « أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه »، من قائل هذه العبارات ؟ وماذا تفهم منها ؟
١٤ ـ ما معنى أن يختلط القرآن بلحم المتعلم ودمه ؟
١٥ ـ متى يختلط القرآن بلحم المتعلم ودمه ؟
١٦ ـ متى يكون لمتعلم القرآن أجره مرتين ؟
١٧ ـ « لا بد للناس من أمير » علل هذه العبارة ؟
١٨ ـ لماذا كان شراء المصاحف وبيعها ضروريا ؟
١٩ ـ ما الذي يترتب على ترك الناس دون معلم يعلم أولادهم ؟
٢٠ ـ هل يجوز للمعلم أن يأخذ الأجر على تعليم القرآن ؟
٢١ ـ ما رأيك في أخذ الأجر على تعليم القرآن ؟

٢٢ ـ ما جزاء الذي لا يسوي بين المتعلمين ؟
٢٣ ـ لماذا لا يصح وضع الفقراء من المتعلمين في أماكن وحدهم ؟
٢٤ ـ هل يجوز ضرب المتعلم بسبب غير التعليم ؟
٢٥ ـ لماذا وصف المعلمون بأنهم من شرار الأمة ؟
٢٦ ـ هل يجوز ضرب المتعلم من أجل التعليم ؟
٢٧ ـ ما رأيك في ضرب الصبيان من أجل التعليم ؟
٢٨ ـ ما الحد المسموح به في ضرب المتعلم ؟
٢٩ ـ هل هناك فرق بين أن يضرب المتعلم للتقصير في حفظ القرآن وأن يضرب لسوء الأدب ؟
٣٠ ـ ما رأيك في طريقة تأديب المتعلم التي تفهمها من النص ؟
٣١ ـ هل يجوز للمعلم أن يأخذ شيئا من الصبيان فوق أجرته ؟
٣٢ ـ ما حكم من يأخذ فوق أجرته بطلب منه ؟
٣٣ ـ ما حكم ما يأخذه فوق أجرته منهم من غير طلب منه ؟
٣٤ ـ ما المناسبات التي يأذن المعلم فيها للصبيان بالتغيب ؟
٣٥ ـ كم يوما يعطل المعلم الدراسة لعيد الفطر ؟
٣٦ ـ وكم يوما لعيد الأضحى ؟
٣٧ ـ متى يجوز للمعلم أن يرسل بعض الصبيان في طلب بعض ؟
٣٨ ـ ماذا يجب على المعلم في وقت انصراف الصبيان ؟
٣٩ ـ متى يجوز للمعلم أن يجعل للصبيان عريفا ؟
٤٠ ـ هل يجوز للمعلم أن يشتغل عن الصبيان بالحديث مع غيرهم ؟
٤١ ـ هل يجوز للمعلم أن يترك الصبيان للصلاة على الجنائز ؟ ولماذا ؟
٤٢ ـ إذا كان هناك مريض من أقارب المعلم هل يجوز له أن يترك الصبيان لزيارته ؟
٤٣ ـ إذا أرسل أهل الصبي له طعاما فهل يجوز للمعلم أن يمنعه منه ؟
٤٤ ـ هل يجوز للمعلم أن يشتغل عن الصبيان بالقراءة أو نسخ الكتب لنفسه أو لغيره ؟
٤٥ ـ متى يجوز له ذلك ؟
٤٦ ـ هل يسمح المعلم للمتعلم أن ينسخ الكتب لغيره ؟ ولماذا ؟
٤٧ ـ ما العلوم التي ينبغي على المعلم أن يعلمها للصبيان بالإضافة للقرآن ؟
٤٨ ـ هل يجوز أن يعلم الخطب ؟
٤٩ ـ هل يجوز أن يعلمهم ألحان القرآن ؟ ولماذا ؟
٥٠ ـ أرسل المعلم الصبي في حاجة من حوائج المعلم : فهل يجوز له ذلك ؟
٥١ ـ إذا شهد صبي على صبي آخر بما يؤذيه. فهل يأخذ المعلم بقوله ؟
٥٢ ـ ماذا على المعلم إذا آذى بعض الصبيان بعضا ؟
٥٣ ـ هل يؤخذ بشهادة الصبيان في جريمة القتل ؟
٥٤ ـ ما السن التي يأمر الصبيان فيها بالصلاة ؟
٥٥ ـ وما السن التي يضربهم فيها بسبب ترك الصلاة ؟
٥٦ ـ بماذا تستدل على أن التعليم من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي ؟

صواب أو خطأ :

١ ـ أول كلمة نزلت من القرآن هي كلمة « أقرأ ».

٢ ـ المعركة الأولى التي انتصر فيها المسلمون على كفار مكة هي غزوة فتح مكة.
٣ ـ تعليم القراءة والكتابة كان من شروط تحرير أسرى قريش في أول غزوة للمسلمين.
٤ ـ صاحب كتاب « المدونة » هو محمد بن سحنون.
٥ ـ لا يختلف أحد في تاريخ ميلاد ابن سحنون لشهرته في العلم.
٦ ـ كان محمد بن سحنون يعلم في حياة أبيه.
٧ ـ كان محمد بن سحنون يدرس العلم في الجامع الأزهر.
٨ ـ توفي والد ابن سحنون في القرن الثالث الهجري.
٩ ـ مؤلفات ابن سحنون تصل إلى مائتي كتاب.
١٠ ـ كتب كتاب الإمامة بالذهب وأهدى إلى الخليفة في بغداد.
١١ ـ توفي ابن سحنون بعد وفاة والده بست عشرة سنة.
١٢ ـ الأجر الذي يتناوله المعلم عوض عن مجهوده.
١٣ ـ كتاب آداب المعلمين كتاب مهم في أصول الفقه.
١٤ ـ يجوز للمعلم أن يضرب الصبي على وجهه ورأسه.
١٥ ـ من الجائز أن يسمح للأطفال أن يملي بعضهم على بعض.
١٦ ـ الذي يتعلم في شبابه لا ينسى ما تعلمه.
١٧ ـ لا يجوز أخذ الأجر عن تعليم كتاب الله.
١٨ ـ يجب التفريق بين الغني والفقير في التعليم.
١٩ ـ لا يجوز للمعلم أن يضرب متعلم القرآن أكثر من ثلاث.
٢٠ ـ يحل للمعلم أن يطلب هدية من المتعلم.
٢١ ـ لا يصح للمعلم أن يأذن للطلاب أكثر من خمسة أيام في عيد الأضحى.
٢٢ ـ العريف هو الصبي الذي ختم القرآن واستغنى عن التعليم.
٢٣ ـ مطلوب من المعلم أن يترك الطلاب لحضور الجنائز وزيارة المرضى.
٢٤ ـ يجوز للمعلم أن يمنع الصبي من الطعام الذي يرسله له أهله.
٢٥ ـ يجوز للمعلم أن يوكل تعليم بعض الصبيان إلى بعض.
٢٦ ـ يجب على المعلم أن يعلم الطلاب الشعر.
٢٧ ـ ألحان القرآن مما يجب أن يتعلمه الصبيان.
٢٨ ـ غير مسموح للمعلم أن يشغل الطلاب بأموره الخاصة.
٢٩ ـ للمعلم أن يشتغل بتأليف كتب الفقه لنفسه وقت تعليم الصبيان.
٣٠ ـ لا يحل للمعلم أن يطلب من الصبيان شيئا من هدية فوق أجرته.

٤ ـ املأ الفراغ بما يناسب فيما يأتي :

١ ـ من تعلم القرآن .... اختلط القرآن بلحمه ودمه.

أ ـ في شيخوخته　　ب ـ في شبيبته　　ج ـ في كهولته

٢ ـ إذا أخذ المعلم أجرا عن تعليم القرآن فهو ....

أ ـ حلال　　ب ـ حرام　　ج ـ مكروه

٣ ـ لولا شراء المصاحف وبيعها لقل ....

أ ـ أجر المعلمين　　ب ـ كتاب الله　　ج ـ البيع والشراء

٤ ـ إذا لم يعلم المعلم الصبيان .... حشر يوم القيامة مع الخائنين

أ ـ بالسوية ب ـ بالتفرقة ج ـ بالمفاضلة

٥ ـ .... للمعلم أن يضرب الصبيان على منافعهم.

أ ـ لا يجوز ب ـ لا بأس ج ـ لا يحل

٦ ـ لا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق .... شيئا من هدية.

أ ـ قراءته ب ـ عمله ج ـ أجرته

٧ ـ معنى عبارة « لا بأس » هو ....

أ ـ الجواز ب ـ المنع ج ـ الكراهية

٨ ـ .... للمعلم أن يأمر الصبيان بالصلاة إذا كانوا في سن السابعة.

أ ـ يجوز ب ـ ينبغي ج ـ لا يحق

٩ ـ أول معركة كانت بين المسلمين وكفار قريش هي ....

أ ـ فتح مكة ب ـ غزوة الخندق ج ـ غزوة بدر

١٠ ـ يعتمد دارسو الفقه .... على كتاب « المدونة » اعتمادا كبيرا.

أ ـ الحنفي ب ـ الشافعي ج ـ المالكي

لاحظ التركيب التالي :

محمد بن سحنون

في هذا التركيب وقعت كلمة « ابن » بين اسمين الثاني منهما أبو الأول.

في مثل هذه الحالة يجب أن :

١ ـ تحذف « الألف » من كلمة « ابن » فتصبح « بن »، بشرط ألا يصادف مجيئها في أول السطر في الكتابة، فإن ألفها تبقى في هذه الحالة.

٢ ـ يكون الاسم الأول خاليا من التنوين.

أمثلة أخرى : عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، معاوية بن أبي سفيان.

قارن بين العبارتين التاليتين :

١ ـ وليس ذلك واجبا عليه.

٢ ـ وليس ذلك بواجب عليه.

ـ هاتان الجملتان متفقتان في المعنى، ولكن الجملة الثانية فيها نوع من التأكيد لا يوجد في الجملة الأولى.

ـ أداة هذا التأكيد الباء الداخلة على كلمة **واجب** (التي هي أصلا خبر « ليس » ـ من أخوات كان).

ـ هذه « الباء » تدخل على خبر (ليس)، وخبر (ما النافية)، أو خبر (لم يكن) ولكنها لا تغير التركيب الأساسي للجملة.

ـ التأثير الذي تحدثه الباء هو :

- في اللفظ : تجر الاسم الذي تدخل عليه.
- في المعنى : تزيد من قوة النفي المتضمن في الجملة.
- يطلق على هذه « الباء » في كتب النحو العربي « الباء الزائدة » لأنه يمكن حذفها بدون حدوث تغيير في المعنى الأساسي للجملة.
- هناك « حرف جر » آخر يقوم بمثل هذه الوظيفة وهو « مِنْ الزائدة » بشرط أن يكون المجرور بها نكرة، وأن تكون مسبوقة بنفي أو استفهام مثل : ما مِنْ أحدٍ في البيت، وهل من أحدٍ في البيت ؟
- « حروف الجر غير الزائدة » يطلق عليها حروف الجر الأصلية.

٥ ـ **عَيِّن حرف « الجر الزائد »، و« حرف الجر الأصلي » في الآيات القرآنية التالية:**

١ ـ « وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم »
(العُمي : الكفّار)

٢ ـ « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »
(مؤمن لنا : تصدقنا)

٣ ـ « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون »
(محدث : جديد)

٤ ـ « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ».
(لسان : لغة).

٥ ـ « وكفى بربك هاديا ونصيرا ».
(كفى بربك : يكفيك ربك).

٦ ـ « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ».
(معرضين عنها : تاركين لها).

٧ ـ « لستَ عليهم بمسيطر ».
(مسيطر : متحكم).

٨ ـ « منْ عمل صالحا فلنفسهِ ومن أساءَ فعليها وما ربُّك بظلّام للعبيد ».

٩ ـ « أليس الله بكافٍ عبدهُ ».
(كاف عبده : يغنيه عن غيره).

١٠ ـ « أليس الله بعزيز ذو انتقام ».

١١ ـ « وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا »

١٢ ـ « إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ».

١٣ ـ « أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ».

١٤ ـ « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ».

١٥ ـ « أليس الله بأعلم بالشاكرين ».

١٦ ـ « ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ».
(بما قدمت يداك : بما عملت).

١٧ ـ «أليس الله بأحكم الحاكمين».

٦ ـ ألّف الجمل الآتية مستخدما (ليس) مرة و (ما) مرة وهات حرف جر زائدا في الخبر (مع ضبط الاسم والخبر) :

١ ـ أخذ الأجر عن تعليم القرآن حرام.
٢ ـ أخذ الهدية بطلبها من المتعلمين جائز.
٣ ـ ضرب المتعلمين مسموح به.
٤ ـ إجازة عيد الأضحى سبعة أيام.
٥ ـ صلاة الجنازة جائزة للمعلم.
٦ ـ عيادة المرضى محرمة على المعلم في وقت العمل.
٧ ـ ضرب الصبي على وجهه مسموح به.
٨ ـ تعليم الصبيان ألحان القرآن جائز.
٩ ـ إرسال الصبيان في الحوائج جائز.
١٠ ـ تعليم الصبيان بعضهم بعضا مسموح به.
١١ ـ شهادة الصبيان في القتل والجراح مقبولة.

لاحظ الأسلوب التالي :

أَمَا وَاللَّهِ لأُحَدِّثَنَّكُمْ اليَوْمَ :

ـ هذا أسلوب قسم استخدم هنا بغرض جذب الانتباه، والتأكيد على ما سيأتي بعده. وهو يتكون من :

١ ـ أَمَا : ويسميها علماء النحو العربي « **أداة استفتاح** » لأنها يستفتح بها الكلام (أي يبدأ بها الخطاب) عند إرادة إثارة انتباه السامعين. ومثلها في ذلك : « **ألا** ».

٢ ـ جملة قسم، وهي مركبة من :
ـ مُقْسَمٌ به وهو (الله).
ـ أَدَاةُ قَسَمٍ وهي (الواو)، وهِيَ حرف جر وقسم.
ـ مُقْسَمٌ عليه وهو (أحدثنكم اليوم).
ـ لاَمُ القَسَمِ وهي (اللام الداخلة على « أحدثنكم ») للتأكيد.

٣ ـ في الجملة أيضا أداة إضافية لزيادة التأكيد وهي « **نون التوكيد** » اللاحقة بالفعل « **أحدث** ».

٧ ـ أكشف في المعجم عن الكلمات الآتية :

المصاحف ـ الصبيان ـ يتفلت ـ اختلط ـ اشترط ـ الخائنين ـ المسكين ـ التَّخلية.

لاحظ الأسـلـوب الـتـالي :

- وقد أجيزت شهادتهم (الأطفال) في القتل والجراح (الإصابات) **فكيف بهذا** ؟ (شهادة بعضهم على بعض في السلوك).
- هذا نوع من أساليب التعجب، وهو هنا يشتمل على معنى الاستنكار.
- يتكون هذا الأسلوب من عبارتين يصل بينهما التركيب : « **كيف بـ** ... » ومعناه « **فضلا عن** ... » « **فما بالك بـ** ... »
- تجري المقارنة بين العبارة التي ترد قبل « **كيف بـ** ... » والعبارة التي ترد بعدها على أساس أن العبارتين تشتركان في حكم أو صفة واحدة.
- هدف هذه المقارنة بين ما قبل « **كيف بـ** ... » وما بعدها هو البرهنة على أن ما بعد « **كيف بـ** ... » ينطبق عليه الحكم أو الصفة المشتركة أكثر من انطباقه على ما قبل « **كيف بـ** ... ».

٨ ـ أكـمـل الآتـي طبـقـا لـلـنـمـوذج الـسـابـق :

١ ـ عاطفة الأمومة عند الغزالة شملت ولـد الإنسان .... نحـو صـغـار بني جنسها ؟

٢ ـ كان من الممكن لابن بطوطة زيارة الصين فكيف بـ ....

٣ ـ .... فكيف بقطيع الغزلان الذي عاش معه ؟

٤ ـ اتباع العقل يهدي إلى الخالق فكيف بـ .... ؟

٥ ـ .... فكيف بـ .... ؟

٩ ـ اكتب عشرة أسطر في أصول التربية الإسلامية مستخدما فيها : جملا منفية، وأخرى مثبتة وأسلوبا من أساليب الشرط، وآخر من أساليب التعجب.

من الشعر العربي (٥)

اقرأ واحفظ

أبو الحسين الجزار في السخرية من طرق التعليم في عصره
(من بحر الوافر)

قَطَعْتُ شبيبتي وأضعتُ عُمْري	وقد أتعبتُ في الهذيانِ فِكْري
ومالي أجرةٌ فيه ولا لي	إذا ما مِتُّ يومًا بعضُ أجْرِ
قرأتُ النحوَ تبيانًا وفهمًا	إلى أنْ كعتُ فيه وضاقَ صدْري
فما استنبطتُ منه سوى مُحالٍ	يُحالُ به على زيدٍ وعمْرو
وفي علم العروضِ دخلتُ جهلاً	وعُمْتُ بخفتي في كلِّ بحْرِ
فأذكرني به التفعيلُ بيتًا	تضمّن نصفه الشيخُ المعرّي
مُفاعلتنْ مُفاعلتنْ فعولنْ	"حديثُ خرافةٍ يا أمّ عمْرو"

الشاعر : شاعر مملوكي عاش أيام الظاهر بيبرس، واشتهر بالمعابثة والظرف، وكانت مهنته الجزارة. ولد سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) وتوفي سنة ٦٧٩ هـ (١٢٨٠ م).

شروح : **شبيبتي** : شبابي ـ **الهَذَيان** : اللغو، وغير المفيد ـ في هذا البيت جناس بين الأجرة (وهي من الناس)، والأَجْر (وهو من الله) ـ **كُعْت** : غُصْت فيه وصعب التخلص منه، كما تَكِيعُ أرجل الظباء في الرمال فيصعب عليها المشي * في هذا البيت جناس بين مُحَال (ومعناها : مستحيل) ويحال به (أي يشار به). **وعُمت بخفتي في كل بحر** : هنا « تورية » بين البحر الحقيقي وبحر الشعر أي نمطه ووزنه ـ **التفعيل** : تقطيع الأبيات الشعرية إلى أجزاء تسمى التفعيلات. **المعري** : هو الشاعر أبو العلاء المعري ** « **حديث خرافة يا أمّ عمرو** » هذا هو الشطر (نصف البيت) الثاني من بيت مشهور لأبي العلاء المعري وقد اتُّهِمَ بالإلحاد والكفر بسببه. والبيت بأكمله هو :

« حياةٌ ثُمَّ مَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ   حَدِيثُ خُرافَةٍ يا أُمَّ عَمْرُو »

علم العروض :

هو العلم الذي يَدْرُس أوزان الشعر العربي وقد وضعه الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٠ هـ / ٧١٨-٧٨٦ م). وأوزان الشعر العربي ستة عشر وزنا كل منها يسمى بحرا. هي : الطَّويل، البسيط، المَدِيد، الخَفِيف، المُنْسَرِح، الكامل، الرَّجَز، الوافر، الرَّمَل، المُتَقارِب، السَّرِيع، الهَزَج، المُتَدارك، المُجْتَثّ، المُقْتَضَب، المُضارِع. (تجد نماذج من بعض هذه الأوزان ـ أو البحور ـ في نصوص الشعر المختارة في هذا الكتاب).

الدرس السابع

من السيرة النبوية ـ محمد بن يوسف الشامي يصف :

أنواع الوحي

السيرة النبوية من العلوم الإسلامية. وهي تشتمل على أخبار النبي محمد صلى الله عليه وسلم من يوم مولده (٥٢ ق. هـ/٥٧١ م) إلى يوم وفاته (١١ هـ / ٦٣٢ م) فتذكر نسبه وعائلته وقصة ولادته، وتربيته، وصباه وما قام به من أعمال، ومركزه بين قومه، وأخلاقه، وعاداته وصفاته الجسدية والخلقية، ثم تذكر إرهاصات النبوة (مفرده إرهاصة أي علامة مبكرة) ونزول الوحي عليه وما جرى له من أحوال معه، وتصف هيئة الوحي وطرق مجيئه للنبي، وما أمره به. وتذكر أيضا إعلان رسالته على قومه في مكة، وما حدث له معهم ثم هجرته من مكة إلى المدينة وانتشار دعوته فيها، وتذكر جهاده وغزواته ومكاتباته للملوك والرؤساء المعاصرين له، ثم وفاته وانتشار دينه ودخول الناس فيه أفواجا. وقد بدأ تدوين سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر القرن الأول للهجرة، أي بعد وفاة النبي بأكثر من سبعين عاما.

وكتّاب السيرة النبوية طبقات، وعددهم كثير جدا بالطبع، وأشهرهم بلا شك ابن اسحاق، والواقدي، وابن هشام، والشامي الذي أخذنا من كتابه « السيرة الشامية » هذا النص.

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الصالحي الشامي.
- ولد في الشام ـ ومن هنا أخذ لقبه « الشامي » ـ ولا تذكر له المراجع تاريخ ميلاد ولعل ذلك يشير إلى أنه ولد في أسرة مغمورة، رقيقة الحال.
- رحل إلى مصر وأقام في المدرسة البرقوقية، وتوفي سنة ٩٤٢ هـ (١٥٣٥ م).

- تقول عنه كتب الأعلام إنه كان عالما صالحا متفننا في العلوم. وإنه ألف السيرة النبوية التي جمعها من مئات الكتب.
- بقي طول حياته عزبا لم يتزوج. وكان إذا جاءه ضيف يعلق القدر فوق النار ويطبخ له بنفسه.
- كان حلو المنطق، مهيب المنظر، كثير الصيام، والقيام (العبادة والصلاة بالليل). وذكر بعض معاصريه من العلماء وهو العلامة الشعراني أنه بات عنده ليلة فلم يره ينام إلا قليلا.
- كان إذا مات أحد من طلبة العلم وخلف وراءه أولادا قاصرين (أي أقل من سن الرشد) التزم بنفقاتهم إلى أن يستطيعوا اكتساب أرزاقهم.
- اشتهر بأنه لم يكن يقبل شيئا من أموال الولاة ولا أعوانهم، كما كان لا يأكل من طعامهم.
- ألف كثيرا من الكتب في النحو والصرف والسيرة النبوية وعلم الكلام (التوحيد) والحديث النبوي، والرجال (وهو العلم الذي يذكر رواة الحديث النبوي وصفاتهم ودرجاتهم من الثقة وطبقاتهم التي ينتسبون إليها).

عن الكتاب :

- عنوان الكتاب طويل نسبيا وهو « **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدإ والمعاد** ». ويطلق عليه اختصارا اسم « السيرة الشامية » نسبة إلى مؤلفه.
- ليس هذا الكتاب أول كتاب عن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه أطول وأوفى كتاب في هذا الموضوع.
- كانت سيرة النبي ـ في أول الأمر ـ أخبارا تروى وحكايات على ألسنة الصحابة، **تتلقاها الأسماع عن الأفواه**. ثم انتدب (اختير) لجمعها عروة بن الزبير بن العوام في أواخر القرن الأول الإسلامي ثم من بعده، أبان بن عثمان بن عفان، ووهب بن منبه، وشرحبيل بن سعد، وابن شهاب الزهري وغيرهم من التابعين (أصحاب أصحاب رسول الله).
- تلا هؤلاء موسى بن عقبة، ومعمر بن راشد، ومحمد بن عمر الواقدي، حيث وضع كل منهم كتابا في سيرته عليه الصلاة والسلام.
- ثم ظهر في مجال السيرة النبوية عالمان كبيران : أولهما محمد بن عبد الملك بن هشام، الذي ألف سيرة طويلة بناها على رواية ابن اسحق وهي « سيرة ابن هشام » : وثانيهما محمد بن سعد تلميذ الواقدي وصاحب طبقات ابن سعد الكبرى.
- جاء بعد هؤلاء الموسوعيين من اختار جانبا معينا من حياة الرسول وخصه بالتأليف إما نثرا وإما شعرا. وبقي الأمر على هذا الحال.
- وأخيرا جاء مؤلفنا ـ محمد بن يوسف الصالحي الشامي ـ فألف هذه السيرة الكبرى والموسوعة العظمى، وأودع فيها أقوال جميع من قبله.
- وقد قال في المقدمة إنه قد اختصر سيرته « من أكثر من ثلاثمائة كتاب وتحرى فيها الصواب، ولم يذكر فيها شيئا من الأحاديث الضعيفة أو المشكوك في صحتها ».
- وتقع هذه السيرة في ألف باب أحصاها المؤلف في بداية الجزء الأول. وهي موزعة على ثلاثة عشر جزءا، ويقع كل جزء في أكثر من ٦٠٠ ستمائة صفحة من القطع الكبير.
- ويقول المؤلف عنها « وإذا تأملت هذا الكتاب علمت أنه نتيجة عمري وذخيرة دهري ».
- وعلى الرغم من اجتهاد المؤلف ومحاولته تحري (البحث عن) الصواب فإنه استخدم عددا من الأحاديث التي قيل بضعفها.

- صدر الجزء الثاني من الكتاب (الذي أخذ منه النص) في القاهرة عام ١٩٧٤ م بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد.

عـــن الـــنـــص :

- يدور النص الذي معنا حول واحد من أهم موضوعات السيرة النبوية وهو **الوحي**. فعن طريق الوحي أخبر الله محمدا أنه رسوله إلى البشرية، وعن طريق الوحي نزل القرآن، وهو دستور الإسلام وعماده.

- يتحدث النص عن أنواع الوحي، أي الأحوال التي كان ينزل بها على الرسول.

- يذكر النص للوحي ثمانية أحوال :

الحالة الأولى : الرؤيا (الحلم أو المنام) الصادقة، وهي أن يرى الرسول رؤيا ثم تحدث في اليقظة كما رآها في المنام.

الحالة الثانية : أن يلقي الملك (جبريل) في نفس الرسول بالرسالة مباشرة.

الحالة الثالثة : أن يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس.

الحالة الرابعة : أن يكلمه الله في اليقظة بلا واسطة ولكن من وراء حجاب.

الحالة الخامسة : أن يكلمه الله في اليقظة بغير حجاب.

الحالة السادسة : أن يكلمه الله تعالى في النوم.

الحالة السابعة : أن يأتيه الوحي كدوي النحل.

الحالة الثامنة : أن يلقى الله في قلبه ويجري على لسانه الحكم الإلهي الذي حكم به الله في القضايا التي تعرض للرسول.

الـــنـــص

في أنـــواع الـــوَحْـــي

قالَ العلماءُ رضيَ اللهُ تعَالى عَنهم : كانَ الوحْيُ يَنْزِلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في أحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ :

الأول : الرُّوْيا الصادقَةُ في المنامِ. قالَ إبراهيمُ عَلَيْهِ الصلاةُ والسَّلام : « إني أرى في الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَا أَبتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ » (ورد هذا في القرآن في سورة الصافات آية : ١٠٢) فدلَّ عَلَى أنَّ الوَحْيَ كان يَأْتِيهم في المنامِ كما كان يَأْتِيهم في الْيَقَظَةِ.

الثاني : أنْ يَنْفثَ (يُدْخِلَ بلطف) الملَكُ في رُوعِهِ (نفسه) وقَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ أنْ يَرَاه، كما قالَ صلّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ : إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي : « لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا (تلطفوا) في الطَّلَبِ ولا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرزقِ عَلَى أن تَطْلُبُوه بمَعْصِيَةِ اللهِ فإنَّ ما عِنْدَ اللَّهِ لَنْ يُنَالَ إلّا بطاعتِه »

وقالَ كثيرٌ من المفسّرين في قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا » (سورة الشورى آية : ٥١) هو (أي الوحي) أنْ يَنفُثَ في رُوعه بالْوَحْيِ. قال الحليمي : هذا هو الوَحْيِ الّذي يخُصُّ القَلْبَ دونَ السمْعِ.

الثالث : أن يَأتِيَهُ مِثْلَ صَلْصَلَةِ (رنين) الجَرَسِ وهُو أَشَدُّهُ عَلَيْهِ، (أصعبه على النبي) فيتلبسُ بِهِ (أي بالنبي) الملَكُ حتَّى إنَّ جَبِينَهُ لَيَتفَصَّدُ عَرَقًا (يقطر منه العرق) في اليَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ وحتَّى إنَّ رَاحِلَتَهُ (الدابة التي يركبها) لَتَبرُكُ عَلَى الأَرْضِ.

رَوَى الشيْخان (البخاريُّ ومُسْلِمٌ) عنْ عَائشة (زوجة النبيّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ : كَيْفَ يَأْتِيكَ **الْوَحْيُ** ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْه وسلّم : أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وهُو أَشَدُّهُ عَلَيَّ **فَيَفْصِمُ (ينفصل) عَنِّي وقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وأحيانًا يتَمَثَّلُ لي المَلَكُ رجلًا فيكلّمُنِي فَأَعِي (أدرك) ما يقُول.**

ورَوَى ابْنُ سَعْدٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ الله صلّى اللهُ عَلَيْه وسلَّمَ كَانَ يَقُول : « كانَ الْوَحْيُ يَأْتِينِي عَلَى نحْوَيْنِ : يَأْتِينِي به جبْرِيلُ فَيُلْقِيه عَلَيَّ كَمَا يَلْقَى الرجلُ الرجلَ فذاك يتفلّتُ منّي (يصل إلي بمجهود شديد) ويأتِينِي في شيْءٍ مِثْل صَلْصَلَةِ الجَرَس حتّى يخالِطَ قَلْبِي فذاك لا يتفلّتُ مِنّي ».

الرابع : أنْ يكلّمه اللهُ تعالى بِلا واسِطَةٍ مِنْ وراءِ حجابٍ في اليقظة كما في لَيْلَةِ الإسراء على القولِ بعدمِ الرؤيةِ (أي رؤية الله في تلك الليلة).

لَيلَةُ الإسْرَاءِ والْمِعْرَاجِ هي الليلةُ التي **أسْرِيَ** فيها بالنَّبِيِّ (أي أخِذ لَيْلًا) من منامِه بمكة إلى المَسْجد الأقصى، أي بَيْتِ المَقْدِسِ حَيْثُ صَلَّى هناكَ، ثمَّ **عُرِجَ بِهِ** (أي صُعِدَ به) إلى السَّمَاوات العُلَا حيثُ رأى « مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » كما قال عليه الصلاة والسلام، ثم رُجِعَ به إلى بَيْتِهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ. ويَحْكِي القرآنُ واقِعَةَ الإسْراء ووَاقِعَةَ المِعْرَاج في سورةِ الإسْرَاءِ وفي سورةِ النَّجْمِ.

الخامس : أن يكَلِّمَهُ اللهُ تَعَالى كِفَاحًا (مباشرةً) بِغَيْرِ حجابٍ عَلَى القَوْلِ بالرؤْيَةِ لَيْلة الإسْرَاءِ.

قال الشيخُ رحمه اللهُ تعالى : وليْسَ في القرآنِ مِنْ هذا النّوعِ شَيْءٌ فيمَا أَعلَمُ، نعمْ يُمْكِنُ أن يُعَدَّ مِنْهُ آخِرِ سورةِ الْبَقَرَةِ وبعْضُ سورةِ الضُّحَى وسورةِ « أَلَمْ نَشْرَحْ » فقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حاتمٍ من حديثِ عديِّ بْنِ ثابتٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم : « سَأَلْتُ رَبِّي مسألةً ووَدِدْتُ أَنّي لَمْ أكنْ سألْتُهُ، قُلْتُ : أيْ رَبِّي (يا رَبِّ) اتخذْتَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (صديقا) وكلَّمْتَ مُوسى تكلِيمًا. فقال : محمَّدُ : أَلَمْ أجدْكَ يَتيمًا فَآوَيْتُ (أي : آويْتُكَ) وضالًا فهَدَيْتُ (أي فهديْتُكَ) وعائلًا (فقير) فَأَغْنَيْتُ (أي فأغنيتك)، وشرحتُ لكَ صَدْرَكَ

وحططتُ عنكَ وزرَكَ (أنزلتُ عنك ذنبَكَ، أي غفرتُ لَكَ) ورفعتُ لَكَ ذِكْرَكَ فلا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي ». أي كلَّما ذُكِرَ اسمُ اللهِ على لسانِ مسلمٍ ذُكِر معَه اسمُ محمدٍ وذلك في عبارةِ « لا إله إلا الله محمّدٌ رسولُ الله » وهي الركنُ الأوَّلُ من أركانِ الإسلام الخمْسَةِ.

السادس : أن يكلمَه اللهُ تعالَى في النوْمِ، كمَا في حديثِ مُعاذٍ عنْدَ الترمذيِّ حيثُ يقولُ : أتَاني ربِّي أيْ في المَنَامِ في أحْسَنِ صُورةٍ فَقال « ..... ».

السابع : مَجيءُ الوحْي كدويِّ النَّحْلِ. رَوَى الإمامُ أحمدُ والحاكمُ، عنْ عُمَرَ بْنِ الخطّابِ رضيَ اللهُ تعالَى عنْه قالَ : كانَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليْه وسلَّم « إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ (أي القرآن) يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ (أي أصوات) كَدَوِيِّ النَّحْلِ ».

الثامن : العِلْمُ الذي يُلْقِيهِ اللهُ تعالَى في قَلْبِهِ وعلَى لسانِهِ عنْدَ الاجْتِهَادِ في الأحكَامِ أي عنْدَمَا تَحْدُثُ حادثَةٌ ويريدُ أن يُصْدِرَ فيها قَرَارًا. لأنَّهُ اتُّفِقَ عَلَى أنّه صلى الله علَيه وسلَّمَ إِذَا اجْتَهَدَ أصابَ قَطْعًا وكانَ معصومًا عن الخطإ. هذا مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ من صِفَاتِ الوَحْيِ.

التـــدريبـــات

١ ـ لاحـظ الـتـعـبيرات الـتـالـيـة :

ـ أنظر ماذا ترى ؟ : فكر وقل لي رأيك.
ـ افعل ما تؤمـر : نـفـذ ما يأتيك من الأوامـر.
ـ ينفث في روعـه : يلقي في قلبه.
ـ أجملوا في الطلب : اطلبوا برفق ولطف.
ـ يتفصَّدُ عـرقا : ينزل عليه العرق بكثرة.
ـ تمثّل له (جبريل) رجـلا : أي ظهر له (جبريل) في صورة رجـل.
ـ شرح (الله) له صـدره : أدخل (الله) على قلبه الرضا والشعور بالأمن.
ـ أركان الإسلام الخمسة : قواعـد الإسلام الأساسية وهي خمسة.
ـ الاجـتـهـاد في الأحـكـام : استعمال العالِم قدرتـه وعِلْمه في التوصل إلى الحكم.
وقـفـت عـلـيـه : عـرفـتـه.

٢ ـ أسـئـلـة حـول الـنـص :

١ ـ ما مفهوم السيرة النبوية ؟
٢ ـ متى بدأ تدوين السيرة النبوية ؟
٣ ـ مـن هـو الـشـامـي ؟
٤ ـ أين ولد الشامي وأين توفي ؟

٥ ـ متى توفي الشامي ؟
٦ ـ ماذا تقول كتب الأعلام عن الشامي ؟
٧ ـ ما الذي ذكره عنه العلامة الشعراني ؟
٨ ـ ماذا كان يفعل الشامي إذا مات أحد طلبة العلم ؟
٩ ـ بماذا اشتهر الشامي ؟
١٠ ـ ما المجالات التي ألف فيها ؟
١١ ـ ما عنوان كتابه الذي ألفه عن السيرة النبوية ؟
١٢ ـ في كم جزء هذا الكتاب ؟ وكم بابا فيه ؟
١٣ ـ ما الفرق بين كتاب الشامي في السيرة وغيره من الكتب التي تناولت الموضوع.
١٤ ـ من هم « التابعون » ؟
١٥ ـ من أول من جمع سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟
١٦ ـ من أول من ألّف كتابا في سيرة النبي ؟
١٧ ـ ماذا عرفت عن محمد بن عبد الملك بن هشام ؟
١٨ ـ من صاحب الطبقات الكبرى ؟
١٩ ـ ما السبب ـ من وجهة نظرك ـ الذي دعا إلى كثرة المؤلفات في السيرة ؟
٢٠ ـ عن أي شيء يتحدث النص المختار هنا ؟
٢١ ـ ما أهمية الوحي ؟
٢٢ ـ كم طريقةً للوحي يذكرها النص ؟
٢٣ ـ ما أشد أنواع الوحي ؟
٢٤ ـ ما نوع الوحي الذي كان يتفلّت من النبي، وما نوع الوحي الذي لا يتفلت ؟
٢٥ ـ ما نوع الوحي الذي ليس في القرآن منه شيء ؟
٢٦ ـ ما الفرق بين « الصحابة » والتابعين ؟

٣ ـ صواب أو خطأ :

١ ـ بدأ تدوين سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ في أواخر القرن الأول للهجرة.
٢ ـ القاصرون من الأولاد هم الذين بلغوا سن الرشد.
٣ ـ لم يكن الشامي يقبل شيئا من أموال الولاة ولا أعوانهم.
٤ ـ كان الشامي رجلا مزواجا تزوج أكثر من مرة في حياته.
٥ ـ « علم الرجال » هو العلم الذي يتحدث عن رواة الحديث وصفاتهم ودرجة الثقة بهم.
٦ ـ كان أشد أنواع الوحي على النبي الذي يأتيه مثل صلصلة الجرس.
٧ ـ كتاب الشامي أطول كتب السيرة النبوية وأوفاها.
٨ ـ تكثر الأحاديث الضعيفة في كتاب الشامي.
٩ ـ السيرة التي ألفها شمس الدين الشامي جمعها من مئات الكتب.
١٠ ـ أنواع الوحي المختلفة تزيد على عشرة أنواع.
١١ ـ إذا رأى الأنبياء شيئا في منامهم فليس من الوحي.
١٢ ـ العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلب النبي وعلى لسانه **عند الاجتهاد في الحكم** من الوحي.
١٣ ـ أول مَن جمع السيرة عروة بن الزبير بن العوام.
١٤ ـ الأنبياء معصومون عن الأخطاء وإذا اجتهدوا أصابوا قطعا.

٤ ـ **ضع كل كلمة أو عبارة في موضعها الملائم من الجمل التالية :**

إرهاصات النبوة ـ السيرة النبوية ـ أسرة مغمورة ـ انتدب ـ تحرى الصواب ـ التابعين ـ صلصلة الجرس ـ رقيقة الحال ـ يفصم عن ـ دوي النحل ـ دستور الإسلام.

١ ـ ولد محمد بن يوسف الشامي في ....رقيقة الحال.

٢ ـ اجتهد مؤلف كتاب « سبل الهدى... » في .... وبخاصة في الأحاديث النبوية.

٣ ـ عروة بن الزبير بن العوام هو أول من .... لجمع السيرة النبوية.

٤ ـ كانت الرؤية الصادقة للنبي من .... قبل أن يبعث.

٥ ـ يطلق على أصحاب أصحاب رسول الله مصطلح ....

٦ ـ الروايات والأخبار والحوادث التي تروى عن النبي تسمى ....

٧ ـ بعدما كان الوحي .... النبي كان يحس بالراحة.

٨ ـ أشد أنواع الوحي على النبي هو الذي كان يأتيه مثل ....

٩ ـ يعد القرآن الكريم .... وعماده في العبادات والمعاملات.

١٠ ـ لم تكن أسرة الشامي أسرة غنية بل كانت أسرة ....

لاحظ هذا التركيب :

فيتلبس به الوحي حتى إن جبينه ليتفصّد عرقا في اليوم الشديد البرد.

ـ « حتى » في هذا التركيب تسمى « **حرف ابتداء** » ـ أي تبدأ بعدها جملة جديدة.

ـ الجملة التي تأتي بعد « **حتى الابتدائية** » تكون نتيجة (أو غاية) للجملة التي قبلها في المعنى.

ـ الجمل التي تأتي بعد حتى الابتدائية تكون :

١ ـ جملا اسمية.

٢ ـ جملا فعلية فعلها ماض.

٣ ـ جملا فعلية فعلها مضارع **مرفوع**.

ـ تستخدم « حتى » في اللغة العربية بطرق أخرى بالإضافة إلى الطريقة السابقة. ولكنها في جميع الأحوال تفيد «**الغاية** » (الانتهاء أو النتيجة).

٥ ـ **أكمل ما يأتي مسترشدا بالنموذج السابق :**

١ ـ .... حتى إن جبينه ليتفصد عرقا.

٢ ـ لا تذكر المراجع شيئا عن أسرة الشامي حتى ....

٣ ـ .... حتى إن كتبهم تعد بالآلاف.

٤ ـ .... حتى أصبح يتعهد أولاد العلماء الفقراء.

٥ ـ كان الشامي يكرم ضيفه حتى ....

٦ ـ .... حتى كان يرفض الأكل عندهم.

٧ ـ جمع الشامي لكتابه مادة كثيرة حتى ....

٨ ـ .... حتى تعد صفحاته بالآلاف.

٩ ـ تعددت أنواع الوحي حتى ....:

١٠ ـ .... حتى فاقت جميع كتب السيرة النبوية.

لاحظ هذا التركيب :

ليس كتاب الشامي أول كتاب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه أطول كتاب عنها.

- « لكن » في التركيب السابق تسمى « **حرف استدراك** ».
- « لكن » الاستدراكية لا بد أن تقع بين عبارتين : تأتي العبارة التالية لها لتعدل بعض ما يمكن أن يفهم من العبارة السابقة عليها.
- تذكر أن « لكن » من أخوات « إن » أي أنها تنصب الاسم وترفع الخبر.

٦ ـ أكمل ما يأتي مسترشدا بالنموذج السابق :

١ ـ كان الوحي شديدا على الرسول ولكنه ....

٢ ـ عنوان كتاب الشامي في السيرة طويل ولكنه ....

٣ ـ .... ولكن كتابه في السيرة كان أحسن كتبه.

٤ ـ كانت سيرة النبي في أول أمرها أخبارا تروى ولكنها ....

٥ ـ .... ولكن كتاب الشامي كان أوفاها.

٦ ـ أحوال الوحي متعددة ولكن ....

٧ ـ .... ولكن كلامه يكون بحجاب أو بغير حجاب.

٨ ـ لم ينشأ الشامي في أسرة غنية، ولكنه ....

٩ ـ .... ولكنه كان يطبخ لنفسه.

١٠ ـ التابعون ليسوا من أصحاب الرسول ولكنهم ....

٧ ـ أكد الفعل المضارع في الجمل التالية كما في النموذج :

النموذج :

(أ) **لا يَحْمِلْكم** استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله.

(ب) **لا يَحْمِلَنَّكُمْ** استبطاءُ الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله.

١ ـ لا تُهْمِلُوا تعلم العلم في الصغر.

٢ ـ لا تَأْخُذُوا على تعليم الصبيان أكثر من الأجر المتفق عليه.

٣ ـ لا تُفَرِّقُوا في المعاملة بين أولاد الأغنياء وأولاد الفقراء.

٤ ـ لا تَمْحُوا كتابة القرآن بماء قذر.

٥ ـ لا تضربوا الأطفال وأنتم غاضبون.
٦ ـ لا تتْركي الطفل يذهب إلى المدرسة بدون إفطار.
٧ ـ لا تُجاوز بالعقاب على عدم حفظ الصبي القرآن ثلاث ضربات.
٨ ـ لا تُكلِّفي الأطفال شيئا فوق أجرة التعليم.
٩ ـ لا تُرسلوا التلاميذ في قضاء حاجاتهم الشخصية.
١٠ ـ من الحكم العربية : « **لا تَكُنْ** صَلْبًا فتُكْسَر ولا لَيِّنًا فتُعْصَر ».

قارن بين هذين التعبيرين :

أ ـ **لم يكن** الشامي **يقبل** من أموال الولاة.
ب ـ **لم يقبل** الشامي شيئا من أموال الولاة.

لم يكن... يقبل : تفيد أن ذلك كان عادة له وأن عدم قبوله تكرر مرات عديدة.
لم يقبل : لا تفيد مثل هذا التكرار.

٨ ـ أكمل الجمل الآتية مستعينا بالنموذج السابق :

١ ـ لم يكن حي بن يقظان ....
٢ ـ لم يكن ابن بطوطة ....
٣ ـ لم يكن المعلمون ....
٤ ـ لم يكن الغواصون على اللؤلؤ ....
٥ ـ لم يكن الرازي ....

٩ ـ هات جذر كل كلمة مما يأتي :

يتلبس ـ يتمثل ـ يتفلت ـ يختصم ـ منامات ـ مبتسم ـ تعتريه ـ إغفاءة ـ الاجتهاد ـ معصوم.

١٠ ـ تدريب كتابي :

صف خمسة أنواع من الوحي بجمل من عندك.

اقرأ واحفظ

ابنُ الدُّمَيْنَةَ في الغـزل
(من بحر الطَّويل)

ألا يا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتَ مِنْ نَجْدِ ... فَقَدْ زادنى مَسْرَاكَ وَجْدًا على وَجْدِ
أَأَنْ هتفتْ ورقاءُ فى رَوْنقِ الضُّحى ... عَلَى فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الـرَّنْدِ
بكيتَ كما يبْكى الوليدُ ولَمْ تَزَلْ ... جَليدًا وأَبْدَيْتَ الذى لم تكنْ تُبْدِى
وَقَدْ زَعَمُوا أنّ المُحبَّ إذا دَنَا ... يَمَلُّ وأنَّ النَّأىَ يَشْفِى مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلٍّ تَدَاوَيْنا فلمْ يُشْفَ مَا بِنَا ... عَلَى أنَّ قُرْبَ الدار خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
على أنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْس بِنافعٍ ... إذا كانَ مَنْ تَهْوَاهُ لَيْسَ بذِى وُدِّ

الشاعر : عَبد الله بن عُبَيْد بن أحمد المعروف بابن الدُّمَيْنَة، (والدُّمَيْنَة أمه)، شاعر بدوي من قبيلة بني عامر، وهو من شعراء العصر الأموي وأكثر شعره في الغزل والفخر. كانت وفاته سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م).

شروح : **الصَّبَا** : ريح الشمال اللطيفة ـ **الوَجْد** : شدة الحب ـ **الوَرْقاء** : الحمامة ـ **الجَلِيد** : الصُّلْب القوي ـ **دنا** : قَرُبَ ـ **النَّأْيُ** : البُعْد.

الدرس الثامن

من كتاب « الجامع في مفردات الأدوية والأغذية » :

ابن البيطار يتحدث عن خواص العسل

للعرب إسهام واسع في تطوير علم الأعشاب الطبية، ولهم طريقتهم التجريبية التي تميزت عن طريقة اليونان النظرية. وهذه الطريقة التجريبية في الملاحظة والاستنتاج هي الطريقة التي أثرت في مناهج البحث الأوربي إبان (خلال) عصر النهضة وما بعده. ويعد ابن البيطار واحدا من أبرز العلماء العرب الذين اتبعوا منهج التجربة العلمية في تطوير علم الصيدلة. وهناك ثلاثة مصطلحات مهمة تتردد في هذا المجال هي : **الصيدلة** : وهي حرفة بيع الأدوية وتركيبها، **والعقاقير** : وهي أصول النباتات التي يتداوى بها، **والأقربازين** : وهي قوانين عمل الأدوية.

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- ابن البيطار : أندلسي ينتمي إلى مدينة مالقة.
- اسمه الكامل : عبد الله بن أحمد بن البيطار، **وكنيته** : أبو محمد، ولقبه ضياء الدين.
- لا نعرف تاريخ ولادته بالضبط، والمحاولات التي تحدد هذا التاريخ بسنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) محاولات **ظنية** (ليست مؤكدة)، ولكن المؤكد أنه ولد في الربع الأخير من القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي).
- بقي ابن البيطار في الأندلس حوالي عشرين سنة، أكمل فيها تعليمه الأساسي، واتجه مبكرا إلى دراسة علم الأعشاب الطبية، فتتلمذ في ذلك على أساتذة معروفين من أشهرهم **ابن مفرّج النباتيّ** المشهور، وأبو الحجاج وعبد الله بن صالح.

- رحل ابن البيطار بعد ذلك رحلات واسعة، وزار بلادا كثيرة، فبلغ بلاد الروم واليونان، وتجول في شمال أفريقيا وآسيا الصغرى، ثم انتهى به الأمر متنقلا بين الشام ومصر.
- من المحتمل أن رحلته الأولى من مسقط رأسه كانت سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م).
- كان الهدف من رحلات ابن البيطار هو الدراسة والاتصال بعلماء النبات في العالم المعروف آنذاك، ومشاهدة **الأعشاب الطبية** المتنوعة التي تنبت في البلاد المختلفة، والتعرف على أصول العقاقير الطبية.
- خلال حكم الدولة الأيوبية لمصر والشام **نال ابن البيطار حظوة** لدى الملك الكامل، وابنه الملك الصالح فعين رئيسا للعشابين (المشتغلين بالأعشاب الطبية).
- أتاح له ذلك فرصة التفرغ لدراسة الموضوع والسياحة العلمية الواسعة، والتردد الحُرّ على مكتبات مصر والشام (وكانت هذه المكتبات حافلة بالكتب العلمية في كل فروع المعرفة). وتلك هي فترة نُضْجِهِ العلمي.
- كتب في تلك الفترة أهم كتبه على الإطلاق، ومنها كتاب « **الجامع في مفردات الأدوية والأغذية** » (وهو الذي نأخذ منه هذا النص)، وكتاب « **المغني في الأدوية المفردة** » (غير المركبة).
- لم يكن ابن البيطار في تأليفه العلمي **ناقلا أو مسجلا** فحسب، بل كان باحثا ومؤلفا، يعتمد على مجهود السابقين، **ويذكر لهم ما لهم**، ثم يضيف إلى ذلك **مبتكراته** الخاصة في وصف خصائص النباتات الطبية وفوائدها.
- تميز عمله بالدقة البالغة، كما تميز منهجه **بالنقد والتجريب**، وقد عبر هو عن ذلك في مقدمة كتابه : « **الجامع** » بقوله : « **ما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لدى بالمخبر (الاختبار) لا الخبر (إخبار الغير) أخذت به، وما كان مخالفا ـ في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية والماهية ـ للصواب والتحقيق نبذته ولم أعمل به** ».
- من أشهر تلاميذه ابن أبي أصيبعه، وله تلاميذ آخرون كثيرون. وقد شهد له تلاميذه جميعا بالاخلاص في العمل والأمانة، والعلم الغزير، والذكاء، وقوة الحافظة (الذاكرة).
- لا خلاف على أن وفاة ابن البيطار كانت بدمشق سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م).

عـن الـكـتـاب :

- ألّف ابن البيطار كتاب « **الجامع في مفردات الأدوية والأغذية** »، وأهداه إلى الملك الصالح (نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل. وإذا عرفنا أن الملك الصالح حكم من سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) إلى ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) أدركنا الفترة التي ألف فيها ابن البيطار هذا الكتاب.
- بقي هذا الكتاب مخطوطا حتى طبع في القاهرة سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٥ م).

وضع ابن البيطار لمؤلفه الجامع هذا مقدمة قصيرة نسبيا، كشف فيها عن **خطة** الكتاب، وأساسه الفلسفي، **والبواعث** (الدواعي ـ الدوافع) التي دعت إلى تأليفه، ثم ذكر له ستة أهداف توضح في **تضاعيفها** (أثنائها) مادة الكتاب ومنهجه وأسلوبه، وهذه الأهداف هي :

١ ـ استيعاب القول (الإحاطة بموضوع) في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار، عند الاحتياج إليها في ليل أو نهار (لاحظ السجع) مضافا إلى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعار (ما يلبس فوق الجسم مباشرة) ودثار (ما يلبس فوق الشعار).

٢ ـ صحة النقل عن المتقدمين.

٣ ـ « ترك التكرار حسب الإمكان، إلا فيما تمس الحاجة إليه من معنى أو تبيان ».

٤ ـ تقريب مأخذ (تيسير الكتاب) بترتيبه على حروف المعجم (الترتيب الألفبائي) « **ليسهل على الطالب ما طلب، في غير مشقة ولا عناء ولا تعب** ».

٥ ـ « التنبيه على كل دواء، وقع فيه وهم أو غلط لمتقدم أو متأخر، لاعتماد أكثرهم (السابقين) على الصحف (الكتب) والنقل (الأخذ الحرفي) واعتمادي على « **التجربة والمشاهدة** ».

٦ ـ « أسماء الأدوية بسائر (جميع) اللغات المتباينة (المختلفة) مع أني لم أذكر فيه ترجمة دواء (التعريف به) إلا وفيه منفعة مذكورة أو تجربة مشهورة. وذكرت كثيرا مما يعرف في الأماكن التي تنبت فيها الأدوية المسطورة (المكتوبة) كالألفاظ البربرية واللاتينية، وهي أعجمية الأندلس، إذ **كانت مشهورة عندنا، وجاء بها في معظم كتبنا**. وقيدت ما يجب تقييده منها بالضبط وبالشكل والنقط تقييدا يؤمن معه التصحيف (الأخطاء الكتابية) ».

- كشف ابن البيطار عن السبب في تسمية كتابه الجامع فقال إنه فَعَل ذلك لأن المادة التي يعالجها الكتاب **تجمع** بين الحديث عن الغذاء والحديث عن الدواء.

- رتب المؤلف كتابه على حروف المعجم، فمن المواد التي ذكرها ـ مثلا ـ في حرف **الألف** : أترج، وأثل، وإجاص، وفي حرف **الباء** : بلاذر، وبنج، وبورق. وفي حرف **التاء** : ترمس، وتمرهندي، وتراب الشاردة. وفي حرف **الثاء** : ثوم. وفي حرف **الجيم** : جرجير، وجلنار... الخ.

- تشتمل مادة الكتاب على **نقول** عن أطباء العرب واليونان. **وتعليقات** مهمة يقوم بها المؤلف على هذه الأقوال، ثم **إضافات** من ابتكار المؤلف توصل إليها نتيجة لتجاربه الخاصة واختباراته التي أجراها.

- ينسب ابن البيطار في كتابه كل قول إلى صاحبه، ولا يدعي لنفسه شيئا هو ـ في الواقع ـ ليس له. وهذا يشهد بأمانته، وإسهامه في **بناء تقاليد البحث العلمي**، التي تسجل خطوات السابقين، وتضيف إليها ما يجد من اكتشافات.

- وهذا مثال مختصر على طريقة ابن البيطار في نسبة الأقوال إلى أصحابها : يتحدث عن الياسمين فيقول :

(يـــاســمــيـــن)

« **ابن البيطار** : لم يذكره ديسقّوريدس ولاجالينوس.

سليم بن حسان : هو نبات له عصيّ طوال، مخرجها من أصل واحد، ثم تتفرع إلى فروع، ولها ساقٌ فيه ورقٌ شبيه بورق الخيْزُران ـ إلا أن هذا ألين وأشد خُضْرة. وله نَوْر أبيض ذو أربع مشرفات (أوراق) طيِّب الرائحة، ويكون منه أصْفر، وزعم قوم أنه يكون منه أزْرَق.

عيسى بن ماسة : هما صِنْفان أبيض وأصفر، والأبيض أطْيَبُها رائحة، وأقواها حرارةً ويُبُوسةً (جفاف).

مسيح بن حكيم : وقوته في الحَرَارة واليُبُوسَة من أحَرِّ الدرجة الثانية أو من أول الثالثة.

البصري : نافعٌ للمشايخ (كبار السن)، ولمن كان مزاجهُ بَارِدًا، وهو صالح لوَجَع الرَّأس الحادثِ من البَلْغَم، والمِرَّة السَّوْداء (مرارة الحموضة) الحادثة من عفونة.

الرازي : جيد لوجع الرأس الذي يكون من بَرْد أو من رِياح غليظة، مُقَوّ للدِّمَاغ ».

- في الكتاب إشارة إلى حوالي مائة وخمسين طبيبا ممن سبقوا ابن البيطار في الاهتمام بعلم الأعشاب الطبية، ومنه وصف لحوالي أربعمائة نوع من النبات والأغذية، مصنفة وموصوفة بحسب خصائصها العلاجية.

- ينظر إلى هذا الكتاب على أنه واحد من أعظم الكتب في علم النباتات الطبية، بل إنه ليقال إن هذا الكتاب ظل حتى القرن السادس عشر ينظر إليه على أنه أعظم مؤلف نباتي وصيدلي.

- يمتاز أسلوب الكتاب بالسهولة والوضوح، وذلك على الرغم من أنه محشو بكثير من الألفاظ اليونانية القديمة والرومانية وغيرها، مما لم يتمكن ابن البيطار من وضع واكتشاف مقابل عربي له.

- قليل مما ورد في الكتاب نجد الآن صعوبة في قبوله، من ذلك مثلا... ما يقوله عن الأثمد (الكحل) من أنه إذا عجن بشحم، وترك في حجر إلى أن يلتهب ثم أخذ الحجر وأطفئ بلبن امرأة ولدت ذكرا، أو ببول الصبيان، فإنه ينفع الدمعة (دمعة العين).

- صدرت أهم طبعات الكتاب عن مطبعة بولاق بالقاهرة عام ١٢٩١ هـ.

عـــن الــنـــص :

- موضوع هذا النص العسل.
- وهو يبدأ بتحديد درجة جودة العسل طبقا لمصدره معتمدا في ذلك على مؤلفات من سبقوه، وهي مؤلفات يونانية.
- ثم ينتقل إلى تحديد صفات العسل وخصائصه، مستخدما **المنهج الوصفي**، وناسبا الأقوال ـ مرة أخرى ـ إلى علماء اليونان.
- ويستمر النص في الكلام على أصناف العسل فيذكر أماكن استخراج كل صنف وخواصه، وفوائده، ومذاقه، وأنواع الأمراض التي يعالجها.
- ويعدد النص الفوائد الطبية للعسل. ونجد أنها فوائد واسعة، منها ما يتصل بالجروح، ومنها ما يتصل بالالتهابات، ومنها ما يتصل بأمراض العين، وأمراض الأذن، والجهاز التنفسي على وجه العموم، وكذلك الجهاز الهضمي، واللثة والأسنان.
- وكما أن النص يفاضل بين أنواع العسل على أساس المكان والصفات، يفاضل بينها كذلك على أساس الزمان الذي تنتج فيه، فالربيعي أجوده، يليه الصيفي، وأردؤه الشتوي.
- في خلال ذكر فوائد العسل يعرض النص لبعض أضراره، ذاكرا في كل حالة ما تداوى به آثاره الضارة.
- ومن خواص العسل أنه يتقيأ به (يستدعى به القيء) فيكون **ترياقا** (شفاء) لبعض السموم.
- بعد ذكر المصادر اليونانية يجيء دور المصادر الإسلامية فينقل عن البصري والرازي والشريف وأحمد بن داود وغيرهم في مواضع متعددة.
- ولغة النص سهلة تشبه ـ في كثير من الأحيان ـ لغة الكلام الدارج، وهو لا يراعي الترتيب، بل يدخل من موضوع إلى موضوع ثم يعود إلى الموضوع الأول... وهكذا.

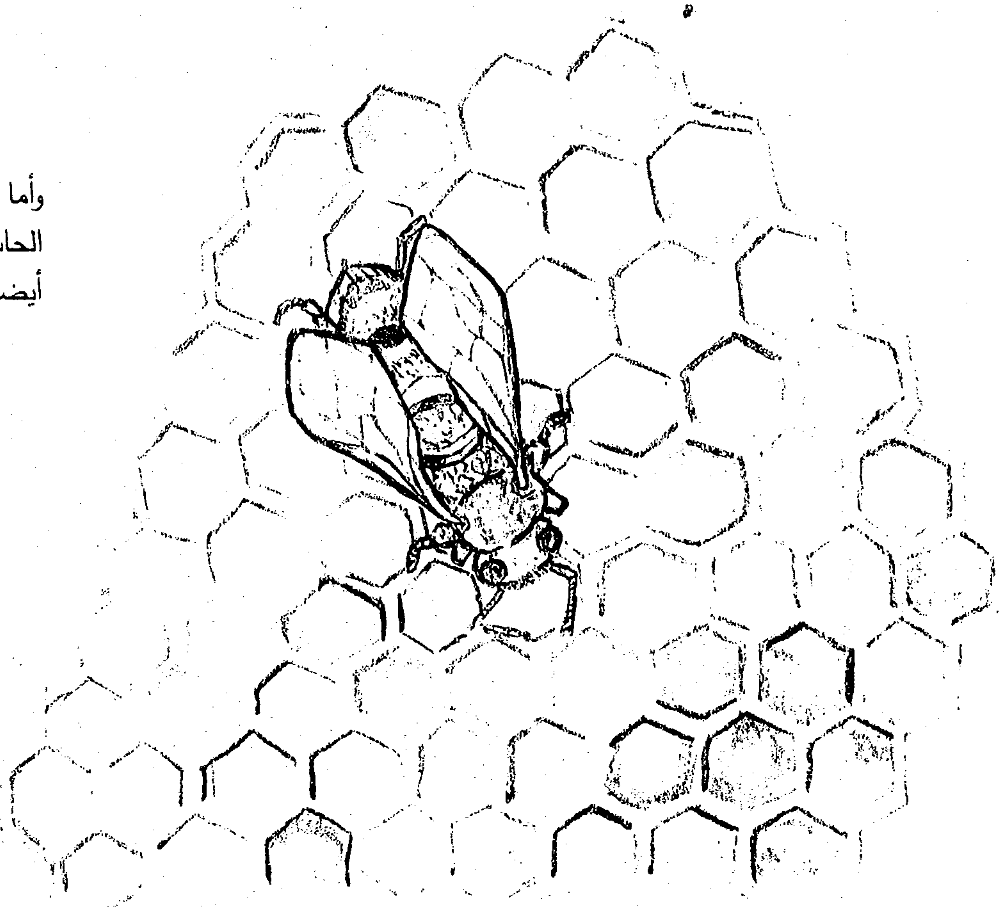
الـنـــص

(عسل) ديسقوريدوس في الثانيةِ (أي في قوته من حيث الحرارة والجفاف في الدرجة الثانية) ما كانَ مِنْهُ **قَانِيا** (أحمر جدا) هو مثلُ العسلِ الّذي من البلادِ التي يُقَالُ لها اطيقي أَجْوَدُ مَا يَكُونُ من هذا الصِّنْفِ الذي يُقَالُ له أقيطيقون ثم منْ بَعْدِه العَسَلُ الَّذِي من الجزيرَةِ الّتي يُقال لَها صَقَلّيَّةُ ويُقَالُ لها سقيموس والجيِّدُ من كلِّ واحدٍ من هَذِهِ الأَصْنَافِ ما كان في غايةِ الحلَاوةِ وكانَ فيه **حَذْوٌ** (لذع) لِلّسانِ طيّبُ الرائحةِ إلى الحمرةِ ما هو لَيْسَ برَقِيقٍ بَلْ متينٌ قويّ إذا أُخِذَ بالإصْبع انْجَذَبَ المتعلّقُ بها إليهِ، جالينوس في الأولى (في الدرجة الأولى) العسل يُسَخِّنُ ويجفِّفُ في الدرجةِ الثانيةِ وجوهرُه من جوهرِهِ ومزاجُ هذا ينْسُطُ بقدْرِ ما يُمْكِنُ إلّا أنَّهُ من النوعِ الّذي نُسَمِّيه نحنُ بالعادةِ النوعَ الجلاء وإذا طُبِخ وأُنْضِجَ صارَ قَلِيلَ **الحدَّة** (اللذع) والجلاءِ ولذلك قد نستعملُه نحنُ في هذِه الحالِ في **إدْمَالِ** (شفاء وإبراء الخَرَاريج : جمع خُرَّاج وهو الدُّمّل) النَّواصِيرِ **والقُرُوح** (الجروح) الغائرةِ فإنْ كانَ يوجدُ عَسَلٌ مرّ بمنزلةِ العَسل الذي يكونُ في سردُونْيَا فالأَمْرُ فيهِ مَعْلُومٌ أنَّ قوَّتَهُ مُرَكَّبَةٌ بمنزلةِ ما لَوْ أنَّ إنْسَانًا خَلَط معَ العسَلِ افْسَنْتِينًا. وقال (جالينوس) في حيلةِ البُرْءِ :

وأفضلُه **الأحْمَرُ اللوْنِ** النَّاصعُ **طيِّبُ الرَّائحَةِ** الصَّافي الذي يَنْفُذُ فيه البصرُ لصفائِهِ، ومذاقَتُهُ حِرِّيفَةٌ (حادة الطعم) حادَّةٌ لذيذةٌ في غايَةِ اللذاذَةِ إذا أنْتَ رفَعْتَ منه شيئًا بإصبعِكَ سالَ إلى الأرْضِ ولمْ يَنْقَطِعْ فإنِ انْقَطَعَ فإنَّهُ أرَقُّ أَوْ أَغْلَظُ (أشدّ سُمْكًا) مِمَّا يَنْبَغِي في الجُمْلَةِ. وذَلكَ أنّه غيْرُ مُتشابه الأجْزاء. والعسلُ الغليظُ في أجزائِهِ كُلِّها أوْ فِي بَعْضِ أجْزائِهِ كَثِيرُ **المَوْمِ** (الشمع) الرَّقِيق كثيرُ الفُضُولِ غيْرُ نضيج عَسِيرُ الانهضَام وما ظَهَر فيه طَعْمُ **المَوم** ووسَخُ **الكُور** (خليّة النحل) فهو عسَلُ سوءٍ. وما سطعتْ منه رائحةٌ حادَّةٌ قويَّةٌ فلَيْس بمحمودٍ فإنْ كانتْ خفيفةً فليْسَ **بضَائر** (ضارّ). (وقال) ديسقوريدوس : وقوّةُ العسلِ جاليَةٌ مُفتّحةٌ لأفْواهِ العروقِ تجذبُ الرطوباتِ، ولذلك إذا صُبَّ في القروح الوَسِخَةِ العميقةِ **وافَقَهَا** (شفاها)، وإذا طُبِخَ ووُضِعَ على اللَّحْمِ المشقَّقِ ألزَقَهُ (ساعد على التئامه أي شفائه) وإذا طُبِخَ مع الشَّبت الرَّطْبِ ولُطِّخَتْ به **القَوابي** (جمع قوبة من أنواع المرض الجلدي) أبْرَاهَا، وإذا خُلِطَ بملْحٍ مسْحُوقٍ من الملح المُحْتَفَر (أي المستخرج من الأرض) من معَادِنِه وقُطِّر فاتِرا في الأذنِ سكَّنَ وَرَمَها **ودَويَّها** (طنينها) وأبْراهَا من أوْجاعِهَا، وإذا تُلُطِّخ به قتَلَ القَمْلَ والصِّئْبَانَ (بيض القمل). وهو يَجْلُو ظُلْمَةَ البَصَرِ وإذَا **تُحنِّك** به (دُهِنَ به الحنك أي تجويف الفم) أو تُغرْغَرَ به أبْرَأَ أوْرَامَ الحلْقِ وأوْرَام العضلِ التي عن جَنْبَتَي اللّسَانِ والحَنكِ واللوْزَتين والخناق، ويُدِرّ البوْلَ (ينزل البول بكثرة). ويُوافِق السُّعَال إذا شُرِب سُخْنًا بدُهْنِ الوَرْدِ، وينفعُ من **نَهْشِ** (لدغ) الهوامِّ (الحشرات) وشُرْب عُصَارَةِ الخَشْخَاشِ الأسودِ. وإذا لُعِقَ أو شُرِبَ نَفَعَ من أكْلِ الفطْرِ القتَّالِ ومِنْ عَضَّةِ الكَلْبِ **الكَلِب** (المسعور). والَّذِي لَمْ تُؤخَذْ رغْوَتُهُ نافِخٌ يُحرِّكُ السُّعَالَ ويُسْهِلُ البطنَ؛ ولذلك يَنْبَغِي أنْ يُسْتَعْمَلَ وقَدْ نُزِعَتْ رَغْوَتُهُ. وأجْوَدُهُ الربيعيُّ، وبعدَه الصيْفِيّ، وأرْدَؤُهُ الشّتْوِيُّ لأنّه أغْلَظُهَا. وإذَا غَلُظَ لَمْ تكنْ له تلك القوّةُ وأمّا العسلُ الذي يكونُ في الجزيرةِ التي يقَال لها سرْدُونيا المرُّ الطعْمِ، لرَعْيِ الأفسَنْتين، فإنّه إذا لُطّخ به الوجهُ نَقَّى **الكَلَفَ** (النَّمَشَ أي بُقَعَ الوجه) العارِض فيه وسائرَ الأوسَاخِ العارضِةِ من فُضُولِ **الكيموسات** (جمع كيمس كلمة يونانية بمعنى الأخلاط) وقَدْ يكونُ بالبلاد التي يُقَال لها ارقليانيطيقي في بعْضِ الأزمنةِ بخاصيةٍ في الزّهْرِ عسلٌ يعرضُ منه لِآكِلِهِ ذَهابُ العقلِ بغُمَّةٍ (بإغماء) بغْتَةً والعرقُ الكثيرُ وإذَا أكَلُوا **السذاب** والسمكَ المالحَ وشربُوا الشرابَ المسمَّى **اويومالي** انتفعُوا به، وينبغي أن يعاوِدَ الأكْلَ مرةً بعْدَ مرةٍ ويتقيّأوا بَعْدَ أكْلِهِ وشُرْبِهِ. وهذا العسلُ حِرِّيفٌ وإذا شُمَّ حَرَّكَ العُطَاسَ



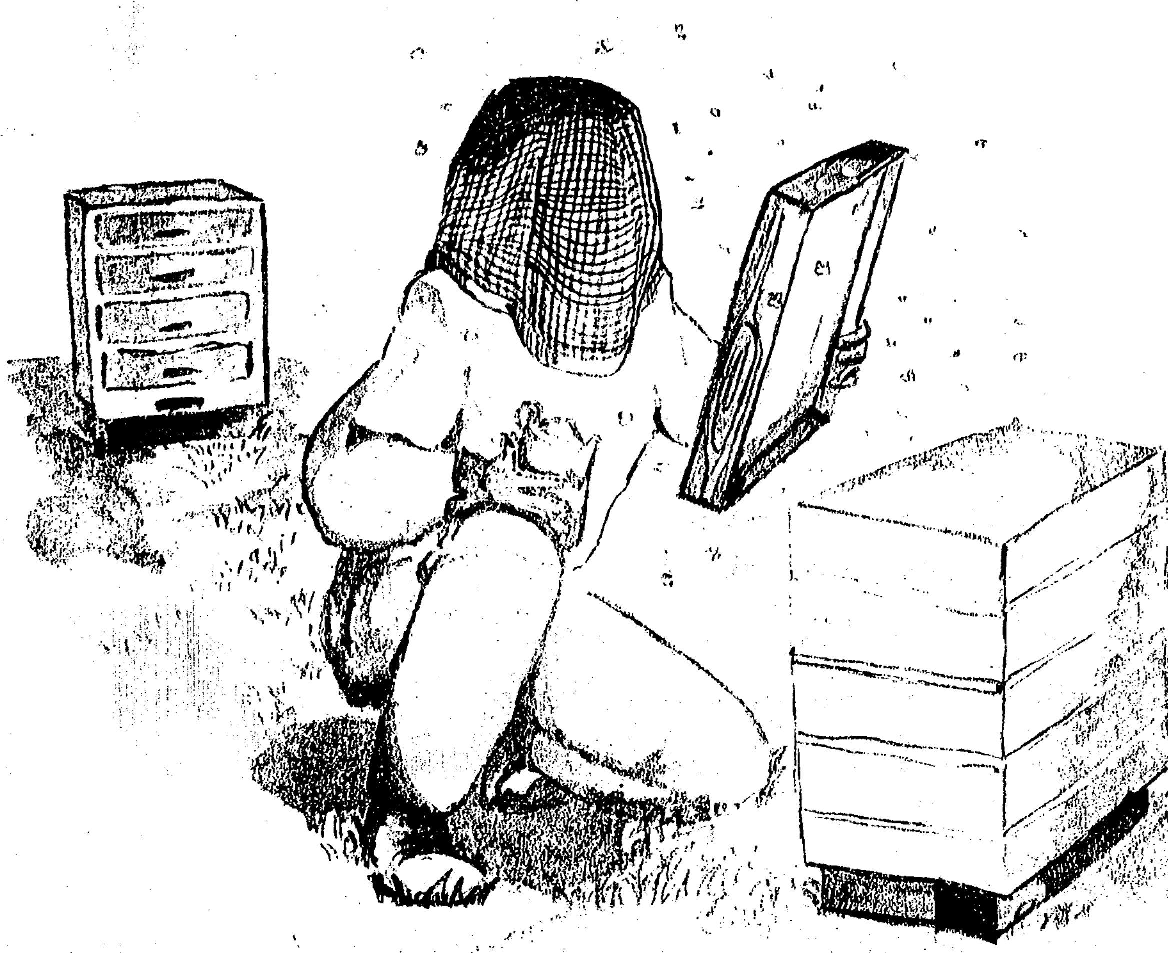
وإذا تلطخَ به بعْدَ أن يُخْلَطَ بالقسطِ نقّى الكلفَ. وإذا خُلِطَ بالْمِلْحِ ذَهَب بآثارِ الضربِ الباذنجانية. **البصريُّ** سريعُ الاستحالةِ إلى الصَّفْراء **لَحَّاسٌ** (مُذِيب) لِلْبَلْغَم، جيّدٌ للمشايخ والمَبْرُودِينَ، رديءٌ في الصّيفِ لِذَوِي الأمزاجِ الحارَّةِ. **البَصْرِيّ** له جلاء وطيبُ لطافة يجْذِبُ الرطوباتِ من قَعْرِ البدَنِ وينقّي أوساخَ الجروح وهو صالحٌ للمُبَلْغَمِين (من عندهم بَلْغَم) والمَرْطُوبِينَ، يُلَيِّنُ الطبيعَة ويغْذُو الأبْدَانَ إلا أنه رديءٌ لأصحابِ الصَّفْراءِ ولا سيّمَا الصَّعْتَرِيُّ (لون عشب الصعتر) منه. فأمّا الوَرْدِيّ منه فإنه طيّب الرائحةِ والمذاقةِ وهو أقل حرارةً من الصَّعْترى وأجودُ العسلِ ما حَلا جِدًّا وكان أحْمَرَ فيه حدَّةٌ يسيرةٌ وطيبُ رائحةٍ ولم يكنْ سيَّالًا ولا مَتِينًا وأمَّا العسلُ الذي يشوبهُ مرارةٌ من رَعْيِ الأفسنتين فهو أصْلَحُ من جَمِيعِ أنْواعِ العسلِ لِلْكَبِدِ والمَعِدَةِ



وأما العسل الذي يعمله النحل من الحاشا (الصعتر) فنافع للسّدد، أيضا فتّاح لها.

ويفْتَح السدَد، وهو صالحٌ لمَنْ به **حينٌ** (دمل). وأمَّا العسلُ الّذي يعملُه النَّحْلُ من الحَاشا (الصعتر) فنافع للسّددِ أَيْضًا فَتَّاحٌ لَها. وخاصّةُ العَسَلِ جَذْبُ الرطوباتِ وحفْظُ اللحومِ من أن تَفْسَدَ أو تَنْتَنَ. وقال وأمَّا العسلُ الغيرُ المطبوخ فصالحٌ للمعدةِ الباردةِ والأمعاءِ الوارمةِ ووجَع المعدةِ الكائنِ من البلْغم، مُشَهّ للطّعَامِ ويغذو غِذَاءً جيّدًا وينفعُ **اللقْوَةَ** (اعوجاج الفك). قال وأمَّا العسلُ المطبوخُ فصالحٌ للقَيْءِ مُلَيِّنٌ للطبيعةِ، يُقَيَّأُ به من شُرْبِ أدويةٍ قَتَّالةٍ مع دُهْنِ سِمْسِم رطلًا وهو المثلَّثُ. قال : وشرابُ ماءِ الشّهْدِ ليس بجيّد للمريضِ لما يشوبُهُ من الشَّمْع وهو شرابُ مَنْ كان من الأصحاءِ قويَّ المعدةِ. وقال **الرَّازي** في الحاوي : والعسلُ أحْمَدُ ما يُتعَالَجُ به للّثَةِ والأسنانِ وذلك أنه قدْ يجمَعُ مع التَّنْقِيةِ والجلاءِ لها صَقْلَها إلى أن يَنْبُتَ لحمُ اللّثَةِ وهو مِنْ أنْفَعِ ما عُولِجَ به، وأسهلهُ استعمالا. وقدْ ظنَّ قومٌ أنَّ العسلَ يُرْخِي المعدةَ واللّثة لحلاوتِه، ولم يعلَمُوا أنه لا يُرْخِي اللّثَة من

الحلاوات إلا ما كان في طَبْعِهِ رَطبًا، والعسلُ يابسٌ. وإنَّما ترخى الحلاوةُ إذا كانتْ مفردةً لاحراقةَ معها كما مع العسل أو قَبْض كما مع المرّ ولاجلاء. وإذا كانَ كذلكَ فهو يُرْخي لا مَحَالَةَ. ويُعْرَفُ يُبْسُ العسلِ من بُعْدِهِ عن العفونةِ ومن حِفْظه لأجسامِ الموْتى. وفي مَوْضع آخر منْه : العسلُ يحفَظُ على الأسنانِ صِحّتَها إذا خُلط بالخَلِّ وتمضْمَض بهِ في الشهرِ أيّامًا. وإذا **اسْتُنَّ به** (دعكت به الأسنان) على الأصبع صَقَلَ الأسنانَ واللِّثَة ويبَيّض الأسنانَ ويُمْسك عَلَيْها صِحَّتها. (وقال) **الشريفُ** إذا خُلِط مع دُهْن وردٍ ولُطِّخَ على الشهدية وسائرِ القروح البلغميّةِ المالحةِ بَرَأها. مُجَرَّبٌ. وإذا حُقِنَت القروحُ والجِراحات **الغائرةُ** (العميقة) بهِ مع لسانِ الحَمَل وفُعِلَ ذلك ثلاثةَ أيّامٍ نقَّاها من **أوْضَارِهَا،** (وسخها) وغَسَلَهَا وألْحَمَها. العسلُ إذا جُعل مع الأدويةِ الجلّاءة أحَدَّ البصرَ وقوّاه، وإذا تُحنِّك به أو تُغُرْغِرَ به عند انْفِجار الدَّم وأورامِ اللوزتينِ نقَّاها. وكذا **يُفْعَل** بكلّ جراحةٍ تحتاج إلى جلاءٍ وتنْقِيَةٍ. وإذا عُجِن بدقيقِ الحواري فتَح الأورامَ الصُلْبَةَ وأنْضَجَهَا. والنضيجةُ يفتحُها ويمْتَصّ ما فيها من **المدّةِ** (القيح). وهو على هذه الصفةِ من أنفَعِ الأدويةِ للقرْحَةِ الحادثةِ في الظّهر وإذا عُجِن به الزراوند أو الكرسنة أنبتَ للقرْحَةِ الحادثةِ في الظَّهْر وإذا عُجن به الزراوند أو الكرسنة أنبتَ اللحمَ



إمكانه وصفها في موضوع العسل في الدرس الثامن.

في الجراحاتِ العميقةِ. وإذا أضيفَ إلى هذه اللوزُ المرُولبَ حَبُّ المحْلَبِ ودقيقُ الشعيرِ وما أشبهها وطُلِي به البَدَنُ أدرَّ (زاد فيه) العَرَقَ. وإذا شُرِبَ بالماءِ نقَّى الصدرَ المحتاجَ إلى تَنْقِيَةٍ فَضْلٍ فيه وهو مِنْ أنفع ما يَشْرَبُهُ **المَفْلُجُون** (المشلولون) والمخدُرون. وإذا استُعْمل بالماءِ وهو غَيْر مَنْزُوع الرّغْوةِ كان فيه تَلْيِينٌ للبَطْنِ وإذا شُرِبَ بالماءِ نَقَّى الجروحَ والأمعاءَ وهَيَّأَها للأدويةِ كما يفعلُ الريّ. وإذا خَالَطَ الحقن قَوَّى إسْهَالَهَا. وإذا عُجِنَتْ به أدويةُ **البَرَصِ والبَهَقِ** (أمراض جلدية) زاد في جِلاَئِهَا.

التــــدريـبـــات

١ ـ لاحـظ التـعـبـيـرات الـتـالـيـة :

ـ نال حظوة لدى الملك : أصبح مقربا من الملك.
ـ انتهى به الأمر إلى كذا : وصل في النهاية إلى كذا.
ـ الجـهـاز الـتـنـفسـي : الأعضاء التي يتنفس بها الإنسان.
ـ الجـهـاز الهضمي : الأعضاء التي تتم من خلالها دورة الطعام في الجسم.

٢ ـ أسـئـلـة حـول الـنـص :

١ ـ ما مدى إسهام العلماء العرب في علم الأعشاب الطبية ؟
٢ ـ ما المقصود بمصطلح « الصيدلة » عند العرب ؟
٣ ـ ما المقصود بمصطلح « العقاقير » ؟
٤ ـ ماذا يعني مصطلح « الأقربازين » ؟
٥ ـ بم تميزت طريقة العرب عن طريقة اليونانيين في علم الصيدلة ؟
٦ ـ متى أثرت طريقة العرب في مناهج البحث الأوربية ؟
٧ ـ من هـو ابن البيطار ؟
٨ ـ ما المنهج العلمي الذي تميز به ابن البيطار ؟
٩ ـ متى ولـد ابن البيطار ؟
١٠ ـ أين كان يعيش ابن البيطّار ؟
١١ ـ ما البلاد التي زارها في حياته ؟
١٢ ـ متى بدأ رحلته الأولى عن مسقط رأسه ؟
١٣ ـ ماذا كان هدفه من رحلاته ؟
١٤ ـ مَنْ أشهر الأساتذة الذين التقى بهم ؟
١٥ ـ في عهد من عين رئيسا للعشابين ؟
١٦ ـ فِيمَ أفادته وظيفة رئيس العشابين هذه ؟
١٧ ـ ما أهم الكتب التي ألّفها ابن البيطار ؟
١٨ ـ ما المقصود من أن ابن البيطار « كان في تأليفه باحثا مؤلفا ولم يكن ناقلا مسجلا » ؟
١٩ ـ بماذا تميز منهج ابن البيطار ؟
٢٠ ـ من أشهر تلاميذ ابن البيطار ؟

٢١ ـ بماذا شهد له تلاميذته ؟
٢٢ ـ أين توفي ابن البيطار ؟ ومتى ؟
٢٣ ـ لمن أهدى ابن البيطار كتابه « الجامع في مفردات الأدوية » ؟
٢٤ ـ كم سنة حكم فيها الملك الصالح ؟
٢٥ ـ متى ألّف ابن البيطار كتابه « الجامع في مفردات الأدوية » ؟
٢٦ ـ متى طبع كتاب ابن البيطار ؟
٢٧ ـ ما الأهداف التي كان ابن البيطار يريد تحقيقها بكتابه ؟
٢٨ ـ لماذا سمي كتابه « الجامع » ؟
٢٩ ـ بم تستدل على أمانته في التأليف ؟
٣٠ ـ كيف رتب ابن البيطار مادة كتابه ؟ وما رأيك في هذه الطريقة ؟
٣١ ـ كم طبيبا ذكرهم ابن البيطار في كتابه ؟ وماذا تفهم من ذلك ؟
٣٢ ـ بم يمتاز أسلوب ابن البيطار في كتابه ؟
٣٣ ـ هل كل ما ورد في كتاب ابن البيطار مقبول علميا ؟ وما دليلك ؟
٣٤ ـ عم يتحدث النص المنقول عن ابن البيطار ؟
٣٥ ـ من هم العلماء الذين نقل ابن البيطار آراءهم في العسل ؟
٣٦ ـ أي أنواع العسل أجود كما فهمت من النص ؟
٣٧ ـ أي الأدواء يصلح العسل لعلاجها في رأي ابن البيطار ؟
٣٨ ـ ما الأماكن التي تنتج عسلا جيدا ؟
٣٩ ـ في أي فصول السنة يكون العسل أجود ؟

٣ ـ صـــواب أو خـــطـــأ :

١ ـ العقاقير هي قوانين عمل الأدوية.
٢ ـ اعتمد علم الأعشاب عند العرب على الطريقة التجريبية في الملاحظة والاستنتاج.
٣ ـ ولد ابن البيطار في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي.
٤ ـ ابن المفرج العالم النباتي المشهور أحد تلامذة ابن البيطار.
٥ ـ رحل ابن البيطار كثيرا من أجل الدراسة وتحصيل العلم.
٦ ـ « العشابون » هم النباتيون الذين يأكلون اللحوم.
٧ ـ كانت مكتبات مصر والشام حافلة بالكتب العلمية في القرن الثالث عشر الميلادي.
٨ ـ كان ابن البيطار في تأليفه ناقلا مسجلا فحسب.
٩ ـ أفادت أوربا في عصر النهضة من المنهج التجريبي عند العرب.
١٠ ـ توفي ابن البيطار في دمشق سنة ٦٦٤ هجرية.
١١ ـ ألف كتاب « **الجامع في مفردات الأدوية والأغذية** » فيما بين سنتي ١٢٤٠ و ١٢٤٩ ميلادية.
١٢ ـ كان العسل يستخدم في شفاء النواصير والجروح الغائرة.
١٣ ـ إذا شرب العسل سخنا بدهن الورد فإنه يزيد السعال.
١٤ ـ إذا شرب العسل أو لعق أفاد في عضة الكلْب الكَلِب (المسعور).
١٥ ـ العسل من أنفع الأدوية للقرحة التي تحدث في الظهر.
١٦ ـ العسل الجيد هو الذي إذا أخذ بالاصبع انجذب المتعلق بها إليه.
١٧ ـ العسل لا يتعلق ويحفظ أجسام الموتى.

١٨ ـ إذا تغرغر مريض اللوزتين بالعسل زاد احتقانهما.
١٩ ـ إذا شرب العسل مخلوطا بالماء نقى الصدر المحتاج إلى تنقية.
٢٠ ـ عسل جزيرة صقلية عسل رديء.
٢١ ـ العسل مفيد في الصيف لذوي الأمزاج الحارة.

٤ ـ ضع كل كلمة أو عبارة مما يأتي في الفراغ الذي يناسبها من الجمل التالية :

الأعشاب الطبية ـ عصر النهضة ـ حظوة ـ البواعث ـ صحة النقل ـ حروف المعجم ـ تقاليد البحث العلمي ـ الخصائص العلاجية ـ لا خلاف على ـ رئيس العشّابين.

١ ـ كتاب ابن البيطار سهل لأنه مرتب على ....ولذلك يسهل البحث فيه.
٢ ـ أسهم كتاب ابن البيطار في إرساء .... بالمنهج الذي سلكه في تأليفه.
٣ ـ عين ابن البيطار .... في عهد الملك الكامل وابنه الملك الصالح.
٤ ـ أثرت طريقة العرب التجريبية في مناهج البحث الأوربي خلال ....
٥ ـ أثناء حكم الدولة الأيوبية نال ابن البيطار .... عند الملك الكامل وابنه الملك الصالح.
٦ ـ كان من أهداف ابن البيطار .... عن المتقدمين.
٧ ـ اشتهر العرب بالبراعة في علم ....
٨ ـ تهتم كتب الأدوية القديمة ببيان .... للنباتات والأعشاب الطبية.
٩ ـ من المعروف أنه .... أن وفاة ابن البيطار كان سنة ٦٤٦ هـ.
١٠ ـ شرح ابن البيطار .... التي دفعته إلى تأليف كتابه في الأدوية.

٥ ـ من خلال فهمك للدرس أكمل الجمل الآتية :

١ ـ لم يكن ابن البيطار في تأليفه العلمي .... بل كان ....
٢ ـ ابن أبي أصيبعة من أشهر ....
٣ ـ أهدى ابن البيطار كتابه (**الجامع في مفردات الأدوية**) إلى ....
٤ ـ سمي ابن البيطار كتابه « **الجامع** » لأن ....
٥ ـ الياسمين نبات له ....
٦ ـ ماء الشهد ليس بجيّد للمريض لما ....
٧ ـ إذا طبخ العسل وأنضج ....
٨ ـ إذا لطخ الوجه بعسل سردونيا ....
٩ ـ العسل الذي يعمله النحل من الحاشا (الزعتر) ....
١٠ ـ العسل غير المطبوخ يفيد في حالة ....
١١ ـ العسل المطبوخ يفيد في حالة ....
١٢ ـ شراب ماء الشهد شراب من كان ....
١٣ ـ إذا خلط العسل بالخل وتمضمض به فإنه ....
١٤ ـ إذا طبخ العسل ووضع على اللحم المشقق ....

٦ ـ استخدم « أما .... فـ .... » في إكمال الجمل الآتية :

مثال : العسل غير المطبوخ صالح للمعدة الوارمة ووجع المعدة **أما** العسل المطبوخ **فـ**مُلَيِّنٌ للطبيعة.

١ ـ العسل من النحل أما .... فـ ....

٢ ـ ابن طفيل من الأندلس أما .... فـ ....

٣ ـ ابن البيطار من علماء الصيدلة أما .... فـ ....

٤ ـ القرآن كلام الله تعالى أما .... فـ ....

٥ ـ أحسن اللؤلؤ ما كان بجانب الفم داخل الصدفة أما .... فـ ....

٧ ـ استخدم « وذلك أنه .... » في إكمال العبارات التالية كما في النموذج :

مثال : العسل أحمد ما يتعالج به للثة والأسنان **وذلك أنه** قد يجمع مع التنقية والجلاء لها صقلها إلى أن ينبت لحم اللثة.

١ ـ ابن بطوطة من أشهر رحالة العرب وذلك أنه ....

٢ ـ يعد ابن خلدون واحدا ممن أثروا في تاريخ المعرفة وذلك أنه ....

٣ ـ الاجتماع ضروري للإنسان وذلك أنه ....

٤ ـ اعتبر حي بن يقظان الغزالة أما له وذلك أنها ....

٥ ـ يعتبر ابن طفيل الفاكهة خير الأطعمة وذلك أنها ....

٨ ـ تدريب كتابي :

أكتب عشرة أسطر تبين فيها أنواع العسل وفوائده.

٩ ـ هات الجذر الثلاثي للكلمات الآتية واكشف عن معانيها في المعجم، ثم استعمل كلّا منها في جملة مفيدة :

العشابون ـ المشاهدة ـ حريفة ـ ضائر ـ أَوْضَارٌ ـ المفلوجون ـ الأمعاء ـ الجلاء ـ الرائحة ـ المذاقة.

اقرأ واحفظ

المُنَخَّل اليَشْكُرِيّ في الغزل وأوهام الشرّاب
(من مَجْزوء الكامل)

وَلَقَدْ دخلْتُ على الفَتَا ... ةِ الخِدْرَ في اليَوْمِ المَطِيرِ
الكاعِبِ الحَسْناءِ تَرْ ... فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحَريرِ
فَدَفَعْتُها فتدافعَتْ ... مَشْيَ القَطاةِ إلى الغديرِ
ولثمتُها فتنفَّسَتْ ... كتنفُّسِ الظَّبْيِ البَهيرِ
فدنَتْ وقالَتْ يا مُنَخَّلُ ... ما بِجِسْمِكَ من حُرُورِ
ما شَفَّ جِسْمي غيرُ حُبِّكِ ... فاهْدَئِي عَنِّي وسِيرِي
وأُحِبُّها وتُحِبُّني ... ويُحِبُّ ناقَتَها بَعِيرِي
وإذا انتشَيْتُ فإنَّني ... رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
وإذا صَحَوْتُ فإنَّني ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعِيرِ

الشاعر : المُنَخَّل اليَشْكُرِيّ : شاعر جاهلي، توفي نحو سنة ٢٠ قبل الهجرة (٥٩٧ م). قال قصيدة تغزل فيها بإحدى أميرات مملكة الحِيرَة فغضب عليه الملك وطلبه فاختفى مدة طويلة ويئس الناس من ظهوره (ولهذا نشأ التعبير القائل « لا أفعل كذا حتى يؤوب (يرجع) المنخل »، أي لا أفعل هذا أبدا). ثم ظهر المنخل فجأة في عهد النُّعمان بن المُنْذِر، فعفا عنه وقَرَّبَه حتى أصبح نَدِيمًا له.

شروح : **الخدر** : غرفة نوم المرأة المحجوبة ـ **الكاعب** : الفتاة التي برز ثدياها ـ **ترْفُل** : تمشي في دلال ـ **الدِّمَقْس** : الحرير الدمشقي ـ **لثمتها** : قبلتها ـ **البهير** : الذي انقطع نفسه من شدة الجهد ـ **حرور** : سخونة ـ **شف** : أصابه بالهزال والضعف ـ **انْتَشَيْتُ** : سَكِرْت ـ **رَبُّ الخَوَرْنَق** : صاحب أو مالك الخورنق ـ **الخورنق والسدير** : هما قصران من قصور ملك فارس ـ **الشويهة** : تصغير شاه.

الـدرس الـتـاسـع

من مقامات بديع الزمان الهمذاني :

المـقـامـة الـديـنـاريـة

كان ميلاد المقامة في الأدب العربي نوعا من المصالحة بين موضوعات الأدب الشعبي وقوالب الأدب الرسمي، فهي تقوم على شعبية المضمون، وأرستقراطية الأسلوب، فمن حيث الموضوع تبدو متحررة ولا يوجد موضوع يستعصى عليها، ومن حيث الأسلوب نراها محددة جدا، إذ تبتعد عن اللغة الدارجة وتستخدم ألفاظا وتعابير غريبة بقصد التدليل على الاقتدار اللغوي، كما تستخدم ألوان الصناعة الأسلوبية كالسجع والجناس على نحو مقصود.

وللمقامة شغف بتصوير أحوال أفراد الشعب على نحو حافل بالسخرية في العادة، وبخاصة هؤلاء الذين يعيشون على هامش المجتمع، ويحيون حياة الصعلكة (التشرد) والشطارة (التحايل) واللصوصية.

وأسلوب المقامة أسلوب قصصي، مما يجعلها قريبة من روح الأدب الشعبي. وهي تتخذ الأحداث والشخصيات وسيلة تحقق بها أغراضها الأدبية والاجتماعية والخلقية. وهي ـ بشيء من التجاوز ـ تقترب في طبيعتها من القصة القصيرة بمعناها الحديث. ومنذ أن ابتكر بديع الزمان الهمذاني هذا اللون الجديد في الأدب العربي لم ينقطع تأثيره إلى اليوم.

مـداخـل إلـى دراسـة الـنـص

عـن الـكـاتـب :

- هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان وينسب دائما إلى همذان **مسقط رأسه** فيقال : بديع الزمان الهمذاني.

- ولد سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢ م). ومات سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) أي وهو في حوالي الأربعين من عمره.

- حين تجاوز عمره العشرين بقليل ترك مسقط رأسه إلى الري (عاصمة بني بويه في شمال فارس) واتصل بالصاحب بن عباد فأكرمه أولا غاية الإكرام، ثم حدثت بينهما **جفوة** (أزمة أو برود في العلاقات) فترك بديع الزمان مدينة الري، وانتقل إلى مدينة جرجان (قرب بحر قزوين).

- والظاهر أن بديع الزمان كان قد اعتاد التنقل وأصبح « **أفاقا** » (الأفاق : من يتجول في الأمكنة طلبا للرزق ودون مهنة ظاهرة سوى مهاراته الشخصية) فنحن نراه منذ ذلك الوقت ينتقل من بلد إلى بلد حتى آخر حياته.

- وأول مكان قصده بعد جرجان كان مدينة نيسابور التي يلتقي فيها بالأديب المعروف « أبو بكر الخوارزمي » مخترع علم الجبر (أنظر الدرس رقم ١٨ من هذا الكتاب) والظاهر أن **التحاسد** بينهما هو الذي **حكم علاقتهما** منذ البداية، فتبادلا رسائل عاتبة بعد فترة قصيرة من إقامة بديع الزمان في نيسابور، ثم **نشبت** (وقعت كما تقع الحرب) بينهما **مناظرة** أدبية مشهورة في تاريخ الأدب العربي. وقد استغرقت هذه المناظرة فترة طويلة. كان كل من **طرفيها** يستجم (يستريح) فترة، **ويلتقط** أنفاسه ليأخذ فرصة في التفكير، ثم يتم تدبير اجتماع بينهما ليرد كل منهما على صاحبه فيما كان قد أثاره في المرة السابقة... وهكذا.

- كانت هذه المناظرة بداية شهرة بديع الزمان الهمذاني لقدرته على التصدي للخوارزمي ذي الشهرة الأدبية العريضة.

- اكتملت للهمذاني أسباب الشهرة الحقيقية، فقد اخترع لونا جديدا من ألوان الإبداع الأدبي لم يكن معروفا من قبله في التراث العربي، وهو ما أسماه الهمذاني نفسه : **المقامات**.

- على الرغم من أن المقامات تنتسب إلى بديع الزمان دون خلاف، فإن دارسي الأدب يرون في التراث العربي السابق على بديع الزمان ألوانا من الكتابة يمكن أن تعتبر مقدمات لفن المقامة، مثل بعض كتابات ابن دريد والجاحظ.

- مع ابتكار الهمذاني لفن المقامات بدأ طوافا واسعا في البلاد لنشر هذا الفن الأدبي الجديد، فأصبح اسمه مقترنا بهذا الفن وحْدَه، على الرغم من أن له رسائل وأشعارا ومُسَاجَلات (مُحَاوَرات أدبية) عديدة.

- كانت المناظرة بين بديع الزمان والخُوارزمي فرصة لأن **يظهر كل منهما** براعته اللغوية، **وحضور بديهته**، وقدرته على المحاجّة (تقديم الحجج، أي تقديم ما يقوي وجهة نظره) واتساع ثقافته وبخاصة في الرجوع إلى محفوظه (ما يحفظه) من الشعر العربي القديم.

- كان بديع الزمان حين **ناظر** الخوارزمي شابا **متدفقا بالحيوية**، وكان الخوارزمي كهلا أو شيخا **يتحلى** بالهدوء والحكمة.

- ويقول الدارسون إن نهاية المناظرة لم تحمل معها انتصار واحد منهما على الآخر بشكلٍ واضح، ولكن يبدو أن حيوية الشباب في هذه المناظرة **ظهرت على** (تغلبت على) حكمة الشيوخ. ولعل هذا يرمز إلى انتصار الجديد وتغلبه على القديم في صراع الأجيال الذي لا ينتهي.

- ابتسم الحظ لبديع الزمان الهمذاني مرة واحدة خلال رحلته الشاقة في الحياة، وذلك حين أتيحت له فرصة الزواج من امرأة ثرية (كثيرة المال) **وعاش** لفترة محدودة في حياته عيشة **الأغنياء**، ولكن القدر لم يمتعه طويلا بهذه **النعمة الاستثنائية**، فتوفي بعد زواجه بزمن قصير.

- هناك قصة فظيعة تروى في موضوع موته، إذ يقال إنه بعد دفنه سمع من قبره أنين خافت، فنبشوا عليه (أي حفروا قبره مرة أخرى) فوجدوه ميتا وقد قبض على لحيته وعلى وجهه ذعر شديد.

- ترسم كتب الأدب لبديع الزمان صورة حية المعالم يمكن تلخيص بعض خطوطها (ملامحها) فيما يلي :
  ١ ـ كان طموحا جدا إلى الثروة والجاه (المكانة الاجتماعية).
  ٢ ـ كان يؤمن بالصراع للحصول على ما يريد وقد تجلى ذلك (ظهر واضحا) في مناظرته مع الخوارزمي ومحاولته فيها التقليل من شأن الخوارزمي وتعظيم نفسه.

٣ ـ كان مفرط الذكاء (ذكيا جدا) ذا حافظة (ذاكرة) قوية، وقدرة فائقة على الارتجال (القول **من وحي اللحظة** بدون إعداد سابق).

٤ ـ كان واسع الثقافة، متعمقا في علوم اللغة العربية، وبخاصة في الفكاهات، والنوادر، والشعر، وكان صاحب أسلوب خاص في التعبير.

- ترك بديع الزمان من الآثار الأدبية :

١ ـ ديوان شعر لا يرقى ما فيه إلى شعر الدرجة الأولى.

٢ ـ مجموعة رسائل أهم ما تمتاز به **المحسنات البديعية**.

٣ ـ كتاب المقامات الذي أخذ منه هذا النص، وسنخصه بكلمة وافية فيما يلي :

عن الكتاب :

- يحتوي كتاب « مقامات بديع الزمان الهمذاني » على اثنتين وخمسين مقامة. ويقال إنه أنشأ في الأصل حوالي أربعمائة مقامة لم يبق منها سوى هذا العدد. وإذا صح هذا يكون قد ضاع من مقامات البديع حوالي **ثلاثة أرباعها** وبقي حوالي **الربع فقط !**

- تصاغ كل مقامة على شكل قصة قصيرة، من المفروض أن تحدث متصلة أي تبدأ وتستمر وتنتهي في جلسة واحدة (فكلمة مقامة في الأصل تعني الجلسة).

- تدور معظم موضوعات مقامات بديع الزمان حول « الكدية ». (هذه الكلمة فارسية الأصل، وهي تعني إظهار الفقر والتسول)، فكثير من المقامات تحفل بألوان الحيلة والخداع ولكنها تنتهي عندما يحصل البطل ـ أبو الفتح الإسكندري ـ على ما يريده من المال. ولكن بعض المقامات لها طابع أدبي ظاهر، وبعضها يحمل طابعا اجتماعيا، فهي سجل حافل لحيل اللصوص وأساليبهم، وهي **مصباح كاشف** عن كثير من ألوان الفساد الاجتماعي، وبخاصة ما يتصل بالحياة **ذات الوجهين** التي تحمل في **ظاهرها** ألوان الزهد والتقوى والورع، وتخفي في **باطنها** ألوان الخبث والرياء والنفاق.

- في **المقامات البديعية** راو (أي شخص يخبرنا عن حوادثها) وهو **عيسى بن هشام**. وهو راو واحد لا يتغير في جميع المقامات. وفي كل مقامة **بطل** (شخصية رئيسية) هو أبو الفتح الإسكندري. وهو كذلك بطل واحد لا يتغير في جميع المقامات. **والراوي** يقوم بمهمة الكشف عن شخصية البطل، بينما يحاول البطل التنكر (إخفاء شخصيته) حتى آخر لحظة. والراوي عالم مثقف ـ مثل البطل ـ وهو كذلك ـ مثل البطل ـ ميال إلى حياة اللهو والانغماس في الملذات. ولكنه ـ على خلاف البطل ـ رقيق القلب، راغب في مساعدة المحتاجين، كما أنه لا يستجدي الناس. ولا يبدو بخيلا أو محتالا. أما **البطل** فهو لغز محير، لا يصرح باسمه ويسعى إلى الحصول على المال عن طريق الحيلة. وهو نموذج **للصعلوك** (اللص المغامر)، كما أنه قريب في بخله من نماذج الجاحظ في كتاب البخلاء.

- أسلوب المقامات نثري، ولكنها في **الأغلب الأعم** (في معظم الأحيان) تشتمل على أبيات شعرية تتضمن حكما وأمثالا وشواهد على الأحداث المعروضة. وهذه الأشعار **غالبا ما** يذكر قائلها وفي بعض الأحيان ترد أشعار **لا تنسب إلى قائلها**، والمفهوم في هذه الحالة أنها من شعر بديع الزمان نفسه.

- تعتمد المقامات على الخيال الجامح (البعيد) أحيانا، وعلى ما يجري في واقع الحياة اليومية أحيانا أخرى. وأسلوبها يقوم على **السجع** والتشبيهات والكلمات الغريبة والتكلف في التعبير. والمقامات معرض متنوع لاظهار قدرة البطل الفائقة في اللغة العربية الكلاسيكية. وتمتلئ بالنوادر والقصص الجانبية المسلية والعظات البليغة، وغالبا ما تكون **عقدة القصة** فيها ضعيفة لا تدل على إحكام الصنعة القصصية.

- أثرت مقامات بديع الزمان في الكتاب قديما وحديثا. ومن أشهر من تأثروا به في القديم الحريري صاحب المقامات التي تحمل اسمه، والتي تجري على نسق (نظام) مقامات بديع الزمان.



- لم يقف أثر مقامات الهمذاني عند أدباء اللغة العربية، فقد راجت في جهات كثيرة في اللغات الأخرى، كالسُّريانية والعِبْرية.
- استمر أثر المقامات حتى النهضة الحديثة فوجدنا كتابا من القرن التاسع عشر **ينسجون على منوال** (يسيرون على طريقة) المقامات وفي مقدمتهم الشيخ حسن العطار ومحمد المويلحي من مصر، وناصيف اليازجي وفارس الشدياق من لبنان، والألوسي من العراق.
- طبع كتاب « مقامات بديع الزمان الهمذاني » في الآستانة، وفي بيروت سنة ١٨٨٩ بشرح الشيخ محمد عبده، ثم طبع بعد ذلك طبعات كثيرة. ونحن نستخدم هنا طبعة الشيخ محمد عبده وشروحه.

عـن الـنـــص :

- موضوع المقامة الدينارية مباراة في الشتائم والسباب من أجل الفوز بدينار، طرفاها أبو الفتح الاسكندري بطل المقامات، وشخص من « بني ساسان » (بنو ساسان : لقب يطلق في التراث العربي على جماعة من المحتالين كانت تتخذ من التسول والعراك والسباب وإثارة الفوضى والمزاح وسيلة إلى الخداع والسرقة في الطرقات والأسواق).
- تعتبر المقامة الدينارية نموذجا كاملا للموضوع الأساسي الذي تدور عليه جميع المقامات وهو الكدية، فطرفا الحوار يتخذان من التسول، والتسابق عليه، والإلحاح في الطلب، وتوظيف كل مهاراتهم وسيلة للحصول على دينار.
- تبدأ المقامة الدينارية بمقدمة قصيرة، على لسان الراوي، **مثلها في ذلك مثل** غيرها من المقامات، وأول ما نسمعه منها عبارة « **حدثنا عيسى بن هشام قال :** » وهي تكوّن **لازمة** تتردد في بداية كل مقامة.
- يأتي بعد ذلك تحديد الموضوع الأساسي للمقامة وهو رغبة الراوي في أن يتصدق بدينار على أشحذ متسول في بغداد (أي أكثر الشحاذين جرأة وإلحاحا في الطلب) فيدل الناس الراوي على أبي الفتح الإسكندري (بطل المقامات) لانطباق الشرط عليه، فيجده جالسا مع جماعة من الشحاذين، فيخبرهم الراوي بالموضوع فيتشاتمون ويتعاركون في محاولة من كل منهم للحصول على الدينار. وينتهي الأمر بإقامة مناظرة في الشتائم بين أبي الفتح الإسكندري وشخص آخر تحداه من بين جماعة الشحاذين.
- يخرج كل واحد من المتناظرين ألوانا متنوعة إلى أقصى حد من الشتائم المقذعة (المؤلمة) وكلها يتناول أردأ ما في الإنسان من صفات.
- كل عبارة من عبارات السباب الواردة في المقامة هي في الواقع تلخيص أو تعليق على موقف أو ظاهرة اجتماعية يحتاج شرحها إلى حديث طويل.
- يمكن تصنيف هذه الشتائم في أنواع :

  ١ ـ **صفات حسية** : مثل : يا وسخ الكوز، يا دودة الكنيف، يا وسخ الآذان... الخ).

  ٢ ـ **صفات معنوية** : وهي متعددة مثل :

  أ ـ البخل : (يا مانع الماعون، يا تنحنح المضيف إذا كسر الرغيف، يا بخل الأهوازي... الخ)

  ب ـ ثقل الطبع : (يا حديث المغنين، يا رمد العين... الخ).

الـنـــص

حدَّثَنَا عيسى بنُ هشامٍ قال : **اتَّفَقَ لي نَذْرٌ نَذَرْتُهُ** في دينارٍ أتصدَّقُ به على أشْحَذِ رجلٍ ببغدَادَ. وسألتُ عنه فدُلِلْتُ علَى أبي الفتْحِ الإسكندَرِيّ. فمضيتُ إليْهِ. لأتَصدَّقَ بهِ علَيْهِ فوجدتُهُ في رُفْقَةٍ، قد اجتمعتْ عليه

في حَلْقَةٍ. فقلتُ يا بَنِي سَاسَان★ أَيُّكُمْ أَعْرَفُ بِسِلْعَتِهِ[١]. وأَشحذُ في صَنْعَتِهِ، فأُعْطِيَهُ هذا الدينَارَ فقالَ الإسكندريّ : أنَا. قال آخرُ من الجماعة : لا بَلْ أنَا. ثم تنَاقشا وتهارشا[٢] حتى قلتُ : لِيَشْتُمْ كُلّ مِنْكما صاحبَه. فمنْ غَلَبَ؛ سَلَبَ. ومَنْ عَزَّ؛ بَزَّ[٣].

فقالَ الإسكندريُّ : يا بَرْدَ العجوزِ[٤]. يا كُرْبَةَ تَمُّوز[٥]. يا وَسَخَ الكوز[٦]. يا دِرْهما لا يَجُوز[٦ب]. يا حديثَ المغنِّين[٧] يا سَنَةَ البُوس[٨]. يَا كَوْكَبَ النُّحُوس[٩]. يَا وَطْءَ الكابُوس[١٠]. يا تُخْمَةَ الرؤُوس[١١]. يا أم حُبَيْن[١٢]. يا رمدَ العَيْن. يا غداةَ البيْنِ[١٣]. يا فِرَاقَ المُحِبَيْن. يا ساعةَ الحَيْن[١٤]. يا مَقْتَلَ الحسَيْن[١٥]. يا ثِقَلَ الدَّيْن. يا سمةَ الشَّيْن[١٦]. يا بريد الشُّوم[١٧]. يا طريد اللُّوم. يا ثريدَ الثُّوم. يا باديةَ الزَّقُّوم[١٨]. يا منع المَاعُون[١٩]. يا سَنَةَ الطاعُون. يا آيَةَ الوعيد[١٩أ] يا كلامَ المُعِيد. يا أَقْبَحَ من حَتَّى. في مواضعَ شتَّى[٢٠]. يا

★ بنو ساسان : كناية عن الشحاذين في ذلك العصر.

(١) السلعة : ما يتجر به من المتاع. ولا متاع للشحاذين يبادلون عليه ويرتزقون من ربحه إلا تزوير الكلام في الاستجداء وما يتبعه : فهذه سلعة كل منهم التي يسأل عن أعرفهم بها.

(٢) تواثبا وتخاصما، وشتم كل منهم الآخر.

(٣) من غلب خصمه وقهره سلبه ما من جقه أن يكون له وهاتان العبارتان، وهما : (من غلب سلب، ومن عز بز) ومعناهما أن القوي يأخذ ما لدى الضعيف.

(٤) برد العجوز يشتد غالبا ويزداد ثقلا بمجيئه في آخر الشتاء عند استعداد الناس للقاء الربيع. وأيام العجوز سبعة، أربعة من آخر شباط (يقابل شهر فبراير) وثلاثة من أول آذار (يقابل شهر مارس).

(٥) تموز (يقابل شهر يوليو) وهو يأتي في أشد ما يكون من الحر ويعرض فيه أن يحتبس الهواء ليلا حتى لا يجد الحيوان متنفسا من شدة الحر وركود الهواء خصوصا بالليل فهذه هي الكربة التي يشير إليها وهي أثقل شيء على النفس.

(٦) وسخ الكوز (وعاء معدني للشرب) مما تتقزز منه النفس.

(٦ب) الدرهم الذي لا يجوز، المغشوش الذي لا يروج، فإذا دفعه مالكه ثمنا لشيء أعيد له.

(٧) يود سامع المغني أن لا ينقطع الغناء لاتصال لذة الطرب فإذا اشتغل المغني بالكلام عن الغناء انتظر السامع أن يفرغ من كلامه ليعود إلى غنائه وثقلت عليه إطالته وأضجره ذلك وأمله.

(٨) سنة البؤس هي سنة الجدب.

(٩) كوكب النحوس : جالب النحس أي الحظ السيّئ.

(١٠) الكابوس ما يقع على الإنسان بالليل من الحلم الثقيل الذي لا يستطيع معه أن يتحرك وهو أثقل شيء يجده النائم وهو تخيل ربما يدخل في باب الأحلام غير أنه يمتاز عنها بحقيقة الأثر في البدن.

(١١) ما يصيب الرأس عند فساد الطعام في المعدة لكثرته أو لأنه دخل على طعام قبل هضمه.

(١٢) أم حبين اسم للأفعىّ القرناء (ذات القرون) التي لا علاج للدغتها.

(١٣) صبيحة يوم الفراق بين المحبين.

(١٤) الحين بالفتح (هو الموت) وساعته من أشد الساعات ألما للميت ولأهله.

(١٥) مقتل الحسين موضع قتله وهو أشأم موضع لأنه أريق فيه دم بسيف ظالم.

(١٦) السمة العلامة والشين العيب.

(١٧) بريد الشؤم رسوله إلى الناس والشؤم سوء الحظ. وطريد اللوم المطرود للؤمه. **وثريد** الثوم كريه الرائحة جدا. (والثريد طعام يصنع من خبز وحساء وقد يوضع عليه ثوم).

(١٨) الزقوم هو شجر صحراوي مر، والبادية الصحراء.

(١٩) الماعون كل ما يستعار من فأس وقدوم وقدر ونحوها من منافع البيت، ومنعها عن الجار حرام في الإسلام.

(١٩أ) آية الوعيد هي الآيات التي ترد في القرآن لتهديد العصاة بالعقاب، وكلام المعيد (الكلام المكرر وهو يسبب الملل).

(٢٠) المراد هنا حرف حتى ومسائله من مشكلات اللغة العربية.

دودة الكنيف. يا فَرْوَة في المَصيف(٢١). يا تنَحْنُح المُضيف إذا كُسِرَ الرَّغيف(٢٢). يا جَشاءَ المَخْمُور(٢٣). يا نَكْهَةَ الصَّقور(٢٤). يا وَتد الدور(٢٥). يا خُذْرُوفَة القُدُور(٢٦). يا أَرْبَعاءَ لا تَدُور(٢٧). يا طمعَ المَقْمُور(٢٨). يَا ضَجَرَ اللِّسان(٢٩). يا مؤاكَلَة العُمْيان(٣٠). يا شَفَاعَة العُرْيَان(٣١). يا سَبْتَ الصِّبْيَانِ(٣٢). يا كتَاب التَّعازي(٣٣). يا قَرارَة المَخَازِي(٣٤). يَا بُخْلَ الأهوازِي(٣٥). يا فُضُول الرَّازِي(٣٦). والله لو وضَعْتَ إحْدَى رجلَيْكَ على أروند(٣٧) والأخرى على دماوند(٣٨)وأخذتَ بيدِكَ قَوْسَ قُزَح وندفْتَ الغَيْم في جبابِ الملائكةِ ما كنْتَ إلا حَلَّاجا.

وقالَ الآخرُ : يا قُرَاد القُرود(٣٩). يا نَكْهَةَ الأسُود(٤٠). يا عدَمًا في وُجود. يا كَلْبًا في الهِرَاش(٤١). يا قِرْدًا في الفِرَاش. يا قَرْعِيَّة بِمَاش(٤٢). يا أقَلّ مِنْ لَاش. يا دُخَان النِّفْط(٤٣). يا صُنَان الإبط(٤٤). يا زوالَ

---

(٢١) المصيف المكان الذي تقضى فيه زمن الصيف أو تجلس فيه في الصيف وإنما تطلبه فرارا من الحر فما أثقل الفروة. ولذلك فالفراء ثقيل جدا في الصيف.

(٢٢) تنحنح المضيف إذا كسر الرغيف : صوت يصدره صاحب البيت البخيل عندما يلاحظ أن ضيفه قد كسر رغيفا صحيحا.

(٢٣) المخمور شارب الخمر المكثر منها وجشاؤه منتن خبيث.

(٢٤) النكهة ريحة الفم، لأن الصقور لا تأكل إلا اللحوم فأفواهها كريهة الرائحة.

(٢٥) الوتد ما دق في الأرض أو الحائط من خشب ويضرب به المثل في احتمال الأذى لأنه لا يزال يدق حتى يتحطم.

(٢٦) لعله يريد من خذروفة القدر ما يصنع من الطين ليوضع عليه القدر كأنه أثفية من الأثافي ولا يعرف هذا المعنى في الكتب التي بأيدينا.

(٢٧) هو آخر أربعاء من كل شهر صفر خاصة عرف بين العامة بأنه نحس لا ينجح فيه عمل عامل.

(٢٨) المقمور المغلوب في القمار وطمعه قبيح من وجهين الأول أنه وهم لا يرجع إلى سند والثاني لا يزال بصاحبه حتى يورده موارد الفقر والإفلاس.

(٢٩) إذا ضجر اللسان عن الكلام لم يأمن صاحبه أن يرد به مورد الهوان.

(٣٠) والعميان في أكلهم لا يبالون أي موقع وقعت أيديهم من الطعام فلا يخلو مؤاكلهم من التقزز.

(٣١) العريان من الفقر يأتيك شافعا متوسلا في حاجة غيره وهو أحوج الناس في التوسل لنفسه.

(٣٢) ويوم السبت أثقل يوم على الصبيان لأنهم يذهبون فيه إلى المدارس للتعلم بعد يوم عطلة وهو يوم الجمعة.

(٣٣) كتاب التعازي يثقل على النفس قراءته لما فيه من الكلام المحزن.

(٣٤) القرارة القاع والمخازي جمع مخزاة وهي ما يوقع في الخزي والخجل من أنواع النقائص.

(٣٥) الأهوازي من كان من أهل الأهواز . ويبدو أنهم كانوا مشهورين بالبخل.

(٣٦) الرازي منسوب إلى مدينة الري من مدن الديلم. والفضول الزيادات الأخيرة التي لا خير فيها منها فضول الكلام وأهل الري يزيدون في الكلام بما يثقل على النفس.

(٣٧) أروند جبل أخضر ناضر يطل على همدان.

(٣٨) دماوند هو جبل **دنباوند** وهو الجبل العظيم المشهور بناحية الري. فهو يقول لمخاطبه : لو بلغت من العظم والجسامة أن تستطيع وضع إحدى رجليك على أحد الجبلين والأخرى على الآخر وأن تتناول قوس قزح (وهو ذو الألوان الذي يظهر في السحاب بعد المطر) وجعلته مندفا وندفت الغيم (أي نفضت الغيم) كما يندف القطن وكان ما تبسطه تحت مندوفك هو جباب الملائكة (جمع جبة). ما زاد قدرك على ما هو لك بوصف أنك حلاج وأي مقدار بين الناس لحلاج وإن عظم مندفه وانسع بين رجليه وبسط لمندوفه ما بسط (والحلاج الذي ينفض القُطن لتخليصه من البذور).

(٣٩) « قراد القرود » الذي يتكسب من تنظيف جلد القرود من الحشرات مثل البراغيث والقراد. وهي حرفة حقيرة.

(٤٠) النكهة الرائحة. والأسود لأنها لا تأكل إلا اللحوم من أخبث الحيوان نكهة.

(٤١) الهراش مواثبة الكلاب وتحرش بعضها ببعض والقرد في الفراش من أشد المقلقات لأنه لا يسكن من حركة ولا يألو فسادا وتمزيقا لما يصل إليه. أو لأنه نموذج للقبح.

(٤٢) القرعية طعام يصنع من القرع. والماش حب يقرب من حب الباقلاء وطعمه يقرب من طعم العدس فإذا خلط هذا الحب مع القرع كان كريه الطعم تضطرب له المعدة.

(٤٣) النفط هو الزفت، ودخانه خانق الرائحة.

(٤٤) الابط ما تحت الكتف حيث يكثر العرق، وهو كريه الرائحة إذا لم يداوم على غسله.

المُلْك. يا هلال الهُلْك[٤٥]. يا أخْبَث مِمَّنْ باءَ بذُلِّ الطَّلاق. ومُنِعَ الصَّداق[٤٦]. يَا وَحْل الطريق. يا ماءَ على الرِّيق. يامحرِّك العَظْم[٤٧]. يا مُعجِّل الهضْم[٤٨]. يا قَلَح الأسْنَان[٤٩]. يا وسَخ الآذان. يا أجَرَّ مِنْ قَلْس[٥٠]. يا أقَلَّ مِنْ فلْس. يا أفضَح من عَبْرَه[٥١]. يا أبْغَى مِنْ إبْرة[٥٢]. يا مَهَبَّ الخُفِّ[٥٣]. يا مَدْرَجة الأكُفِّ[٥٤] يا كلمةَ لَيْت[٥٥] يا وَكْفَ البَيْت[٥٦]. ويا كَيْتَ وكَيْت. واللهِ لَوْ وضعتَ اسْتَكَ على النجُوم. ودلَّيْت رجلَك في التخُوم. واتخذت الشعرى خُفًّا والثُّرَيَّا رَقًّا[٥٧]. وجعلتَ السماءَ مِنْوَالا. وحكْتَ الهواءَ سِرْبَالا فسدّيْتَه بالنَّسْرِ الطَّائِر. وألحَمْتَه بالفَلَك الدَّائِر. ما كنت إلا حَائِكا.

قالَ عيسى بنُ هشامٍ : فواللّهِ ما علمتُ أيَّ الرجُلَيْنِ أُوْثِرُ (أفضّل) وما منهما إلا بَديعُ الكلامِ. عجيبُ المقَامِ. ألدّ الخِصام[٥٨]. فتركتهما. والدينارُ مشاعٌ بينَهما (شركة بينهما) وانصرفْتُ وما أدري ما صَنَع الدَّهْر.

التـــدريـبـــات

١ ـ لاحظ التـعبـيرات التـالـيـة :

- التحاسد بينهما هو الذي حكم علاقتهما : أثرت المنافسة على نوع العلاقة بينهما.
- يلتقط أنفاسه : يستريح بين عملين.
- من وحي اللحظة : بدون إعداد سابق (ارتجالا).
- المحسنات البديعية : الوسائل اللفظية لتزيين العبارات مثل السجع.
- تنسب إلى قائلها : يذكر قائلها.
- الحياة ذات الوجهين : الحياة التي ظاهرها يخالف باطنها.
- السجـع : اتفاق عبارتين في الصوت أو الأصوات الأخيرة فيهما.

---

(٤٥) يريد أن مطلعه مطلع الهلال. والهلك بالضم الهلاك.
(٤٦) أقسى من طلاق المرأة بدون سبب وعدم إعطائها الصداق، أي المهر (والمقصود هنا التعويض المالي).
(٤٧) يريد الحمى الشديدة المصحوبة بشعور البرد بحيث تضطرب لها العظام وترتعش المفاصل.
(٤٨) ومعجل الهضم المسهل.
(٤٩) قلح الأسنان ما يعلوها من صفرة أو خضرة.
(٥٠) القلس حبل ضخم يستخدم في السفن. وأجر منه أكثر قدرة على الجر. وقد يعني ذلك أنه لحوح صفيق.
(٥١) العبرة الدمعة التي تندفع من العين عند البكاء وهي تفضح العاشق إن كان بكاؤه من شوقه وتفضح ما في نفس الحزين من الحزن.
(٥٢) أبغى : من بغت المرأة إذا صارت بغيا عاهرا لأن ثقب الإبرة يدخل فيه الخيط مرة بعد مرة وبألوان كثيرة.
(٥٣) مهب ريح الخف المكان الذي تهب منه رائحة كريهة مثل رائحة الخف، وهو النعل، ولبعض النعال رائحة كريهة ناشئة من عدم غسل القدمين.
(٥٤) الأكف جمع كف ومدرجة الأكف المكان الذي نزل عليه عند الصفع.
(٥٥) كلمة ليت لا تقال إلا عند الندامة على فائت أو التلهف على مفقود.
(٥٦) وكف البيت أن يقطر الماء من سقفه عند المطر ولا أشق منه على النفس وكيت وكيت تقال لكل ما يستحى من ذكره من أنواع السباب.
(٥٧) الاست : مؤخرة الإنسان، والتخوم جمع تخم وهو الحد الفاصل. والمقصود هنا أركان الأرض، والشعرى نجم في السماء، والمنوال أو النول آلة النسج وحكت الهواء أي خطت الهواء والسربال الثوب وسدى الثوب في صناعة النسيج هي خيوطه الممتدة طولا، ولحمته هي خيوطه الممتدة عرضا والمتداخلة مع السدى. ومن السدى واللحمة يتكون النسيج. حائك : خياط ثياب.
(٥٨) ألد الخصام : أشد ألوان النزاع.

ـ عقدة القصة : نقطة الأزمة في أحداث القصة.
ـ ينسجون على منواله : يقلدونه.
ـ مثله في ذلك مثل : شأنه في ذلك شأن.
ـ اتفق لي نذر : اتفق لي : حدث أن، نذر : وعد بخير يقطعه الإنسان على نفسه لله (عادة إذا حقق الله له رغبة عزيزة على نفسه، مثل شفاء مريض، أو نجاح في امتحان).
ـ ما أدري ما صنع الدهر بهما : لا أعرف ما حدث لهما.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما مسقط رأس بديع الزمان الهمذاني ؟
٢ ـ في أي سنة ولد ؟
٣ ـ متى ترك مسقط رأسه ؟
٤ ـ إلى أين رحل ؟ ولماذا ؟
٥ ـ بمن اتصل بعد رحيله من مسقط رأسه ؟
٦ ـ لماذا ترك مدينة الري ؟
٧ ـ من هو « الأفاق » ؟
٨ ـ هل كان بديع الزمان أفاقا ؟ ولماذا ؟
٩ ـ كيف كانت العلاقة بين بديع الزمان وأبي بكر الخوارزمي ؟
١٠ ـ ما معنى المناظرة ؟
١١ ـ ما فائدة المناظرة التي وقعت بين بديع الزمان وأبي بكر الخوارزمي ؟
١٢ ـ من الذي انتصر في هذه المناظرة. ولماذا ؟
١٣ ـ ما أثر هذه المناظرات في فن المقامة عند بديع الزمان ؟
١٤ ـ لماذا عاش بديع الزمان عيشة الأغنياء في آخر حياته ؟
١٥ ـ كيف مات بديع الزمان ؟ ومتى ؟
١٦ ـ ما خصائص شخصية بديع الزمان ؟
١٧ ـ ما أشهر آثار بديع الزمان ؟
١٨ ـ كم مقامة في كتاب المقامات لبديع الزمان ؟
١٩ ـ ماذا تعرف عن أسلوب المقامة ؟
٢٠ ـ من الراوي في المقامة ؟ وما مهمته ؟
٢١ ـ من البطل في المقامة ؟
٢٢ ـ ما الموضوع الذي تدور حوله المقامات ؟
٢٣ ـ من أول من كتب المقامة ؟
٢٤ ـ ما وجه المشابهة بين مقامات بديع الزمان ومقامات الحريري ؟
٢٥ ـ ما أثر مقامات بديع الزمان على من جاء بعده ؟
٢٦ ـ ما موضوع المقامة الدينارية ؟
٢٧ ـ ولماذا سميت « المقامة الدينارية » ؟
٢٨ ـ ما الصفات الحسية التي يتناولها السب في المقامة ؟
٢٩ ـ ما الصفات المعنوية التي تناولها الشتم فيها ؟
٣٠ ـ ما رأيك في هذا اللون من الفن ؟

٣١ ـ لماذا كان حديث المغنين يعد من الصفات المكروهة ؟
٣٢ ـ من هي أم حبين التي يشتم بها ؟
٣٣ ـ ما الأيام التي يطلق عليها برد العجوز ؟
٣٤ ـ ولماذا يُشْتِم بعبارة « سَبت الصبيان » ؟
٣٥ ـ من هو « الحسين » المذكور في قوله « يا مقتل الحسين » ؟
٣٦ ـ لماذا كان ثريد الثوم مكروها ؟
٣٧ ـ ما وجه القبح في حتّى ؟
٣٨ ـ ما وجه القبح في « غداة البين » ؟
٣٩ ـ لماذا كان كلام المعيد قبيحا ؟
٤٠ ـ لماذا كانت الفروة في المصيف مكروهة ؟
٤١ ـ كيف تصف نكهة الصقور ؟
٤٢ ـ ما وجه الشتم في « طمع المقمور » ؟
٤٣ ـ لماذا كان عمل قراد القرود مستقبحا ؟
٤٤ ـ لماذا كان « معجل الهضم » غير مستحب ؟
٤٥ ـ لماذا يعد الكاتب كلمة « ليت » من الألفاظ المكروهة ؟

٢ ـ صـواب أو خـطـأ :

١ ـ عيسى بن هشام هو الراوي في جميع المقامات.
٢ ـ بديع الزمان الهمذاني أول من ألف في المقامات.
٣ ـ ولد بديع الزمان الهمذاني في سنة ٩٦٨ ميلادية.
٤ ـ أبو الفتح الاسكندري هو بطل المقامات.
٥ ـ هزم الخوارزمي بديع الزمان الهمذاني في المناظرة التي جرت بينهما.
٦ ـ لم يذق بديع الزمان الهمذاني الغنى في حياته وعاش طول عمره فقيرا.
٧ ـ أنانية بديع الزمان ومحاولته التقليل من شأن الآخرين دليل على طموحه وإيمانه بالصراع.
٨ ـ تفوق أحد المتسابقين على الآخر في المقامة الدينارية.
٩ ـ المقصود بالمقامة التدريب على الألفاظ والعبارات المستخدمة في مجال معين.
١٠ ـ « تنحنح المضيف إذا كسر الرغيف » دليل على البخل الشديد.
١١ ـ تعد « غداة البين، وفراق المحبين » من الأشياء السارة.
١٢ ـ يفهم من « فضول الرازي » أن أهل الري ثرثارون كثيرو الكلام فيما لا يفيد.

٣ ـ أكمل الجمل الآتية :

١ ـ الأربعاء الذي لا يدور هو ....
٢ ـ نكهة الصقور تعني أن الرائحة ....
٣ ـ يقصد بمنع الماعون ....
٤ ـ الذي يقصد به الذل من هذه الشتائم هو عبارة .... وعبارة ....
٥ ـ إذا شتم آخر بما يستحي من ذكره قال له ....
٦ ـ الشفيع العريان هو ....
٧ ـ المقصود بالكلب في الهراش هو ....

٨ ـ أبو الفتح الاسكندري هو ....

٩ ـ عيسى بن هشام هو ....

١٠ ـ أم حبين هي ....

لاحظ هذا التركيب :

أيكم أعرف بسلعته وأشحذ في صنعته فأعطيه هذا الدينار ؟

- الفعل « أعطيه » في هذا التركيب مسبوق **بالفاء** وقبل الفاء جملة استفهامية.
- الفاء في مثل هذا التركيب تسمى **فاء السببية** (لأن معنى ما قبلها سبب في معنى ما بعدها).
- في هذه الحالة ينصب الفعل المضارع الذي تدخل عليه الفاء كما هو هنا.
- تسمى جملة الاستفهام في هذا التركيب « **جملة طلبية** ».

أنواع الجمل الطلبية في اللغة العربية ثمانية هي :

الأمر ـ الدعاء ـ العرض ـ التحضيض ـ التمني ـ الرجاء ـ الاستفهام ـ النهي.

القاعدة :

- ينصب الفعل المضارع إذا : دخلت عليه فاء السببية، وسبقته جملة طلبية، أو جملة منفية.

٤ ـ بيّن سبب نصب المضارع في الآيات القرآنية الآتية :

(تذكر أن المضارع ينصب بعد : أن ـ لن ـ كي ـ إذن ـ لام التعليل ـ حتى ـ فاء السببية) :

١ ـ قُل لنْ يُصيبنا إلَّا ما كَتَبَ اللهُ لنا.

٢ ـ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وملائكته لِيُخْرِجَكُمْ منَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ.

٣ ـ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا.

٤ ـ منْ ذا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضًا حسَنًا فيضاعفهُ لَهُ وَلَهُ أجْرٌ كَرِيمٌ.

٥ ـ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ.

٦ ـ لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي.

٧ ـ هَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا.

٨ ـ واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ.

٩ ـ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ (سَوْأَةَ) أَخِي.

(السوأة : ما ينبغي تغطيته، والمقصود هنا جثة أخيه).

١٠ ـ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ.

١١ ـ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا.

١٢ ـ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي.

(أبرح : أغادر).

١٣ ـ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى.

(عاكفين : ملازمين).

١٤ ـ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (حَرَجٌ).
(حرج : صعوبة).
١٥ ـ والَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين.
(خطيئة : ذنب).
١٦ ـ واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ.
١٧ ـ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ.
١٨ ـ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وما تَأَخَّرَ.
١٩ ـ وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ.
٢٠ ـ وما كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ.

٥ ـ مثّل لما يأتي في جملة مفيدة من عندك :

١ ـ جملة فيها فاء السببية مسبوقة بنفي.
٢ ـ جملة فيها فاء السببية مسبوقة بنهي.
٣ ـ جملة فيها فاء السببية مسبوقة بتمن.
٤ ـ فعل مضارع منصوب بـ (حتى).
٥ ـ جملة فيها فاء السببية مسبوقة باستفهام.
٦ ـ فعل مضارع من الأفعال الخمسة منصوب بـ (أن).
٧ ـ فعل مضارع من الأفعال الخمسة منصوب بفاء السببية المسبوقة برجاء.
٨ ـ فاء السببية المسبوقة بأمر.
٩ ـ فاء السببية المسبوقة بتحضيض.

لاحظ هذا التركيب :

ليشْتُمْ كل منكما صاحبه.

ـ الفعل المضارع **يشتم** مجزوم في هذه الجملة لأنه سبق باللام التي تفيد معنى الأمر.
ـ تذكر أن الأدوات الأخرى التي تجزم الفعل المضارع ـ بالإضافة إلى لام الأمر هي : « لم »، « لما »، « لا » الناهية.
ـ كل هذه الأدوات **تجزم فعلا واحدا**، وهي تختلف عن **أدوات الشرط** التي تجزم فعلين.

٦ ـ « لتأخذ بيدك قوس قزح، ولتندف الغيم في جباب الملائكة »
خاطب بالجملة السابقة المؤنثة المفردة، ومثنى المؤنث، وجمع المؤنث، ومثنى المذكر، وجمع المذكر مستعينا بالجمل التالية :

١ ـ لتأخذي ....
٢ ـ لتأخذ ....

٣ ـ لتأخذن ....

٤ ـ لتأخذا ....

٥ ـ لتأخذوا ....

٧ ـ **خاطب بالجملة التالية المفردة المؤنثة، ومثنى المذكر والمؤنث، وجمع المذكر، وجمع المؤنث، وغير ما يلزم تغييره في الجملة :**

لا تكن صلبا فتكسر، ولا ليّنا فتعصر.

٨ ـ **أكتب عشرة أسطر من إنشائك في صفات الشتم الحسية، وعشرة أسطر أخرى في صفات الشتم المعنوية التي تضمنتها المقامة الدينارية.**

اقـرأ واحـفـظ

عُرْوَةُ بنُ الوَرْدِ في مدح الغِنَى وذَمِّ الفقْرِ

(من بحر الوافِر)

ذَرِيني لِلْغِنَى أَسْعَى فإنِّي ... رأيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفقيرُ
وأدْناهُمْ وأهونُهُمْ عليهم ... وإنْ أَمْسَى له حَسَبٌ وخَيرُ
يُباعِدُه القريبُ وتزْدَرِيهِ ... حليلتُهُ ويَنْهَرُهُ الصَّغيرُ
ويُلْقَى ذُو الغنى وله جلالٌ ... يكادُ فؤادُ لاقِيهِ يطيرُ
قليلٌ ذنبُه والذَّنْبُ جَمٌّ ... ولكنَّ الغِنَى رَبٌّ غفورُ

الشاعر : من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي وهم مجموعة من الشعراء كانوا يعيشون على الخطف والسرقة، ولكن لديهم مُرُوءةٌ وشهامة نحو الفقراء مات سنة ٢٧ هـ (٥٩٦ م).

شروح : **ذريني** : اتركيني ـ **خير** : خَيْر ـ **وإن أمسَى له حَسَبٌ وخيرٌ** : أي وإن فعل الأفعال الخَيِّرة ـ **تزدريه** : تحتقره ـ **الحليلة** : الزوجة ـ **يكاد فؤاده يطير** : أي يوشك قلبه أن ينخلع من الرهبة والاحترام ـ **ذنب** : خطأ أو معصية ـ **جم** : كثير.

الدرس العاشر

من كتاب الخراج ـ أبو يوسف يكتب عن :

حقوق السجين في الفقه الإسلامي

الفقه الإسلامي (أو القانون الإسلامي) يتولى بيان قواعد السلوك التي يلتزم بها المسلم في **عباداته ومعاملاته**، طبقا للمبادئ والتعاليم التي جاء بها القرآن الكريم، والسنّة النّبويّة، وما جرى عليه الخلفاء الرّاشدون والصّحابة في تفسيرهما. ومعاملة المسجونين وحقوقهم داخل السجون من الموضوعات التي تناولها الفقيه الإسلامي « أبو يوسف » لأول مرة في كتابه الرائد « الخراج »،، وهو الكتاب الذي وضعه بناء على تكليف خاص من الخليفة العباسي الشهير « هارون الرشيد ».

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- هو أبو يوسف يعقوب إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير، وينتسب إلى قبيلة بجيلة من الأنصار.
- ولد في الكوفة عام ١١٣ هـ (٧٣١ م). وكان أبوه فقيرا كثير العيال، يرى أن تحصيل المعاش، وكسب الرزق مقدم ـ عند أمثاله ـ على تحصيل العلم، وكسب المعرفة.
- قصة حياة يعقوب هي قصة **الشخص العصامي**، الذي بدأ من **قاع المجتمع** ثم ارتقى إلى أعلى المناصب في العلم والمكانة الاجتماعية وذلك بفضل ذكائه وحبه للتعليم، واجتهاده في تحصيل المعرفة. ويكفي للدلالة على الشهرة التي بلغها اسمه في تاريخ المعرفة الإسلامية أنه إذا ذكر اسم « أبو يوسف » مجردا من أي لقب أو صفة فإنه ينصرف إليه وحده.

- ألحق الوالد ابنه يعقوب للعمل عند قصّار (وهو الشخص الذي يتولى عملية تبييض الثياب بعد غزلها). ولكن الصبي يعقوب أظهر حبا شديدا للعلم بعد سن العاشرة وأراد الالتحاق بحلقات الدرس في المسجد، على الرغم من المعارضة الشديدة التي لقيها من والديه.

- أخذ الصبي يهرب من العمل عند القصّار، ويذهب إلى المسجد ويجلس في حلقات الدرس عند الفقيه ابن أبي ليلى، والإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، صاحب المذهب الفقهي الشهير باسمه.

(أشهر مذاهب الفقه في الإسلام أربعة : « **المالكي** »، و« **الحنفي** »، و« **الحنبلي** » و« **الشافعي** ». وهناك أيضا المذهب « **الظاهري** » والمذهب « **الإباضي** » ثم مذاهب الشيعة وهي متعددة).

- في تاريخ حياة أبي يوسف روايات كثيرة تذكر أن والديه كثيرا ما كانا يحضران إلى المسجد، ويخرجانه بالقوة من حلقة الدرس لكي يعود إلى عمله. ولكنه كان يرجع إلى الدرس بعد وقت قصير.

- يتزوج يعقوب وينجب أطفالا أكبرهم يوسف فيتكنى بأبي يوسف ولكنه بالرغم من هذه المسؤولية الجديدة يستمر في إهمال عمله وملازمة أبي حنيفة. فيذهب أبوه إلى أبيّ حنيفة ويقول له : « إن ابني يلزم مجلسك ولا يأتي المنزل النهار والليل وعليّ عيال كثيرون، وله أيضا عيال، فقل له حتى يختلف طرفي النهار إليك ويجعل ما بينهما للسعي على عياله »، فيجيبه أبو حنيفة « دعه يا أبا إسحق فإنه سيصير له نبأ (أي خبر وشهرة) إن شاء الله. ويرجع يعقوب إلى البيت في المساء ويطلب عشاءه فتضع زوجته أمامه إناء مغطى، فيكشفه فيجد فيه دفاتر وكتبا. فتقول له زوجته « هذا هو ما تسعى عليه طوال النهار فكل منه ليلا »، ويبيت يعقوب جائعا.

- ويموت واحد من أبناء أبي يوسف وهو في حلقة دراسية فلا يحضر جنازة الطفل بل يوكل أمر دفن ابنه لأحد أقربائه، وذلك حتى لا يفوته شيء من مجلس شيخه.

- يُوسّع أبو يوسف دائرة اهتمامه فيدرس ـ إلى جانب الفقه ـ الحديث وتفسير القرآن والسيرة (حياة النبي)، والمغازي (غزوات النبي) وأيام العرب (الحروب التي كانت بين القبائل العربية في العصر الجاهلي).

- يصل أبو يوسف في العلم إلى درجة رفيعة في حياة أستاذه أبي حنيفة حتى إن أستاذه ليقول له « إنني أدخرك للمسلمين من بعدي ».

- ويموت أبو حنيفة فيرحل أبو يوسف إلى بغداد هو وعائلته. وهناك يلتحق بخدمة الدولة قاضيا في بعض نواحي بغداد.

- ثم يتصل بالخليفة هارون الرشيد فيعرف قدره وعلمه ويستحدث له منصبا لم يكن موجودا من قبل هو منصب « قاضي القضاة ». فأبو يوسف أول من دعي بهذا اللقب. وقد أعطاه هذا المنصب الحقّ في أن يعين القضاة في جميع البلدان الواقعة تحت حكم الخلافة العباسية. ولهذا كان يشار إليه باسم « قاضي قضاة الدنيا ».

- وارتفعت مكانة أبي يوسف عند الرشيد فأصبح إذا بلغ دار الخلافة فتحت له الأبواب ودخل راكبا بغلته وبدأه الرشيد بالسلام.

- واعتمد أبو يوسف على هذه المكانة الرفيعة عند الخليفة لينفع الناس ويقدم النصح للخليفة. وقد حرص في صلته بالخليفة والحاشية ورجال الدولة، في كل تصرفاته، على التمسك بالحق مع التلطف في توجيه النظر إليه. وقد سئل الرشيد يوما عن السبب في رفع أبي يوسف إلى هذه المنزلة العالية فذكر « سعة علمه، وقوة ذاكرته، واستقامة مذهبه وصيانته لدينه ».

- كان أبو يوسف في فتاواه ونصائحه للرشيد وكتاباته له يؤسس آراءه على قاعدتين التزم بهما دائما : حق الإمام العادل وواجبه تجاه الرعية (الشعب)، وحق الرعية وواجبها تجاه راعيها.

- وإلى جانب الإشراف على القضاء، وتولي أمور الإفتاء، انشغل أبو يوسف بالتدريس، وعقد حلقات الدرس، وتأليف الكتب، وعقد جلسات الإملاء حيث كان يملي الدروس على رجال الفقه ورجال الحديث على السواء.

- توفي أبو يوسف عام ١٨٢ هـ (٨٩٨ م)، ومشى الرشيد أمام جنازته، وصلى عليه ودفنه في مقابر قريش ببغداد. وقال الرشيد بعد أن دفن : « ينبغي على أهل الإسلام أن يعزي بعضهم بعضا ».

- كان أكثر مؤلفات أبي يوسف من **نوع الأمالي**، وأصحاب الأمالي الذين رووها عن أبي يوسف كثيرون جدا. وتعتمد المصادر الفقهية في نقل آراء أبي يوسف على تلك الأمالي، وتشير إلى **كُتّابها** أحيانا باسم « أصحاب الأمالي ».

- على الرغم من أن المذهب الحنفي ينسب إلى أبي حنيفة فإن لأبي يوسف في تثبيت أصوله وشرح قواعده دورا كبيرا. وقد قام أبو يوسف بهذه المهمة في حياة أستاذه، بل وأدخل كثيرا من آرائه الفقهية في كتب أبي حنيفة.

- من أهم ما كتب أبو يوسف كتاب « الخراج » الذي أخذنا منه النص موضوع الدراسة هنا.

- للكتاب طبعات كثيرة من أهمها تحقيق ودراسة الدكتور إحسان عباس بيروت عام ١٩٨٥ م.

عـــن الـكــتـــاب :

- يحدد أبو يوسف في بداية كتاب الخراج موضوعه والغرض من تأليفه فيقول : « إن أمير المؤمنين (هارون الرشيد) سألني أن أضع له كتابا جامعا (شاملا) يعمل به في جباية الخراج (ضريبة الأرض، وضريبة الأنفس أو الأشخاص) والعُشُور (ضريبة الأموال والمحاصيل الزراعية والأعمال التجارية) والصدقات والجَوالي (جمع جالية وهي الجماعة التي تجلو أي تنتقل من مَوْطِنها وتقيم في موطن آخر)... وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته، والصلاح لأمرهم ».

- موضوع الكتاب هام جدا، فطريقة تحصيل الخراج وتحديد مقاديره كانت دائما مثار المشاكل للحكام والمحكومين.

- رسالة أبي يوسف هي أول عمل من نوعه يحاول أن يضع قواعد ثابتة لموضوع الخراج يمكن تطبيقها في جميع الحالات، وبدون تفرقة بين شخص وآخر.

- يقوم الكتاب على تحديد **مصادر الخراج** (أي من يؤخذ منه) **ومصارف الخراج** (أي الأنشطة التي تُنْفَق فيها الأموال المجموعة) **والمُسْتَنَدات الشرعية** التي يعتمد عليها الحاكم في تحديد المصادر والمصارف.

- يقرر الكتاب أيضا أن « العدل وإنصاف المظلوم وتجنب الظلم في تحديد الخراج وطريقة تحصيله إلى جانب كونها صفات طيبة في الحاكم تحببه إلى الناس وتقربه من الله ـ فإنها تزيد كميات الخراج، وتساعد على زيادة العمران في البلاد. والبركة والخير أخوان للعدل.

- يقرر الكتاب كذلك أنه من الضروري وضع نظام لرقابة جامعي الخراج، وللتفتيش عليهم، كما أنه من الضروري أن يستمع الخليفة بنفسه إلى الشكاوى التي يرفعها إليه أفراد الشعب ضد جامعي الخراج، وأن يذيع بين الناس نتائج التحقيقات والعقوبات التي توقع على الموظفين المنحرفين حتى يعرف الشعب جميعه أن الخليفة يستمع إلى الظّلامات.

- إن النظرة الإصلاحية في كتاب الخراج لا تطغى على النظرة المالية. وطريقة أبي يوسف في بيان الأحكام هي أن **يشرح الحكم الفقهي وأبعاده** أولا، مسترشدا في ذلك بآراء أستاذيه أبي حنيفة وابن أبي ليلى، مع موافقته لواحد منهما، أو مستقلا في الرأي عنهما معا، ثم يؤيد الحكم الذي ينتهي إليه بالنصوص الموثوق بها، ولا يترك الأمر غامضا لأنه مسؤول أمام الخليفة.

- وأخيرا فقد وردت عبارات كثيرة في كتاب الخراج تؤكد أن أبا يوسف كان دائما في جانب الحق وأنه لم يترك فرصة لتوجيه النصح إلى هارون الرشيد، بل وتحذيره إذا لزم الأمر. من ذلك قوله ناصحا ومحذرا للرشيد في أول الكتاب : « وقد حذرك الله فاحذر، فإنك لم تخلق عبثا ولن تترك سدى، وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب ».

عـــن الـــنـــص :

- يتناول النص الذي اخترناه هنا من كتاب الخراج مشكلة المسجونين بسبب جرائم ارتكبوها. وكان الذي أثار هذه القضية سؤالا وجهه الرشيد، وهو : « هل تَتَكَفَّل الدولة بنفقات طعام المسجونين وهم في الحبس ؟ وهل تُؤخذ هذه النفقة من مال الصدقة أم من غيره ؟ ». والموضوع بهذه الطريقة يدخل في صميم موضوع أموال الخراج الذي خُصِّصَ الكتاب له.
- وقد رأى أبو يوسف أن الإنفاق على المسجونين ضروري سواء أكان من الصدقة أم من بيت المال (الأموال العامة). وأشار بأن من الضروري أن يُعيِّن رجل من أهل الخير والثقة يكون لديه سجلّ بأسماء المسجونين فيُقَيِّد فيه ما يُصْرَف لكل واحد منهم شهريا للملابس والطعام.
- كذلك أكد على أن الحالة المزرية (المهينة) التي كان يعاني منها المسجونون لا بد من أن تتوقف. كما أشار بأن تراجع أحوال كل شخص في السجن فيقدم منهم من ارتكب جريمة محددة للمحاكمة، ويفرج عن الباقي طبقا لأحكام الشريعة.
- وأشار بأن لا يؤخذ في إثبات الجرائم بأقوال من يُسمَّون بالمشايخ (وهم المُعَيَّنُون لِمُرَاقَبَة الأمْنِ والنِّظام في الطُّرقات والحواري)، وكما لا يؤخذ بأقوال مساعدي هؤلاء المشايخ؛ لأنهم جميعا، في رأي أبي يوسف، أسوأ من المجرمين أنفسهم.
- إن هذا النص ـ على قصره ـ يعد أول وثيقة لتنظيم أوضاع المسجونين وإصلاح السجون، والاعتراف بالحقوق الإنسانية لمرتكب الجريمة، والتفريق بين توقيع **العقوبة** وبين **إهدار آدمية** المجرم.
- وقد قيل إن الرشيد ما كاد يعرف أوجه الفساد في كثير من الأمور التي ذكرها أبو يوسف في كتاب الخراج حتى بادر إلى إصلاحها. ومن هذه الأمور التي شملها الإصلاح أوضاع المسجونين.
- ويضيف أبو يوسف مسألة أخرى تتعلق بارتكاب الجريمة فيذكر أن من المستحب العفو عن بعض أنواع الجرائم قبل أن تصل القضية إلى الحاكم. أما بعد أن تصل إلى الحاكم فإن العفو يكون خطيئة كبرى.

الـــنـــص

فصل في أهل الدَّعَارَةِ والتَّلَصُّصِ والجنايات وما يجب فيه من الحدود

قال أبو يوسف : وأمَّا ما سألْتَ عَنْهُ يا أميرَ المؤمنينَ مِنْ أمْرِ أهْلِ الدَّعَارَةِ (أهل الفساد) والفِسْقِ والتَّلَصُّصِ إذا أُخِذُوا فِي شَيْءٍ من الجناياتِ وحُبِسُوا : هَلْ يُجْرَى عَلَيْهِمْ ما يَقُوتُهم في الحبْسِ ؟ والَّذِي يُجْرَى عَلَيْهِم من الصَّدَقَةِ ؟ أوْ مِنْ غَيْرِ الصَّدَقَةِ ؟ وما يَنْبَغِي أن يُعْمَلَ به فيهِمْ ؟

قال : لا بُدَّ لِمَنْ كان في مثلِ حَالِهم إذا لَمْ يكنْ له شيءٌ يأكُلُ مِنْه : لا مالٌ ولا وُجِدَ شيءٌ يُقِيمُ به بدنَه، أن يُجْرى عليه من الصدقةِ أو مِنْ بَيْتِ المَالِ من أيّ الوجْهَيْنِ فعلتَ فذلك مُوسَّعٌ عليك (مباح)، وأحَبُّ إليَّ أن يُجْرَى عليهم من بيتِ المالِ، على كلّ واحدٍ منهم ما يقوتُه فإنّه لا يَحِلّ ولا يَسَعُ (لا بديل) إلا ذلِكَ.

قال : والأسيرُ مِنْ أسْرَى المشركِين لا بدَّ من أن يُطْعَم ويُحْسَنَ إليه حتى يُحْكَمَ فيه، فكيف برجلٍ مُسْلمٍ قد أخطَأَ أوْ أذْنبَ : يُترَك يَمُوتُ جوعًا ؟! وإنَّما حمَله على مَا صَار إليه الغَيُّ (الضلال) أوِ الجهْلُ. ولم تزل الخلفاءُ يا أميرَ المؤمنين تُجْرِي على أهْلِ السجونِ ما يقوتُهم في طعامِهم وأدَمِهم (الأدم والإدام ما يؤكل به الخبز) وكِسْوتِهم الشتاءَ والصيفَ، وأوّل من فعلَ ذلك عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّم اللهُ وجهَه بالعراق. ثم فعلَه معاويةُ بالشامِ ثم فعلَ ذلك الخلفاءُ من بعده.

قال (أبو يوسف) : حدّثني إسماعيلُ بْنُ إبراهيمَ بنِ المهاجرِ عن عبدِ الملكِ بْنِ عُمَيْرٍ قال : كان عليُّ بنُ أبي طالبٍ إذا كان في القبيلةِ أو القومِ الرَّجُلُ الداعرُ حَبَسَه. فإن كانَ له مالٌ أنْفِقَ عليهِ من مالِهِ. وإنْ لم يكنْ له مالٌ أنْفَقَ عليه من بيتِ مالِ المسلمينَ، وقال : يُحْبَسُ (يُمْنَعُ) عَنْهم (عن المسلمين) شَرُّهُ، ويُنْفَقُ عليه من بيتِ مالِهِمْ.

وحدَّثني بعضُ أشيَاخِنا عن جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ قال : كتَبَ إلينا عمرُ بْنُ عبدِ العزيزِ : لا تَدَعَنَّ في سجونِكم أحـدًا من المسلمينَ في وِثَاقٍ (قيد) لا يستطيعُ أن يُصَلّي قائِمًا، ولا يَبِيتَنَّ في قيدٍ إلا رجلٌ مطلوبٌ بدَمٍ، وأجْرُوا عليهمْ من الصدقةِ ما يُصْلِحُهُمْ فِي طعَامهم وأدمِهمْ، والسلام.

فمُرْ بالتَّقْدِيرِ لَهمْ ما يقوتُهم في طعامِهم وأدمِهم، وصَيِّرْ ذلِكَ دَرَاهِمَ تُجْرَى عليهمْ في كلّ شَهْرٍ يُدْفَعُ ذلك إليهم، فإنّك إن أجْرَيْتَ عليهمُ الخبزَ ذهبَ به وُلاةُ السّجْنِ والقُوّامُ والجَلاوِزَةُ (رجال الشرطة)، وَوَلِّ ذلكَ رجلًا من أهلِ الخَيْرِ والصَّلاحِ يُثْبِتُ أسْمَاءَ مَنْ فِي السجْنِ مِمَّنْ تُجْرَى عليهمُ الصدقَةُ، وتكونُ الأسماءُ عندَه يَدْفَعُ ذلك إليهمْ شهرًا بِشَهْرٍ، يقعدُ ويدْعُو باسْمِ رجُلٍ رجُلٍ، ويدفعُ ذلكَ إليهِ في يَدِه فَمَنْ كانَ منهمْ قدْ أُطْلِقَ حَلَّقَ عَلَى اسْمِه (وضع حلقة أي دائرة حول اسمه) ومَنْ كان منهم ماتَ وقَّعَ تَحْتَ اسمِهِ « مـات »، ويكون الإجْرَاءُ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ في الشهرِ لكلّ واحدٍ، وليس كلُّ مَنْ في السجن يَحْتَاج إلى أن يُجْرَى عَلَيْهِ. وكسوتُهم قميصٌ وكساءٌ، وفي الصيفِ قمِيصٌ وإزار، (ما يشد حول النصف الأسفل من الجسم) ويُجْرَى على النّساءِ مثلُ ذلكَ، وكسوتُهُنّ في الشتاءِ قميصٌ ومقنَعَةٌ (غطاء الرأس) وكسَاء، وفي الصيف قميصٌ وإزارٌ ومقنعَةٌ. وأغْنِهمْ عن الخروجِ في السَّلاسِلِ يَتَصَدَّقُ عليهمُ النَّاسُ، فإنّ هذا عظيمٌ (كثير) أن يكونَ قومٌ من أهْلِ الإسلامِ قَدْ أذْنَبُوا وأخطَأُوا وقضَى اللهُ عَلَيْهم بما قَدْ صَارُوا إليهِ منَ البلاءِ يخرجُون في السلاسِلِ يتصدَّقُون. فقدْ بَلَغَني وأخبرَني به الثقاتُ أنّهم إذا رَجعُوا بالعَشِيِّ وما قَدْ تُصدِّقَ عليْهم قال لهم بوابُ السجنِ : هاتُوا، فأخذَ منهم، وقال لهمُ الساعي الذي يدورُ معهم : هاتُوا، فأخذَ منهمُ الدرهمَ والدرهمَيْنِ وأقلّ وأكثر، سوى طعَامٍ يَطْعَمُونَهُ مِمَّا قَدْ تصدّقَ عليهم الناسُ، وقالَ لهم : ضاقَتِ السلسلةُ، هاتوا حقَّ السلسلةِ، فيدخلُونَ إلى

الحبس وليس مَعهم شيءٌ يأكلونَه **ممَّا قَدْ تَصَدَّقَ** النَّاسُ عَلَيهم، **قَدْ أخذُوا ذلك كلَّه منهم. وما أظنّ أهْلَ الشِّرك يفعلُونَ هَذَا بأسَارَى** المسلمينَ الذينَ في أيْديهمْ فكيفَ ينبغِي أن يُفْعَل هذا بأهلِ الإسلامِ ؟ وإنَّما صارُوا إلى الخُروج في السلاسلِ يتصدَّقُون (يطلبون الصدقة) لِمَا هُمْ فيه من جَهْدِ الجُوعِ، **فربَّما** أصابُوا ما يأكلُون **وربَّمَا دارُوا يَوْمَهمْ أجْمَع** وربَّما لم يُصيبُوا. وإنما يتصدَّقُون عليهِمْ بالقيرَاطِ والحبَّةِ والرَّغِيفِ والدَّانق. إن ابنَ آدمَ لم يَعْرَ (يتجرد) من الذّنوبِ. فتفَقَّدْ أمْرهم، ومُرْ بالإجْرَاءِ عليهم مثلَ ما فسَّرتُ لك. ومَنْ ماتَ مِنهم ولمْ يكنْ له وَليّ ولا قَرابةٌ غُسِّلَ وكُفِّنَ من بَيْتِ المالِ وصُلِّي عَلَيْه ودُفِنَ. فإنه بلَغني وأخبَرَني به الثقاتُ أنه ربّما ماتَ منهمْ الميّتُ الغريبُ فيمْكُثُ في السجنِ اليومَ واليومَيْن حتى يُسْتَأمَرَ الوَالي في دَفْنِهِ، وحتى يجمعَ أهلُ السجنِ من عندِهم ما يتصدّقون ويكْتَرُون مَنْ يَحْمِلُه إلى المقابرِ فيدفنُ بِلا غُسْلٍ ولا كَفنٍ ولا صَلاةٍ عليه. **وربَّما أخرجُوه فوضَعُوه على الطريقِ، فربَّمَا حزَنُوا الناسَ عَلَيْه فجمَعُوا لَه وكفَّنُوه وصلَّوْا عليهِ ودَفَنُوه. وعامَّةُ مَنْ يُحْبَس نُزَّاعٌ (مهاجرون) من بُلْدانٍ بعيدة ومَنْ لا أحَدَ لَه. فأمَّا مَنْ كَانَ له قَرابَةٌ أو أحدٌ فإنهم لا يَدَعُون محبوسًا لَهُمْ في مثلِ حالِ هؤلاءِ الآخرينَ الذينَ أخبَرْتُك بحالِهم. فما أعظَم هَذا في الإسلامِ وأهلِهِ.** ولَوْ أمَرْتَ **بإقامَةِ الحدودِ** لقلَّ أهلُ الحَبْسِ ولَخَافَ أهلُ الفِسْقِ والدُّعَّار ولَتَناهَوْا (نهى بعضهم بعضا) عمَّا هُمْ عَلَيْهِ. وإنَّما يكثُر أهلُ الحبْس لقلَّةِ النَّظَرِ في أمورِهم (إنما هو حبس وليس فيه نظر) وإنّما يأْخُذُ الوَالي بقولِ أصحابِ المَشايخ، وأصحابُ المشايخ في شَرٍّ، وأخْبَثُ من الذين يُرافِقُونَهم، وقد كَتَبُوا قصصَهم وكتبُوا فيها ما أرادُوا. فمُرْ ولاتَك جميعًا بالنَّظَر في أمرِ أهْلِ الحُبُوسِ في كلّ الأيَامِ، فمنْ كانَ عَلَيْه أدَبٌ أُدِّبَ وأطْلِقَ، ومن لم يَكُنْ له قضيَّةٌ خُلِّيَ عَنْهُ. وتَقَدَّمْ إليهم (إلى القائمين على الأمن) أن لا يُسْرِفُوا في الأدبِ (العقوبة) ولا يتجاوزُ في ذلك إلى ما لَا يَحِلّ ولا يَسَعُ. فإنّه بَلَغَني أنهم يَضْرِبُون الرجلَ في التهْمَةِ أو في الخِيانَة الثلاثمائة والمائتَيْن (أي جلدة) وأكْثَرَ وأقَلَّ، وهذَا ممَّا لا يَحِلّ ولا يَسَع. ظَهْرُ المؤمنِ حِمًى إلّا مِنْ حَقٍّ يَجِبُ (عقوبة توقع) **بِفُجُورٍ أو قَذْفٍ أو سُكْرٍ أو تَعْزِيرٍ** لأمْرٍ أتاهُ لا يجبُ فيه حدٌ، وليسَ يُضْرَبُ في شيءٍ منْ ذَلِكَ، كما بلَغَني أن ولاتَكَ يَضْرِبُونَ، وإنّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قد نَهَى عنْ ضَرْبِ المُصَلِّينَ.

حَدَّثَنا بَعْض أشْيَاخِنا عن هوذَةَ بْنِ عَطاءٍ عنْ أنسٍ، قَال أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنْه : نَهَى رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن ضَرْبِ المصلِّينَ. ومعنَى هذا الحديثِ عندَنا ـ **واللهُ أعلَمُ** ـ أنّه نَهى عن ضَرْبِهِمْ مِنْ غَيْرِ أن يَجِبَ عَلَيْهم حَدّ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الضربَ. وهذا الذي يَبْلُغُني أنَّ ولَاتَكَ يفعلُونَه لَيْسَ مِنَ الْحُكْمِ والحُدودِ في شَيْءٍ، ليس يَجِبُ مثلُ هذا على جاني جنايةٍ صغيرةٍ ولا كبيرَةٍ. مَنْ كَانَ منْهم أتَى مَا يَجِبُ عَلَيْه فيهِ قَوَدٌ (عقوبة قتل) أو حَدّ أو تعزيرٌ أقيمَ عليهِ ذلك. وكذلك من جَرح منهم جِراحَةً في مثْلِها قِصاصٌ وقامَت علَيهِ البيّنَةُ بذلك قِيسَ جُرْحُهُ واقْتُصَّ مِنْه، إلا أن يَعْفُوَ المَجْنِيُّ عَلَيْهِ، فإن لَمْ يكنْ يُستَطاع في مثْلِها قصاصٌ حُكِمَ عَلَيْه الأرْشِ (تعويض الاصابات) وعُوقِبَ وأطيلَ حبْسُه حتى يُحْدِثَ تَوْبَةً ثم يُخَلَّى عَنْه. وكذلكَ مَنْ كَانَ سَرَقَ ما يَجِبُ فيه القطْعُ قُطِعَ. إن الأجرَ في إقامَةِ الحدودِ عظيم، والصلاحُ فيه لأهلِ الأرضِ كثيرٌ.

قالَ أبو يوسفَ حَدَّثني الحسنُ بن عمارةَ عن جريرِ بنِ يزيدَ قال : سمعتُ أبَا زُرْعَةَ بْنَ عَمْرو بْنِ جَريرٍ يحدّثُ أنه سمعَ أبا هُرَيْرَةَ يقولُ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ : حَدُّ يُعْمَل بِهِ في الأرضِ خَيْرٌ لأَهْلِ الأرضِ مِنْ أنْ يُمطَرُوا ثلاثِين صَبَاحًا.

ولا يحلّ لِلامَامِ أن يُحابِيَ في الْحَدِّ أَحَدًا ولا تُزِيلُه عَنْه شَفَاعَةٌ، ولا يَنْبَغي لَهُ أنْ يَخافَ في **ذلك لومة لائِم**، إلّا أن يكونَ **حدّ فيه شُبْهَةٌ**، فإذا كان في الحدِّ شبهةٌ دَرَأه (درأه : منعه) لِما جَاءَ في ذلك من الآثار عن أصحابِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم والتابعينَ. وقولهم : ادرَؤوا الحدودَ بالشُبُهاتِ ما استطعتُمْ. **والخطأ في العَفْوِ خَيْرٌ منَ الْخطَإِ في العُقُوبَةِ**. ولا يحلُّ إقامةُ حدّ على من لَمْ يستوجبْه كما لا يحلّ إبطالُه عمَّنْ يستوجبُهُ بغيرِ شُبْهَةٍ فيهِ. ولا يحلّ لمسلمٍ أن يَشْفَعَ إلى الإمامِ في حدّ قد وجَب وتبيَّنَ. فأمَّا قبْل أن يُرْفَع ذلك إلى الإمامِ فقدْ رخَّصَ فيهِ (أباحه) أكثَرُ الفُقَهاءِ ولمْ يختَلِفُوا في التوقّي للشَفاعة فيهِ بعد رَفْعِه إلى الإمامِ فيما عَلِمْنَا، واللهُ أعلَمُ.

قال أبو يوسفَ : حدَّثنا هشامُ بنُ عروةَ عنِ الفرافصةِ الحنفيِّ قال : مَرُّوا على الزبيرِ بسارقٍ فَشَفَعَ فيهِ فقالُوا له : أتشفَعُ في حَدّ ؟ قال : نَعَمْ، مَا لَم يُؤْتَ به الإمامُ، فإذا أُتِيَ بِهِ الإمامُ فلَا عَفَا اللهُ عَنْهُ إنْ عَفَا عَنْه.

التدريبات

١ ـ **لاحظ التراكيب التالية :**

- الشخص العصامي : الذي ينشأ في أسرة بسيطة الحال، ثم يحقق لنفسه مركزا عظيما بجهده الذاتي.
- بدأ من قاع المجتمع : بدأ من أدنى الطبقات.
- يختلف طرفي النهار إليك : يأتيك في أول النهار وفي آخره.
- يوسع دائرة اهتمامه : يزيد من الأمور التي يهتم بها.
- لم يخلق عبثا : لم يخلق بدون هدف.
- لن تترك سدى : لن تترك على هواك.
- إهدار آدمية المجرم : معاملة المجرم وكأنه ليس إنسانا.
- أخذوا في شيء من الجنايات : قبض عليهم في جريمة ارتكبوها.
- يجري عليهم ما يقوتهم : يرتب لهم ما يكفي لإطعامهم.
- رجل مطلوب بدم : يراد مجازاته لارتكابه جريمة قتل.
- فما أعظم هذا في الإسلام وأهله : هذا شيء لا يصح أن يحدث في الإسلام أو من المسلمين.
- إقامة الحدود : تطبيق العقوبات الشرعية.
- هذا مما لا يحل ولا يسع : لا يجوز في الشرع لا نصا ولا روحا.
- ظَهْرُ المُؤْمِنِ حِمًى : لا يجوز العقاب البدني إلا بالطريقة التي نص عليها الشرع.
- لا يخاف في ذلك لَوْمَة لائم : لا يخشى كلام الآخرين أو انتقادهم.
- حد (عقوبة) فيه شُبْهَة (شك) : عقوبة لا يجوز تنفيذها لعدم ثبوت التهمة بشكل قاطع.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما موضوع الفقه الإسلامي ؟
٢ ـ من هم الخلفاء الراشدون ؟
٣ ـ ماذا تعرف عن الخليفة هارون الرشيد ؟
٤ ـ من هو الفقيه أبو يوسف ؟
٥ ـ من هو الشخص العصامي ؟
٦ ـ هل كانت ظروف والد أبي يوسف تسمح له أن يعلم ابنه ؟
٧ ـ ما أشهر مذاهب الفقه الإسلامي ؟
٨ ـ ما المذهب الفقهي الذي يتبعه أبو يوسف ؟
٩ ـ ما العمل الذي ألحقه به أبوه ؟
١٠ ـ « دعه يا أبا إسحاق فإنه سيصير له نبأ » من قائل هذه العبارة ؟
١١ ـ ماذا قدمت زوجة أبي يوسف له عندما طلب العشاء ؟
١٢ ـ لماذا فعلت زوجته ذلك ؟
١٣ ـ مم تفهم حرص أبي يوسف على العلم ؟
١٤ ـ ما العلوم التي يجب أن يدرسها الفقيه ؟
١٥ ـ ما المقصود من « أيام العرب » ؟
١٦ ـ ما أرفع منصب تولاه أبو يوسف ؟
١٧ ـ ما مظاهر التكريم التي لقيها أبو يوسف في حياته ؟
١٨ ـ ما مظاهر التكريم التي لقيها عند موته ؟
١٩ ـ ما الأساس الذي التزمه أبو يوسف في نصح الخليفة ؟
٢٠ ـ من هم « أصحاب الأمالي » ؟
٢١ ـ ما معنى « الخراج » ؟
٢٢ ـ لماذا طلب هارون الرشيد من أبي يوسف أن يضع له كتاب الخراج ؟
٢٣ ـ ما أهمية موضوع « الخراج » بالنسبة للدولة ؟
٢٤ ـ ما الذي يعود على الحاكم أو المحكومين من إقرار العدل وإنصاف المظلوم في تحديد الخراج ؟
٢٥ ـ ما ضرورة وضع نظام لرقابة جامعي الخراج ؟
٢٦ ـ أترى أن استماع الخليفة لشكاوى الناس مضيعة للوقت ؟
٢٧ ـ ما المصادر التي استفاد منها أبو يوسف في شرح أحكامه الفقهية ؟
٢٨ ـ ما العبارات التي تفهم منها شجاعة أبي يوسف وقوة شخصيته ؟
٢٩ ـ ما الذي وجه أبا يوسف إلى معالجة قضية المسجونين ؟
٣٠ ـ من الذي ينفق على المسجون ؟
٣١ ـ من أول من أنفق على المسجونين ؟
٣٢ ـ كم درهما في الشهر تجرى على كل مسجون ؟
٣٣ ـ ما مظاهر الفساد في معاملة المسجونين التي أراد أبو يوسف إصلاحها ؟
٣٤ ـ ما أثر إقامة الحدود في قلة عدد المسجونين ؟
٣٥ ـ هات من النص العبارات التي تفهم منها سوء الإدارة في زمن أبي يوسف.
٣٦ ـ هل يجوز أن يضرب المتهم ؟
٣٧ ـ هل تجوز الشفاعة لمتهم إذا رفع أمره للحاكم ؟

٣٨ ـ « الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة » من قائل هذه العبارة ؟ وما معناها ؟
٣٩ ـ لماذا أشار أبو يوسف بصرف رواتب للمسجونين وفضل ذلك على صرف طعام لهم ؟
٤٠ ـ من هم الأسرى ؟
٤١ ـ هل كان السجانون يعذبون المسجونين بأمر من الخليفة ؟

٣ ـ صواب أو خطأ :

١ ـ « الصلاة والصوم والحج موضوعات تدرس في باب العبادات ».
٢ ـ البيع والشراء والاستئجار موضوعات تدرس في باب المعاملات.
٣ ـ تحصيل العلم وكسب المعرفة أهم من تحصيل المعاش وكسب الرزق.
٤ ـ « الشخص العصامي » هو الذي يعتمد في حياته على ما يقدمه له الآخرون.
٥ ـ المذهب « الحنفي » هو الذي ينتمي إلى الإمام أبي حنيفة النعمان.
٦ ـ المذهب « الحنبلي » هو الذي ينتمي إلى الإمام مالك بن أنس.
٧ ـ الإمام الشافعي هو مؤسس المذهب « المالكي ».
٨ ـ ينتمي المذهب « الشافعي » إلى الإمام أحمد بن حنبل.
٩ ـ كان اهتمام أبي يوسف بوفاة ابنه أكثر من اهتمامه بمجلس العلم.
١٠ ـ « أيام العرب » هي الغزوات التي كانت بين المسلمين والكفار.
١١ ـ كانت علاقة أبي يوسف بالخليفة هارون الرشيد نافعة لكليهما.
١٢ ـ استغل أبو يوسف مكانته عند هارون الرشيد في الحصول على المنصب.
١٣ ـ حق الامام العادل وواجبه نحو الرعية هو المبدأ الوحيد الذي أقام أبو سيف رأيه عليه.
١٤ ـ اعتمد أبو يوسف على مكانته العالية عند الخليفة لنفع الناس.
١٥ ـ أهم أساتذة أبي يوسف ابن أبي ليلى وأبو حنيفة.
١٦ ـ الخراج هو ضريبة الأرض وضريبة الأشخاص وضريبة الأموال والزروع والتجارة.
١٧ ـ الجماعات التي تنتقل من مكان وتقيم في آخر تسمى « الجوالي ».
١٨ ـ طغت عظمة الخليفة هارون الرشيد على شخصية الفقيه أبي يوسف.
١٩ ـ خروج المسجونين في السلاسل يتصدق عليهم الناس سلوك غير إسلامي.

٤ ـ ضع كل عبارة مما يأتي في مكانها المناسب في الجمل الآتية :

بيت المال ـ لَوْمة لائم ـ إقامة حد ـ رخِّص فيه ـ ولاة السجن ـ مطلوب بدم ـ قميصا وإزارا ـ ما يقوته ـ أهل الحبوس ـ المجني عليه ـ الخطأ في العقوبة ـ ما استطعتم ـ أهل الخير.

١ ـ لا يحل .... على من لم يستحقه، كما لا يحل إسقاطه عمن يستحقه.
٢ ـ يكون الإنفاق من .... على المسجونين مثل غيرهم من وجوه الإنفاق في الدولة.
٣ ـ يجب على الحاكم ألا يخشى .... في إقامة الحدود.
٤ ـ كان .... يضربون المسجونين ويعذبونهم وليس لهم في هذا أي حق.
٥ ـ تكون كسوة الرجل المسجون .... في الصيف.
٦ ـ يجب على الحاكم أن يولي رجلا من .... أعمال الإشراف على المسجونين.
٧ ـ يجب على الخليفة أن يوفر للمسجون .... في سجنه حتى يغنيه عن طلب الصدقات.
٨ ـ ينبغي أن يُعَامَل .... معاملة إنسانية كريمة تحفظ عليهم آدميتهم.

٩ ـ « الخطأ في العفو خير من .... » من المبادئ الأساسية في الحدود.
١٠ ـ إذا عفا .... عن الجاني سقطت عنه العقوبة إذا كانت قصاصا.
١١ ـ « إدرأوا الحدود بالشبهات ....:...... » فإن في ذلك خيرا.
١٢ ـ إذا قتل الرجل آخر فهو .... ويجب القصاص منه.
١٣ ـ موضوع الشفاعة قبل رفع الأمر للحاكم .... أكثر الفقهاء.

٥ ـ عيّن فيما يأتي المصدر المؤول، وبين وظيفته النحوية (فاعل ـ مفعول به ـ مبتدأ ـ مجرور بحرف جر ـ مجرور بإضافة ـ خبر) :

١ ـ لا يحل للمسلم أن يشفع إلى الإمام في حد قد وجب وتبين.
٢ ـ أن يخطئ الحاكم في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة.
٣ ـ لا يحل للإمام أن يجامل في الحد أحدا ولا تزيله عنه شفاعة.
٤ ـ حد يُعْمل به الناس في الأرض خير من أن يُمطروا ثلاثين صباحا.
٥ ـ الأسير من أسرى المشركين لا بد من أن يُطْعَمَ ويُحْسَن إليه حتى يتم الفصلُ في قضيته.
٦ ـ لا تَدَعَنَّ في سجونكم أحدا من المسلمين في وثاق لا يستطيع معه أن يصلي قائما.
٧ ـ وأحَبُّ إليَّ أن يُجْرَى عليهم من بيت المال، على كل واحد منهم ما يقوته.
٨ ـ أطلب من ولاتك أن لا يسرفوا في الأدب فإنه بلغني أنهم يضربون الرجل في التهمة أو في الجناية الثلاثمائة والمائتين وأكثر وأقل.
٩ ـ معنى هذا الحديث عندنا ـ والله أعلم ـ أنه نهى عن ضربهم من غير أن يجب عليهم حد يستحقون به الضرب.
١٠ ـ فكيف ينبغي أن يُفْعَل هذا بأهل الإسلام !

لاحظ التراكيب التالية :

١ ـ **لا يبيتَنَّ** في قيد إلّا رَجُلٌ مطلوب بدم.
٢ ـ **لا تحسبَنَّ** اللهَ غافلا عما يعمل الظالمون.
٣ ـ **قد أخذوا** ذلك كلّه منهم.
٤ ـ ابدأنَّ غيرك دائما بالتحية.

ـ في كل واحد من التراكيب الأربعة السابقة نوع من التأكيد :
أ ـ في التركيب الأول الفعل دخلت عليه **نون التوكيد الثقيلة** (أي المشددة). **يبيت + ن**
ب ـ في التركيب الثاني أيضا دخلت **نون التوكيد الثقيلة** على الفعل **تحسب + ن**
ج ـ **في التركيب الثالث الفعل الماضي أخذوا سبقته قد**
د ـ في التركيب الرابع فعل الأمر ابدأ + ن دخلت عليه **نون التوكيد الثقيلة.**

ـ تدخل نون التوكيد الثقيلة على الفعل وجوبا إذا :

أ ـ كان الفعل مضارعا.
ب ـ مستقبلا.
ج ـ غير منفي.

د ـ متصلا بلام القسم.

هـ ـ وكان أيضا جوابا لقسم. مثل : والله لتَبْقينَّ ـ كما أنت ـ حلاجا حتى لو نذفَتْ السُّحَاب في جِبَاب الملائكة.

- تدخل نون التوكيد الثقيلة على الفعل المضارع **جوازا** في مواضع أخرى مثل التركيب رقم ٢.
- يؤكد الفعل الماضي بـ **قد** أو **لقد** مثل التركيب رقم ٣.
- لاحظ أن الفعل المضارع يبنى على الفتح (أي يكون مفتوح الآخر دائما) إذا اتصلت به نون التأكيد الثقيلة ولم يكن من **الأفعال الخمسة** أي لم يكن متصلا **بألف الاثنين** (يأكلان) أو **واو الجماعة** (يأكلون) أو **ياء المخاطبة** (تأكلين).
- تدخل نون التوكيد الثقيلة **جوازا** على فعل الأمر مثل التركيب رقم ٤.

٥ ـ أكدوا الأفعال المكتوبة بالبنط الأسود بنوع التوكيد المناسب :

١ ـ **أقيموا** الحدود **واعدلوا** بين المتخاصمين.
٢ ـ **لا تتركوا** في السجون أحدا بدون نفقة.
٣ ـ **يثبت** الله دولتكم إذا حكمتم بين الناس بالعدل.
٤ ـ **رخص** أكثر الفقهاء في جواز الشفاعة في الحد قبل أن يرفع إلى الإمام **فيما علمنا**.
٥ ـ ادرأوا الحدود عن عباد الله ما استطعتم.
٦ ـ **لا تشفع** في حد من حدود الله.
٧ ـ **أخذوا** في شيء من الجنايات وحبسوا.
٨ ـ هذا جواب **ما سألت** عنه يا أمير المؤمنين.
٩ ـ **يحبس** عن المؤمنين شرهم، وينفق عليهم من بيت المال.
١٠ ـ **لا تدعوا** في سجونكم أحدا من المسلمين في وثاق لا يستطيع أن يصلي قائما.

٦ ـ اجمع الكلمات الآتية كما في النموذج :

المفرد	الجمع	المفرد	الجمع
أسير	أسرى	جريح	
قتيل		كليم	
مرض		هالك	
أحمق		سكران	
ميت		غضبان	
ظمآن			

لاحظ هذين التعبيرين :

١ ـ **رُبَّ أخ لك لم تلده أمُك.**

٢ ـ **رُبّما أصابوا** ما يأكلون ورُبّما داروا يَوْمَهم بدون طعام.

ـ « رُبَّ في التركيب الأول **تفيد التقليل** عادة وتدخل على الاسم النكرة.

ـ في المثال الثاني اتصلت « **رب** » بـ « **ما** » فأصبحت صالحة للدخول على **الجملة الاسمية والجملة الفعلية**، ويكون معناها هو **الاحتمال أو التقليل** في كثير من الأحيان وقد تفيد أيضا العكس.

٧ ـ **استخرج من نص أبي يوسف الجمل التي تشتمل على رُبّما** وبيّن معناها ونوع الجملة التي بعدها.

٨ ـ أكتب ما يزيد على عشرين سطرا في موضوع معاملة المسجونين في قوانين بلدك وقارنه بما يوصي به أبو يوسف.

من الشعر العربي (٩)

اقرأ واحفظ

النابغةُ الذُّبيانيّ في الاعتذارِ للنُّعْمان بن المُنْذِر
(من بحر الطويل)

أتاني ـ أبيتَ اللعنَ ـ أنّك لُمْتَني ... وتلك التي أهْتَمُّ منها وأنْصَبُ
فبتُّ كأنَّ العاذِلات فَرَشْنَ لي ... هَراسًا به يُعْلَى فِراشي ويُقْشَبُ
حلَفْتُ فلمْ أترُكْ لنفسكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ
لئنْ كنتَ قدْ بُلِّغْتَ عنّي خيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أغشُّ وأكْذَبُ
ولكنّني كنتُ امرءًا لِيَ جانبٌ ... من الأرضِ فيه مُسْتَرادٌ ومَذْهَبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما أتيْتُهم ... أُحكَّمُ في أمْوالِهم وأُقَرَّبُ
كفِعْلِك في قومٍ أراكَ اصْطَنَعْتَهُمْ ... فلَمْ تَرَهم في شُكْرِ ذلك أذْنَبُوا
فلا تَتْرُكَنّي بالوعيدِ كأنّني ... إلى الناسِ مَطْليٌّ بهِ القارُ أجْرَبُ

الشاعر : شاعر جاهليّ، لقب بالنابغة لنبوغه المبكر في الشعر، وهو من أصحاب المعلقات مات سنة ١٨ هـ (٦٠٤ م).

شروح : **أبَيْت اللَّعْنَ** : عبارة مدح معناها : أنك لا يمكن أن تهان، أو لا تلحقك الإهانة أبدا ـ **أنْصَب** : من النَّصَب، وهو التعب ـ **الهَرَاس** : الشوك ـ **يُقْشَب** : يقسو ـ **الريبة** : الشك ـ **ليس وراء الله للمرء مذهب** : لا يستطيع الإنسان أن يصل في التأكيد إلى حد أبعد من الحلف بالله ـ **الواشي** : النَّمام، وهو الذي ينقل الأخبار المفسدة بين الناس ـ **مُسْتَرَاد** : مكان أرتاده، أي أذهب إليه لتحقيق أهدافي ـ **الوعيد** : التّهديد ـ **القار** : القطران الذي تطلى به الإبل المصابة بالجرب ـ **أجرب** : أي مصاب بمرض الجرب، وهو مرض يصيب جلد الإنسان والإبل وبعض أنواع الحيوان من ذوات الفراء، فيطلى جلدها بالقطران فيبتعد عنها الناس خوفا من العدوى.

من تفسير القرآن الكريم لابن كثير :

النبي يوسف يفسر رؤيا فرعون مصر

القرآن الكريم دستور، وعماد حياة المسلمين. وتفسير القرآن هو الطريق لفهم القرآن، ولفقه (فهم) التعاليم التي جاء بها. وتفاسير القرآن كثيرة، ولها مناهج متنوعة، أشهرها تفسير الطبري، ومنهجه الاعتماد على الاستشهاد بالقرآن والسنّة، وتفسير الكشاف للزمخشري، ومنهجه بيان وجوه التعبير البلاغي في النص القرآني، وتفسير روح المعاني للألوسي، ومنهجه شرح المعاني المختلفة للنص القرآني اعتمادا على التركيب اللغوي. والنص الذي نقرؤه هنا مأخوذ من تفسير ابن كثير. وهو تفسير له منهج خاص يقوم على التدقيق في الروايات والمصادر التي يستشهد بها. كما يعتمد بصفة خاصة على « تفسير القرآن بالقرآن ذاته ».

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- هو الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير. وإسماعيل هو اسمه الشخصي، وعمر اسم أبيه، وكثير اسم عائلته. أما **الحافظ وعماد الدين** فهما لقبان، ولكل منهما دلالة خاصة. فلقب **الحافظ** يعني أنه حاصل على إجازة من شيخه تفيد أنه يحفظ على الأقل عشرة آلاف حديث نبوي. أما لقب **عماد الدين** فهو نوع من أنواع التكريم الذي أطلقه عليه علماء عصره، اعترافا لمنزلته، وإتقانه لعلوم الدين.

- والده هو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير. اسمه الشخصي عمر، وله لقبان أيضا : **الخطيب** (لأنه كان يشتغل بالخطابة الدينية). **وشهاب الدين** (اعترافا بمنزلته العلمية) وله **كنية هي** أبو حفص. وقد اتخذ هذه الكنية تيمنا (تبركا ـ التماسا للبركة) بكنية أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين.
- ولد ابن كثير حوالي عام ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) بقرية مجدل (أو قرية جندل) قريبا من دمشق، ثم انتقلت الأسرة إلى دمشق بعد وفاة الوالد، وعمر ابن كثير أربع سنوات.
- نشأ ابن كثير في بيت من بيوت العلم، فتلقى تعليمه الأساسي، في القرآن والحديث والمبادئ الأولى في الإسلام قولا وعملا، على يدي أخيه الشيخ عبد الوهاب.
- أظهر حبا كبيرا للعلم منذ صغره فبرع في دراسات القرآن، والتفسير والتاريخ وروايته، والفقه وأحكامه، والسيرة النبوية وأحداثها، والنحو وغيره من سائر علوم العربية. أما درايته بالحديث النبوي فقد بلغ درجة رفيعة في **حفظ الأحاديث ومعرفة الإسناد** (أي الأشخاص الذين يروون الأحاديث النبوية ودرجاتهم في الثقة) **ومعرفة المتن** (أي القدرة على التمييز بين الأحاديث اعتمادا على النص ذاته بقطع النظر عن السند).
- تتلمذ ابن كثير على أكثر من ثلاثين من مشاهير علماء التراث الإسلامي منهم ابن تيمية، والحافظ الذهبي، والآمدي، وابن عساكر، وشمس الدين بن بركات وغيرهم.
- اشتهر ابن كثير بالنزاهة، والاستقلال في الرأي والجرأة في الحق. فقد عارض سلطان مصر عندما فرض ضريبة على نصارى الشام عام ٧٦٧ هـ، كما تعرض للتعذيب لأنه أصر على الإفتاء برأي يخالف ما يريده أمير الشام.
- كان ابن كثير واسع الاطلاع في مختلف العلوم والفنون الإسلامية والعربية، وخاصة في الحديث والتفسير والتاريخ، كما كان على دراية عظيمة بعلوم اللغة.
- ألف ابن كثير ما يزيد على ستين كتابا في الحديث وعلومه، وفي الفقه، وفي التفسير، وفي السير وفي التاريخ. وقد ضاع كثير من هذه الكتب، وبقي منها عدد قليل، ولكنه ذو قيمة علمية كبرى، وخاصة كتابه في تفسير القرآن الذي أخذنا منه النص موضوع الدراسة.
- لم يختلف المؤرخون في تحديد وفاة ابن كثير، والمكان الذي دفن فيه، كاختلافهم في تحديد تاريخ ولادته والمكان الذي ولد فيه. فقد توفي على التحديد يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ٧٧٤ هـ (مارس ١٣٧٣ م)، ودفن في جنازة حافلة بمقبرة الصوفية بجانب شيخه ابن تيمية، في الجهة الغربية خارج دمشق.

عـــن الـكـتـــاب :

عنوان الكتاب هو تفسير القرآن العظيم، وإن كان معروفا لدى الناس باسم تفسير ابن كثير.

- وهو أحد تفاسير القرآن الكبرى، التي يمكن أن نعد منها تفسير الطبري، والكشاف للزمخشري، وتفسير القرطبي، وتفسير روح المعاني للألوسي. وقد وصفه الإمام السيوطي بقوله « لم يؤلف على نمطه مثله ».
- ألف الكتاب في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. وطبع في العصر الحديث عدة طبعات تختلف في عدد أجزائها. ويزيد عدد صفحاتها على ٢٥٠٠ صفحة من القطع الكبير.
- صدرت له أيضا عدة اختصارات، أهمها مختصر أحمد محمد شاكر، ومختصر محمد علي الصابوني.
- يتميز تفسير ابن كثير بمنهج علمي دقيق حدده صاحبه بكل وضوح في أول كتابه. ويتلخص هذا المنهج في الأسس الآتية :

١ ـ **تفسير القرآن بالقرآن** : أي تفسير الآيات التي وردت **مختصرة في** سورة من السور بالآيات التي وردت مفصلة في سور أخرى.

٢ ـ **تفسير القرآن بالسنة، أي بالحديث النبوي** : أي أنه عندما لا يستطيع تفسير القرآن بالقرآن فإنه يبحث عن الأحاديث التي وردت في تفسيره، أو التي تساعد على هذا التفسير، فالسنة شارحة وموضحة للقرآن

٣ ـ **تفسير القرآن بأقوال الصحابة** (أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم). ويقول ابن كثير : إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بمعاني القرآن، وذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح.

٤ ـ **تفسير القرآن بأقوال التابعين** وهم صحابة الصحابة، أو الطبقة التي لقيت الصحابة، ولكن لم تلق النبي صلى الله عليه وسلم.

٥ ـ **البعد عن التخمين واتباع الظن**، فالقرآن كلام الله، ولا يجوز أن يحاول شرحه إلا مَنْ كان لديه علم وبرهان من الدين.

٦ ـ البعد عن الإسرائيليات :

وكلمة « الإسرائيليات » مصطلح يستخدمه علماء التراث الإسلامي للدلالة على القصص والأقوال التي تسربت إلى بعض المراجع الإسلامية عن المصادر اليهودية. وتتناول هذه الإسرائيليات عادة موضوعات لم يرد لها شرح في القرآن الكريم، أو الحديث النبوي، مثل تفاصيل ما جرى بين الحيوانات على سفينة نوح، وأوصاف الحية (الثعبان) التي ألقاها موسى على سحرة فرعون.

وقد رفض ابن كثير استخدام هذه الأقوال والقصص في تفسيره باعتبارها خارجة عن الدين الإسلامي الحق.

عـــن الـــنـــــص :

- النص الذي معنا عبارة عن تفسير خمس عشرة آية (من رقم ٣٦ إلى ٥٠) من سورة يوسف.
- تحكي السورة قصة النبي يوسف عليه السلام. وتبدأ القصة حين كان طفلا يعيش في الصحراء مع والديه وإخوته (كان عددهم أحد عشر)، وفي ليلة رأى يوسف في المنام أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا يسجدون تعظيما واحتراما له. ولما قص الحلم على والده (وهو النبي يعقوب عليه السلام) أوصاه والده ألا يذكر شيئا عنه لإخوته حتى لا يحقدوا عليه.
- شعر الإخوة أن والدهم يحب يوسف أكثر منهم فتملكتهم الغيرة، وأرادوا أن يتخلصوا من يوسف حتى يخلص لهم حب أبيهم، فألقوه في بئر في الصحراء، وقالوا لوالدهم إن الذئب قد أكله.
- مرت قافلة فعثرت على الطفل يوسف فأخذته معها وباعته لفرعون مصر.
- تربى يوسف في بيت الملك، وحين **بلغ مبلغ الرجال**، وأصبح شابا جميل الصورة وقعت الملكة في غرامه، ولكنه لم يستجب وقاوم الإغراء. وكان من نتائج ذلك وضع يوسف في السجن ـ على الرغم من براءته ـ حتى تهدأ الفضيحة.
- تعرف يوسف في السجن بشابين سجينين أحدهما ساقي الملك (الذي يجهز له الشراب) والآخر خباز القصر. وفي ليلة من الليالي رأى كل منهما حلما : رأى الساقي أنه يعصر عنبا، ورأى الخباز أنه يحمل خبزا فوق رأسه، وأن الطيور تأكل من هذا الخبز.

- فسر يوسف حلم الساقي، بأنه سوف يسقي الملك الخمر، وفسر حلم الخباز بأنه سوف يقتل مصلوبا، وأن الطيور سوف تهبط وتنهش رأسه. ثم تحقق تفسير يوسف، فقتل الخباز، والتحق الساقي مرة أخرى بخدمة الملك.
- رأى الملك حلما أزعجه كثيرا : رأى سبع بقرات سمينة يأكلها سبع بقرات هزيلة، ورأى أيضا سبع سنابل من القمح خضراء جميلة، وسبع سنابل أخرى يابسة.
- انزعج الملك كثيرا من هذا الحلم، وطلب من حكماء المملكة أن يفسروه ولكنهم عجزوا.
- تذكر الساقي زميله في السجن يوسف، وقدرته العجيبة على تفسير الأحلام، فأخبر الملك عنه، وذكره بوجوده في السجن. فأرسلوا له وسألوه عن تفسير الحلم الذي أزعج الملك.
- أخبرهم يوسف بأن تفسير هذا الحلم : أنه سيأتي سبع سنوات يفيض فيها النيل ويكثر ماؤه، وأن القمح لذلك سيكون كثيرا. وأنه سيأتي بعدها سبع سنوات يقل فيها ماء النيل كثيرا، فيموت الزرع وتحدث مجاعة. ثم يأتي بعد ذلك عام من الخير فتجود المحاصيل، ويكثر العنب مرة أخرى.
- أوصاهم يوسف بأن يخزنوا فائض القمح في السنوات السبع الأولى حتى يستخدموه في السنوات السبع الثانية. وطريقة ذلك أن يبقى القمح في السنابل، ويخزن على هذه الحالة حتى لا يفسد.
- سر الملك من هذا التفسير فأرسل ليوسف من أخرجه من السجن، ثم طلب منه أن يصبح مسؤولا عن خزائن المملكة، وخاصة خزائن الغلال والقمح.
- لعبت الأحلام دورا كبيرا في حياة يوسف : الحلم الذي رآه في صباه، والذي أخبره عن المستقبل العظيم الذي ينتظره، والحلمان اللذان رآهما زميلاه في السجن، وكانا السبب في لفت نظر الملك إلى موهبته، وأخيرا الحلم الذي رآه الملك، وكان السبب في خروج يوسف من السجن، وتوليه الوزارة ورئاسة خزائن الملك.
- يبدأ النص الذي اخترناه هنا من لحظة دخول يوسف السجن ومقابلته للشابين هناك :

النـــص

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.﴾

قَالَ قَتَادَةُ : كان أحدُهما ساقي الملكِ والآخرُ خبَّازَه، قال السدّيّ : كان سَبَبُ حبسِ الملكِ إيَّاهما أنه تَوَهَّمَ أنهما تَمَالآ علَى سَمِّهِ (تآمرا على وضْعِ السمّ له في الطعامِ والشرابِ) في طعامِه وشرابِه، وكان يوسفُ عليهِ السلامُ قد اشْتَهَرَ في السجنِ بالجودِ والأمانةِ، وصدْقِ الحديثِ، وكثْرةِ العبادَةِ، ومعرفةِ التَّعْبِيرِ (تفسير الأحلام)، والإحْسَانِ إلى أهْلِ السجنِ، ولمَّا دخَل هذان الفتيَانِ إلى السّجنِ تآلفا به وأحبّاه حبًّا شَديدا، وقالا له : واللهِ لقدْ أحْبَبْنَاكَ حبًّا زَائِدًا، قال : بَارِكَ اللهُ فيكما، إنّه ما أحبَّنِي أحدٌ إلا دَخَلَ عَلَيَّ من محبتِه ضَرَرٌ، أحبَّتْنِي عمَّتي فدخل عَلَيَّ الضررُ بسببِها، وأحبَّنِي أبِي فأُوذِيتُ بسببِه، وأحبَّتْني امرأةُ العزيزِ فكذلِك، فقالا : واللهِ ما نَسْتَطِيعُ إلا ذَلك، ثم إنَّهما رأيَا منامًا، فرأى السَّاقِي أنَّهُ يَعْصِر خَمْرًا، يَعْنِي عنبًا، قال الضحَّاكُ في قوله :

« إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا » يَعْنِي عِنَبًا، قال : وأَهلُ عمانَ يسمُّونَ العِنَبَ خَمْرًا، وقال عِكْرِمَةُ : قالَ له إنِّي رَأَيْتُ فيما يَرى النائمُ أنّي غرسْتُ حبَّةً من عنبٍ فنبتتْ، فخرج فيها عناقيدُ، فعصرْتُهنّ ثم سقَيْتُهنّ الملكَ فقال : تمْكُثُ في السّجنِ ثلاثة أيّام ثُمّ تخرجُ فتسقيه خَمْرًا، وقالَ الآخرُ وهو الخبّازُ : « وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ » الآية، والمشهورُ عندَ الأكثرينَ ما ذَكَرْنا أنّهما رأيَا منامًا وطلَبا تعبيرَه. وقال ابنُ جريرٍ عَنْ عبدِ اللهِ بْنِ مسعودٍ قالَ : ما رَأى صاحبَا يوسفَ شيْئًا إنما كانَا تَحالَمَا (ادّعى كل واحدٍ منهما أنه رأى حُلُمًا) ليُجَرِّبَا عَلَيْهِ.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨).﴾

يُخْبِرُهما يوسفُ عليه السلامُ أنّهما مَهْمَا رَأَيَا في منامِهما مِنْ حُلُمٍ، فإنّه عارفٌ بتفسيرِه، ويُخْبِرُهُما بتأويلِهِ (أي تفسيرِه)، قبْلَ وقُوعِه ولهذا قال : قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ، قال مجاهد يقول : قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ في يوْمِكمَا إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا وكذا قال السدّي، وهذا إنما هو من تعليمِ اللهِ إيّاي، لأنّي اجتنبْت ملّةَ (عقيدة) الكافرين باللهِ واليوْمِ الآخرِ، فلا يَرْجُون ثوابًا ولا عِقابًا في المعاد (يوم العودة إلى الله أي يوم القيامة)، واتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ الآية، ويقول : هجَرْت طريقَ الكُفرِ والشرْكِ، وسلكتُ طريق هؤلاءِ المرسلين صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجْمَعِين، وهكذا يكونُ حالُ منْ سلَك طريقَ الهُدى واتّبَعَ طريقَ هؤلاءِ المرسلينَ وأعْرَضَ عنْ طريقِ الضّالّينَ، فإنّ اللهَ يَهْدِي قلبَه ويعلّمُهُ ما لَمْ يكنْ يعلَمُ، ويجعلُه إمامًا يُقْتَدَى به (يُتّخَذُ نَمُوذَجًا يتبعه الآخرون) في الخَيْرِ وداعيًا إلى سَبِيلِ الرَّشَادِ، مَاكَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ. هذا التوحيدُ، وهو الإقرارُ بأنّه لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا أي أوحاه إلينا وأمَرنا به، وَعَلَى النَّاسِ إذْ جعَلَنا دعاةً لهمْ إلى ذلك، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ أي لا يَعْرِفُونَ نعمةَ اللهِ عليْهم بإرْسَالِ الرّسلِ إليهم بل بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (دار الهلاك أي جهنم).

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ.﴾

يقولُ لهما : **يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ** (أي يُعطي الشرابَ لملكِهِ)، **خَمْرًا** وهو الذي رَأى أنّه يَعْصِرُ خَمْرًا ولكنّهُ لَم يُعَيِّنْهُ لِئَلّا يَحْزَنَ ذاك ولهذا أبْهَمه (لم يوضحه) في قولِه : **وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ** وهو الذي رَأى أنه يحملُ فوقَ رأسِه خُبْزًا، ثمّ أعْلَمَهُمَا أنّ هَذَا قَدْ فُرِغَ مِنْه، وَهُوَ واقِعٌ لا مِحالةَ لأنّ الرؤيا على رجل طائرٍ ما لَمْ تُعَبَّرْ، فإذا عُبِّرَتْ وقَعَتْ قال : الثوريّ : لمّا

قالا ما قَالا، وأخبرهما، قالا : ما رَأَيْنا شَيْئًا، فقالَ : **قُضِيَ الأَمْرُ** (أصبح في حكمِ النَّافِذِ الواقِعِ بدونِ تَغْيِير) **الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ.**

ولمَّا ظنَّ يوسُفُ عليه السلامُ أنَّ السَّاقِيَ نَاجٍ، قالَ له يوسُفُ خُفْيَةً عَنِ الآخرِ : **اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** يقول : اذكر قِصَّتي عندَ رَبِّكَ وهو الملِكُ فنسِي ذَلِك المُوصَى أن يُذَكِّر مَوْلاه المَلِك بذَلِك وكانَ من جُمْلَة مَكايِدِ الشَّيْطانِ لِئَلَّا يطلُعَ نبيُّ اللهِ من السِّجْنِ، هذا هو الصوابُ أن الضميرَ في قولِه **فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ** عائدٌ على النَّاجِي، كمَا قالَه مُجاهدٌ وغَيْرُ واحِد، ويُقَال إنَّ الضَّمِيرَ عائدٌ عَلَى يوسفَ عليه السلام، رَواه ابْنُ جَرِير عَنِ ابْنِ عَبَّاس ومجاهد وقَتَادة : وهُو ما بَيْن الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ، وقَال وَهْبُ بنُ مُنَبِّه : مَكَثَ أيوبُ في البلاءِ سَبْعًا، ويوسفُ في السجنِ سَبْعًا.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩).﴾

هذه الرُّؤْيا من ملِك مصرَ مِمَّا قَدَّرَ اللهُ تعالَى أنَّها كانتْ سببا لخروجِ يوسفَ عليه السلامُ من السجنِ مُعزَّزا مكرَّما وذلِك أنَّ المَلِكَ رَأَى هذِه الرُّؤْيا فهالَتْهُ، وتعَجَّبَ من أمرِها، وما يكُون تفسيرُها، فجمعَ الكهنة وكبارَ دَوْلَتِه وأمرائه، فقصَّ عليهمْ ما رَأَى وسأَلَهُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا، فلَمْ يَعْرِفُوا ذَلِك واعتذروا إليْه بأنَّها **أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ** أي أَخْلاطُ أحلامٍ اقتضتْه رؤياك هذِه، **وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ** أي لو كانتْ رُؤْيا صحيحةً من أخلاطٍ لمَا كان لنا معرفةٌ بتأويلِها وهو تعبيرُها، وعند ذلك تذكَّرَ الذي نَجا مِنْ ذَيْنِك (هذين) الفَتَيَيْن اللَّذَيْن كانا في السِّجْنِ معَ يوسفَ، وكانَ الشيطانُ قد أنساهُ مَا وَصَّاهُ به يوسفُ من ذكرِ أمرِه للملِكِ، فعِنْدَ ذلِك تَذَكَّرَ **بَعْدَ أُمَّةٍ** أي مُدَّةٍ، فقالَ لِلْمَلِكِ : **أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ** أي بتأويلِ هذا المنامِ **فَأَرْسِلُونِ** أي فابعثُونِ إلى يوسفَ الصدِّيقِ إلى السجنِ ومَعْنَى الكلامِ فَبَعَثُوه فجاءَ فقال : **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا** وذكرَ المنامَ الذي رآه المَلِكُ، فعند ذلك ذكرَ له يوسفُ عليه السلامُ تعبيرَها من غَيْر تَعْنِيفٍ لِلْفَتَى في نِسْيانِه ما أَوْصاهُ به ومن غَيْرِ اشْتِرَاطٍ لِلْخُروجِ قبلَ ذلك بلْ قال : **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** (على التوالي) أي يأتيكمُ الخِصْبُ والمطرُ سبْعَ سنينَ متوالياتٍ **فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ** أي مَهْمَا استغلَلْتُمْ (أي حصلتم على الغلة وهي الحَبّ والثمار التي تُغِلُّها (أي تُنْتِجُها الأرض) وهذه السبْعَ سنينَ الخِصْبِ فادَّخِروه في سنبلِه ليكون

أبْقى له وأبْعد عنْ إسْرَاع الْفسَادِ إلَيْه إلّا المِقْدارَ الّذي تَأكُلونه، ولْيَكُنْ قَليلًا، لا تُسْرِفُوا فيه، لتَنْتفعُوا في السّبْع الشّدَادِ، وهُنَّ السّبْعُ السِّنين الْمَحْلُ (أي السنين الجدباء أي التي لا تؤتي الأرض فيها محاصيل) التي تُعْقِب هَذِه السّبْعَ الْمُتواليَاتِ، وهُنّ الْبقَرَاتُ العِجافُ (البقرة العجفاء أي الهزيلة التي لا لحم فيها) اللّاتي تَأْكُل السِّمَانَ، لأنّ سِنِى الْجَدْبِ يُؤكل فيها ما جَمَعُوه في سِني الْخِصْبِ، وهُنَّ السُّنْبُلاتُ اليابِسَاتُ، وأخْبرَهُم أنهنّ لا يُنْبتْن شيْئًا وما بذَرُوه فلا يرجعُون منْه إلى شيْء، ولهذا قال: **يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلّا قَلِيلًا مِمّا تُحْصِنُونَ** (أي تخزنون) ثم بشّرَهُمْ بَعْدَ الْجَدْبِ العامّ الْمُتوالي بأنّه يُعْقِبهم بعْد ذلك **عامٌ فِيهِ يُغاثُ النّاسُ** أي يَأْتِيهِمُ الغَيْثُ وهو المَطَرُ، وتُغِلّ البلادُ، ويَعْصِرُ الناسُ ما كانُوا يَعْصِرُون على عادتِهم من زَيْتٍ وسُكّرٍ ونَحْوه.

التـدريبـات

١ ـ لاحظ التعبيرات التالية :

الاستشهاد بالقرآن : تأييد الرأي بالاستدلال عليه من القرآن.
الخلفاء الراشدون : أول أربعة خلفاء بعد النبي مباشرة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.
لم يُؤلَّف على نمطه مثله : لم يكتب نظيره.
آية قرآنية : يتكون القرآن من مائة وأربع عشرة سورة، والسورة مجموعة من الآيات لها عنوان خاص بها، ولها بداية ونهاية تحدد أولها وآخرها.
بلغ مبْلغ الرّجال : تجاوز مرحلة الصبا.
رأيتُ فيما يرى النّائم : رأيت في منامي حلما من الأحلام.
هو واقع لا محالة : سيحدث حتما.
راودتْه عن نفْسه : حاولت إغراءه جنسيا.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما دور القرآن في حياة المسلمين ؟
٢ ـ ما المقصود بتفسير القرآن بالقرآن ؟
٣ ـ من هو ابن كثير، وما اسمه، وما لقبه ؟
٤ ـ ما معنى تلقيبه بالحافظ ؟
٥ ـ متى ولد ابن كثير ؟ وأين كان مولده ؟
٦ ـ كيف نشأ ابن كثير ؟
٧ ـ على من تتلمذ ابن كثير ؟
٨ ـ ما الصفات التي اشتهر بها ؟ وما الذي يثبت ذلك ؟
٩ ـ ما المجالات التي ألف فيها ابن كثير ؟ وما أشهر كتبه ؟
١٠ ـ متى توفي ابن كثير ؟ وأين دفن ؟
١١ ـ متى ألف كتاب « تفسير القرآن العظيم » ؟

١٢ ـ ما أهم مختصرات تفسير ابن كثير ؟
١٣ ـ فيم تتلخص أسس المنهج الذي اتبعه ابن كثير في تفسيره ؟
١٤ ـ ما المقصود بالإسرائيليات ؟
١٥ ـ ما الموضوع الذي تتناوله سورة يوسف ؟
١٦ ـ ما الرؤيا التي رآها يوسف في المنام ؟
١٧ ـ لماذا طلب أبوه منه ألا يقصها على أحد من إخوته ؟
١٨ ـ لماذا دخل يوسف السجن ؟ وكم سنة قضاها فيه ؟
١٩ ـ بماذا اشتهر يوسف ؟
٢٠ ـ بماذا فسر يوسف رؤيا « عصر العنب » ؟
٢١ ـ بماذا فسر رؤيا حمل الخبز فوق الرأس وأكل الطير منه ؟
٢٢ ـ ما الحلم الذي رآه الملك ؟ ولماذا انزعج من هذا الحلم ؟
٢٣ ـ بماذا فسر يوسف رؤيا الملك ؟
٢٤ ـ ما الجزاء الذي تلقاه يوسف على تفسير هذه الرؤيا ؟
٢٥ ـ ما الدور الذي قامت به الأحلام في حياة يوسف ؟
٢٦ ـ ماذا كان يعمل الرجلان اللذان كانا مع يوسف في السجن ؟
٢٧ ـ لماذا سجنهما الملك ؟
٢٨ ـ ما تعليقك على هذه القصة القرآنية ؟
٢٩ ـ اذكر أسماء بعض كتب التفسير المهمة ؟
٣٠ ـ ما الطريق إلى فهم القرآن والتعاليم التي جاء بها ؟

٣ ـ صـــواب أو خـــطـــأ :

١ ـ لقب ابن كثير بالحافظ لأنه كان يحفظ القرآن كله.
٢ ـ تكنى والد ابن كثير بأبي حفص تشبها بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كانت كنيته أبا حفص.
٣ ـ ولد ابن كثير سنة ٧٠٠ ميلادية.
٤ ـ من أول من تتلمذ عليه ابن كثير الشيخ عبد الوهاب بن كثير.
٥ ـ العلم الذي يهتم برواة الحديث النبوي وتسلسلهم يسمى علم السند.
٦ ـ القدرة على تمييز الأحاديث اعتمادا على نصها نفسه تعرف بمعرفة المتن.
٧ ـ دافع ابن كثير عن نصارى الشام عام ٧٦٧ هجرية.
٨ ـ لم يضع من مؤلفات ابن كثير المتنوعة شيء على مدى الزمن.
٩ ـ عاش ابن كثير حوالي ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين سنة.
١٠ ـ أحاديث الرسول شارحة وموضحة لآيات القرآن الكريم.
١١ ـ تفسير القرآن بالقرآن معناه شرح القرآن بالأحاديث النبوية.
١٢ ـ كان ابن كثير في تفسيره لا يعتد بأقوال الصحابة والتابعين.
١٣ ـ اهتمام الإسرائيليات بالأمور الغيبية جعل ابن كثير يعتمد عليها في تفسيره.
١٤ ـ حب يوسف لزوجة سيده كان سببا لدخوله السجن.
١٥ ـ كان يوسف محبوبا من أبيه وإخوته جميعا.
١٦ ـ « سبع بقرات سمان وسبع عجاف » تأويلها سبع سنين فيها خير كثير وسبع سنين فيها مجاعة.
١٧ ـ نفذ ملك مصر وصية يوسف فنجت مصر من المجاعة.
١٨ ـ خرج يوسف من السجن لأن زوجة الوزير كانت تحبه حبا شديدا.

٤ ـ ضع كلا مما يأتي في موضوعه المناسب من الجمل الآتية :

الحافظ ـ فرض ضريبة ـ فيه نظر ـ على نمط واحد ـ تعبير الرؤيا ـ أضغاث أحلام ـ ملة ـ اتباع الظن ـ القرائن والأحوال.

١ ـ ليست كتب التفسير كلها .... لأنها تختلف من كتاب لآخر.
٢ ـ من مظاهر شجاعة ابن كثير أنه عارض سلطان مصر عندما .... على نصارى الشام.
٣ ـ هذا الحديث .... لأن سنده ضعيف.
٤ ـ كانوا قديما يسمون .... من يحفظ عشرة آلاف حديث على الأقل.
٥ ـ كانت قدرة يوسف على .... سببا في إخراجه من السجن.
٦ ـ كان يوسف على .... تخالف عقائد من معه في السجن.
٧ ـ من شروط المفسر أن يبتعد عن .... ولا يقدم إلا كل ما هو موثوق به.
٨ ـ رأي الصحابة مهم في التفسير لأنهم شاهدوا .... التي كان عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم).
٩ ـ كثير مما يراه النائم تكون .... ولا تتنبأ بما سيحدث في المستقبل.

٥ ـ أكمل الجمل الآتية كما في النموذج :

(تذكر أن الفعل المضارع بعد حتى يكون منصوبا)

★ أوصى يوسف بتخزين فائض القمح **حتى** يستخدم في سنوات القحط.

★ نصح يوسف بأن يبقى القمح في سنابله **حتى** لا يفسد.

١ ـ .... حتى أتمكن من الاطلاع على التراث الإسلامي.
٢ ـ حاول بعض المفسرين تخليص التفسير من الإسرائيليات حتى ....
٣ ـ .... حتى يخرج من السجن.
٤ ـ تسببت امرأة الملك في وضع يوسف في السجن حتى ....
٥ ـ .... حتى يسقيه الملك.
٦ ـ تهبط الطير على رأسه حتى ....
٧ ـ .... حتى لا تقضي عليهم المجاعة.
٨ ـ أخبر الفتيان يوسف بمنامهما حتى ....
٩ ـ .... حتى لا يلجأ إلى التخمين واتباع الظن.
١٠ ـ لا يعتمد ابن كثير في تفسير القرآن على أقوال الصحابة حتى ....

لاحظ هذه الآية :

« ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ». أي لا يصح لنا ولا يجوز منا أن نشرك في عبادة الله أحدا سواه.

ـ **ما كان لنا أن ....** هذه عبارة تفيد امتناع الحدوث بمقتضى طبيعة الأشياء، فكأنه في هذه الحالة نوع من الاستحالة أو عدم تصور الحدوث. وهذا التعبير يتركب من :

ـ ما النافية + كان أو يكون + حرف اللام + اسم + أن :

ـ مثال آخر : **ما كان لي** أن أكذب. **ما كان لأخيك** أن يتأخر.

٦ ـ أكمل العبارات التالية :

١ ـ ما كان لامرأة الملك أن ....
٢ ـ ما يكون لساقي الملك أن ....
٣ ـ ما يكون لمعلم الصبيان أن ....
٤ ـ ما كان لابن بطوطة بعد أن عبر البحر أن ....
٥ ـ ما يكون للغائص على اللؤلؤ أن ....
٦ ـ ما كان لعيسى بن هشام بعد أن تعادل الشحاذان في السباب أن ....
٧ ـ ما كان لأبي حيان ـ وقد كتب كل هذه الكتب ـ أن ....
٨ ـ ما كان للرازي ـ وقد عشق اللغة العربية ـ أن ....
٩ ـ ما كان لحراس السجين ـ وقد تسلموا ثمن طعامه ـ أن ....
١٠ ـ ما كان للبشر ـ بدون سلطان يحكمهم ـ أن ....

٧ ـ أعط الإجابة الصحيحة من (أ) أو (ب) أو (ج) فيما يأتي :

١ ـ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا **تأكل الطير منه**.
الجملة التي تحتها خط :
أ ـ حال　　ب ـ نعت (صفة)　　ج ـ خبر

٢ ـ ذلكما مما **علمني ربي**.
الجملة التي تحتها خط :
أ ـ نعت　　ب ـ صلة　　ج ـ حال

٣ ـ إني تركت ملة قوم **لا يؤمنون بالله**.
الجملة التي تحتها خط :
أ ـ نعت　　ب ـ صلة　　ج ـ خبر

٤ ـ واتبعت ملة آبائي **إبراهيم** وإسحاق ويعقوب.
الاسم الذي تحته خط :
أ ـ نعت　　ب ـ بدل　　ج ـ توكيد

٥ ـ إلا نبأتكما بتأويله قبل أن **يأتيكما**.
الاسم الذي تحته خط :
أ ـ خبر　　ب ـ مبتدأ　　ج ـ مضاف إليه

٦ ـ ولكن أكثر الناس **لا يشكرون**.
الجملة التي تحتها خط :
أ ـ اسم لكن　　ب ـ حال　　ج ـ خبر لكن

٧ ـ وأما الآخر فيصلب **فتأكل الطير من رأسه**.
الجملة التي تحتها خط :
أ ـ جملة مستأنفة　　ب ـ معطوفة　　ج ـ جواب أما

٨ ـ وقال للذي ظن أنه ناج منهما **اذكرني عند ربك**.
الجملة التي تحتها خط :
أ ـ مقول القول　　ب ـ خبر أن　　ج ـ صلة الموصول

٩ ـ إنّي أرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ **يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ**.

الجملة التي تحتها خط :

أ ـ نعت ب ـ حال ج ـ خبر إن

١٠ ـ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلَّا **قَلِيلًا**.

الكلمة التي تحتها خط :

أ ـ حال ب ـ مفعول به ج ـ مستثنى

١١ ـ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ **بِضْعَ** سِنِينَ.

الكلمة التي تحتها خط :

أ ـ حال ب ـ ظرف زمان ج ـ مفعول به

١٢ ـ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ عَامٌ **فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ**.

الجملة التي تحتها خط :

أ ـ حال ب ـ خبر ج ـ نعت

١٣ ـ وقَالَ الْمَلِكُ **ائْتُونِي بِهِ**.

الجملة التي تحتها خط :

أ ـ مقول القول ـ ب ـ حال ج ـ نعت

٨ ـ أين تجد الكلمات الآتية في المعجم ؟ :

تأويله ـ تستفتيان ـ تحصنون ـ يغاث ـ نراك ـ المحسنون ـ النّاس ـ أفتوني.

٩ ـ تدريب كتابي :

صف بأسلوبك الخاص ما كان عليهِ أمرُ يوسف في السجن حتى خرج منه.

اقرأ واحفظ

عُمَر بن أبي رَبيعة في الغَزَل
(من بحر الرَّمَل)

لَيتَ هِندًا أنجزتْنا ما تعِدْ ... وشفَتْ أنفُسَنا مما نجِدْ
واستبدّتْ مَرّةً واحِدَةً ... إنّما العاجِزُ مَنْ لا يَسْتَبِد
زَعَمُوها سألتْ جاراتِها ... وتعرّتْ ذاتَ يوْمٍ تَبْتَرِد
أكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرْنَنِي ... عَمْرَكُنَّ اللّهَ أمْ لا يَقْتَصِد
فتضاحَكْنَ وقَدْ قُلْنَ لَهَا ... "حَسَنٌ في كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدّ"
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ مِنْ شَأنِها ... وقدِيمًا كانَ في النّاسِ الحَسَدْ
غادَةٌ تَفْتَرُّ عَنْ أشْنَبِها ... حِينَ تَجْلُوه أقاحٍ أوْ بَرَدْ
وَلَها عَيْنَانِ في طَرْفَيْهِما ... حَوَرٌ مِنْها وَفي الجِيدِ غَيَدْ
قلْتُ: مَنْ أنتِ؟ فقالَتْ: أنا مَنْ ... شَفَّهُ الوَجْدُ وأبْلاهُ الكَمَدْ
نَحْنُ أهْلُ الخَيْفِ مِنْ أهْلِ مِنًى ... ما لِمَقْتُولٍ قَتَلْنَاهُ قَوَدْ
قلتُ: أهْلًا أنتمُ بُغْيَتُنا ... فَتَسَمَّيْنَ فقالَتْ: أنا هِنْد
إنّما أهلُكِ جيرانٌ لَنا ... إنّما نَحْنُ وهُمْ شيءٌ أحَد
حدّثُونا أنّها لي نَفَثَتْ ... عُقَدًا يا حَبَّذا تِلْكَ العُقَدْ
كُلَّما قلْتُ مَتَى مِيعادُنا؟ ... ضحكتْ هِنْدٌ وقالَتْ: بَعْدَ غَدْ

الشاعر : شاعر من المدينة المنورة، عاش في صدر الإسلام وأُشْتُهر بالغزل ومعابثة النساء، ومات سنة ٩٣ هـ (٧١١ م).

شروح : **أنْجَزَتْنا** : وفَتْ بالوعد ـ **نجِدُ** : من الوَجْد وهو شدة الحب ـ **استبدت** : تحكمت وظلمت ـ **تبتَرد** : تغتسل بالماء البارد ـ **ينعتني** : يصفني ـ **عمركن الله** : سألتكن بالله ـ **لا يقتصد** : يبالغ ـ **غادة** : فتاة ذات قوام معتدل ـ **تَفْتَرُّ** : تبتسم ـ **أشْنَبَهَا** : فمها العذب ـ **تَجْلوه** : تُظْهرُه بالابتسام ـ **أقاح** : زهر بري هو زهر الأقحوان ـ **برد** : قطع الثلج التي تتساقط أحيانا مع المطر ـ **حَوَر** : شدة بياض العين مع شدة سوادها ـ **غَيَد** : نعومة ـ **شَفَّه الوجد** : أمرضه الحب ـ **الكَمَد** : أحزان الحُبّ ـ **الخَيْف** : اسم مكان خارج مكة ـ **القَوَد** : القصاص (أي الأخذ بالثأر، أو قتل القاتل) ـ **بُغْيَتُنا** : مقصدنا وهدفنا ـ **فتَسَمَّين** : اذكرن أسماءكن ـ **نفَثَت عُقَدا** : صنعت له سحرا.

ابن خلدون يؤصل
« قوانين العمران البشري »

نشأ علم الاجتماع بمعناه الحديث في حضن التراث الإسلامي، وعلى يد ابن خلدون بالذات : **فمن خلال دراسته للتاريخ** (وقد وسع ابن خلدون من مجاله ليشمل دراسة الماضي من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية) ومن خلال محاولته الاهتداء إلى القوانين التي تحكم سير الحوادث، وتسيطر على مقادير الأمم، وتؤدي إلى سقوط دول وقيام أخرى مكانها، اهتدى ابن خلدون إلى نظريات جديدة تتصل بالجماعات البشرية، وتوجه سلوكها، وتنثر على الروابط التي تجمعها معا، وتحكم كيفية التعاون فيما بينها. ومن **خلال تجاربه الشخصية** في مجال السياسة والعمل لحكام عصره في المغرب العربي، ومن خلال ملاحظاته على أحوال هؤلاء الحكام، وسقوط بعضهم وقيام آخرين ليحلوا محلهم، اهتدى ابن خلدون إلى قوانين ما أسماه « **بالعمران البشري** »، وهو علم وصفه ابن خلدون بأنه « علم مستحدث ومستقل بنفسه ».

وكان ابن خلدون على وعي كامل بحقيقة النظريات التي اهتدى إليها وقيمتها في تفسير سلوك الإنسان، باعتباره كائنا اجتماعيا تحكم أفعاله قوانين يمكن التنبؤ بحركتها. وقد أودع ابن خلدون نظرياته هذه في **مقدمة** لكتاب كبير ألفه عن التاريخ البشري. ولأهمية ما ورد في هذه المقدمة فقد استقلت وأصبحت كتابا قائما بذاته. وقد ساعدت ترجمة هذه المقدمة إلى اللغات الأوربية، ودراستها أيضا في لغتها الأصلية، على فتح الطريق إلى الدراسات الموضوعية التي قام عليها علم الاجتماع بمعناه المنهجي الحديث.

مـداخـل إلـى دراسـة الـنـص

عـن الـكـاتـب :

- **اسمه** عبد الرحمن **وكُنْيَتُه** أبو زيد **ولَقَبه** ولي الدين **وشُهْرَتُه** ابن خلدون.
- ولد في تونس سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) من أسرة معروفة **بطلب العلم**، وهي أسرة من أصل عربي كانت قد هاجرت من **حضرموت**، واستقرت في **الأندلس** منذ الفتح العربي لها، ثم هاجرت من جديد إلى الشرق فاستقرت في تونس **قبيل سقوط الأندلس.**
- اشتغل جده الأعلى، وجده المباشر، بالعلم والسياسة. ولكن أباه ـ وقد رأى النهايات الأليمة لأبيه وجده نتيجة اشتغالهما بالسياسة ـ آثر أن يقتصر على طلب العلم والأدب. فكان **فقيها أديبا**. وكان متقدما في صناعة العربية، وله بصر بالشعر وفنونه.
- **في حياة ابن خلدون** ثلاث فترات متميزة، **الأولى هي فترة طفولته وتعليمه، والثانية دراسته العلمية ومغامراته السياسية**. وتمتد حوالي ثلاث وعشرين سنة. **والثالثة** فترة اشتغاله **بالتأليف والتدريس والقضاء**. وتمتد حوالي ثلاثين سنة. قضى ابن خلدون الفترتين الأوليين من حياته متنقلا بين تونس والمغرب والأندلس، وقضى الفترة الثالثة بين المغرب ومصر.
- تلقى ابن خلدون **تعليمه الأساسي** على يد أبيه، فحفظ القرآن وجوّده، ثم تلقى تعليمه التقليدي في علوم اللغة العربية، والفقه والحديث على شيوخ عصره، موسعا من دائرة معارفه بدراسة الفلسفة والمنطق. وكان لسقوط الدولة المرينية ـ وما أحاط بذلك من سفك الدماء ـ ثم لاجتياح الطاعون القادم من الشرق البلاد ـ أكبر الأثر في نفس ابن خلدون الذي كان شابا يافعا في حوالي السابعة عشرة من عمره، وقد تركت هذه الفترة علاماتها في كتاباته الموجودة بأيدينا.
- تنقل ابن خلدون في مدن المغرب، طلبا للعلم في البداية، معلنا عن تعطشه الشديد إلى المعرفة، فهاجر أولا إلى **فاس**، وشغل فيها أول **وظيفة كتابية** له، وسرعان ما وجد نفسه في دوامة القلاقل (وسط الاضطرابات) السياسية. وقد تقلبت به الأحوال فكان يرتفع **مرة** وينخفض **أخرى**، ويشتغل بوظائف يقول هو عنها إنها دون **طموحه الشخصي**، وأقل مما تسمح به **تقاليد** أسرته. **وقد دعاه هذا إلى العودة إلى التركيز على الدرس العلمي على يد شيوخ أعلام** من المغرب والأندلس كانوا يقيمون ـ مؤقتا ـ في مدينة فاس.
- من المحتمل أن ابن خلدون شارك في تلك الفترة من حياته (كان عمره حوالي ثلاثة وعشرين عاما) في مؤامرة سياسية تهدف إلى إعادة أمير بجاية المخلوع إلى عرشه. ونظرا لفشل تلك المؤامرة **ألقي به في السجن سنتين** ٧٥٨-٧٥٩ هـ (١٣٥٧-١٣٥٨ م). وبعد إطلاق سراحه أسهم في الصراع السياسي وناصر أميرا على أمير، وشغل وظائف عدة، وغير ولاءه أكثر من مرة.
- دعته الوظائف التي تولاها إلى التنقل في سفارات بين الأمراء في أرجاء المغرب والأندلس، كما دعاه اشتغاله بالصراع السياسي إلى الفرار بنفسه أحيانا متنقلا من مكان إلى مكان. وكان يغضب عليه فيقاطع أو يسجن أو تصادر ممتلكاته أحيانا، ويرضى عنه فيعطى الوظائف المهمة أحيانا أخرى.
- وفي فترة نضجه العقلي (الأربعين ـ وما بعدها) كتب أهم أعماله على الإطلاق **وهي المقدمة** التي سيأتي الحديث عنها، كما أنه استقر في القاهرة (مع بعض التنقلات في أرجاء المغرب العربي) في هذه الفترة، واشتغل بالعلم والتأليف كما اشتغل بالتدريس في **الجامع الأزهر**، فكانت **حلقته الدراسية** تتسع لتلاميذ أصبحوا فيما بعد من المؤرخين

المشهورين أمثال المقريزي. وقد تولى وظيفة قاضي القضاة أكثر من مرة، وكان يقصى عنها ويعاد إليها تبعا لرضا الوالي عنه، ونتيجة لهزيمته أو انتصاره في الصراع السياسي والاجتماعي الدائر في مصر في ذلك الحين.

- توفي ابن خلدون في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م).
- له أعمال كثيرة يشار إليها في كتب الأدب، ولكن معظمها مفقود، وأعماله الوحيدة الباقية هي :

- كتابه في التاريخ المسمى « العبر وديوان المبتدأ والخبر ».
- كتابه الذي أرخ فيه لحياته (سيرته الذاتية) المسمى : « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ».
- كتابه المسمى « المقدمة » وهو أشهر كتبه، وسنخصه بتعريف مفصل فيما يلي :

عـــن الـــكـــتـــاب :

- كتب ابن خلدون كتاب « المقدمة » كمقدمة لكتابه الكبير في التاريخ المسمى « **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ».
- اكتسبت المقدمة شهرة خاصة فاقت شهرة الكتاب الأصلي، وحققت لصاحبها شهرة وضعته بين الرجال القلائل الذين أثروا في سيرة الفكر الإنساني عبر التاريخ.
- ويحتوي كتاب « **المقدمة** » على القوانين العامة لعلم التاريخ، والمؤهلات الضرورية التي ينبغي أن يتسلح بها المؤرخ، إذا أراد أن يكون عمله علميا منهجيا.
- من خلال بحثه السابق توصل ابن خلدون إلى ابتكار علم جديد - وصفه هو نفسه بأنه « علم مستحدث النشأة » - ويحتوي هذا العلم على أصول ومقدمات علمية نص عليها ابن خلدون بوعي كامل بحقيقتها. وقد أدى البحث في هذه الأصول إلى ظهور ما أصبح يسمى فيما بعد فلسفة التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد، وعلوما أخرى كثيرة.
- يقدم ابن خلدون - **في مقدمة** « **المقدمة** » - تعريفا لعلم التاريخ الذي هو عنده « دراسة **ماضي البشر** من الزوايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ». ويصل ابن خلدون من خلال نقد أعمال المؤرخين السابقين ومناهجهم إلى إرساء القواعد الضرورية « **لعلم التاريخ** » **بصفته نقد الماضي**، من خلال **بحث الوقائع** عن طريق **قانون المطابقة** أي قانون كون هذه الوقائع **ممكنة** ومطابقة **لطبائع الأشياء**، مما يتحتم معه إبراز القوانين التي تحكم مجرى تطور التاريخ وتقدمه.
- يمضي ابن خلدون في **المقدمة** إلى القول بأن العلم الذي يمكن به إلقاء الضوء على كل الظواهر المستحدثة هو « **علم العمران** »، وهو علم مستقل بنفسه، وموضوعه « **العمران البشري، والظواهر الاجتماعية** ».
- بعد تلك **المقدمة العامة** في كتاب « **المقدمة** »، يمضي ابن خلدون في التعريف بهذا العلم الجديد، فيتناول الموضوع بطريقة منهجية منظمة، تتبع تبويبا صارما، يصل أحيانا حد الترتيب الحسابي، فيقسم ما يتبقى من الكتاب إلى ستة فصول طويلة، يشتمل كل فصل منها على فقرات عديدة، تتنوع في طولها وقصرها حسب الموضوع الذي تتناوله. ويمكن تلخيص هذه الفصول الستة على النحو التالي :

١ - يتناول الفصل الأول : **المجتمع البشري**، وفيه يتكلم ابن خلدون عن أثر البيئة المحيطة بالإنسان على طبيعته البشرية الخاصة.

٢ - ويتناول الفصل الثاني : المجتمعات البدائية ويسميها ابن خلدون « **العمران البدوي** ».

٣ - ويتناول الفصل الثالث : الأشكال المتنوعة للحكم ونوع الدولة **والدساتير** (جمع دستور).

٤ - ويتناول الفصل الرابع : المجتمعات المتقدمة، أو بتعبير ابن خلدون « **العمران الحضري** ».

٥ - ويتناول الفصل الخامس : الأحوال الصناعية والاقتصادية.

٦ ـ ويتناول الفصل السادس : البحث العلمي وتصنيف العلوم والفنون والتعريف بها، وبمصادرها، وطرق البحث فيها بكثير من الدقة والتفصيل.

- اهتم ابن خلدون في **المقدمة** اهتماما خاصا **بالظواهر الاجتماعية** والأمراض التي تصيب المجتمعات وتتسبب في انهيار (سقوط) الدول، وانحلال (زوال) الحضارات. وكتاب **المقدمة** تعبير عن التجربة السياسية التي عاشها ابن خلدون، والتي انتهت إلى أنه مع سقوط حضارة ما في مكان ما تنشأ حضارة أخرى في مكان آخر. لقد شعر أن الحضارة التي ينتمي إليها كانت على وشك الزوال، وهو لم يكن ـ بالطبع ـ قادرا على تفادي هذا الكارثة، ولكنه كان قادرا ـ على الأقل ـ على تسجيلها.

- أبرز خصائص منهج ابن خلدون في **المقدمة** استخدام الملاحظة والاستنتاج، وهو يربط بين الاثنين بصورة تكون منهجا في الاستنتاج الشخصي لعالم الاجتماع، وهذا المنهج بالطبع يختلف عن منهج الفلاسفة الميتافيزيقيين الذين يقيمون منهجهم على التأمل الباطني في وضع المقدمات واستخلاص النتائج.

- طبع كتاب المقدمة طبعات عديدة، وظهرت له ترجمات إلى اللغات الأوربية والشرقية، وأصبحت مصدرا أساسيا في دراسة علوم التاريخ والاجتماع، وظهرت مدارس بأكملها تؤسس أفكارها على مناهج ابن خلدون باعتباره أول من تكلم في علم الاجتماع بالمفهوم الذي انتهى إليه في أوربا فيما بعد.

عـن الـنـص :

- موضوع النص المأخوذ من المقدمة هنا هو حكمة الاجتماع البشري وقوانينه، ويشتمل على الأفكار التالية :

١ ـ الاجتماع البشري ضرورة حتمية.

٢ ـ سبب ذلك أن الإنسان محتاج من أجل حياته إلى الغذاء ومحتاج من أجل استمرار هذه الحياة إلى الدفاع عن النفس.

٣ ـ الغذاء بدوره محتاج إلى تضافر (اجتماع) جهود عدة، ولا يمكن أن يقوم به فرد واحد، لأنه يحتاج إلى الزراعة، وهي تحتاج إلى زارع، ويحتاج إلى الحصاد وهو يحتاج إلى حاصد ويحتاج إلى الدرّاس (أي فصل الحب عن القش) والدراس يحتاج إلى دارس، وإلى الطحين، وهو يحتاج إلى طاحن، ويحتاج إلى العجين، وهو يحتاج إلى عاجن، والخبيز، وهو يحتاج إلى خابز إلى آخره.

٤ ـ أما الدفاع عن النفس فيحتاج إلى تطوير (نشأة وتقدم) آلات وصناعات، مثل صناعة الأسلحة الهجومية والدفاعية، وهذا يقتضي تضافر جهود عدة كذلك.

٥ ـ واستمرار الحياة محتاج إلى الوازع (الدافع) الذي يمنع الناس من عدوان بعضهم على بعض، ويمنعهم عن إبادة بعضهم بعضا، وهذا هو السلطان.

٦ ـ والسلطان لا بد أن يتميز عن كل الناس العاديين في قدراته، حتى يقروا (يسلموا) له بالسلطة.

٧ ـ والتسليم بالسلطة لا يكون بالاقتناع العقلي بل بالرضا النفسي. وهذا لا يكون إلا من جهة الشرع (من عند الله) وهذه هي حكمة إرسال الأنبياء والرسل.

النـــص

في العُمْرَانِ البَشَرِيِّ على الجُمْلَةِ وفيه مُقَدِّمَاتٌ

الأولى : في أنّ الاجتماعَ الإنسَانيَّ ضروريّ، ويُعَبِّرُ الحكماءُ (الفلاسفة) عنْ هَذا بقولِهم « **الإنسانُ مدَنِيّ بالطَّبْع** »، أي لا بُدّ لَهُ منَ الاجْتِمَاع الّذي هو المدنِيّةُ في اصطلاحهم (لغتهم)، وهُو مَعْنَى العُمْرَانِ، وبَيَانُه أنّ اللهَ سُبْحَانَه خَلَقَ الإنْسَانَ ورَكَّبَهُ عَلَى صُورَةٍ لا يصِحُّ حياتُها وبقَاؤُها إلّا بالْغِذَاءِ، وهدَاهُ (دله على) إلى الْتِمَاسِهِ بِفِطْرَتِهِ وبِمَا رُكِّبَ فيهِ من القُدْرَةِ علَى تحصيلِه (الحصول عليه)، إلا أنَّ قدرةَ الواحدِ من البَشَرِ قاصِرةٌ عن تحصيلِ حاجتِه من ذلكَ الغذاءِ، غيرُ مُوفِيَةٍ لهُ بمادَّةِ حياتِه مِنْه. ولوْ فَرَضْنَا منْه أقلَّ ما يُمْكِنُ فَرْضُهُ وهو قوتُ (طعام) يوْمٍ من الحِنْطَةِ (القمح) مثلًا، فلا يَحْصُلُ إلّا بِعِلَاجٍ (بعمل) كثيرٍ، من الطَّحْنِ والعَجْنِ والطَّبْخِ، وكلُّ واحدٍ من هذهِ الأعمالِ الثلاثةِ يحتَاجُ إلى مواعِينَ (أوعية) وآلاتٍ، لا تتِمّ إلا بصناعاتٍ متعددةٍ، من حدَّادٍ ونَجَّارٍ وفاخُورِيّ (صانع الفخار)، وهَبْ أنَّه يأكُلُه حَبًّا. مِنْ غَيْرِ علاجٍ، فهو أيْضا يحْتَاجُ في تَحْصِيلِهِ أيْضًا حبًا إلى أعمالٍ أخْرَى أكثرَ من هذِهِ، من الزِّرَاعَةِ والحَصَادِ والدِّرَاسِ (تخليص الحب من القشرة) الذي يُخرِج الحبَّ من غلافِ السُّنْبُلِ. ويحتاجُ كلُّ واحدٍ منْ هذِه آلاتٍ متعددةً، وصنائع كثيرةً أكثرَ منَ الأولى بكثيرٍ، ويستحيلُ أن تفِيَ بذلك كلِّهِ أو ببعْضِهِ قدرةُ الواحدِ، فلا بدَّ مِنَ اجْتِمَاعِ القُدَرِ الكثيرةِ مِنْ أبناءِ جِنْسِهِ ليحصُلَ القُوتُ لَه ولَهُمْ، فَيَحْصُلُ بالتعاوُن قدْرُ الكِفَايَةِ من الحاجةِ لأكثرَ منهم بأضعافٍ، وكذلكَ يحتاجُ كلُّ واحدٍ منهم أيضا في الدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ إلى الاستِعَانَةِ بأبْنَاءِ جِنْسِهِ، لأن اللهَ سبحانَه لمّا ركَّبَ الطباعَ في الحيواناتِ كلّها، وقسَّمَ القُدَرَ بيْنَها، جعلَ حُظُوظَ (نصيب) كثيرٍ من **الحيواناتِ العُجْمِ** (التي لا تنطق) من القُدْرةِ أكْمَلَ من حظِّ الإنسانِ، فقدرةُ الفرَسِ مثلا أعظمُ بكثيرٍ من قدرةِ الإنسانِ، وكذا قدرةُ الحمارِ، والثورِ، وقدرةُ الأسدِ والفيلِ أضعافٌ من قدرتِهِ. **ولَمَّا** كانَ العدوانُ طبيعيًّا في الحيوانِ **جعَلَ لكلِّ** واحدٍ منْها عُضوًا يُختَصُّ بمدافَعتِه ما يَصِلُ إليْهِ منْ عادِيَةِ (اعتداء) غَيْرِهِ. وجعلَ للإنسانِ عوَضًا منْ ذلكَ كلِّه الفِكْرَ والْيَدَ. فالْيَدُ مُهَيِّئَةٌ للصَّنَائِعِ بخدمةِ الفِكْرِ، والصنائعُ تُحَصِّلُ لَهُ الآلاتِ الّتي تنوبُ له عَنْ الجوارِحِ (الأعضاء) المُعَدَّةِ في سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ، مِثْلَ الرِّمَاحِ التي تنوبُ عن **القُرونِ النَّاطحةِ** والسيوفِ النائبةِ عن **المَخَالِبِ الجارِحَةِ** (القاطعَة)، والتِّراسِ (جمع ترس) النائبةِ عن **البَشَرَات الجَاسِيَةِ** (السميكة) إلى غيرِ ذلكَ وغيْرِهِ مما ذَكَرَه جالينوس في كتابِ **منافعِ الأعضاءِ**، فالواحدُ من البَشَرِ لا تقاوِمُ قدرتُه قدرةَ واحدٍ من **الحَيَوانَاتِ العُجْمِ سِيَّمَا المُفْتَرِسَةِ**، فهوَ عاجزٌ عن مدافعتِها وحدَه بالجُمْلَةِ، ولا تَفِي قدرتُه أيْضا باستعمالِ الآلاتِ المُعَدَّةِ لَها، فلا بُدَّ في ذلك كلِّهِ من التعاوُن عليْه بأبْنَاءِ جِنْسِهِ : وما لَمْ يكنْ هَذا التعاونُ فلا يَحْصُلُ له قوتٌ ولا غِذَاءٌ، ولا تَتِمُّ حياتُه **لِمَا رَكَّبَهُ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْه** من الحاجةِ إلى الغِذَاءِ في حياتِه، ولا يحصلُ له أيضًا دفاعٌ عن نفسِهِ

لفقْدانِ السّلاحِ، فيكونُ فريسةً للْحَيَواناتِ، ويعالجُه الهلاكُ عن مَدَى حَيَاتِهِ، ويبْطُلُ (يقف استمرار) نَوْعُ البَشَرِ. وإذا كانَ التعاونُ حَصَلَ لَهُ القوتُ للغذاءِ والسلاحُ للمُدَافَعةِ، وتَمّتْ حكمةُ اللهِ في بقائِهِ وحفْظِ نَوْعِهِ. فإذنْ هَذَا الاجتماعُ ضروريّ للنوْعِ الإنسانيِّ، وإلّا لَمْ يَكْمُلْ وجودُهم، ومَا أرادَهُ اللّهُ مِنَ اعْتِمَارِ (عمار) الْعَالَمِ بهمْ، واسْتِخْلافِهِ إيّاهُمْ. وهَذا هو مَعْنى العُمْرانِ الّذي جعلْنَاه موضوعًا لهذَا العِلْمِ. وفي هذَا الكلامِ نوعُ إثْبَاتٍ للمَوْضُوعِ في فَنّهِ الذِي هو موضوعٌ لَهُ. وهذَا وإنْ لَم يكنْ واجبًا على صاحبِ الفنّ لِمَا تقرّرَ في الصِّناعَةِ المنطقيّةِ، أنّه ليْس على صاحبِ عِلْمٍ إثْبَاتُ الموضوعِ في ذلكَ العلمِ، فلَيْس أيضًا من الممنوعاتِ عندَهُم فيكونُ إثباتُهُ من التبرُّعَاتِ واللّهُ المُوَفّقُ بِفَضْلِهِ. ثم إنّ هذَا الاجتماعَ إذا حَصَلَ للبشرِ كما قَرَّرْناه، وتمّ عمرانُ العالمِ بهمْ، فلا بُدّ مِنْ وازِعٍ (دافع) يدْفَعُ بعضَهم عن بَعْضٍ لما في طِبَاعِهِمْ الحيوانيّةِ من العُدْوانِ والظُّلْمِ، وليستِ السلاحُ التي جُعِلَتْ دافعةً لعُدْوانِ الحيواناتِ العُجْمِ عَنْهم كافيةً في دفْعِ العدوانِ عَنْهم، لأنّها موجودةٌ لجميعِهم فلا بدّ من شَيْءٍ آخرَ يَدْفَعُ عُدْوَانَ بَعْضِهم عنْ بعْضٍ. ولا يكونُ مِنْ غَيْرِهِمْ لقُصُور (نقص) جميعِ الحيواناتِ عَنْ مَدَارِكهم وإلهامَاتِهم فيكون ذلك الوازعُ واحدًا منهمْ يكونُ له عَلَيْهِمُ الغلبةُ والسلطانُ واليدُ القاهرةُ (الغالبة)، حتى لا يَصِلَ أحدٌ إلى غَيْرِهِ بعدوانٍ، وهذا هو مَعْنى المُلْكِ.

وقَد تبيَّن لكَ بهذَا أن للإنسانِ خاصّةً طبيعيّةً، ولا بدّ لهم منها، وقد يوجدُ في بعضِ الحيواناتِ العُجْمِ (التي لا تنطق) على ما ذكرَه الحكمَاء، كما في النحْلِ والجرادِ، لما اسْتُقْرِىءَ فيها من الحُكْمِ والانْقِيَادِ (الخضوع) والاتّبَاعِ لرئيسٍ من أشْخاصِها متميّزٍ عَنهم في خَلْقِه وجُثْمَانِه، إلا أنّ ذَلك موجودٌ لغَيْرِ الإنْسَانِ بمُقْتَضَى الفِطْرَةِ (الغريزة) والهداية لا بمُقْتَضَى الفِكْرَةِ والسِّيَاسَةِ، «**أعْطَى كلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى**» (آية ٥٠ من سورة طه) وتزيدُ الفلاسفةُ على هذا البُرْهانِ (الدليل) حيثُ يحاوِلونَ إثباتَ النبوّةِ بالدَّلِيلِ العَقْلِيِّ، وأنّها خاصّةٌ طبيعيّةٌ للإنسانِ، فيقرّرونَ هذا البرهانَ إلى غايةٍ، وأنّه لا بُدَّ لِلْبَشَرِ من الحُكْمِ الوازِعِ، ثم يقولون بَعْدَ ذلِك، وذَلِك الحكمُ يكونُ بشَرْعٍ مَفْرُوض مِنْ عِنْدِ اللّهِ، يأْتِي به واحدٌ مِنَ البَشَرِ، وأنَّهُ لا بدّ أنْ يكُونَ متميّزًا عَنْهم بما يُودِعُ اللّهُ فِيه من خَوَاصّ (صفات) هِدَايَتِه ليقَعَ التّسليمُ لَه والقبولُ مِنْه، حتّى يتِم الحُكْم فِيهم وعَلَيْهم مِنْ غَيْرِ إنْكَارٍ ولا تَزْيِيفٍ، **وهذه القضيّةُ للحكماءِ غيرُ برْهَانيّةٍ** (منطقية)، كما تَرَاه، إذ الوجودُ وحياةُ البشَرِ قَدْ تَتِمّ مِنْ دُونِ ذلك بما يَفْرِضُه الحاكِمُ لِنَفْسِهِ، أو بالْعَصَبيّةِ (القرابة) الّتي يَقْتَدِرُ بها عَلى قَهْرِهِمْ وحَمْلِهم علَى جادّتِه (طريقته) **فأهلُ الكتابِ** (اليهود والنصارى) والمتّبِعونَ للأنبياءِ قليلُون بالنسبةِ إلى المجُوسِ، الذين ليس لهُم كتابٌ، فإنّهم أكثرُ أهلِ العَالَمِ ومعَ ذَلِكَ فقدْ كانَتْ لهمْ الدّوَلُ (الممالك) والآثارُ فَضْلًا عنِ الحياةِ، وكذلكَ هي لهَمْ لهذا العهدِ في الأقاليمِ المنحرفَةِ فيْ الشّمالِ والجَنُوبِ بخلافِ حَياةِ (معيشة) البشرِ فَوْضى دونَ وازِعٍ لَهمُ البَتّةَ (إطلاقا)، فإنّه يَمْتَنِعُ (لا يحدث) وبهذا يتبيّنُ لكَ غلطُهم في وُجوبِ النبوّاتِ، وأنّه ليس بِعَقْلِيّ، **وإنّما مُدْرَكُهُ يُدْرَك عن طريقِ الشّرْعِ** كما هو **مَذْهَبُ السّلَفِ** (السابقين) من الأمةِ. واللّهُ وليّ التوفيقِ والهدايةِ.

التـــدريبـــات

١ ـ لاحظ هـذه الـتعبيـرات :

- طلب العلم : الدراسة لتحصيل المعرفة.
- الطموح الشخصي : الدافع الإنساني لتحقيق المنافع الشخصية.
- حلقة دراسية : مجلس العلم، وخاصة في المسجد.
- مستحدث النشأة : جـديـد.
- قانون المطابقة : كون الوقائع ممكنة ومتفقة مع طبائع الأشياء.
- الإنسان مدني بالطبع : الإنسان كائـن اجتماعي بغريزته.
- الحيوانات العجم ولا سيما المفترسة : الحيوانات غير الناطقة (سوى الإنسان)، وخاصة المتوحشة.
- لما ركبه الله تعالى عليه : طبقا للطبيعة التي خلقه الله عليها.
- استخلافه إياه : أي جعله خليفة له (أي جعل الله الإنسان خليفة له في الأرض).
- أهل الكتاب : أصحاب الديانات السماوية التي تقوم علىٰ كتب منزلة سوى القرآن، وهي الإنجيل والتوراة والزُّبُور.
- قضية غير برهانية : قضية لا يمكن البرهنة (أي التدليل) عليها.
- مذهب السلـف : مـذهـب الـقـدمـاء.

٢ ـ أسئـلـة حـول الـنـص :

١ ـ متى دخلت أسرة ابن خـلـدون الأنـدلس ؟
٢ ـ ماذا كانـت صـنـاعـة والـد ابن خـلـدون ؟
٣ ـ بماذا يكنى ابن خـلـدون، وبماذا يلقب ؟
٤ ـ أين ولد ابن خـلـدون ؟ في أية سنة هجرية وميلادية ؟
٥ ـ على يد من تعلم ابن خـلـدون ؟ وكـيـف ؟
٦ ـ ماذا تعلم في أول حـيـاتـه ؟
٧ ـ ما البلاد التي تنقل بينها ؟ وما أهمية ذلك ؟
٨ ـ كيف ساعد نوع التعليم الذي تلقاه ابن خلدون والوظائف التي تقلدها على تأليف كتبه ؟
٩ ـ ما المجال العلمي الذي شغل به ابن خـلـدون، وما أهم مؤلفاته ؟
١٠ ـ « كـتـابُ الـمُـقـدِّمـة »، مُـقَـدِّمَـةٌ لأيِّ شيء ؟
١١ ـ لماذا ذاعت شهرة المقدمة في رأيك ؟ ومم تتكون ؟
١٢ ـ ما معنى العمران الذي يعنيه ابن خـلـدون ؟
١٣ ـ ما أهم الأفكار الواردة في النص ؟
١٤ ـ على أي صورة ركب الله الإنسان كما تفهم من النص ؟
١٥ ـ ما الذي يترتب على عدم قدرة الفرد على سد احتياجاته بنفسه ؟
١٦ ـ بم عـوض الله الإنسان عن قدرة الحيوانات الأخرى ؟
١٧ ـ كيف يكون الاجتماع ضروريا للنوع الإنساني ؟
١٨ ـ لماذا كانت السلطة ضرورية في المجتمع الإنساني ؟

١٩ ـ ما وجه المشابهة بين الاجتماع الإنساني ومملكة النحل ؟
٢٠ ـ هل هناك فرق بين اتباع الحيوانات لرئيسها واتباع المجتمع الإنساني لحاكمه ؟
٢١ ـ ما الفرق بين الاقتناع العقلي بالسلطة والاقتناع النفسي ؟
٢٢ ـ اشرح كيف تكون الحاجة إلى الغذاء سببا من أسباب التعاون.

٣ ـ صـــواب أو خـــطـــأ :

١ ـ ولد ابن خلدون في نهاية الثلث الأول من القرن الثامن الهجري.
٢ ـ العلوم اللسانية هي علوم التفسير والحديث والفقه.
٣ ـ العلوم العقلية هي اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب.
٤ ـ زار ابن خلدون في تنقلاته المختلفة كلا من المغرب والأندلس ومصر.
٥ ـ الاسم والكنية واللقب تعني أشياء مختلفة.
٦ ـ تتوافق سنة ٧٣٢ هجرية مع سنة ٧٣٢ ميلادية.
٧ ـ صناعة العربية تعني معرفة اللغة والنحو والشعر والبلاغة.
٨ ـ لم يسجن ابن خلدون في حياته قط.
٩ ـ توفي ابن خلدون في أوائل القرن السابع الهجري.
١٠ ـ وظيفة وزير العدل الحالية تقابل وظيفة قاضي القضاة قديما.
١١ ـ من المناصب التي تقلدها ابن خلدون في حياته منصب الوزير.
١٢ ـ آخر وظيفة تولاها ابن خلدون وظيفة سياسية.
١٣ ـ يعد ابن خلدون أحد الرحالة.
١٤ ـ كتاب « المقدمة » ألفه ابن خلدون على أنه كتاب مستقل.
١٥ ـ توفي ابن خلدون سنة ١٤٠٦ هجرية.
١٦ ـ بلاد الشام هي مصر والمغرب العربي.
١٧ ـ يعتقد ابن خلدون أن المؤرخين لا يرتكبون أخطاء.
١٨ ـ ابن خلدون هو أول من ألف في علم الاجتماع.
١٩ ـ عبارة « الإنسان مدني بالطبع » تعني أن « الاجتماع الإنساني ضروري ».
٢٠ ـ الفرد الواحد له قدرة تساعده على صنع كل ما يحتاج إليه.
٢١ ـ لا توجد حياة اجتماعية فيها تعاون بين الأفراد إلا للإنسان.
٢٢ ـ جالينوس عالم قديم مشهور في الطب.
٢٣ ـ لا يكتمل وجود النوع الإنساني إلا بالاجتماع.
٢٤ ـ الفطرة والهداية تختلف عن الفكر والسياسة.
٢٥ ـ المجوس ليس لهم كتاب سماوي.
٢٦ ـ العمران البشري هو موضوع علم الاجتماع كما يرى ابن خلدون.

٤ ـ املأ الفراغ في الجمل الآتية بالكلمة / العبارة المناسبة :

١ ـ كان والد ابن خلدون .... فابتعد عن الحكام.
أ ـ زاهدا في السياسة　　ب ـ راغبا في المال ـ ج ـ زاهدا في العلم
٢ ـ يزيد التاريخ الميلادي على التاريخ .... ستمائة عام تقريبا.
أ ـ القبطي　　ب ـ الروماني　　ج ـ الهجري

٣ ـ تقلبت بابن خلدون .... فمارس الإدارة والسياسة والعلم.
أ ـ الأحوال ب ـ الأعمال ج ـ العلوم
٤ ـ وظيفة قاضي القضاة تساوي .... القضاة.
أ ـ رئيس ب ـ وزير ج ـ كاتب
٥ ـ « مقدمة » ابن خلدون تعد .... لكتابه الكبير في التاريخ.
أ ـ تمهيدا ب ـ خاتمة ج ـ شرحا
٦ ـ اهتم ابن خلدون بعرض .... الاجتماعية في كتابه « المقدمة ».
أ ـ المشاكل ب ـ الأمراض ج ـ الظواهر
٧ ـ يدور النص المنقول من المقدمة حول .... بصورة ظاهرة.
أ ـ الكوارث الإنسانية ب ـ الاجتماع البشري ج ـ الحكمة الإنسانية
٨ ـ كان من اهتمامات والد ابن خلدون .... العربية.
أ ـ صناعة ب ـ تجارة ج ـ سياسة
٩ ـ يحتاج استمرار الحياة إلى .... الذي يمنع عدوان بعض الناس على بعض.
أ ـ الوازع ب ـ السلطة ج ـ الاجتماع
١٠ ـ يقاوم الإنسان الحيوانات المفترسة بـ ....
أ ـ التنازع مع بني جنسه ب ـ التعاون مع بني جنسه ج ـ التشاحن مع بني جنسه
١١ ـ يحتاج الإنسان لكي يعيش إلى .... متعددة فوق الحدادة والنجارة والزراعة والحصاد.
أ ـ أسباب ب ـ بضائع ج ـ صنائع
١٢ ـ إن الاجتماع .... للنوع الإنساني.
أ ـ ضرر ب ـ ضروري ج ـ مضرة
١٣ ـ تنقاد بعض المخلوقات غير الإنسانية إلى رئيس ولكن ذلك منهم ....
أ ـ فطرة ب ـ فكر وسياسة ج ـ تأمل وتفكير
١٤ ـ يحتاج كل واحد من بني البشر في الدفاع عن نفسه إلى .... بأبناء جنسه.
أ ـ الاستقامة ب ـ الاستعانة ج ـ الاستراحة
١٥ ـ الاجتماع يعني .... في اصطلاح الحكماء.
أ ـ المدنية ب ـ المدينة ج ـ القدرة

٥ ـ ضع كل كلمة أو عبارة مما يأتي في الفراغ الذي يناسبها من الجمل الآتية :

علاج ـ حظوظ ـ مدافعة ـ التماس ـ أهل العلم ـ الظواهر الاجتماعية ـ العلوم اللسانية ـ العلوم العقلية ـ هب ـ قاصرة عن ـ لما كان ...

١ ـ علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس ....
٢ ـ تختلف .... الناس من شخص إلى آخر في الحياة.
٣ ـ تحتاج الحبوب إلى .... خاص قبل أن تكون صالحة للأكل.
٤ ـ .... هي التي تتناول اللغة والأدب والنحو.
٥ ـ معارف الإنسان .... إدراك سر الكون كله مهما عظمت.
٦ ـ .... الإنسان مدنيا بطبعه، كان في حاجة إلى التعاون مع غيره من بني جنسه.
٧ ـ تنتمي الفلسفة والمنطق إلى ....
٨ ـ .... أن الانسان قادر على دفع الشر عن نفسه. فهل يستطيع أن يحيا وحده ؟

٩ ـ إذا كان الدارس .... فإنه يستطيع أن يحصل كثيرا من المعارف.
١٠ ـ .... الإنسان للرزق يدفعه إلى السعي والعمل.
١١ ـ لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من قوة .... أذى الحيوانات وحده.

٦ ـ الجموع والمفردات الآتية وردت في النص، فهات مفرد الجمع، وجمع المفرد لكل منها :

الجمع	المفرد	الجمع	المفرد
الحكماء	....	السيوف	....
....	قوت	....	الدليل
الأعمال	....	منافع	....
....	حياة	....	مذهب
صنائع	....	مدارك	....
....	علم	الفلاسفة	....
أبناء	....	الخواص	....
أضعاف	....	الأنبياء	....
الرماح	....	الدول	....
القرون	....	الأقاليم	....

لاحظ هذا التعبير :

لا تُقاوِم قُدْرَةُ الفَرْدِ الواحِد قُدْرَةَ واحدٍ من الحيوانات العُجْم **لا سيَّما الحَيَوَانَاتُ** المُفْتَرِسَةُ.

كلمة « لا سيما » في التركيب السابق تفيد أن المعنى الوارد في الجزء السابق عليها، ينطبق أيضا على الجزء الوارد بعدها على وجه الخصوص. فجملة بسيطة مثل **أحب الفواكه ولا سيما البرتقال** تفيد أن المتكلم يحب جميع الفواكه ولكن حبه للبرتقال يزيد على حبه لبقية الفواكه.

٧ ـ اربط بين كل جملتين مما يأتي مستخدما « لا سيما » :

مثال :

الحيواناتُ المفترسةُ شَرِسَةٌ. الأسد أشْرَسُ الحَيَوانَاتِ.
الحيوانات المفترسة شرسة لا سيما الأسد.

١ ـ يوجد لدى بعض الكائنات غير الإنسانية نظام حكم. يوجد لدى النحل نظام حكم.
٢ ـ أصوات بعض الطيور جميلة. صوت البلبل جميل.
٣ ـ المثقفون مفكرون. الفلاسفة أكثر اهتماما بالفكر.
٤ ـ استمتعت بزيارة الآثار المصرية القديمة. استمتعت أكثر بزيارة الأهرام.
٥ ـ أحب قراءة الأدب العربي. أحب الشعر العربي كثيرا.
٦ ـ أهوى قراءة القصص. وأحب قصص الخيال العلمي على وجه الخصوص.
٧ ـ التعاون ضروري بين البشر في كل المجالات. التعاون أكثر ضرورة في مجال الغذاء.
٨ ـ يجب الاهتمام بمخارج الحروف العربية. يجب الاهتمام أكثر بالهاء والحاء والعين.

٨ ـ **أكد مضمون الجمل الآتية باستخدام « لا بد » كما في النموذج :**

النـمـوذج :

ـ تعاون البشر ضروري

ـ **لا بـد** من تعاون البشر

١ ـ انتصار القوى المحبة للسلام مهم.
٢ ـ إجادة نطق حروف العربية عند التكلم بها.
٣ ـ يعمل المجتمع الإنساني على نشر الرفاهية.
٤ ـ يحافظ المجتمع على تقاليده.
٥ ـ يسلك الحكم سبيل الديمقراطية.
٦ ـ يكون الحاكـم عـادلا.
٧ ـ يجتهد الإنسان في ترقية نوعه.
٨ ـ يقاوم المفكرون آفات المجتمع.
٩ ـ يؤدي نشر الثقافة إلى تنوير الفكر.
١٠ ـ محو الأمية مطلب إنساني ملح.
١١ ـ إحياء بعض التقاليد القديمة مفيد.
١٢ ـ الاعتماد على البراهين العقلية ضروري في الإقناع.
١٣ ـ أبو حاتم الرازي كان يحب اللغة العربية.

٩ ـ **هات من نص ابن خلدون الجمل التي استخدمت فيها « لا بُدَّ » وأعد كتابتها كما في النموذج :**

النموذج : لا بد للبشر من الحكم الوازع.

الحكم الوازع ضروري للبشر.

١٠ ـ استخرج من نص ابن خلدون **أساليب الشرط** وبـيـن أجـزاءها.

لاحـظ هـذه الـجـمـلـة :

اسم ابن خلدون : عبد الرحمن، **وكنيته** : أبو زيد **ولقبه** : ولي الدين

- الاسم : هو ما يطلق على الشخص عند ولادته (أي ما يسمى به) مثل : محمد، ابراهيم، جون، ياسمين، فريدة، زينب.
- الكنية : ما بدأ بكلمة « أب » أو « أم » أو « ابن » مثل : **أبو زيد، أبو حاتم، أم عمَّار، ابن خلدون.**
- اللقب : ما يشير إلى صفة حسنة في الشخص مثل : ولي الدين، الصديق، الفاروق، الكامل، أو إلى صفة غير حسنة مثل : الجاحظ، الأقرع، الأعشى.

١١ ـ **اقرأ الجـمـل الآتـيـة وحـدد فـيـهـا الاسم، والكـنـيـة، واللـقـب :**

١ ـ أول من كسا الكعبة أبو كرب أسعد الحميري، وكان قد آمن بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يُبْعَث بزمن طويل.

٢ ـ أول من كسا الكعبة الحريرَ والديباج نُتَيْلَةُ بنت جناب بن كليب أم العباس بن عبد المطلب. وكان العباس ضَلَّ في صِغرِهِ فنذرت إن وجدته أن تكسو البيتَ الحريرَ، فوجدته فأوفت بنذرها.

٣ ـ أول من خلع نعليه لدخول الكعبة في الجاهلية الوليد بن المغيرة فاقتدى به الناس فخلعوا نعالهم في الإسلام لا سيما أبو مسلم صاحب الدولة.

٤ ـ أول من آمن برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكهول أبو بكر الصديق. ومن الشبان : زيد بن حارثة. ومن الصبيان علي بن أبي طالب وهو ابن تسع سنين. ومن النساء أم المؤمنين خديجة بنت خويلد.

٥ ـ أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة : عبد الله بن الزبير. وأمه أسماء بنت أبي بكر. وكان الناس يقولون : إن اليهود سَحَروا المهاجرين فلا يُولَد لهم. فلما وُلِدَ عبد الله بطل الخبر واشتد الفرح.

٦ ـ أول من سُمِّي باسم النبيِّ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُحَمَّدُ بنُ حاطبٍ. وُلِدَ بأرْض الحبشة، فأُنْكِرَ على مُسَمِّيه (أي الشخص الذي أطلق عليه الاسم) ذلك فقال (الذي سماه) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سَمُّوا باسْمي، وكَنُّوا بكُنْيَتِي، ولا تجمعوا بينهما ».

٧ ـ أول لواء (علم) عقده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان لحمزة بن عبد المطلب وقال لحمزة : خُذْ يَا أَسَدَ الله.

٨ ـ أول شهيد في الإسلام عمر بن الحباب الأنصاري، قُتِلَ يَوْمَ بدر.

٩ ـ وأما أول شهيدة من النساء فسُمَيَّة أمُّ عَمَّار.

١٢ ـ أكتب بعبارتك جملا مختصرة عن :

١ ـ حياة ابن خلدون ورحلاته وعلمه.

٢ ـ أهمية كتابه الشهير « المقدمة ».

٣ ـ الحاجة إلى العمران البشري في رأي ابن خلدون.

٤ ـ رأيك الخاص فيما قاله ابن خلدون.

لاحظ أن :

★ **هَبْ** فعل أمر بمعنى افرض، وليس له ماض ولا مضارع.

★ **هَبْ** ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر مثل : هبِ الدرسَ سهلًا.

★ يكثر جدا أن يقع بعد هَبْ : **أنَّ واسمها وخبرها** بدلا من المفعولين مثل : **هب أنك ابن بطوطة**، فأين تسافر ؟

١٣ ـ أكمل الجمل الآتية بما يجعلها مفيدة :

١ ـ هب أن الانسان ....

٢ ـ هب الحياة ....

٣ ـ هب أن المشكلات ....

٤ ـ هب أن المجتمع ....

اقـرأ واحـفـظ

أبو العتـاهية
في الدعوة إلى الزُّهْد في مُتع الحياة
(من مجزوء الرَّجَز)

رَغيفُ خبزٍ يابِسٍ ... تأكُلُه في زاويَـهْ
وكوزُ ماءٍ باردٍ ... تشربُه من ساقِيَـهْ
وغرفـةٌ ضيّقـةٌ ... نفْسُك فيها خَالِيَـهْ
أو مسجدٌ مُنْعزِلٌ ... عن الوَرَى في ناحِيَـهْ
تَدْرُسُ فيـهِ دَفْتَرًا ... مُسْتنِدًا بالسَّارِيَـهْ
مُعْتَبِرًا بِمَنْ مَضَى ... مِن القُرونِ الْخَالِيَهْ
خيرٌ منَ السَّاعاتِ في ... فَيْءِ قُصُورٍ عَالِيَـهْ
تَعْقبُهـا عُقُوبَـةٌ ... تَصْلى بنارٍ حَامِيَـهْ
فــهذِه وَصيَّـتِي ... مُخْبِـرَةٌ بحالِيَهْ
طُوبَى لِمَنْ يَسْـمَعُها ... تِلْكَ لعمْرِى كافِيَـهْ
فاسْمَع لِنُصْحِ مُشْفِقٍ ... يُدْعَى أَبَا الْعَتَاهِيَهْ

الشاعر : أبو العتاهية من شعراء العصر العباسي. غلب على شعره الزهد والسهولة. توفي سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م).

شروح : **الدَّفْتَر** : الكتاب ـ **الفَيْء** : الظّل ـ **تَصْلى** : تحترق ـ **طُوبَى** : خير ـ **لعمري** : وحياتي ـ **الورى** : الناس ـ **السَّارية** : العامود، أي عامود في المسجد ـ **القرون الخالية** : الأزمنة السابقة ـ **يُدعى** : يُسَمَّى.

الـدرس الـثـالـث عـشـر

أبو حيان التوحيدي يتحدث عن :

حَـدُّ الـشِّـبَـعِ

حين اتسعت الدولة الإسلامية، وأصبح للحكم فيها تقاليد مستقرة، ونما التراث الأدبي والفكري والعلمي وازدهر، تطور معه نوعان من النشاط الثقافي : **حلقات العلم** (في المساجد وخارجها) و**مجالس الأدب** (في حضرة الخلفاء والوزراء وبيوت الأعيان). في مجالس الأدب تنوعت المناقشات والمدارسات لتشمل الشعر الذي ينشده شاعر البلاط، والمسامرات الحرة التي تطوف طوافا واسعاً بحقول العلم والمعرفة، والمناقشات العلمية التي تدور حول مسألة من مسائل الفقه، أو الحديث أو التفسير، أو اللغة، أو الفلك أو حتى صفات الخيل، وأنواع الطيور، وغير ذلك. من أشهر هذه المجالس مجلس الرشيد، ومجلس سيف الدولة، ومجلس ابن العميد، ومجلس الصَّاحِب بن عباد، ومن أشهر نجوم هذه المجالس الشعراء أبو نواس والمتنبي، والنحويون سيبويه والكسائي وابن خالَوَيْه، والفقهاء أبو يوسف وابن أبي ليلى. ومن ثمار هذه المجالس حفظ لنا التاريخ كتبا كثيرة، من أشهرها « مجالس ثعلب » وكتاب « **الإمتاع والمؤانسة** » لأبي حيان التوحيدي، وقد أخذنا منه النص الذي معنا.

مـداخـل إلـى دراسـة الـنـص

عـن الـكـاتـب :

- ولد صاحب هذا النص، وعاش حياته، ثم مات وسوء الحظ يلازمه : فاسمه فيه شك، ولقبه فيه شك، وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته فيهما شك.

- يقال إنه ولد في بغداد سنة ٣١٢ هـ (٩٢٤ م) وتوفي بشيراز سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م). ويُقال إن اسمه الكامل هو علي بن العباس التوحيدي، ويقال إنه سُمّي التوحيدي نسبة إلى تمر يسمى « التوحيد » كانت أسرته تبيعه، أو أنه دليل على اتساع معرفته بمباحث علم التوحيد والإلهيات.

- عاش التوحيدي طفولة قاسية، وظل طول حياته يهرب من شبح الفقر المخيف دون أن يحقق أي نجاح يذكر، فقد كانت صراحته وحدة لسانه وعدم قدرته على مجاراة أبناء عصره في مدح الحكام بالحق أو بالباطل ـ كان كل ذلك سببا في ما حل به من الفشل في تحقيق ما يريد.

- عاش أبو حيان التوحيدي في عصر مضطرب أشد الاضطراب من **الناحية السياسية**، حافل بالمؤامرات، وقتل الخلفاء، وتولية الصبيان مكانهم. عصر أصبحت فيه خزينة الدولة خاوية، وانتشرت فيه المجاعات والأوبئة. ومع ذلك، فمن **الناحية الثقافية** كان عصرا حافلا بالأدباء والشعراء والمفكرين والمترجمين.

- في هذا العصر ضاعت **قدسية الخلافة**، وتصارعت عليها كل **الطوائف والملل**، واستقل كل إقليم بحكامه : السامانيون في خراسان، وبنو حمدان في حلب، والاخشيديون في مصر والشام، والفاطميون في المغرب العربي.

- في هذا العصر أيضا ازدهرت **العلوم والمعارف**، واتسعت حلقات التدريس وعقدت **المناظرات** والمساجلات، ونبغ الشعراء أمثال المعري (ومن قبله المتنبي)، والأدباء أمثال الصاحب بن عباد وبديع الزمان، واللغويون أمثال ابن فارس وابن دريد، والمؤرخون أمثال الطبري والمسعودي، والمفكرون أمثال **إخوان الصفا**.

- شغل التوحيدي عدة وظائف لا شأن لها (لا أهمية لها) في حياته، فعمل ناسخ كتب بالأجر، وحارسا ليليا لمستشفى، ومساعدا في نقل البريد. وأحسن وظيفة شغلها كانت وظيفة المسامر (الذي يرفه عن المجلس بالأحاديث والطرائف والنوادر المسلية)، فقد جلس التوحيدي يسامر الوزير ابن سعدان أربعين ليلة. ولأنه لم يكن مسامرا عاديا فقد أنتجت هذه الجلسات كتابه العظيم « الإمتاع والمؤانسة » وهو الذي أخذنا منه هذا النص.

- اتصل أبو حيان بعدد من وزراء عصره وحكامه (منهم الوزير المهلبي وابن العميد، والصاحب بن عباد، وابن سعدان)، وشهد مجالسهم وطلب نوالهم (عطاءهم المالي). ولكنه كان يستقل ما يعطونه ويبدي لهم ذلك (بالصراحة أحيانا) فكانت النتيجة أن حرموه نهائيا، فدخل في حياة الضياع، وعانى سوء الحالة المعيشية، إلى درجة أنه كان كثيرا ما يذهب إلى الغابة فيأكل من حشائش الأرض !

- في هذه المرحلة أعلن عن آرائه في الناس والمجامع وأودعها في كتابه المعنون « **الصداقة والصديق** »، ويقوم الكتاب على أن الصداقة الحقة إنما هي وهم من الأوهام، وأن الصديق هو في الواقع أشد من أعدائك خطرا عليك. وبلغت به كراهيته للناس واحتجاجه على المعاملة التي لقيها من المجتمع حدا جعله لا يريد أن يترك لهم شيئا من آثاره الأدبية، فجمع كتبه وأحرقها جميعا.

- عاش التوحيدي غريبا بين أهله، وكانت غربته مادية وروحية في آن واحد. لقد تنكر له الناس والمجتمع، ولم يقدر حق قدره. ويقول هو : « **هذا غريب لم يتزحزح من مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه**، وأبعد البعداء من كان بعيدا في كل قرية ». ولقد دفعه الإحساس بالغربة إلى نوع من الإحساس العميق باختلال **ميزان العدل الاجتماعي**، مما ظهر أثره ثورة وتمردا في كتابه « الإشارات الإلهية ». وقد دفع هذا بعض الناس إلى اعتباره مارقا زنديقا (مثل ابن الجوزي ومن تبعه) في حين دافع عنه بعض الناس (من أمثال السبكي) بأن ثورته كانت ازدراء لأهل عصره لا تمردا على الدين.

- كتب التوحيدي في رسالة رد فيها على القاضي علي بن محمد مدافعا عن إحراق كتبه : « وافاني كتابك الذي وصفت فيه... ما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمى (وصل) إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار، وغسلها بالماء، فعجبت من انزواء (غياب) وجه العذر عنك في ذلك... ثم اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن هذه الكتب

حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا، وأما ما كان علانية فلم أصب (أجد) من يحرص عليه طالبا. على أني جمعت أكثرها للناس، ولطلب المثالة (المال) منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم، فحرمت ذلك كله... فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها ويشتمون لهوي وغلطي إذا تصفحوها... وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ (محافظة على المودة)، وقد اضطررت بينهم ـ بعد الشهرة والمعرفة ـ في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر (العشب الأخضر) في الصحراء، وإلى التكفف (التسول) الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة... »

- نظرات أبي حيان التوحيدي في فن الأدب نظرات عميقة جدا، فقد رأى أن الأساس في التأثر الفني أساس نفسي، وعبر عن ذلك في كتاب « الهوامل والشوامل » بقوله : « **ولسنا نشك في أن السرور يحمر منه الوجه وأن الخوف يصفر منه، وما ذاك إلا لانبساط الدم في ظاهر البدن وغوره من الآخر في قعر البدن** » كما رأى أن التعبير الأدبي أمر معقد لأنه مركب من عناصر متباينة وصعبة الانقياد. لذلك كان إحساسه بالمسؤولية نحو التعبير الأدبي إحساسا عاليا، عبر عنه في « الإمتاع والمؤانسة » بقوله : **إن الكلام صلف (متكبر) تياه (معجب بنفسه) لا يستجيب لكل إنسان... مادته العقل والعقل سريع الحؤول (التحول)، وطريقه على الوهم، والوهم شديد السيلان، ومجراه على اللسان واللسان كثير الطغيان. وهو مركب من اللفظ اللغوي، والصوغ الطباعي والتأليف الصناعي والاستعمار الاصطلاحي »**.

عـن الـكـتـــاب :

- كتاب « الامتاع والمؤانسة » من أهم كتب أبي حيان التوحيدي وأمتعها وهو كتاب ضخم، ولتأليفه قصة **طريفة**، فقد كان لأبي حيان صديق يسمى أبا الوفاء المهندس، وكان مقربا من الوزير ابن سعدان فقرب صديقه أبا حيان من هذا الوزير، فجعل الوزير أبا حيان من **سماره** (الذين يحضرون مجلسه الخاص لتسليته والسمر عنده)، فسامره أبو حيان عددا من الليالي، كان الوزير يطرح عليه فيها أسئلة في مسائل متنوعة وأبو حيان يجيب عليها. ثم طلب أبو الوفاء (الصديق الأول) من أبي حيّان أن يدون له (يكتب له) كل ما دار بينه وبين الوزير ففعل ذلك، وكانت النتيجة كتاب « **الامتاع والمؤانسة** ».

- **ينقسم كتاب « الإمتاع والمؤانسة » إلى ليال، يدون أبو حيان في كل ليلة ما دار بينه وبين الوزير على هيئة حوار : يبدأ الوزير الموضوع فيلقي سؤالا ويطلب إجابة أبي حيان عنه. وعندما يجيب أبو حيان تثير إجابته أفكارا فرعية في الموضوع في ذهن الوزير، فيسأل عنها فيجيب أبو حيان. وهكذا يتشعب الموضوع ويدخل من نقطة إلى نقطة أخرى. وحين يوشك** (يقترب) وقت المجلس على الانتهاء يطلب الوزير من أبي حيان أن يسمعه طرفة من الطرائف يسميها « **ملحة الوداع** » (أي شيئا لطيفا يكون وداعا ونهاية لتلك الليلة). وكان الوزير يعبر عن ذلك بقوله : إن الليل قد دنا من فجره هات ملحة الوداع. ولعل هذا يذكرنا باختتام الليالي في كتاب ألف ليلة وليلة بعبارة « وأدرك شهرزاد الصباح ».

- ونتيجة لكل ذلك جاءت موضوعات الكتاب متنوعة فشملت الأدب، والفلسفة، وعلم الحيوان، وشملت **المجون** (الابتذال بذكر الألفاظ والمشاهد الفاضحة) وعلم الأخلاق، ووصف الطبيعة، وشملت البلاغة والتفسير والحديث واللغة، وشملت السياسة وتحليل شخصيات **مفكري العصر** وأدبائه وعلمائه، وشملت تصوير العادات والتقاليد وأحاديث المجالس.

- ويلقى كتاب « الإمتاع والمؤانسة » أضواء كثيرة على الحياة في العراق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ويتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية فيحلل شخصيات الوزراء، ويصف مجالس العلماء، ومناظراتهم الممتعة

(كالمناظرة الشهيرة التي جرت بين السيرافي ومتى بن يونس في المقارنة بين المنطق اليوناني والنحو العربي). كذلك يقدم الكتاب صورة للصراع الاجتماعي، وحالة الشعب وثوراته على الملوك والأمراء، والحياة الشعبية وبخاصة ما يتصل منها بالمغنيات والجواري.

- هناك وجه للشبه بين **الإمتاع والمؤانسة**، و**ألف ليلة وليلة**، وذلك في الإطار العام للكتابين واستخدامهما للأسلوب القصصي، وتوالي القصص ليلة بعد ليلة. ولكن الكتابين يختلفان في طريقة التناول : فكتاب **الإمتاع والمؤانسة** يصف أفكار الفلاسفة وإبداع الأدباء. فالمسائل التي تعرض فيه مسائل جادة جدا مثل البحث في الروح والعقل والقضاء والقدر، ومثل البحث في أساليب البلغاء في النثر والنظم. كما يصور الروح الفكرية الارستقراطية. ودور الخيال فيه أقل من دوره في « **ألف ليلة وليلة** »، أما كتاب ألف ليلة وليلة فإنه يصور الروح الشعبية ويصف ليالي الأنس والطرب والخلاعة والغرام وكيد النساء.

- يعتبر أسلوب الكتاب ممثلا لأسلوب أبي حيان الكتابي، وهو أسلوب يجمع بين التقليد والتجديد، والاتباع والابتداع، فيه الألوان البديعة التي كانت معروفة في عصر التوحيدي من السجع والجناس والفواصل، وفيه كذلك الترتيب المنطقي، ووضع المقدمات واستخلاص النتائج، وفيه ـ إلى جانب كل ذلك ـ التحرر الفكري واللغوي، والذي نحسه وراء العبارات والكلمات، ففي داخل الإطار المحافظ تجري العبارات سهلة منسابة.

- ويقول القفطي في وصف كتاب « الإمتاع والمؤانسة » بعد كلام كثير : « ما أحسن ما رأيته مكتوبا على ظهر نسخة من الكتاب بخط بعض أهل جزيرة صقلية : ابتدأ أبو حيان كتابه صوفيا، وتوسطه محدثا (راويا للحديث النبوي) وختمه سائلا ملحفا (شحاذا لحوحا في السؤال) ».

- للكتاب طبعات عديدة من أهمها طبعة القاهرة عام ١٩٤٤ م بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين.

عـــن الـنـــص :

- هذا النص مأخوذ من مسامرة الليلة الحادية بعد الثلاثين، أي أنه من الجزء المتأخر في الكتاب.

- دارت مسامرة الليلة الحادية والثلاثين حول **الطعام** بكل ما يتصل به من **الأمور المعنوية**، كالكرم، والبخل، والشبع، والجوع، وآداب الأكل، ومن **الأمور الحسية** كأنواع الطعام، وأدوات استخدامه، وطرق إعداده.

- ختم أبو حيان موضوعه ببيان حد الشبع، أي المرحلة التي يحس فيها الأكل أنه قد وصل إلى الحد الذي يشعر معه أنه قد اكتفى من الطعام، وأنه لا يستطيع، أو لا يريد، أو لا يحتمل أو لا يجوز، أو لا يليق، أو ليس من مصلحته، أن يستمر في الأكل أكثر من ذلك.

- يتضح في النص أسلوب أبي حيان المعتمد على الحوار والسؤال والجواب، كما يتضح فيه أن أبا حيان يستخدم معرفته الواسعة بالتراث الإسلامي، وبخاصة الحديث وسيرة **السلف** (السابقين)، ومعرفته بالشعر العربي، وهذا واضح من **الاستشهادات** (الأمثلة) الواسعة المنتشرة فيه.

- الهدف من تقديم هذه القصص والنوادر والمعلومات في النص هدف تثقيفي وذلك استجابة لقول الوزير ابن سعدان لأبي حيان « أحب أن أسمع في هذا أكثر ما فيه، ويمر بي أعجبه، فإن في معرفة هذا الباب (أي موضوع الطعام) **تهذيبا وإيقاظا كثيرا** (لاتصال موضوع الطعام عند العرب بالمروءة الشخصية).

- يلاحظ أن الأفكار تقدم دون انحياز (تعصب لرأي دون آخر ولفكرة دون أخرى) فقد عرض النص لأنواع الكرم دون أن يحسنه أو يحض (يدعو) إليه، وتناول البخل دون أن ينهى عنه. وهذا نوع من **الكتابة الموضوعية** التي تضع الحقائق أمام القارئ، وتتركه يحكم بنفسه دون تأثير عليه من الكاتب.

- يربط بين الموضوع الأصلي الطعام، وبين قيم وتقاليد أخرى كثيرة كاحترام العلماء، والبر بالوالدين، ومعاملة الحيوان، واستغلال الآخرين.
- في النص روح دعابة واضحة وسهولة في الأسلوب، وتشويق إلى ما يأتي مما يجعل القارىء راغباً في الاستزادة.
- في هذا النص ثروة لغوية تتمثل في الألفاظ الكثيرة التي يشرحها أبو حيان فيقدم بذلك للقارئ فائدة واضحة.
- تناول أبو حيان موضوع « حد الشبع » من وجهات نظر مختلفة، وكأنه يريد أن يقول إن هذا الموضوع شخصي، ولا قانون له. فالشبع يختلف من بلد إلى بلد آخر، ومن طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى، ولهذا جاءت إجابة اليمني مثلا غير إجابة التركي، وإجابة الوزير غير إجابة البدوي الفقير، وإجابة الطبيب غير إجابة القصار، وإجابة الملاح (البحار) غير إجابة المتصوف، وهكذا.
- تجمع ملاحظات أبي حيان حول هذا الموضوع أوصافا يمتزج فيها الحس الاجتماعي العالي بروح الفكاهة والسخرية الحادة.

النـــص

قِيلَ لصوفِيّ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قال : لا حَدَّ لهُ، ولَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يُوَكِّلَ بِحَدّ لَبَيَّنَ (هذا الحد) كما بَيّن جميعَ الحدودِ، وكيْفَ يكونُ لِلأكْلِ حَدّ، والأَكَلَةُ مُخْتَلِفُو الطباعِ والمِزاجِ والعارِضِ والعادَةِ !! وحِكْمَةُ اللهِ ظَاهِرةٌ في إخْفَاءِ حَدّ الشِّبع حَتّى يَأْكُل مَنْ شَاءَ على مَا شَاء (بالطريقة التي يحبها) كمَا شَاء (بالكمية التي يحبها) !

وقيلَ لصوفيّ (آخر) : ما حدُّ الشِّبَع ؟ فقالَ : **ما نشَّطَ علَى أداءِ الْفَرَائِضِ، وثَبَّطَ (قلل الرغبة في) عَنْ إقامَةِ النَّوَافِلِ.**

وقِيلَ لمتكلّمٍ (عالم التوحيد أو الإلهيات) : ما حدُّ الشِّبَع ؟ فقال : حدُّه أن يجْلِبَ النومَ، ويُضْجِرَ القوم، (يضايق) **ويبعثَ علَى اللَّوْمِ.**

وقيل **لطُفَيْلِي** : ما حَدّ الشِّبع ؟ قال : أن يُؤْكل عَلى أنه آخرُ الزَّاد، ويُؤْتى عَلَى **الجُلّ والدُّق** (أي على الكثير والقليل بدون تفريق).

وقِيلَ لأعْرَابيّ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قال : أمَّا عندكم يا حاضِرَةُ (أهلِ الحَضر، أي أهل المدينة) فلا أدْرِي، وأمَّا عندنا في الباديةِ فما وجَدَتْ العينُ، وامْتَدَّتْ إليهِ اليدُ، ودَار عليهِ الضِّرْسُ وأساغَهُ الحلْقُ، وانتفخَ به البطنُ، واستدارَتْ عليهِ الحَوَايا (الأمعاء) واستغاثَتْ مِنْهُ المَعِدَةُ، وتقوّسَتْ منه الأضلاعُ، والْتَوتْ عَليْه المصارِينُ، وخِيفَ منه المَوْتُ.

وقيلَ لِطبيبٍ : مَا حَدُّ الشِّبع ؟ قال : ما عَدَلَ الطبيعةَ، وحفِظَ المِزاجَ، وأبْقَى شهوةً لما بَعْدُ.

وقيلَ لقصَّارٍ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : أن تثِبَ إلى الجَفْنَةِ (إناء الطعام) كأنَّك سِرْحَانٌ (ذئب) وتأكُلَ وأنْتَ غضبَانُ، وتَمضُغَ كأنَّكَ شَيطَانٌ، وتبلَعَ كأنَّكَ هَيْمَانُ (شديد العطش)، وتَدَعَ وأنْتَ سكْرَانُ، وتَستَلْقِي وكأنَّكَ أوَانٌ (كيس مملوء بالحب).



وقِيلَ لحَمَّالٍ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : أن تأكُلَ مَا رَأيْتَ بِعَشْرِ يَدَيْكَ غيرَ عائفٍ (كاره) ولا مُتقزِّزٍ (مشمئز)، ولا كَارِهٍ ولا مُتَعزِّزٍ (متمنع).

وقِيلَ لمَلَّاحٍ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : حَدُّ السُّكْرِ (ذهاب الوعي من شرب الخمر) قيلَ فما حدُّ السُّكْرِ ؟ قال : ألَّا تَعْرِفَ السَّمَاءَ مِن الأرْضِ. ولا الطُّولَ منَ العرْضِ، ولا النافلَةَ مِنَ الفَرْضِ. من شدَّة النَّهْسِ (القضم بالأسنان الأمامية) والكَسْرِ والقَطْعِ والقَرْضِ. قيلَ له : فإنَّ السكرَ مُحَرَّمٌ، فلِمَ جعَلْتَ الشِّبَعَ مثلَه ؟ قال : صَدَقْتُمْ، هما سُكْرَانِ : أحدُ السكرَيْنِ موصوفٌ بالْعَيْبِ والخَسَارِ، والآخرُ مَعْرُوفٌ بالسَّكِينَةِ والوَقَارِ. قيل (له) : أمَا تخافُ الهَيْضَةَ (سوء الهضم) ؟ قَالَ : إنَّما تصيب الهيضةُ مَنْ لا يسمِّي اللهَ عندَ أكْلِهِ، ولا يشكرُه على النِّعْمة فِيهِ. فأمَّا مَنْ ذكرَ اللهَ وشكرَه فإنّه يَهْضِمُ وَيَسْتَمْرِئُ ويَقْرَمُ (الشوق إلى أكل اللحم) إلى الزِّيَادَةِ.

وقيلَ لبَخِيلٍ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : الشِّبَعُ حرَامٌ كُلُّهُ، وإنَّمَا أحَلَّ اللهُ من الأكلِ ما نَفَى الْخَوَى (أذهب خلو المعدة)، وسكَّنَ الصُّدَاعَ (وجع الدماغ)، وأمْسَكَ الرَّمَقَ، وحالَ بَيْنَ الإنسانِ وبيْنَ المَرَحِ، وهلْ هلَكَ الناسُ في الدِّينِ والدُّنيا إلا بالشِّبعِ والتضلُّعِ (امتلاء الضلوع) والبِطْنَةِ (امتلاء البطنة) والاحْتِشَاءِ (امتلاء الأمعاء)، واللهِ لَوْ كَانَ للنَّاسِ إمامٌ لَوَكَّلَ بكلِّ عَشْرةٍ منهم مَنْ يحفظُ عَلَيْهِمْ عادَةَ الصِّحَّةِ وحالَةَ العدالةِ، وحتَّى يزولَ التعدِّي ويَفْشُوَ (ينتشر) الخَيْرُ.

وقيلَ لِجُنْدِيّ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : ما شَدَّ العَضُدَ (عضلات الذراعين)، وأَحْمَى الظَّهْرَ وأَدَرَّ الوريدَ (ملأ الشرايين بالدم)، وزادَ في الشجاعةِ.

وقيلَ لزاهِدٍ (الزاهد الذي لا يحب متع الدنيا) : ما حدّ الشبع ؟ قال : ما لمْ يحُلْ بينَك وبينَ صَوْمِ النهارِ **وقيامِ اللَّيْلِ**. وإذا شكا إليكَ جائعٌ عَرَفْتَ صِدْقَهُ لإحساسِك بِهِ.

وقيل لمَدَنِيّ (من أهل المدينة) : ما حَدُّ الشِّبَعِ ؟ قالَ : **لا عَهْد لي بِهِ** فكيف أصفُ ما لا أَعْرِفُ ؟

وقيلَ ليَمَنِيّ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : أن يُخْشَى (أي : البَطْنُ) حتَّى يُخْشَى (أي : الموتُ).

وقيلَ لِتركِيّ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : أن تأكلَ حتى تدْنُوَ منَ الموتِ.

وقيلَ لسفويهِ القَاصِّ : مَنْ أفضل الشُّهَدَاء : قَالَ مَنْ مَاتَ بالتُّخْمَةِ ودُفِنَ عَلَى الهَيْضَةِ.

قيلَ لِسَمَرْقَنْدِيّ (من أهل سمرقند) : ما حَدُّ الشِّبَعِ ؟ قالَ : إذا جَحَظَتْ (برزت) عيْنَاكَ وبَكِمَ لسانُكَ وثَقُلَتْ حركتُكَ وارْجَحَنَّ (تمايل) بدنُكَ، وزالَ عَقْلُكَ فأنْتَ في أوائلِ الشِّبَعِ. قيلَ له : إذا كانَ هذا أولُهُ، فما آخرُهُ قال : أن تَنْشَقَّ بِنِصْفَيْنِ.

قِيلَ لِهِنْدِيّ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : المسألةُ عن هذا كالمُحَال لأنَّ الشِّبَعَ مِنَ الأرُزِ النَّقِيِّ الأبيضِ، الكِبارِ الحَبِّ، المطبوخِ باللَّبَنِ الحليبِ، المغروفِ علَى الْجَامِ (الإناء) البِلَّوْرِ، المَدُوفِ (الممزوج) بالسكَّرِ الفَائِقِ، مُخَالِفٌ للشِّبَع من السمَكِ المملُوح وخبزِ الذُّرَةِ، وعلى هذا يختلفُ الأمرُ في الشبعِ. فقيلَ له : فدَعْ هذا، إلى متى ينبغي أن يأكُلَ الإنسانُ ؟ قال : إلَى أنْ **يقَعَ لَه أنَّهُ** إنْ خرجت روحه ذهبت إلَى النَّارِ.

قِيلَ لمُكَّارٍ (حمَّار) : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : واللهِ ما أدرِي، ولكنْ أُحِبُّ أنْ آكلَ ما مَشَى حِمَارِي من المَنْزِل إلَى المَنْزِلِ.

قِيلَ لجمَّالٍ : ما حَدُّ الشِّبَع ؟ قالَ : أنا أواصِلُ الأكْلَ فما أعْرِفُ الحَدَّ ولو كنْتُ أنتَهي لوصَفْتُ الحالَ فيهِ، أعْني أنّي ساعةً ألتُّ (أعجن) الدقيقَ وساعة أمَلّ المَلَّةَ (أشعِل الحَطَب للخبيز)، وساعة أثْرُد (أجْهَز الثريد)، وساعةً آكُل، وساعةً أشْرَبُ لبنَ اللِّقَاحِ (الجمال)، فلَيْس لي فراغٌ فأدْري أنّي بَلَغْتُ مِنَ الشِّبَعِ (أي وصلت إلى حد الشبع) إلا أنَّنِي أعْلَمُ في الجُمْلَةِ أن الجوعَ عَذَابٌ، وأن الأكلَ رحمةٌ، وأن الرحمةَ كلَّما كانَتْ أكثَرَ، كانَ العبدُ إلى اللهِ أقْرَبَ، واللهُ عَنْهُ أرْضَى.

التدريبات

١ ـ لاحظ التعبيرات التالية :

- الطوائف والملل : الطوائف جمع طائفة وهي الجماعة من الناس تجتمع حول مذهب أو عقيدة أو فكر موحد، والملل جمع ملة وهي الدين.
- الجناس : تشابه الكلمتين أو جزء منهما لفظا واختلافهما معنى (مثل صليت المغرب (صلاة المغرب) في المغرب (بلاد المغرب).
- الفواصل : التناسب بين نهايات الجمل في الصوت والإيقاع.
- النوافل : جمع نافلة وهي العمل الطيب الذي يقوم به الإنسان اختيارا دون إجبار.
- يبعث على اللوم : يجلب للإنسان الانتقاد ممن حوله.
- الطفيلي : الذي يفرض نفسه على الآخرين وخاصة ساعة الطعام.
- يؤتى على الجل والدق : أن تأكل ما تصل إليه اليد كثيرهُ وقليلَهُ، عظيمهُ وحقيرَهُ.
- أمسك الرمق : حفظ الحياة.
- قيام الليل : العبادة بالليل.
- يقع له أنه : يتيقن أنه.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما الأحوال السياسية للعصر الذي عاش فيه أبو حيان ؟
٢ ـ ما الخصائص الثقافية للعصر الذي عاش فيه أبو حيان ؟
٣ ـ أين كان يحكم السامانيون ؟
٤ ـ أين كان يحكم الحمدانيون ؟
٥ ـ أين كان يحكم الفاطميون ؟
٦ ـ ما مظاهر نضج المعارف والعلوم في عصر أبي حيان ؟
٧ ـ من أشهر الشعراء في ذلك العصر ؟
٨ ـ من أشهر الأدباء في ذلك العصر ؟
٩ ـ من أشهر اللغويين في ذلك العصر ؟
١٠ ـ من أشهر المؤرخين في ذلك العصر ؟
١١ ـ من أشهر المفكرين في ذلك العصر ؟
١٢ ـ لماذا لقب أبو حيان بالتوحيدي ؟
١٣ ـ ما الذي تستنتجه من سعي أبي حيان للحياة المترفة الناعمة ؟
١٤ ـ بماذا تفسر عجزه عن التعامل مع الناس ؟
١٥ ـ ما الوظائف التي شغلها أبو حيان في حياته ؟
١٦ ـ لماذا كان أبو حيان دائم الشكوى ؟
١٧ ـ ما معنى المسامر ؟
١٨ ـ لمن كان أبو حيان مسامرا ؟

١٩ ـ ما الأثر الأدبي الباقي من مسامرات أبي حيان ؟
٢٠ ـ من المشاهير الذين اتصل بهم أبو حيان ؟
٢١ ـ لماذا كان سيّئ الظن بالناس ؟
٢٢ ـ ما رأيك في نظرة أبي حيان للحياة ؟
٢٣ ـ ما رأيك في إحراق أبي حيان لكتبه ؟
٢٤ ـ لماذا قرر أبو حيان إحراق كتبه ؟
٢٥ ـ كيف ظهر إحساسه باختلال ميزان العدل الاجتماعي ؟
٢٦ ـ بماذا دافع عن إحراق كتبه ؟
٢٧ ـ « الأساس في التأثر الفني أساس نفسي » من أي عبارات أبي حيان تفهم هذا المعنى ؟
٢٨ ـ اذكر من الدرس الكتب التي وردت لأبي حيان.
٢٩ ـ ما أهم كتب أبي حيان ؟
٣٠ ـ ما الفكرة التي يقوم عليها كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ؟
٣١ ـ كيف يمكن الإفادة من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » في معرفة الحياة الاجتماعية في عصره ؟
٣٢ ـ فيم يتشابه كتاب « الإمتاع والمؤانسة » وكتاب « ألف ليلة وليلة » ؟
٣٣ ـ فيم يختلف كتاب « الإمتاع والمؤانسة » وكتاب « ألف ليلة وليلة » ؟
٣٤ ـ بم تصف أسلوب كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ؟
٣٥ ـ لماذا اختلف الناس في حد الشبع ؟
٣٦ ـ ما رأيك في هذه الطريقة في تعريف الأشياء ؟
٣٧ ـ ما الرأي الذي أعجبك من هذه الآراء المذكورة لحد الشبع ؟
٣٨ ـ ما حد الشبع عندك أنت ؟

٣ ـ صـــواب أو خـــطـــأ :

١ ـ عاش أبو حيان في القرن الرابع الهجري.
٢ ـ كان عصر أبي حيان هادئا مستقرا من الناحية السياسية.
٣ ـ كان عصر أبي حيان مزدهرا من الناحية الثقافية.
٤ ـ عاش المعري في العصر الذي عاش فيه أبو حيان التوحيدي.
٥ ـ جماعة « إخوان الصفا » من الجماعات الأدبية المشهورة في القرن الرابع الهجري.
٦ ـ يرى أبو حيان أن الصداقة الحق لا يمكن أن تتحقق.
٧ ـ كانت ثورة أبي حيان تمردا على الدين.
٨ ـ إن الكلام صلِف تياه لا يستجيب لكل إنسان.
٩ ـ كتاب الإمتاع والمؤانسة يرسم صورة حياة الفكر في عصر أبي حيان.
١٠ ـ أسلوب أبي حيان أسلوب محافظ ليس فيه أي تجديد.
١١ ـ من كان ضيفا عند رجل كريم أمن التخمة (امتلاء البطن).

٤ ـ اربط بين كل رأي وصاحبه فيما يأتي :

صاحب الرأي	حد الشبع عنده
١ ـ المتكلم	ـ أن تثب إلى الجفنة كأنك سِرْحانٌ وتأكل وأنت غضبان، وتمضغ كأنك شيطان.
٢ ـ الصوفي	ـ ما عدل الطبيعة وحفظ المزاج وأبقى شهوة لما بعد.

٣ ـ الطفيلي ـ لا عهد لي به فكيف أصف ما لا أعرف.
٤ ـ الطبيب ـ ما شد العضد وأحمى الظهر وأدر الوريد وزاد في الشجاعة.
٥ ـ القصار ـ ما لم يحل بينك وبين صوم للنهار وقيام الليل.
٦ ـ الحمال ـ ما نشط على إقامة الفرائض وثبط عن إقامة النوافل.
٧ ـ الملاح ـ أن يجلب النوم ويضجر القوم ويبعث على اللوم.
٨ ـ الأعرابي ـ أن يحشى حتى يخشى.
٩ ـ البخيل ـ أن تأكل حتى تدنو من الموت.
١٠ ـ اليمني ـ المسألة عن هذا كالمحال لأن الشبع من طعام، مختلف عن الشبع من طعام آخر.
١١ ـ الزاهد ـ حد الشبع هو حد السكر.
١٢ ـ التركي ـ الشبع حرام كله.
١٣ ـ الجندي ـ أن تأكل ما رأيت بعشر يديك غير عائف ولا متقزز ولا كاره ولا متعزز.
١٤ ـ الهندي ـ أن يؤكل على أنه آخر الزاد ويؤتى على الجل والدق.

٥ ـ أكمل العبارات التالية :

١ ـ المتصوف هو الذي ....
٢ ـ الطفيلي هو الذي ....
٣ ـ اليمني هو الذي ....
٤ ـ التركي هو الذي ....
٥ ـ المتكلم هو الذي ....
٦ ـ الوزير هو الذي ....
٧ ـ البدوي هو الذي ....
٨ ـ الفقير هو الذي ....
٩ ـ الأعرابي هو الذي ....
١٠ ـ الملاح هو الذي ....
١١ ـ الحمال هو الذي ....
١٢ ـ الجندي هو الذي ....
١٣ ـ البخيل هو الذي ....
١٤ ـ الزاهد هو الذي ....
١٥ ـ إخوان الصفا هم ....

لاحظ هذين التركيبين :

١ ـ **وما أحسنَ ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع !**
٢ ـ أَحْسِن بما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع !

ـ هذان التركيبان هما من نوع **أسلوب التعجب.**
ـ التعجب هو التعبير عن استعظام الشيء حُسْنا أو قُبْحا.

- أسلوب التعجب الأول يتكون من : ما أحسن ما ....
- وأسلوب التعجب الثاني يتكون من : أَحْسِنْ بـ ....
- يتكون الأسلوب الأول (ويسمى **صيغة ما أفعله**) من : **ما التعجبية + الصفة المتعجب منها في صيغة** أفعل (مثل : أطول، أكبر، أعلم، أقبح، أقصر) + الشيء المتعجب منه (ويكون منصوبا أو في محل نصب).
- يتكون الأسلوب الثاني (ويسمى صيغة **أَفْعِلْ به**) من : **الصفة المتعجب منها في صيغة أَفْعِلْ** (مثل أَحْسِنْ، أَقْبِحْ، أَبْصِرْ) + حرف الجر ب + الشيء المتعجب منه ويكون مجرورا بالطبع).
- بالإضافة إلى الأسلوبين السابقين يوجد في اللغة العربية تعبيرات أخرى تفيد التعجب منها :
  - سبحان الله (في طبعك !)
  - يا لك من داهية !
  - للّه أنت !
  - للّه دَرُّك
- إذا كانت الصفة المتعجب منها من **فعل يزيد على ثلاثة أحرف** مثل : ابتسم أو كانت الصفة من الصفات التي لا تقبل التفاوت مثل : الموت أو كان الوصف منه على وزن أفعل مثل أعرج وأعمى وأزرق فإن « صيغة التعجب » تكون من جزأين :
  ١ - **الأول** وصف على صيغة **ما أفعل** أو **أفعل به** يدل على ناحية التعجب مثل : **ما أشد، ما أقبح، ما أحلى** وأشدد بـ، أقبح بـ ...
  ٢ - الثاني صيغة المصدر من الصفة المتعجب منها : فنقول في الأمثلة السابقة : «ما أحلى ابتسامته»، « ما أقسى موته علينا »، « ما أشد عماه عن الحق... » الخ.

٦ - تعجب مما يأتي كما في النموذجين التاليين :

عظمة الخالق :	ما أَعْظَمَ الخَالِقَ
	أَعْظِمْ بِالخَالِقِ
خضرة الزرع :	ما أَشَدَّ خُضْرَةَ الزَّرْعِ
	أَشْدِدْ بِخُضْرَةِ الزَّرْعِ

١ - سوء حظ أبي حيان.
٢ - شهرة ابن سحنون في مجال التربية.
٣ - قدرة حي بن يقظان على الملاحظة والاستنتاج.
٤ - إلحاح الشحاذين في طلب الصدقة.
٥ - قذارة ملابس أبي الفتح الاسكندري.
٦ - كثرة أسفار ابن بطوطة.
٧ - عذوبة مياه نهر السند.
٨ - مهارة صيادي اللؤلؤ في الخليج.
٩ - سرعة نظام بريد الرجالة.
١٠ - سهولة أسلوب ابن طفيل.

١١ ـ عبقرية ابن خلدون.
١٢ ـ دقة حركة الكون.
١٣ ـ رضا المؤمن بما أمر الله.
١٤ ـ خيبة أمل أبي حيان في الصداقة.

لاحظ هذا التركيب :

اعلم ـ عَلَّمَكَ اللهُ الْخَيْرَ ـ أن هذه الكتب حَوَت من أصناف العلم سره وعلانيته.

- عبارة « علمك الله الخير » في التركيب السابق وقعت بين الفعل : « اعلم » والمفعول به وهو هنا « أن هذه الكتب قد حوت »... الخ.
- مثل هذه العبارة تسمى جملة اعتراضية، لأنها اعترضت بين الفعل ومفعوله، وأيضا لأنها قطعت مسار الفكرة الأساسية.
- تأتي الجملة الاعتراضية لأغراض جانبية منها : الدعاء، والاحتراس أو لفت الانتباه إلى شيء مهم.
- تعترض هذه الجملة بين الشيئين المتلازمين نحويا، مثل : المبتدأ وخبره، والفعل وفاعله، والفعل ومفعوله... الخ.
- الجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب.

٧ ـ بين الجمل الاعتراضية وغرضها فيما يأتي :

١ ـ قال الرسول صلى الله عليه وسلم أَحَبّكم إليّ أَحَاسِنُكمْ أخلاقا.
٢ ـ اتخذ ابن طفيل من قصة حي بن يقظان وهي قصة رمزية وسيلة إلى شرح فكرته.
٣ ـ قال الله عز وجل اقرأ باسم ربك الذي خلق.
٤ ـ الطاعون حفظك الله لم يعد يهدد البشرية كما كان في الماضي.
٥ ـ السعادة منحك الله إياها لا تشترى بالمال.
٦ ـ أنا ولا أحب الحديث عن نفسي من علماء هذا القرن.

٨ ـ أكمل الجمل الآتية بعبارتك أنت :

١ ـ لو أراد الله أن يؤكل بحد ....
٢ ـ حكمة الله ظاهرة في إخفاء حد الشبع حتى ....
٣ ـ .... ألا تُعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض.
٤ ـ فأما من ذكر الله وشكره فإنه ....
٥ ـ والله لو كان للناس أمام ....
٦ ـ .... عرفت صدقه لإحساسك به.
٧ ـ .... أن يحشى حتى يخشى.
٨ ـ .... فأنت في أول الشبع.
٩ ـ ينبغي أن يأكل الإنسان إلى أن يقع له أنه ....

١٠ ـ .... ما مشى حماري من المنزل إلى المنزل.

١١ ـ وأنا أعلم في الجملة أن ....

١٢ ـ .... كان العبد إلى الله أقرب.

١٣ ـ الشبع عندنا في البادية ....

١٤ ـ الشبع عندي أنا ....

اقرأ واحفظ

المتنبي في وصف حمى أصابته
(من بحر الوافر)

وَزَائِرَتي كأنَّ بِها حَياءً ... فَلَيْس تزورُ إلّا في الظَّلامِ
بذلتُ لها المَطارِفَ والحَشَايا ... فَعَافَتْها وباتَتْ في عِظَامِي
يضيقُ الجلدُ عنْ نَفْسِي وعَنْها ... فَتُوسِعُه بأنواعِ السَّقَامِ
إذا ما فارقَتْني غسَّلَتْني ... كأنَّا عاكِفَان على حَرامِ
كأنَّ الصبحَ يَطْرُدُها فتجري ... مَدامِعُها بأربعةٍ سِجَامِ
أُرَاقِبُ وقْتَها من غيرِ شَوْقٍ ... مراقبةَ المَشُوقِ المُسْتَهامِ
ويصدُقُ وعدُها والصدْقُ شَرٌّ ... إذا ألقاكَ في الكُرَبِ العِظَامِ
أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِندي كلُّ بِنْتٍ ... فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ
جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ ... مَكَانٌ للسيوفِ ولا السِّهَامِ

الشاعر : شاعر العربية الأكبر، من شعراء العصر العباسي الثاني، مات سنة ٣٥٤ هـ (٩٥٦ م).

شروح : **زائرتي** : يقصد بها الحمى ـ **المطارِف** : الفُرُش ـ **الحشايا** : الوسائد اللينة ـ **عافَتْها** : زهدت فيها ـ **السَّقام** : المرض ـ **سِجَام** : مُنْهَمِر ـ **الكُرَب** : الشدائد ـ **بِنْت الدهر** : المصيبة. كأن الدهر دائما يلد المصائب.

الدرس الرابع عشر

من رسائل إخوان الصفا :

الإنسان والحيوان أمام محكمة الجن

تطور الأدب المحْكِيّ على لسان الحيوان في التراث العربي من العبارة الواحدة المختصرة إلى القصة المركبة الطويلة. وكثير من الأمثال والحكم العربية القديمة جاءت على ألسنة الحيوان (وأحيانا على ألسنة الطير). وقد شهد العصر العباسي تطور هذا النوع الأدبي من الحكمة المختصرة البسيطة إلى القصة المتوسطة الطول، والقصة الطويلة، حيث يعقد لواء البطولة المطلقة في هذه القصص للحيوانات والطيور. من هذا القصص « كليلة ودمنة »، وشخصياتها من الحيوان والطيور، وأغراضها تعليمية وأخلاقية متعددة الجوانب. ومنها ملحمة « تداعي الحيوان على الإنسان أمام محكمة الجن » لإخوان الصفا (التي أخذ منها هذا النص)، وهي تعد تتويجا لأدب الحيوان في العصر العباسي. فقد عبرت رموزها عن أغراض اجتماعية، وفلسفية، وفكرية واسعة. ولم ينقطع خط تطور « أدب الحيوان » على طول الزمن، فقد أصبح فنا مستقلا بذاته، وظهرت له آثار واضحة في مواضع كثيرة من أعمال مشهورة في التراث العربي مثل « ألف ليلة وليلة »، و« رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري. وقد انتقل تأثير هذا النوع من المشرق إلى الأندلس فظهرت آثاره في رسالة « التوابع والزوابع » لابن شهيد ورسالة « حي بن يقظان » لابن طفيل.

وأدب الحيوان أدب رمزي عالي الطراز، يؤدي أغراضا بطريقة تختلف عن طريقة الأدب العادي وتشير الأبحاث إلى أن أدب الحيوان في التراث العربي ـ مؤلفا ومترجما ـ قد أثر في الآداب الأوربية، فاعتمدت طريقة القصص على لسان الحيوان والطيور في خلق رموز أدبية تعبر عن أغراض سياسية واجتماعية وفكرية بعيدة الأثر.

مــداخــل إلــى دراســة الــنــص

عــن الــكــاتــب :

- ليس مؤلف هذا النص شخصا واحدا، وإنما **جماعة** مشهورة في تاريخ الفكر الإسلامي تعرف بجماعة « إخوان الصفاء » (وهي أحيانا تنطق بدون همزة، فيقال **إخوان الصفا**)، واسمها الكامل : **إخوان الصفاء وخِلّان الوفاء**، (وأحيانا تنطق بدون همزة في الكلمتين فيقال : **إخوان الصفا وخلان الوفا**).
- عاشت تلك الجماعة في البصرة في القرن الرابع الهجري، وهو - كما نعلم - قرن الازدهار الفكري والأدبي والعلمي وقرن الترجمة عن اللغات غير العربية، وقرن الانفتاح على الأفكار الأجنبية، وقرن البحث والمناقشات **والجدل الفلسفي**.
- تتكون جماعة إخوان الصفا من مجموعات فرعية، وكل مجموعة تتكون من طبقات متدرجة على أساس السن ؟ فهناك طبقة « **الأبرار الرحماء** »، وهم الشبان من ١٥ إلى ٣٠ سنة، وهناك طبقة « **الأخيار الفضلاء** » وهم الرجال من ٣٠ إلى ٤٠ سنة، وأخيرا هناك طبقة « **الفضلاء الكرام** »، وهم الكهول من ٤٠ إلى ٥٠ سنة.
- حرص إخوان الصفاء على إخفاء أسمائهم، ولكن بعضها تسرب إلينا في كتاب « المقابسات » لأبي حيان التوحيدي، ومن هذه الأسماء : أبو سليمان محمد بن طاهر السجستاني، وأبو زكريا العميري، وأبو محمد المقدس، ويحيى بن عدي، وأبو إسحاق الصابي، وماني المجوسي، ولكن هذه الأسماء لا تفيدنا كثيرا لأنها تبقى **مجرد أسماء**، ولا نعرف عن تاريخها أو أوصافها الشيء الكثير (فيما عدا الصفات العامة التي ذكرها أبو حيان).
- تثار شكوك واسعة حول **أغراض** هذه الجماعة، وأهدافها، فبعض الباحثين يقول إن أهدافهم التأليفية كانت علمية بحتة، وأنهم قصدوا إحياء الثقافة الإسلامية عن طريق **مزج الدين بالعقل**، أو **مزج الفلسفة بالشريعة**، وبعضهم يقول إن أغراضهم البعيدة كانت سياسية، وأنهم كانوا جماعة من الشيعة قصدوا تقويض الدولة العباسية.
- من الواضح أن إخفاء أسمائهم المتعمد كان خوفا من السلطة، أو من الجمهور، أو من كليهما، ومن الواضح كذلك أنهم كانوا على درجة عالية من الثقافة، فقد خاضوا في كل شيء تقريبا، وحللوا مسائل متصلة بالتاريخ والجغرافيا، والشريعة والفلسفة، وطبائع الناس، وبقية الكائنات الحية، فهم - تقريبا - لم يتركوا شيئا من ألوان المعرفة التي كانت في أيامهم إلا وخاضوا فيه.
- وآراء إخوان الصفاء جريئة جدا، وفيهم **تحرر فكري** واضح. وهذا هو السبب في أنهم تعرضوا - في تاريخهم - لحملة من بعض الدارسين الذين اتهموهم - كما هي العادة - بأنهم ضد الدين، وضد الاستقرار الاجتماعي.

عــن الــكــتــاب :

- يضم كتاب « رسائل إخوان الصفا » خمسين رسالة.
- يقال إنها كانت في الأصل إحدى وخمسين، ثم فقدت منها واحدة وهي التي تسمى الرسالة « **الجامعة** »، وهي الرسالة التي لخص فيها المؤلفون كل الأفكار والموضوعات التي وردت في الرسائل الأخرى، وبرهنوا على صحتها بالأدلة المقنعة.
- تشبه هذه الرسائل « **دائرة معارف كبرى** »، تتناول كل الموضوعات التي كانت معروفة في ذلك الزمان، كما تتناول **القضايا الحيوية** التي كانت **تشغل بال** المهتمين بالفكر والثقافة.
- من هذه الموضوعات قضايا الفلسفة والدين، وقضايا خلق العالم واستمراره أو فنائه، وقضايا النفس والروح، والسعادة والشقاء، والبعث والحساب، ثم قضايا أخرى **كالتنجيم** (حساب مواقع النجوم وأثرها في حياة الناس والأشياء) **والفأل**

(التفاؤل والتشاؤم) وزجر الطير (إزعاجه فإن طار يمينا سمي السانح وهذا فأل حسن وإن طار شمالا سمي البارح وهذا فأل سيئ والسحر والفيض (الإلهام) ومراتب الوجود (مراحله).

- كذلك شملت موضوعات فنية كأثر الموسيقى في النفس، وموضوعات تربوية كالحاجة إلى العلم، وصفات المعلم، وصفات المتعلم، ومواد التعلم، وطرق التحصيل وغيرها.
- طريقة معالجة هذه الموضوعات في رسائل إخوان الصفاء هي الطريقة العلمية الأدبية التحليلية التي تتداعى (يطلب بعضها بعضا) فيها المعلومات بأسلوب مسهب (مطول) يقوم على الاستشهاد (إيراد الأمثلة) والاستدلال العقلي، والوصف الواقعي.
- يحفل الكتاب بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والعبارات المأخوذة من التوراة والإنجيل، والشواهد الشعرية القديمة والمعاصرة للمؤلفين.
- كتبت الرسائل ـ فيما يرجح ـ على مدى فترة طويلة امتدت من سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م) إلى سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م).
- لدينا طبعات منها في الهند وغيرها يعود تاريخها إلى أكثر من مائة سنة.
- لقيت رسائل إخوان الصفا عناية كبيرة استمرت إلى الوقت الحاضر، وكانت من أوائل الكتب التي أخرجتها المطبعة العربية.
- كذلك اهتم بها المستشرقون اهتماما كبيرا، ودرسوها دراسة مفصلة، مستخلصين منها نتائج اجتماعية وفكرية تساعد على فهم العصر الذي ألفت فيه، وما كان يموج به من تيارات (اتجاهات) سياسية وثقافية.
- لا يزال لهذه الرسائل أثر كبير سواء من حيث موضوعها (الفكر الاسلامي) أو من حيث أسلوبها في الكتابة التي تقوم على الترسل (عدم التكلف في الكتابة) وتبويب الموضوعات (تقسيمها إلى أبواب) وطرق الاقناع.

عـن الـنـص :

- هذا النص مأخوذ من الرسالة الثامنة من رسائل « إخوان الصفا »، وهي رسالة « **تداعي الحيوانات على الإنسان** » **وقد كتبت الرسالة في هذا الأسلوب ليكون على حد تعبيرهم ـ « أبلغ في المواعظ، وأبين في الخطاب، وأعجب في الحكايات، وأظرف في المسامع، وأغوص في الأفكار، وأحسن في الاعتبار »**.
- **تأخذ الرسالة شكل قصة تمثيلية**، تقوم حكايتها على خرافة تقول إن الانسان نشأ على الاعتقاد بأن الحيوانات جميعا مخلوقة لتخدمه، وأن الحيوانات البرية **شقت عصا الطاعة** (ثارت عليه) وهربت إلى الجبال والغابات. ثم حدث أن سفينة تحمل مجموعة من الناس رست على شاطئ جزيرة عامرة بالحيوانات **غير المستأنسة** (البرية والمتوحشة) فأراد الإنسان أن يستخدم الحيوانات ـ على **عادته** ـ فرفضت الحيوانات ذلك، **وشكت أمرها إلى ملك الجن**، واسمه بيوراسب فبعث الملك في طلب **الإنس** فجاءه وفد منهم فناقشهم في **شكوى الحيوان** فوضحوا له **بالدليل النقلي** (المنقول من النصوص) **وبالدليل العقلي** (المنطقي) فضلهم على الحيوان، ووجوب استخدامه. فسأل الملك **الحيوان** فدافعت الحيوانات عن نفسها « **فدعا الجنود والأعوان من قبائل الجن والقضاة والعدول (من عرفوا بالانصاف) والفقهاء، وقعد لفصل القضايا بين زعماء الحيوان والجدليين (الذين يجيدون فن الجدل أي تقديم الحجج ومناقشة حجج الخصوم) من الإنس** ».
- دارت المحاكمة على **شكل** حوار بين القاضي وهو ملك الجن **وبين ممثلي الإنسان والحيوان**. وكان كل جانب يعرض جوانب تميزه على الآخر من النواحي الجسمانية والنفسية ثم استشار الملك رعيته (شعبه) من الجن في القضية فتحيزت الجن (أخذت جانب) للحيوان. وبعد انتهاء الجولة الأولى رجعت كل طائفة لتجري مشاورات واسعة مع جنسها، فتشاور **الناس** فيما بينهم، وتشاورت الحيوانات فيما بينها، وأرسلت الحيوانات رسلا إلى الوحوش والطيور والحشرات، فعقدت كل طائفة بدورها **جلسة فرعية** طريفة استعرضت فيها خصائص (صفات) أفرادها لتختار من يمثلها في المحاكمة.

- وفي الجولة الثانية حضر ممثلو **الإنس** ـ وعددهم حوالي سبعين ـ وطلب إليهم الملك أن يقدموا **حججهم في فضل الإنسان على الحيوان**، فتكلم في هذه الجلسة ممثلون عن إيران والهند والشام وممثل عن العبرانيين (اليهود) والسريانيين، وقُرشيّ (من قبيلة قُريش) ويوناني وخراساني.
- وفي الجولة الثالثة أعطيت الكلمة لمندوبي (من ينوب عن) الحيوان والطيور والحشرات، فتكلم ابن آوى (من فصيلة الثعلب) والببغاء والصرصر (الجندب) والضفدع، ثم رد زعيم الإنس، وتكلم زعيم النحل اليعسوب، ثم **جرى الحديث سجالا** (مساجلة أو محاورة) بين زعماء الإنسان وزعماء الحيوان والحشرات والطيور، فحلل كل فريق طبيعة الآخر وأسلوبه في الحياة، ومثالبه (عيوبه) وفضائل نفسه، مستشهدين على ذلك بآيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وذاكرين **حججا منطقية وعبرا (دروسا) تاريخية.**
- واتصلت المناظرة بين الإنس والطير فخطبت الببغاء خطبة حافلة ببيان أحوال البشر ووظائفهم. وتكلمت جماعة الناس، وردت عليهم جماعات الحيوان والزواحف والطيور.
- وفي ختام المناظرة تقدم إنسان فطلب إلى ملك الجن أن يصدر حكمه. وقد وصف هذا الإنسان بأنه « **الفارسي النسبة، العربي الدين، الحنفي الإسلام، العراقي الأدب، العبراني المخبر، المسيحي المنهاج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي التعبير، الصوفي الإشارات الملكي الأخلاق، الرباني الرأي، الالهي المعارف.**
- وصدر الحكم على النحو التالي :

« **أمر الملك أن تكون الحيوانات بأجمعها تحت أوامرهم (البشر) ونواهيهم ويكونوا منقادين للإنس، فقبلوا مقالته ورضوا بذلك، وانصرفوا آمنين في حفظ الله تعالى وأمانه** ».

- تدور أحداث القصة كمثيلاتها من القصص الخرافية، في بيئة خيالية هي جزيرة تسمى « **بلاصاغون** » وهي تقع في « **وسط البحر الأخضر مما يلي خط الاستواء، وهي طيبة الهواء والتربة فيها أنهار عذبة وعيون فوارة. وهي كثيرة الريف والمرافق وفنون الأشجار وألوان الثمار والرياض والأزهار والرياحين والأنوار** ». وتتصل الجزيرة بعوالم الكائنات الحية : الإنس والحيوان والطيور والحشرات والمخلوقات البحرية وغيرها، **وعوالم الجن وما وراء الطبيعة.**
- يلاحظ أن ممثلي البشر قليلون (حوالي سبعين) وهم نوع واحد يمثلون مناطق العالم المعروف آنذاك. أما ممثلو الجانب الآخر فهم حشد عظيم (مجموعة كبيرة) من بينهم الأسد والنمر والثور والكبش والفيل والجمل والفرس والبغل والخنزير والأرنب والحمار والكلب وابن آوى والدب، ثم الطاووس والديك والحمام والبلبل والبقرة والغراب والعصفور والقمري والسمان واللقلق والبط والاوز والهزار والنعامة والهدهد، ثم العنقاء (طائر خرافي) والعقاب والصقر والبازي والشاهين والحدأة والرخمة والبومة والببغاء، ثم التنّين والحوت والسرطان والسلحفاة والضفدع، ثم الثعبان والحية والأفعى والضب والحرباء والخنفساء والعنكبوت والذبابة والنملة والقرادة والأرضة والسوسة.
- في القصة نرى الملك يستمع كثيرا ويتكلم قليلا، ويستشير من حوله كثيرا ويسأل كثيرا وتتنوع الاجابات بين قصير وطويل وطويل جدا، وتغطي الحجج مساحة واسعة جدا من الأفكار الفلسفية والدينية والتاريخية وألوان المشاعر وهي تشبه مختصرا لدائرة معارف تكشف عن خبرة إخوان الصفاء في شتى نواحي المعرفة، فنجد فيها معلومات تشريحية وفزيولوجية عن الأسد والثعبان والنحل. فمثلا يقولون على لسان ملك النحل حين يصف جسمه :

خلق الله لي خلقة لطيفة، وبنية نحيفة، وصورة عجيبة، بيان ذلك أنه **جعل مقدم جسدي مربعا مكعبا، ومؤخر جسدي مندمجا مخروطا، ورأسي مدورا مبسوطا وركب في وسطي أربعة أرجل ويدين، متناسبات المقادير كأضلاع الشكل المسدس في الدائرة، لأستعين بها على القيام والقعود والنهوض أو أقدر أساس بناء منزلي وبيوتي على أشكال مسدسات مكتنفات كي لا يدخلها الهواء فيضر بأولادي أو يفسد شرابي** ».

- ونجد كذلك فيها أفكارا اجتماعية متصلة بتفوق البشر على الحيوان برجحان العقل (زيادته) وفنون العلوم وغرائب الآداب، ولطائف الحيل، ودقة الصنائع والفكر، والتمييز والرؤية، وذكاء النفوس، كما نجد فيها ـ مع ذلك ـ انتقادا للبشر لأنهم حادوا عن الصراط المستقيم لسوء انتفاعهم بالعقل والشرائع، وتركهم أخلاق الملائكة وتخلقهم بأخلاق الشياطين وانتقادا لتصرفاتهم تجاه بعضهم البعض وتجاه الحيوان.

- **كذلك تناولت** الرسالة نمط الحياة الاجتماعية للإنسان (المسكن والمأكل والمشرب) وانتقدتها. **أما بالنسبة للحكم والسلطة** فقد تناولت الرسالة واجبات كل من الحاكم **والرعية** (المحكومين) تجاه الآخر وتجاه الوطن.
- وصحيح أن ملك الجن حكم لصالح سيادة الإنسان على الحيوان، ولكنه فعل ذلك بعد أن أتاح للحيوانات فرصة عرض وجهة نظرها بصورة مفصلة، تناولت شتى المجالات الفكرية والروحية والمادية، التي هي أفكار إخوان الصفاء في واقع الأمر.
- والطابع الرمزي الأدبي للنص واضح جدا. وهو **أصل من الأصول** التي يقوم عليها ما يعرف **بأدب الحيوان في العالم** كله.
- وأقرب نص عربي لهذا النص هو كتاب كليلة ودمنة. الذي يقال إن إخوان الصفاء تأثروا في هذه الرسالة بقصة الحمامة المطوقة التي وردت فيه، ولكننا نلاحظ أنهم لم يشيروا إلى هذا الكتاب. أما أثر هذا النص فيما أتى بعده فهو واضح في كتاب « **منطق الطير** » لفريد الدين العطار وغيره.
- يمتاز هذا النص بسهولة اللغة، وتدفقها وتتابعها، وحيوية الحوار وقوة الحجج المتعارضة.
- يتكون النص المختار هنا من هذه الرسالة من ثلاثة أجزاء تقع في أماكن متفرقة منها، وهي كالتالي :

أ ـ الأول مقدمته، وهي وصفية عامة.

ب ـ والثاني خاص بالإنسان وحججه عموما والرد عليها من قبل الحيوان.

ج ـ والثالث خاص بانتقاء الأسد ممثلي الحيوان في المحاكمة.

أ ـ الجزء الأول من النص المختار يعرض أصل (أساس) الموضوع في لغة وصفية سردية واضحة تسلم كل نقطة فيها إلى النقطة التالية (التي تليها)، ويعبر عن المعاني بطريقة محايدة تشبه طريقة كتابة التاريخ. فيقرر أن الإنسان استطاع ـ عن طريق الحيلة مرة وعن طريق القوة مرة أخرى ـ أن يستعبد الحيوان ويستخدمه في العمل ويتخذ منه طعاما وشرابا وثيابا، حتى هرب الحيوان منه إلى الجبال والغابات. ولكن الإنسان يحاول صيده والإمساك به، لأن الإنسان يعتقد أن الحيوان عبد له وأنه ثار عليه بدون وجه حق.

ب ـ الجزء الثاني من النص يحكي كيف جاء الإنسان وطلب من الحيوان أن يخدمه من جديد وكيف لجأ الطرفان إلى طرف ثالث ـ هو ملك الجن ـ أي أن هذا النص يحكي بداية التحكيم، وهذا الجزء يجمع بين السرد والحوار، ويقدم معلومات وصفية وفكرية أساسية، ويلخص وجهات النظر التي تكون حجة كل فريق.

ج ـ في الجزء الثالث من النص يتم اختيار ممثل الحيوانات المفترسة بعد مناقشة يعرض فيها كل نوع صفاته التي تؤهله للقيام بهذه المهمة. وبعد استعراض كلام الفهد والذئب والثعلب وابن عرس والقرد والسنور والكلب والضبع والجرذ (الفأر) يستقر الرأي بين الأسد والنمر على اختيار ابن آوى الذي يوصف بأنه « **الحكيم الفاضل الخير** ».

النـــص

اعلَمْ أنّه لمّا توالَدتْ أولادُ آدمَ وكَثُرَتْ. انتشَرَتْ في الأرضِ بَرًّا وبَحْرًا سَهْلًا وجَبَلًا. مُتصرِّفِين فيها آمنِين. بعدَما كانُوا قليلِينَ خائِفِينَ مستَوْحِشِينَ من كثْرةِ السِّباعِ والوُحوشِ في الأرضِ. وكانُوا يَأْوُونَ في رؤوسِ الجبالِ والتِّلالِ متحصِّنين بِهَا في المَغارَاتِ والكُهوفِ. وكانُوا يأْكُلونَ مِنْ ثَمَرِ الأشْجَارِ وبُقُولِ الأرْضِ وحُبُوبِ النَّبَاتِ. وكانُوا يَسْتَتِرونَ بأوراقِ الشَّجَرِ مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ ويَشْتُونَ في البِلَادِ الدَّافِئَةِ ويُصَيِّفُونَ في البلدَانِ البارِدَةِ. ثم بَنَوْا في سهولِ الأرضِ المدنَ والقُرَى وسَكَنُوها. ثم سَخَّرُوا (استخدموا) مِن

الأنعَامِ البقرَ والغنمَ والجِمَالَ، ومِنَ البهائِمِ الخيلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ وقَيَّدُوهَا وألْجَمُوهَا وصَرَّفُوهَا في مآربهم (أغراضهم) من الرّكوبِ والحَمْلِ والدِّيَاسِ (فصل الحبّ عن القش). وأتْعَبُوها في استِخْدَامِها، وكَلَّفُوهَا أكْثَرَ مِنْ طَاقَتِها، ومَنَعوهَا من التصرّفِ في مآرِبِهَا، بَعْدَ مَا كَانَتْ مُخَلاّةً في البَرَارِي والآجامِ (الغابات) تَذْهَبُ حَيْثُ أرَادَتْ في طَلَبِ مَرْعَاهَا ومَشَارِبِهَا ومَصَالِحِها، فَنَفَرَتْ مِنْهم بَقِيَّتُها مثلُ حَمِيرِ الوَحْشِ والغِزْلانِ والسِّبَاعِ والوُحُوشِ والطُّيُورِ بَعْدَ مَا كَانَتْ مُسْتَأنَسَةً مُتَآلِفَةً مُطْمَئِنَّةً في أوْطَانِها وأمَاكِنِها، وهَرَبَتْ من ديارِ بَنِي آدمَ إلى البَرَارِي البعيدةِ والآجامِ والدِّحَالِ (الأرض المنخفضة). وتَشَمَّرَ بنُو آدَمَ في طلَبِها بأنواعٍ مِنَ الحِيَلِ والقَنْصِ (الصيد) والشِّبَاكِ والفِخَاخِ، واعْتَقَدَ بنُو آدَمَ فيها أنّها عَبِيدٌ لهُمْ هرَبَتْ وطَغَتْ.

ثم مَضَتِ السنونَ والأعوامُ علَى ذلكَ إلى أنْ بُعِثَ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ ودَعَا الإنْسَ والجِنَّ إلى اللهِ وإلى دينِ الإسلامِ فأجابَتْهُ طائفةٌ من الجِنِّ وحَسُنَ إسْلامُهَا.

وَمَضَتْ على ذَلِكَ مدَّةٌ من الزّمَانِ ثمّ إنَّهُ وَلِيَ عَلى بَنِي الجنّ مَلِكٌ مِنهم يقالُ له (بيوراسب) الحكيمُ لقَبُهُ شاه مردان، وكانَ دارُ مملكتِه في جزيرةٍ يقالُ لها (بلاصاغون) في وسطِ البحْرِ الأخْضَرِ ممَّا يلي خطَّ الاستواءِ، وهي طيّبةُ الهواءِ والتُّرْبَةِ، فيها أنْهار عَذْبَةٌ وعيونٌ فَوَّارَةٌ وهي كثيرةُ الريفِ والمرافقِ وفنونِ الأشْجَارِ وألوانِ الثِّمَارِ والرِّياضِ والأزْهَارِ والرَّيَاحِينِ والأنْوَارِ.

فَطرحَتِ الرياحُ العاصفَةُ، في وقتٍ من الزمانِ، مرْكَبًا من سُفُنِ البَحْرِ إلى سَاحِلِ تِلْكَ الجزيرةِ وكانَ فيها قَوْمٌ من التّجّارِ والصُّنَّاعِ وأهْلِ العِلْمِ وسائِرِ أبْنَاءِ النَّاسِ، فَخرَجوُا إلى تلكَ الجزيرَةِ وطَافُوا فِيها فوَجَدُوها كثيرةَ الأشْجارِ والفواكِهِ والثِّمَارِ والمِيَاهِ العذْبَةِ والهَوَاءِ الطَّيِّبِ والتّربَةِ الحسنَةِ، والبقولِ والرَّيَاحِينِ وألْوَانِ الزُّرُوعِ والحبُوبِ ممّا أنبَتَتْها أمطارُ السماءِ، ورَأَوْا فِيها أصنافَ الحيواناتِ من البَهائِمِ والأنْعَامِ والطيورِ والسِّبَاعِ وهي كلُّها متألِّفَة بعْضُها مَعَ بَعْض مستأنِسَةٌ غيرُ مُتَنَافِرَةٍ.

ثمَّ إنَّ أولئك القومَ استطابُوا ذَلِكَ المكانَ (وجدوه حسنا) واستَوْطَنُوه (اتخذوه وطنا) وبنَوْا هنالِكَ البنيانَ وسكنُوها، ثم أخذُوا يتعرَّضُونَ لتلكَ البهائمِ والأنعامِ الّتي هناكَ يُسَخِّرُونَها ويَرْكَبُونَهَا ويَحْمِلُونَ عَلَيْها أثْقَالَهُم على الرسم (على الصورة) الّذي كانُوا يفعلُون في بُلْدَانِهم. فنفرتْ مِنْهم تلك البهائمُ والأنعامُ هناكَ وهَرَبَتْ، وتَشمَّرُوا في طلَبِها بأنْوَاع من الحِيَلِ في أخْذِهَا **واعتَقَدُوا فيها أنّها عبيدٌ لهم فهرَبَتْ وخَلَعَتِ الطاعَةَ (تركت الطاعة) وعَصَتْ.**

فلَمَّا علمتْ تلكَ البهائمُ والأنعامُ هذَا الاعتقادَ منهُمْ، اجتَمَعَتْ زعماؤُها وخطباؤُها وذهَبُوا إلى (بيوراسب الحكيم) ملكِ الجنّ، فبعثَ رسولاً إلى أولئك القومِ ودَعَاهُمْ إلَى حَضْرَتِهِ. فذهَبَتْ طائفةٌ من أهلِ ذلك المَرْكَبِ إلى هُناك وكانُوا نَحْوًا من سَبْعِينَ رجُلاً من بُلْدَانٍ شَتَّى. فلمّا بلَغَه قدومُهم أمَرَ لهُمْ بالإنْزَالِ والإكْرَامِ ثُمَّ أوْصَلَهُمْ إلى مَجْلِسِهِ بَعْدَ ثَلاثَةِ أيامٍ. وكانَ (بيوراسب) مَلِكا حَكِيمًا عَادِلًا كَرِيمًا مُنصِفًا سَمْحًا، يَقْرِي الأضْيَافَ (يكرم) ويَأوِي الغُرَبَاءَ ويرْحَمُ المُبْتَلَى (المصاب) ويمْنَعُ الظُّلْمُ ويأمُرُ بالمَعْرُوفِ ويَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ، لا يَبْتَغِي بذلكَ إلا وَجْهَ اللّهِ ومَرْضَاتِهِ (رضاه).

فلمّا وصلُوا إليهِ ورآوْهُ عَلى سريرِ المُلْكِ حَيّوْهُ بالتَّحِيَّةِ والسّلامِ. فقالَ لهمُ المَلِكُ على لِسانِ التَّرجُمانِ :

ـ ما الّذِي جاءَ بكمْ إلى بلادِنا وما دَعاكُم إلى جَزيرَتِنا منْ غيْرِ مُراسَلَةٍ قَبْلَ ذلِكَ ؟

قال قائلٌ منهم (أحدهم) :

ـ دَعانا ما سَمِعْنا مِنْ فَضائِلِ المَلِكِ ومناقِبِهِ (صفاته الحسنة) الحسانِ ومكارمِ أخلاقِهِ وعدْلِهِ وإنصافِهِ في الأحكامِ، فجئْناهُ ليسمَعَ كلامَنا ونُبَيِّنَ حُجَّتَنَا، **ويَحْكُمَ بَيْنَنا وبَيْنَ عَبيدنا الآبِقين (الهاربين) وخَدَمِنا المُنْكِرِين وِلايَتَنا**، واللهُ يوفّقُ للصَوابِ ويسدّدُ للرشادِ.

فقالَ الملِكُ :

ـ قُولُوا ما تُرِيدُون وبيّنُوا ما تَقُولونَ.

قال زعيمُ الإنسِ :

ـ نعمْ أيُها الملكُ، إنَّ هذِهِ البهائمَ والأنعامَ والسباعَ والوحوشَ والحيواناتِ أجمعَ، عبيدُنا ونحنُ أربابُها فمِنها هاربٌ عاصٍ، ومنها مطيعٌ كارهٌ مُنكِرٌ للعُبُودِيّةِ.



فقالَ الملكُ للأنسيّ :

ـ ما الدليلُ وما الحُجَّةُ على ما زَعَمْتَ وادَّعَيْتَ ؟

قال الإنسيُّ :

ـ نَعَمْ أيُّها المَلِكُ.... لَنَا دلائلُ شرْعيةٌ سَمْعيَّةٌ على ما قُلْتُ وحجَجٌ عَقْلِيَّةٌ.

فقالَ هاتِ.

فقامَ خطيبٌ من الإنسِ، فَصَعَدَ المنبرَ فقال :

ـ الحمدُ للهِ ربِّ الْعَالَمِينَ والعاقبةُ للمُتَّقِينَ ولا عُدْوَانَ إلا عَلَى الظَّالِمِينَ وصلّى اللهُ على محمدٍ خاتمِ النبيّينَ وإمامِ المُرْسَلِينَ صاحبِ الشفاعةِ يومَ الدّينِ، وصلواتُ اللّهِ علَى الملائكةِ المُقَرَّبِينَ وعلى عبادهِ الصّالِحِين وأهْلِ السّمواتِ والأرْضِ من المُؤمنِينَ والمُسْلِمِينَ. وجعَلَنا وإيَّاكُمْ منْهمْ برحمتِهِ وهُو أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. والحمدُ للّهِ الّذِي خلَق من الماءِ بشَرًا وخِلَق منْه زوجتَه، وبثَّ (نشر) مِنْهما رجَالًا كثيرا ونساءً وأكْرَمَ ذُرِّيَّتَهُمَا، وحَملهم في البرِّ والبَحْرِ ورزقَهُمْ من الطيِّبَاتِ. قال اللهُ عزّ وجلّ : « والأنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ومَنَافِعُ ومِنْهَا تأكلُون. ولَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وحِينَ تَسْرَحُونَ ». وقال عَزَّ وجلَّ : « وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفُلْكِ تُحْمَلُونَ ». وقالَ : « والْخَيْلَ والبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ». وقال : « لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثمّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ». (وآيات كثيرة في القرآن وفي التوراةِ والإنجيل تدلّ على أنّها خُلِقَتْ لَنَا ومن أجْلِنا وهي عبيدٌ لنا ونحنُ أربابُها)، وأسْتَغْفِرُ اللهَ لِي ولَكُمْ.

قال الملِكُ :

ـ قَدْ سمِعْتُمْ معشَرَ البهائِمِ والأنْعَامِ ما ذَكَرَ الإنسِيُّ من آياتِ القرآنِ واستدَلَّ بها علَى دَعْواه، فأيُّ شيءٍ عندكم فيمَا قَالَ ؟

فقامَ عندَ ذلِكَ زعيمُها وهو البغْلُ فقالَ :

ـ الحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ الفَرْدِ الصَّمَدِ القَدِيمِ السَّرْمَدِيِّ. الّذي كانَ قبلَ الأكْوَانِ بلا زَمَانٍ ولَا مَكَانٍ. ثمَّ قالَ كنْ، فكانَ نورًا ساطعًا أظْهَرَهُ مِنْ مَكْنُونِ غَيْبِه (من مكانِه المستورِ)، ثم خَلَقَ من النورِ نارًا أُجَاجًا وبَحْرًا من الماءِ زَجْرَاجًا ذَا أمْواجٍ. ثمَّ خلَقَ من الماءِ والنّارِ أفْلَاكًا ذاتَ أبْرَاجٍ وكَواكِبَ وسِرَاجًا وَهَّاجًا. والسماءَ بَنَاهَا. والأرضَ طَحَاهَا (بسطها). والجبالَ أرْسَاهَا. وجعَلَ أطْبَاقَ السمواتِ مسكنَ العِلِّيِّينَ. وفسحةَ الأفلاكِ مسكنَ الملائكةِ المُقَرَّبِينَ. والأرضَ للأنَامِ وهِي النّباتُ والحيوانُ. وخلَقَ الجانَّ من نارِ السمواتِ. وخَلَقَ الإنسَ من طينٍ. ثم جعلَ نَسْلَه من سلالةٍ مِنْ ماءٍ مَهينٍ في قرارٍ مكينٍ. وجعلَ ذرِّيَّتَهُ في الأرْضِ يخلُفُون ليَعْمُرُوهَا ولا يُخَرِّبُوهَا. ويَحْفَظُوا الحيوانَ ويَنْتَفِعُوا بهَا ولا يَظْلِمُوهَا ولا يَجُورُوا عَلَيْهَا. وأسْتَغْفِرُ اللهَ لي ولَكُمْ. ثم قال : لَيْس في شيْءٍ مما ذكَر هذَا الإنسيّ مِنَ الآيَاتِ أيُّها المَلِكُ دلالةٌ تدلُّ على ما زَعَمَ أنّهُمْ

أربابٌ ونَحْنُ عَبيدٌ، **إنَّمَا هي آياتٌ تدلُّ على إنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وإحْسَانِهِ إلَيْهِم** فقال : سَخَّرَهَا لَكُمْ كَمَا سَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ والرِّيَاحَ والسَّحَابَ. أفتَرَى أيُّهَا المَلِكُ أنَّهَا عَبيدٌ لَهُمْ ومَمَاليكُ وأنَّهُمْ أرْبَابُها ؟

(اعْلَمْ أيُّهَا المَلِكُ أنَّ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُه، خَلَقَ الخلائقَ كلَّها في السمواتِ والأرَضِينَ وجَعَلَهَا مُسَخَّرَةً بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، **إمَّا لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ إلَيْهَا أوْ لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ** عَنْهَا. فتسخيرُ اللهِ عزَّ وجَلَّ الحيوانَ للإنْسِ إنَّمَا هو لإيصَالِ المَنْفَعَةِ إلَيْهِمْ ولدَفْعِ المَضَرَّةِ عَنْهُمْ) كَمَا سَنُبَيِّن بَعْدَ هذَا الفَصْلِ، لا كَمَا ظَنُّوا وتَوَهَّمُوا وقالُوا من الزُّورِ والبُهْتَانِ (الكذب الفاحش) بأنَّهُمْ أرْبَابُنَا ونَحْنُ عَبيدُهم.

ثم قال زعيمُ البهائمِ :

(كُنَّا أيُّهَا المَلِكُ، **نحنُ وآباؤنا سكانَ الأرضِ قَبْلَ خَلْقِ آدمَ أبِي الْبَشَرِ**، قَاطِنينَ في أرْجَائِهَا ظَاعِنِينَ (مسافرين) في فِجَاجِها تَذْهَبُ وتَجيءُ طَائِفَةٌ مِنَّا في بلادِ اللَّهِ في طَلَبِ معاشِنا ونتصرَّفُ في إصلاحِ أمُورِنَا. كُلُّ واحدٍ مِنَّا مُقْبِلٌ على شأْنِهِ في مكانِه موافِقٍ لمآرِبه في بَرِّيَّةٍ أو آجَمَةٍ أو سَهْلٍ أو جَبَلٍ. كُلُّ جِنْسٍ مِنَّا مُؤَالِفٌ لأبناءِ جِنْسِهِ، مُشْتَغِلِينَ باتِّخَاذِ نتائجنا وتَرْبِيَةِ أولادِنا في طَيِّبٍ من العَيْشِ بِمَا قَدَّرَ اللهُ لَنا من المآكِلِ والمَشَارِبِ. آمِنِينَ في أوطانِنَا مُعَافِينَ في أبْدَانِنَا. نُسَبِّحُ للَّهِ ونقدِّسُهُ لَيْلًا ونهَارًا لا نعْصِيهِ ولا نُشْرِك به شيئًا. ومضَى على ذلكَ الدهورُ والأزمانُ **ثم إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ آدمَ أبَا الْبَشَرِ فجعلهُ خليفةً في الأرضِ** وتوالَدَتْ أولادهُ وكَثُرَتْ ذرِّيَّتُه، وانتشَرَتْ في الأرضِ بَرًّا وبَحْرًا وسهْلًا وجَبَلًا، **وضَيَّقُوا عَلَيْنا** الأماكنَ والأوطانَ وأخذُوا مِنَّا أسْرَى من الغَنَمِ والبقرِ والخَيْلِ والبِغَالِ والحميرِ، وسخَّرُوها واسْتَخْدَمُوها، وأتْعَبُوهَا بالكَدِّ والعَناءِ (الإرهاق) والأعْمَالِ الشاقَّةِ مِنَ الحَمْلِ والرُّكُوبِ والشَّدِّ في الفَدَّانِ (المحراث) والدواليبِ (السَّواقي) والطواحِينِ بالقَهْرِ والغَلَبَةِ والضَّرْبِ وألوانٍ مِنَ العَذابِ طولَ أعْمَارِنَا. (فهرَبَ مِنَّا مَنْ هَرَبَ في البَرَارِي والقِفَارِ ورُؤوسِ الجِبالِ، وتشمَّر بنو آدمَ في طلبِنا بأنواعٍ من الحِيَلِ فَمَنْ وَقَعَ في أيْدِيهِمْ مِنَّا فالغُلُّ والقَيْدُ والقَفَصُ. ثمَّ الذَّبْحُ والسَّلْخُ وشَقُّ الأجوافِ وقَطْعُ المَفاصِلِ وكَسْرُ العِظَامِ ونَزْعُ العُيونِ ونَتْفُ الرِّيشِ وجَزُّ الشّعورِ والوَبَرِ. ثم نارُ الطَّبْخِ والسَّفُّودِ (سيخ الشواء) والتَّشْوِيَةِ وألوانٌ مِنَ العَذابِ لا يَبْلُغُ الوصْفُ كُنْهَهَا. (ومع هذِهِ الألوانِ كلِّهَا لا يَرْضَى مِنَّا هؤلاءِ الآدميّونَ حتَى ادَّعَوْا عَلَيْنا أنَّ هذا حقٌّ واجِبٌ لهمْ وأنّهم أربابٌ لنَا ونَحْنُ عَبيدٌ لَهُم فَمَنْ هَرَبَ مِنَّا فَهو آبِقٌ عَاصٍ تارِكٌ للطَّاعَةِ : كلُّ هَذَا بِلَا حُجَّةٍ لَهُمْ عَلَيْنَا ولا بَيِّنَةٍ ولا بُرهَانٍ إلَّا القَهْرُ والغَلَبَةُ).

★ ★ ★ ★ ★ ★

فَلَمَّا سَمِعَ الأسدُ قولَ الرَّسُولِ (أي رسول الحيوانات) وما أخْبَرَهُ فكَّرَ ساعةً، ثم أمَرَ فنادى منادٍ كلَّ ذي مِخْلَبٍ ونَابٍ يأكُلُ اللحمَ. فلمَّا اجتمعتْ عندَ الملكِ عرَّفَها الخبرَ وما قاله الرسولُ.

ثمّ قال :

ـ أيُّكُمْ يذْهب إلى هُناكَ فَينُوبَ عن الجماعةِ. فَنَضْمَنَ له ما يريدُ ويتمنَّى عَلَيْنَا من الكرامةِ، إذا هو أنْجَحَ بهمْ في المُنَاظرةِ وحَجَّ في الحِجَاجِ (أي غلب في المجادلة والمناقشة).

فسكَتَتِ السباعُ ساعةً مُفكِّرَةً : هَلْ يصلُحُ أحدٌ لهذَا الشأنِ أمْ لَا. ثمَّ قالَ النَّمِرُ لِلأسَدِ وهو وزيرُه :

ـ أنتَ مَلِكُنا وسيدُنا ونحنُ عبيدُك ورَعِيَّتُكَ وجنُودُك، **وسَبِيلُ الملِكِ أن يدبِّرَ الرَّأيَ ويشورَ أهْلَ** الرَّأيِ البَصيرِ بالأمورِ، ثمّ **يَأْمرَ وينْهَى** ويرتِّبَ الأمورَ كما يَجِب. **وسبيلُ الرعيّة أنْ يسمَعُوا ويُطيعُوا، لأنَّ المَلِكَ من الرعيّةِ بمنزِلَةِ الرّأسِ منَ الجَسَدِ**، والرَّعيةُ والجنودُ له بمنزلةِ الأعْضَاءِ للبَدَنِ. فَمتى قامَ كلُّ واحدٍ منهما بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ من الشّرائِطِ، انتظمتِ الأمورُ واستقامَتْ، وكانَ في ذلك صلاحُ الجميعِ وفَلاحُ الكُلّ.

فقالَ الأسَدُ للنَّمرِ :

ـ وما تلكَ الخِصَالُ والشرائطُ الّتِي قلْتَ إنّها واجبَةٌ علَى الملِكِ والرَّعِيَّةِ ؟ بَيِّنْهَا لَنَا.

قــالَ :

ـ نعَمْ إنَّ المَلِكَ يَنْبَغِي أن يكونَ لبيبًا (عاقلا) شُجَاعًا **عادِلًا رَحِيمًا** عالِيَ الهِمَّةِ كثيرَ التَّحَنُّنِ (إظهار العطف والحنان) **شديدَ العزيمةِ صارِمًا في الأمُورِ، متأنّيًا ذَا رَأْيٍ وبَصيرَةٍ**. ومعَ هذِهِ الخصالِ **ينبَغِي أنْ يَكُونَ مُشفِقًا على رعِيَّتِهِ متحنّنًا** على جنودِه وأعوانِه رحيمًا بهمْ كالأبِ المُشْفِقِ على الأوْلَادِ، شديدَ العنايةِ بصَلَاحِ أمُورِهِم. أمَّا الَّذي هو واجبٌ على الرَّعيَّةِ والجُنْدِ والأعْوَانِ **فَالسَّمْعُ والطَّاعَةُ لِلْمَلِكِ** بالْمَحَبَّةِ له والنَّصِيحَةِ لاخْوَانِهِ **وأنْ يُعَرِّفَهُ كلّ وَاحِدٍ منْهم ما عِنْدَه من المعونَةِ وما يُحْسنُ من الصناعةِ** وما يُحْسِنُ من الأعمالِ. ويعرفَ الملكُ أخلاقَه وسجَاياه، ليكونَ الملكُ على علْمٍ يصلُح له منه وينزّلُ كلَّ واحدٍ منزِلَتَهُ ويستخْدِمَهُ فيمَا يُحْسِنُه ويستعينُ به فِيمَا يحتاجُ إلَيْهِ.

قــال الأسَــدُ :

ـ لَقَدْ قلْتَ صوابًا ونطقْتَ حقًّا فبُورِكْتَ منْ حكيمٍ ناصحٍ للمَلِكِ وأعْوَانِهِ وأبْنَاءِ جنْسِهِ. فمَا الّذي عندَك من المعاوَنَةِ في هذا الأمرِ الذي دُعِيتَ إليه واستُعِنْتَ فيه ؟

قـال الـنَّـمْـرُ :

ـ سَعِدَ نَجْمُكَ وظَفِرَتْ يَدَاكَ أيُّهَا المَلِكُ، إنْ كَانَ أمرٌ هناكَ يَمْشي بالقُوّةِ والجَلَدِ والغَلَبَةِ والقَهْرِ والحِقْدِ والحَنَقِ (الغضب الشديد) والحَمِيَّةِ فأنَا لها.

قـال الـمـلـكُ :

ـ لا يَمْشِي الأمرُ هُناكَ بِشَيْءٍ مما ذَكَرْتَ.

قَـالَ الفهْدُ :

ـ إن كَانَ الأمرُ يَمْشي بالوَثَبَاتِ والقَفَزَاتِ والقَبْضِ والضَّبْطِ فأنَا لَها.

قـال الـمَـلِـكُ :

ـ لا.

قَال الذِّئبُ :

ـ إن كانَ الأمرُ يَمْشِي بالغارَاتِ والخُصومَاتِ والعَطَفَاتِ والمُكابَرَةِ فأنا لها.

قَال المـلِكُ :

ـ لا.

قال الثعلبُ :

ـ إنْ كَانَ الأمرُ يمْشِي هناك بالحِيَلِ والعَطَفَاتِ والرَّوَغَانِ (المناورة) وكَثْرَةِ الالْتِفَاتِ والمَكْرِ فأنا لها.

قال المَلِكُ :

ـ لا.

قال ابْنُ عِرْسٍ :

ـ إنْ كَانَ الأمرُ هناكَ يَمْشي باللّصُوصيّةِ والتجَسّسِ والإخْفاءِ والسَّرِقَةِ فَأنَا لها.

قـال المَـلِكُ :

ـ لا.

قال القِرْدُ :

ـ إنْ كانَ الأمرُ هُناك يَمْشِي بالخُيَلَاءِ والمُحَاكَاةِ واللَّعِبِ واللَّهْوِ والرَّقْصِ عنْدَ ضَرْبِ الدُّفِّ والطَّبْلِ فَأنَا لَهَا.

قـال المَـلِكُ :

ـ لا.

قال السِّنَّوْرُ :

ـ إن كانَ الأمْرُ يَمْشِي بالتَّواضُعِ والسُّؤَالِ والكُدْيَةِ (التسول) والمُؤانَسَةِ والتَّخَرْخُرِ (التهالك والضحك) فأنا لها.

قـال المَـلِكُ :

ـ لا.

قال الكلْبُ :

ـ إن كانَ الأمرُ يَمْشِي هناكَ بالبَصْبَصَةِ وتَحْرِيكِ الذَّنَبِ واتِّبَاعِ الأثَرِ والحِرَاسَةِ والنُّبَاحِ فأنا لها.

قال المَلِكُ :

ـ لا.

قال الضَّبُعُ :

ـإنْ كَانَ الأمرُ هُناكَ يَمْشِي بنَبْشِ القُبُورِ وجَرِّ الجِيَفِ (جثث الموتى) وجَذْبِ الكِلَابِ والكُرَاعِ (الذراع) وثِقَلِ الرُّوحِ فأنا لها.

قال المَلِكُ :

ـ لا.

قال الجُرَذُ (الفأرُ) :

ـإنْ كَانَ الأمرُ يَمْشِي هُنَاكَ بِشَيْءٍ من الإضْرَارِ والإفْسَادِ والإخْرَاقِ (الثقب) فأنا لهَا.

التدريبات

١ ـ لاحظ التعبيرات التالية :

القضايا الحيوية : المسائل الهامة.
تداعي الحيوانات على الإنسان : اتهام الحيوانات للإنسان أمام محكمة.
شقت عصا الطاعة : ثارت.
الدليل النقلي : الاستدلال بالنصوص من القرآن والسنّة.
جرى الحديث سجالا : جرى الحديث بالتبادل.
دلائل شرعية : أدلة مأخوذة من الشرع.
أنا لها : أنا الشخص المناسب لهذه المهمة.

أسئلة حول النص :

١ ـ من هم « إخوان الصفا » ؟
٢ ـ متى وجدت هذه الجماعة ؟ وأين عاشت ؟
٣ ـ لماذا أخفت هذه الجماعة أسماء أصحابها ؟

٤ ـ من الذي كشف عن بعض أسماء هذه الجماعة ؟
٥ ـ ما أهداف جماعة « إخوان الصفا » ؟
٦ ـ ما المجالات العلمية التي تناولها « إخوان الصفا » ؟
٧ ـ كيف نظمت جماعة « إخوان الصفا » أعضاءها ؟
٨ ـ بم اتصفت آراء « إخوان الصفا » ؟
٩ ـ كم رسالة في كتاب « رسائل إخوان الصفا » ؟
١٠ ـ ما الطريقة التي عولجت بها الموضوعات في « رسائل إخوان الصفا » ؟
١١ ـ في كم سنة ألف كتاب رسائل إخوان الصفا ؟
١٢ ـ لماذا اهتم المستشرقون بهذا الكتاب ؟
١٣ ـ ما أثر هذا الكتاب « رسائل إخوان الصفا » في الوقت الراهن ؟
١٤ ـ لماذا كتبت بعض الرسائل على شكل محاورة بين الإنسان والحيوان ؟
١٥ ـ لماذا حكم الفريقان الجن بينهما ؟
١٦ ـ ما سبب الخصومة بين الحيوان والإنسان ؟
١٧ ـ لماذا كان ممثلو الإنسان قليلين ؟
١٨ ـ ما العلاقة بين هذه الملحمة وكتاب كليلة ودمنة ؟
١٩ ـ هل استفاد « أدب الحيوان » من رسالة إخوان الصفا ؟
٢٠ ـ بم يمتاز أسلوب إخوان الصفا في هذه الرسالة ؟
٢١ ـ ما الأدلة الشرعية على تسخير الحيوان للإنسان ؟
٢٢ ـ أين توجد مملكة ملك الجن الذي كان حكما بين الإنسان والحيوان ؟
٢٣ ـ كيف وصل إليها الآدميون ؟
٢٤ ـ ما صفات بيراسب ؟
٢٥ ـ من الذي تولى الرد على حجج الآدميين من الحيوانات ؟
٢٦ ـ ما الدليل الذي استخدمه لإبطال دعوى الآدميين ؟
٢٧ ـ ما الخصال والشرائط التي يجب أن تتوفر في الملك ؟
٢٨ ـ ما الدور الذي يصلح له النمر في محاجة الآدميين ؟
٢٩ ـ ما الدور الذي يصلح له الفهد في مجادلة الإنسان ؟
٣٠ ـ ما الدور الذي يصلح له الذئب في الخصومة بين الإنسان والحيوان ؟
٣١ ـ ما الدور الذي يصلح له الثعلب في الدفاع عن قضية الحيوان ؟
٣٢ ـ ما الدور الذي يصلح له ابن عرس في الجدل بين الإنسان والحيوان ؟
٣٣ ـ ما الدور الذي يصلح له القرد في قضية الدفاع عن الحيوان ؟
٣٤ ـ ما الدور الذي يمكن للسنور أن يؤديه ؟
٣٥ ـ ما الدور الذي يستطيع الكلب أن يقوم به ؟
٣٦ ـ ماذا يصلح له الضبع في قضية الخلاف بين الإنسان والحيوان ؟
٣٧ ـ هل وافق الأسد على أحد هذه الأدوار التي رشح كل منهم نفسه لها ؟
٣٨ ـ لمصلحة من حكم الملك في نهاية الجدال ؟
٣٩ ـ ما رأيك في إدارة القضية على هذا النحو ؟
٤٠ ـ ما الذي يمكن أن نفهمه من مثل هذا الحوار ؟

٣ ـ صواب أو خطأ :

١ ـ القرن الرابع الهجري هو قرن الازدهار الفكري والأدبي والعلمي.
٢ ـ جماعة إخوان الصفا جماعة مارقة ذات أهداف تخريبية في عقائد المجتمع.
٣ ـ من القضايا التي عالجها إخوان الصفا قضايا الفلسفة والدين وخلق العالم والنفس والروح.
٤ ـ القرن الرابع الهجري هو قرن انفتاح الفكر العربي على الأفكار الأجنبية والترجمة عن اللغات الأخرى.
٥ ـ ليس لرسائل إخوان الصفا أي أثر في الفكر الفلسفي المعاصر.
٦ ـ ألف كتاب إخوان الصفا في فترة تقترب من الأربعين سنة.
٧ ـ فصل بيوراسب الحكيم ملك الجن في قضية تداعي الحيوانات على الإنسان لصالح الحيوان.
٨ ـ تسخير الله الحيوان للإنسان إنما هو لإيصال المنفعة إلى الإنسان ولدفع المضرة عنه.
٩ ـ العدل والرحمة والشفقة من الحاكم يقابلها السمع والطاعة من المحكومين.
١٠ ـ تتشابه قصة « تداعي الحيوانات على الإنسان » مع قصة الحمامة المطوقة في كتاب كليلة ودمنة.
١١ ـ إن كان الأمر يمشي بالغارات والخصومات فإن الثعلب يصلح له.
١٢ ـ يتصف النمر بالقوة والجلد والغلبة والقهر والحقد والحنق والحمية.
١٣ ـ إن كان الأمر يمشي باللصوصية والتجسس والإخفاء والسرقة فإن ابن عرس يصلح له.
١٤ ـ يتصف الضبع بنبش القبور وجر الجيف وجنب الكلاب وثقل الروح.
١٥ ـ يتصف السنور بالخيلاء والمحاكاة واللعب واللهو والرقص عند ضرب الدف والطبل.
١٦ ـ يتصف الكلب بالتواضع والسؤال والكدية والمؤانسة.
١٧ ـ يتصف الثعلب بالحيل والعطفات والروغان وكثرة الالتفات والمكر.
١٨ ـ يتصف الجرذ بالإضرار والافساد والسرقة والإخراق.
١٩ ـ من صفات الفهد الوثبات والقفزات والقبض والضبط.
٢٠ ـ كانت الحيوانات خائفة من مواجهة الإنسان في المحاكمة المعقودة بينهم.

٤ ـ أكمل الجمل الآتية بما يناسبها من العبارات الآتية :

الجدل الفلسفي ـ الأبرار الرحماء ـ التحرر الفكري ـ الأحباء الفضلاء ـ دائرة المعارف ـ الدليل النقلي ـ شقت عصا الطاعة ـ الفضلاء الكرام ـ أدب الحيوان ـ دلائل شرعية ـ العبيد الآبقين.

١ ـ رسائل إخوان الصفا تعد .... في تنوع موضوعاتها وقضاياها الفكرية والثقافية.
٢ ـ كان لقب .... يطلق على الرجال من سن الثلاثين إلى سن الأربعين في تنظيم إخوان الصفا.
٣ ـ كان .... سببا في هجوم بعض الدارسين على جماعة إخوان الصفا.
٤ ـ كان إخوان الصفا يطلقون لقب .... على الشبان من سن الخامسة عشرة حتى سن الثلاثين.
٥ ـ كان .... من مظاهر الحركة الفكرية في القرن الرابع الهجري.
٦ ـ كان يطلق لقب .... على الكهول من سن الأربعين إلى سن الخمسين في تنظيم إخوان الصفا.
٧ ـ الدليل العقلي هو الذي يعتمد على المنطق وأما .... فهو الذي يعتمد على النصوص المنقولة.
٨ ـ يعتقد الانسان أن الحيوانات البرية قد .... وهربت إلى الغابات والجبال.
٩ ـ قدم خطيب الإنس .... لملك الجن على صدق دعواهم.
١٠ ـ يعتقد الإنس أن جميع الحيوانات عبيد لهم وأن الحيوانات البرية من ....
١١ ـ تعد رسالة إخوان الصفا أصلا من أصول .... في العالم كله.

٥ ـ قدم تعريفا من خلال فهمك للدرس لكل مما يأتي :

١ ـ الجندب هو ....
٢ ـ اليعسوب هو ....
٣ ـ الملحمة هي ....
٤ ـ جزيرة بلاصاغون هي ....
٥ ـ الرعية هي ....
٦ ـ « منطق الطير » هو ....
٧ ـ الجرذ هو ....
٨ ـ « السانح » هو ....
٩ ـ « البارح » هو ....
١٠ ـ الفأل هو ....
١١ ـ التنجيم هو ....
١٢ ـ زجر الطير هو ....
١٣ ـ تبويب الموضوعات هو ....
١٤ ـ الجدليون هم ....

٦ ـ أدخل العبارة التالية في جملة، وبين الفعل الذي جاء منه « أفعل التفضيل » وذلك حسب النموذج :

مثال : أبلغ في المواعظ

قصص الحيوان أبلغ في المواعظ من الكلام المباشر

١ ـ أبين في الخطاب.
٢ ـ أعجب في الحكايات.
٣ ـ أظرف في المسامع.
٤ ـ أغوص في الأفكار.
٥ ـ أحسن في الاعتبار.
٦ ـ أكثر من طاقتها.
٧ ـ أمكر من الذئب.
٨ ـ أقوى من الثعلب.
٩ ـ أوفى من القط.
١٠ ـ أثقل من غيره من الحيوانات.
١١ ـ أضر الحيوانات.
١٢ ـ أنجح الوسائل للوصول إلى الحق.

لاحظ هذه الجمل الواردة في النص :

ـ ثم مضت **السنون** والأعوام على ذلك.
ـ إن الله ـ جل ثناؤه ـ خلق الخلائق كلها في السموات **والأرضين**.
ـ وجعل أطباق السماوات مسكن **العليين**.

★ كلمة « السنون » و« الأرضين » و« العليين » تعامل معاملة جمع المذكر السالم وليست جمع مذكر سالما.
★ هناك كلمات أخرى تعامل معاملة جمع المذكر السالم وليست جمع مذكر سالما منها : العَالَمُون - أولو (أصحاب)، ألفاظ العقود : (عشرون - ثلاثون - أربعون - خمسون - ستون - سبعون - ثمانون - تسعون).

★ تذكّر أن جمع المذكر السالم تكون علامة رفعه الواو وعلامة نصبه وجره الياء.

٦ - حول الأرقام إلى كلمات فيما يأتي :

١ - في المدرسة ٣٠ فصلا، كل فصل به ٢٥ تلميذا.
٢ - هناك شهور معينة في السنة الميلادية تكون ٣٠ يوما وأخرى تكون ٣١ يوما ما عدا شهر فبراير فإنه قد يكون ٢٨ يوما أو ٢٩ يوما.
٣ - الشهر في السنة الهجرية قد يكون ٣٠ يوما وقد يكون ٢٩ يوما.
٤ - كان الممثلون للإنس حوالي ٧٠ رجلا.
٥ - كتاب رسائل إخوان الصفا مكوّن من ٥٠ رسالة.
٦ - هناك ما يشير إلى أن هذه الرسائل كانت ٥١ رسالة ضاعت منها واحدة.
٧ - ألف كتاب رسائل إخوان الصفا بين سنتي ٣٣٤ و ٣٧٣ من الهجرة.
٨ - الطبقة التي تبدأ من ١٥ إلى سن ٣٠ سنة كانت تسمى « الأبرار الرحماء » في تنظيم إخوان الصفا.
٩ - الطبقة بين سن الـ ٣٠ والـ ٤٠ كانت تسمى « الأخيار الفضلاء ».
١٠ - الطبقة التي كانت بين سن الـ ٤٠ والـ ٥٠ كانت تسمى « الفضلاء الكرام ».

٧ - استخدم « إما ...... أو » في الجمل التالية مستهديا بهذا المثال :

إن الله خلق الخلائق كلها وجعلها مسخرة بعضها لبعض، إما لِجَرِّ مَنْفَعَةٍ أو لِدَفْعِ مَضَرَّةٍ عنها :

١ - يُسْتَخْدَم العسَلُ إما .... أو ....
٢ - حَدُّ الشِّبَعِ إما .... أو ....
٣ - يأكل الإنسان إما .... أو ....
٤ - أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه إما لـ .... أو ....
٥ - يَتَنَحْنَحُ المُضِيفُ إما لـ .... أو لـ ....
٦ - يضرب المعلم الصبي إما على .... أو على ....
٧ - يَخْرج الغواص من الماء إما .... أو ....
٨ - يجب عرض المسجونين على القاضي فإما .... أو ....
٩ - ينزل الوحي إما .... أو .... أو .... أو ....
١٠ - يُدَافع الحيوان عن نفسه إما بـ .... أو بـ .... أو بـ ....

٨ - تدريب كتابي :

أعرض وجهة نظر الإنس، ووجهة نظر الحيوان، بأسلوبك في القضية المطروحة بينهما.

من الشعر العربي (١٣)

اقرأ واحفظ

البَهَاء زُهَيْر في العِتَابِ والصُّلْح

(من بحر الهَزَج)

مِنَ الْيَوْمِ تَعَارَفْنَا ... وَنَطْوِي مَا جَرَى مِنَّا

وَلَا كَانَ وَلَا صَارَ ... وَلَا قُلْتُمْ وَلَا قُلْنَا

وَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ ... مِنَ الْعَتْبِ فَبِالْحُسْنَى

فَقَدْ قِيلَ لَنَا عَنْكُمْ ... كَمَا قِيلَ لَكُمْ عَنَّا

كَفَى مَا كَانَ مِنْ هَجْرٍ ... فَقَدْ ذُقْتُمْ وَقَدْ ذُقْنَا

وَمَا أَحْسَنَ أَنْ نَرْجِـــعَ لِلْوَصْلِ كَمَا كُنَّا

الشاعر : شاعر مصري من شعراء الدولة الأيوبية، ومن أرق الشعراء المصريين أسلوبا. مات سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

شروح : **نطوي** : نغلق ـ **ولا كان، ولا صار، ولا قلتم، ولا قلنا** : أي ننسى كل ما حدث بيننا كأنه لم يحدث ـ **بالحسنى** : أي بطريقة حسنة تُبقي المودة قائمة ـ **هَجْر** : فراق وقطيعة بين الأصدقاء أو المحبين.

الـدرس الـخـامـس عـشـر

أبو الحسن الديلمي يكتب في :

شـواهـد مـحـبـة الله تـعـالى لـعـبـده

للتصوف مكانته الأصيلة في التراث العربي الإسلامي، وموضوعاته متنوعة، من أهمها موضوع الحب الإلهي. وقد تطور هذا الموضوع من البسيط، أي من الحب بمعناه البشري العادي، إلى المركب، أي الحب بمعناه الفكري والفلسفي والروحي. وساعد امتزاج الثقافة العربية بغيرها من ثقافات البلاد الإسلامية غير العربية ـ وخاصة الثقافة الفارسية ـ ساعد ذلك على ازدهار البحث في هذا الموضوع حتى أصبح نظرية متشابكة الخيوط، عميقة الأبعاد، هي ما يطلق عليه في التراث نظرية الحب ـ أو العشق ـ الإلهي. وحين تذكر هذه النظرية يذكر معها أسماء المشاهير الذين ابتدعوها وساعدوا على تطويرها، مثل رابعة العدوية، والحلاج، وابن عربي. والنص الذي معنا مأخوذ من كتاب « عطف الألف المألوف على اللام المعطوف » لأبي الحسن الديلمي، وهو كتاب يمثل حلقة ناضجة من حلقات الكتابة في نظرية الحب الإلهي، وعنوانه مثال على لغة الرمز التي يتخذها الصوفية وسيلة للتعبير عن المعاني البعيدة التي يريدونها.

مـداخـل إلـى دراسـة الـنـص

عـن الـكـاتــب :

- هو أبو الحسن علي بن محمد الديلمي (نسبة إلى بلاد الدَّيْلَم).
- ولد حوالي سنة ٣٤٠ هـ (٩٥١ م) ونشأ بمدينة شيراز بفارس، ويعتقد أنه عاش إلى أواخر القرن الرابع الهجري.

- تعلم على يد شيخ من كبار شيوخ الصوفية في شيراز هو أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، وصحبه حوالي عشرين عاما، فتأثر بآرائه وأفكاره تأثرا شديدا، وورث عنه آراءه التي تشبه آراء الحلاج ولكن في اعتدال.
- وبعد وفاة شيخه كشف عن **فضول كبير للمعرفة** وحب للسفر في طلب العلم، فتنقل في بلاد فارس، والعراق، وسورية، وشبه الجزيرة العربية، والتقى بأبرز علماء العصر ومتصوفته، واهتم بتتبع أخبارهم وتسجيل آرائهم، وبخاصة من اشتهر بالعشق منهم.
- أظهر ميلا قويا إلى استخدام الملاحظة والتجربة، كما أظهر حرصا على التعلم من كل ما يتصل به أو يراه - حتى الحيوانات والطيور.
- كان أبو الحسن الديلمي يتمتع بثقافة واسعة، لا في مجال التصوف الإسلامي فحسب، بل وفي العلوم العقلية والفلسفية، والعلوم الدينية والفقهية، والعلوم اللغوية والأدبية، ولكن غلب عليه حب للجانب الروحي الصوفي، فخصص له معظم مجهوده، وكتب فيه أهم مؤلفاته فاشتهر به.
- اتصل الديلمي بكثير من مشاهير العلم في عصره، وبخاصة أبو حيان التوحيدي (الذي أوردنا له نصا في هذا الكتاب) فجالسه، وحادثه، وأعجب ببعض آرائه وأوردها في بعض كتبه.
- يتحلى الديلمي في كتابته بروح الدقة، والحرص على الصحة، ويهتم أعظم الاهتمام بالتجارب الواقعية، وبالنقل عن الآثار المكتوبة للعلماء السابقين، سواء أكانوا من علماء الإسلام أم من علماء الثقافات السابقة عليه. من أهم كتبه كتاب في سيرة حياة أستاذه محمد بن خفيف الشيرازي، وهذا الكتاب مفقود، ولكن بقيت ترجمته وهي فارسية بعنوان « سيرة أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي ». وله كتب أخرى مفقودة يشير هو إليها مثل كتاب « أسرار المعارف ». وأهم كتبه على الإطلاق كتاب « **عطف الألف المألوف على اللام المعطوف** » الذي أخذنا منه هذا النص، والذي نُعَرِّف به فيما يلي تعريفا مختصرا.

عـن الـكـتـاب :

- عنوان هذا الكتاب عنوان رمزي صوفي، فهو يرمز إلى العلاقة بين الله والإنسان، وهي علاقة أُلْفةٍ ومَحبّة واتصال.
- فالألف - في عرف الصوفية - ترمز لذات الله سبحانه وتعالى، فهو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الخالق أصل الحب الحقيقي والجمال الخالص.
- واللام ترمز للوجود الإنساني، أو العالم المخلوق.
- علاقة العشق والمحبة والألفة التي تقوم بين الله الخالق والإنسان المخلوق هي أكمل وأنقى صورة من صور الاتصال والارتباط.
- لكي يقرب أبو الحسن الديلمي فكرة الاتصال هذه إلى الأذهان شبهها بصورة التحام حرفي الألف واللام في الألفبائية العربية. فهذان الحرفان - خلافا لبقية حروف الألفبائية العربية - يرسمان متعانقين وكأنهما حرف واحد، وذلك على النحو التالي : **لا**. ففي هذا الرسم يبدو كل جزء وكأنه يبدأ من حيث ينتهي الآخر، وينتهي من حيث يبدأ الآخر. فبينهما في الصورة نوع من الاتحاد.
- وهكذا تقوم علاقة المحبة بين الله (الألف) الذي يألفه مخلوقه وبين المخلوق (اللام) الذي ينعطف وينجذب نحو خالقه (المألوف) في صورة تكاد تصل إلى نوع من الاتحاد الذي يقول به بعض غُلاة (متطرفي) الصوفية مثل الحلاج.
- يحتمل أن يكون عنوان الكتاب مقتبسا من صوفيين سابقين أمثال الحلاج والتُّسْتُري. فهم الذين أُولِعُوا (أحبوا بشدة) بالبحث وراء استخدام الحروف، وما ترمز له من المعاني الصوفية.
- يشرح هذا الكتاب فكرة « المحبة الإلهية ». فالله يشمل الانسان بالعطف « عطف الألف... على اللام... » فيجعله يميل (ينعطف) إليه، وينشغل به عما سواه. ومع أن الإنسان يرى مظاهر الجمال في الدنيا، ويمارس الحب بمعناه العادي فإنه يعود دائما إلى **أصل الحب** ومنبعه.
- يبدأ الكتاب ببيان الخطة التي سيتبعها المؤلف في تأليفه، ثم يقدم الأدلة على جواز استخدام ألفاظ « **العشق** » و« **المحبة** » بالنسبة إلى الله بحيث يمكن أن يوصف الله بأنه عاشق (يَعْشَقُ النَّاسَ) ومعشوق (يَعْشَقُه النَّاسُ) ومُحِبّ

(يُحِبُ الناسَ)، وَمَحْبُوبٌ (يُحِبُهُ النّاسُ)، وكذلك يقدم الأدلة التي تشرح مزايا **الحُبّ، والمَحْبوب، والمُحِبّ** ويشرح سر (سبب) تسمية الحب (حُبًا) ومعنى الكلمة. وهذه الموضوعات كلها في الكتاب موضوعات تمهيدية (مقدمات).

- يدخل المؤلف بعد ذلك في صميم الموضوع، فيدرس : **أصل المحبة ومبدأها وجوهرها وحقيقتها**، كما يدرس أقوال الناس المختلفة في معنى المحبة وبخاصة عند الأدباء، والصفات الحسنة للمحبة بمعناها الفلسفي والصوفي (المحبة الفكرية والروحية).
- يأتي بعد ذلك في الكتاب أقوال من ذم المحبة (وصفها بصفات سيئة) ويقول الديلمي إن من يفعل ذلك يفعله لسبب عارض (طارئ).أما أصل المحبة، أي المحبة في ذاتها، فلا يمكن أن تذم أبدا.
- القسم التالي لذلك في الكتاب يتحدث عن شواهد المحبة (علاماتها) وهي أنواع منها :

١ ـ شواهد محبة الله لعبده (وهو النص الذي اخترناه هنا).

٢ ـ شواهد محبة العبد لله.

٣ ـ شواهد محبة المتحابين في الله.

٤ ـ شواهد محبة **الخواص** من المؤمنين.

٥ ـ شواهد محبة **العوام** من المسلمين.

٦ ـ شواهد محبة كل ذي روح.

٧ ـ شواهد **كمال المحبة**.

٨ ـ أخبار من **مات** من العشق.

٩ ـ أخبار من **قتل نفسه** من العشق.

١٠ ـ أخبار من مات من المحبين الإلهيين من الأنبياء والأولياء (الصالحين الذين يوالون ـ أي يداومون ملاحظة الله).

- يتصف أسلوب الكتاب بالصفات التالية :

١ ـ السهولة النسبية، وبخاصة إذا عرفنا أنه مر على تأليفه حوالي ألف سنة، وأنه يتناول موضوعا دقيقا متعلقا بفلسفة المشاعر، وبالحياة الروحية للإنسان.

٢ ـ التنسيق الكامل بين أجزائه، والمنهج العلمي السليم في الانتقال المنطقي من المقدمات إلى النتائج، ومن الأسباب إلى المسببات، ومن البسيط إلى المركب، ومن المجمل إلى المفصل.

٣ ـ الشمول واستيعاب جوانب الموضوع الذي يتناوله، وتجميع كل النقاط الممكنة التي تدخل تحت الموضوع المتناول.

٤ ـ التحليل الكامل للعناصر المكونة للموضوع.

٥ ـ حججه الواضحة المدعومة دائما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأخبار الصالحين.

- وأخيرا هذا الكتاب يعد من أهم ما ألف في موضوع الحب الإلهي. وقد طبع مرتين في القاهرة، الأولى في أوائل الستينات من هذا القرن، والثانية التي نأخذ منها هذا النص هي قيد الطبع بالقاهرة بتحقيق ودراسة وترجمة إلى الانجليزية قام بها الدكتور حسن الشافعي والدكتور جوزيف بل.

عــــن الــنــــص :

- موضوع هذا النص « شواهد (علامات) محبة الله تعالى لعبده ». والمؤلف يسلك إلى شرح هذا الموضوع أسلوب « التفصيل بعد الإجمال » وهو أسلوب من أساليب « البلاغة العربية » معروف.
- « يجمل » المؤلف هذا الموضوع في عشر نقاط هي :

١ ـ أن تحبه (أي تحب الله) كما يحبك.

٢ ـ أن يُحَبِّبَكَ إلى إخوانك.

٣ ـ أن يُوفّقَك في أمورك.

٤ ـ أن يَحْمِلَ عَنْك ثِقَل خِدْمَتِك.

٥ ـ أن يُعْطِيك قَدْر حاجتك.

٦ ـ أن يُكْثِر بلاءَك.

٧ ـ أن يُخفِيك ولا يظهرك.

٨ ـ أن يُضَيِّق عليك ولا يسامحك.

٩ ـ أن يُحَسِّن أخلاقك.

١٠ ـ أن يُبَغِّض إليك دنياك.

- يأخذ المؤلف في شرح هذه النقاط، نقطة نقطة ويتبع في شرحه طريقين أحدهما منطقي **عقلي**، والثاني **نقلي** (أي يتبع في شرحه القرآن والحديث، والنصوص الدينية المعتمدة). أما النصوص الأدبية فالاستشهاد بها نادر.
- يكثر المؤلف من الأدلة المأخوذة من الحديث النبوي ومن القرآن الكريم والأحاديث القدسية. (هي التي يرويها النبي (ص) عن ربه وتكون بلفظ النبي) ثم القصص المروية عن الأنبياء والصالحين.
- سبب هذا الحشد الهائل (العدد الكبير جدا) من هذه النصوص الدينية أن يوثق حججه بأدلة لا تقبل الشك، كما أنه يريد أن يقيم أساسا دينيا لهذا الموضوع العاطفي، ويربط بين العقيدة والعاطفة برابطة متينة. وكذلك للرد على من يتهم الصوفية بأنهم يدخلون في الدين آراء ليس لها أساس من تعاليمه.
- يتدرج النص في بيان علامات محبة الله لمخلوقه تدرجا يؤدي في النهاية إلى الوضوح التام، ويكشف عن ثقافة المؤلف الفلسفية وعن اتساع مجاله في الناحيتين الروحية والدينية.
- لغة النص لغة قوية متينة ولكنها بسيطة وليست معقدة، والمعجم السائد فيها (مجموعة الألفاظ) يغلب عليه المصطلح الصوفي (القاموس اللغوي الذي يتردد في لغة البحث في التصوف) وذلك مثل : المحبة ـ النور ـ الاتحاد ـ الفناء ـ الطاعة ـ الهوى ـ القلب ـ الحُسْن ـ الجمال ـ البهاء ـ اللُّطْف ـ الجلال ـ العُبوبية ـ المودّة ـ المُريد ـ الوليّ ـ الحال ـ العفو ـ العتْب ـ الطالب ـ المطلوبُ ـ العبادة ـ اللّذاذة ـ البلاء ـ المِحْنة ـ المُراقبة ـ الخُلّة.
- تتراوح جمل النص بين القصر والطول، كما تختلف فقراته طولا وقصرا. وبعضُ النقاط العشرة التي يقدمها النص تحظى (تنال) بشروح أطول مما تحظى به غيرها. وذلك حسبما يراه المؤلف من حاجة بعض النقاط إلى مزيد من العناية أو مزيد من التأصيل (بيان الأصول) والتوثيق (ضرب الأمثلة والاستشهاد والكشف عن الأساس المنطقي أو الشرعي).
- يعتبر هذا النص واحدا من أهم النصوص التي تناولت موضوع ـ « **المحبة الإلهية** » ـ بالشرح والتحليل، وهو يسهم بذلك في تحديد تلك النظرية الأساسية في الفكر الصوفي الإسلامي، وهي نظرية « **العشق الإلهي** ».

النـــص

في شَوَاهِدِ محبَّةِ اللهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ

أَوَّلُها أن تحبَّه كما يُحِبّك، والثّاني أنْ يحبِّبَك إلى **إخْوَانِك** والثالثُ أن **يُوَفّقك** في **أمورك**. والرابعُ أن يحمِلَ عنْك **ثِقَلَ خِدْمَتِك**. والخامسُ أن يُعْطِيَك **قَدْر حاجَتِك**. والسادسُ أن يُكْثِرَ بَلاءَكَ (اختبارك بالشدائد).

والسابعُ أن **يُخفيَك** ولا يُظهرَك. والثامنُ أن يُضيِّقَ عليْكَ ولا يُسامِحَك. والتاسعُ أن يُحسِّنَ **أخلاقَك**، والعاشرُ أن يُبغِّضَ (يُكرِّه) إليكَ **دُنْيَاك**.

فأمّا قولُنا : تحبُّه كما يحبُّك. فهو أن اللهَ ـ تعالى ـ إذا **ألبسَ عبدَه نورَ محبَّتِه**، نقلَه عن **صفتِه** إلى صفتِه، وأدرَج **نِسبَتَهُ** في **نِسبَتِه فاتَّحَدَ** فحينئذ لا فَرْقَ بيْنَ المحبُوبِ ومُحِبِّه / ولا **انقسامَ** من حيثُ **فَنَاؤُه** بِهِ : فافْهَمْ فهذِه **المحبَّةُ** هي الّتي قَالَ الله ـ تعالى ـ لجبريلَ ـ عليه السلامُ ـ : « **يا جبريلُ إن محبَّتِي هيَ الدليلُ** عَلَيَّ ».

ورُوِيَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ دخلَ عَلَى عَمِّه أبِي طالبٍ وهُو عَليلٌ (مريض)، فقالَ لَه : يا ابْنَ أخِي ادْعُ لِي رَبَّكَ الّذِي تعبدُه **يَشْفِيني. فدعَا لَه** رسول اللهِ ـ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ **فَبَرِئَ** (شفي) مِنْ ساعتِه فقالَ لَه أبو طالب : يا ابْنَ أخِي! أرَى ربَّكَ الّذِي تعبدُه يُطِيعُك. فقالَ : يا عَمِّ وأنْتَ **لَوْ** أطَعْتَهُ **لأطَاعَكَ**. وقالَتْ عائشةُ ـ رضي اللهُ عَنْها ـ لرسولِ اللهِ ـ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ ـ : **إنّي أرَى ربَّكَ** يسارِعُ في **هَوَاكَ** (أي يجيبُك إلى ما تريدُ بدونِ تأخِير). وقالَ بعضُ الحكماءِ : إذَا أرَدْتَ أنْ تَعرِفَ **قدْرَكَ عندَ اللهِ، فانْظُرْ قَدْرَ اللهِ في قَلْبِكَ.**

وأمّا قَولُنا : يُحبِّبك إلى إخوانِك، فلأنَّ المحبَّةَ من اللهِ ـ تعالَى ـ إذَا حلَّتْ في مكانٍ لَطَّفَتْهُ (رقّقته) **وألبَسَتْه من حُسْنِها وجَمَالِهَا وبَهَائِهَا** (أقصى الجمال) **ما يَجْذِبُ القُلُوبَ بلُطفِه، فالقُلُوبُ** تحبّه **لجمالِه**، والعيونُ ترْمُقه (تديم النظر إليه) **لِحُسْنِه، والنُّفوسُ** تَهابُهُ (تخافه) **لجَلَالِهِ** (لعظمته). ولهذَا قالَ ـ عليه السلامُ ـ « خِيارُ **عبادِ اللّهِ** الذينَ إذا رُؤُوا **ذُكِرَ اللّهُ** » وذلكَ أن طُلُوع نورِ ما ألبَسَه **الحقُّ لهمْ** يَجْذِبُ كلَّ مَنْ نظَرَ إليهم إلى اللّهِ.

وقيلَ : إنَّ موسى ـ عليه السلامُ ـ لمَّا رَجَعَ من المُناجَاةِ (كلام ربه في جبل الطور)، لَمْ يَنْظُر إليهِ أحدٌ إلا مَاتَ، فبَرْقَعَ (وضع برقعا أي غطاء) وَجْهَهُ أرْبَعِينَ يَوْما، وذلِكَ بقَدْرِ لُبْثِهِ (إقامته) فِي الطُّورِ فِي **المُناجَاةِ**. ومنْها قولُه ـ تعالى ـ (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)، وقولُه : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا).

وأمَّا قَولُنا : **يُوَفِّقُه** في جميعِ أمُورِهِ، فَلأنَّ المَحْبُوبَ **مُرَادٌ** (مطلوب) والمُرَادُ يتولى **أمرَه مُريدُهُ**، ولأنَّ المحبوبَ مُرَفَّهٌ (منعم) والمُرَفَّهُ **مَحفُوظٌ**. وأيضا فإنّ **المُحِبَّ** يَرْضَى لمحبُوبِه المُستَحْسَنَ المَرْضِيَّ من كلِّ شيءٍ، لأنّه قد تولّى سياستَه، وما أحسنَ حالَ مَنْ كانَ الحقُّ سائسَهُ !

ومِنْ قَوْلِهِ ـ عليهِ السلامُ ـ : « إذَا أحبَّ اللهَ عبدٌ أقلَّ **طمعَه**، ونقَّى ثوبَه وحبَّبَه إلى الناسِ ». وقال ـ عليه السلامُ ـ عن اللهِ : « لا يزالُ عبْدِي يتقرّبُ إليَّ بالنّوافِلِ (العبادات التطوّعيّة) حَتّى أحبَّهُ فإذا **أحْبَبْتُه** كنتُ **قَلْبَهُ** الذي **يَعْقِلُ بِهِ** ويدهُ التي يَبْطِشُ بها (يغلب بها)، وعينَه التي يُبْصِرُ بها، وسمْعَه الذي يسمَعُ به، وكنْتُ له يدًا، ومؤيِّدًا، فإذا صارَ بهذَا النعتِ (الصفة) اعتذَر (الله) لتَقْصِيرِهِ (أي لتقصير العبد) كمَا قَالَ اللهُ ـ

تعالى ـ : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ **فَنَسِيَ** وَلَمْ نَجِدْ لَهُ **عَزْمًا**) ويُقَدَّمُ لَهُ **العفوَ** (المسامحة) **عَلَى العَتْبِ** (اللوم) كَقَوْلِهِ ـ تعالى ـ (عَفَا اللهُ عنكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) **وَيُمْدَحُ** بما لَمْ يَفْعَلْ كقَوْلِهِ : (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) وقَدْ قِيلَ فِي الشِّعْرِ (من بحرِ مخلّع البسيط) :

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوِصَالِ أَهْلًا **فَكُلُّ إِحْسَانِهِ ذُنُوبُ**

وأَمَّا قَوْلُنا : يحمِلُ عنه ثِقَلَ خِدْمَتِهِ، لأنَّ **المُحِبَّ** إذَا فَنِيَ (ذاب في) **بمحبُوبِهِ** لم تَبْقَ له **نفسٌ** ولا **نُفُوسِيَّةٌ** تَجِدُ ثِقَلَ الخِدْمَةِ، وأيضًا فَهُو **مطلوبٌ** والمطلوبُ **مُرَادٌ** والمُرَادُ مَحْمُولٌ مُعَافَى، وأيضًا فإنَّ **المُحِبَّ طَالِبٌ** والطالِبُ مُرِيدٌ والمُرِيدُ مَتْعُوبٌ (يُقَاسِي التعَبَ). ولهذا المعْنَى رُفِعَ مُحَمَّدٌ (إلى السماءِ في ليلةِ الإسْراءِ والمِعْرَاجِ) **ورَأَى رَبَّهُ** ـ تعالَى ـ من غَيْرِ تَعَبٍ، **وصَعِقَ** مُوسَى **وخَرَّ** (سقط على الأرض) **وتَابَ**، (اعتذر عن ذنبه) لأن محمدًا كان مرادًا وموسى مُرِيدًا، ومحمدٌ لَمْ يَطْلُبْ وموسى طَلَبَ، والبلاءُ (المُصيبة) موكَّلٌ (مرتبط) بالمَنْطِقِ، ومِنْها قالَ النبي ـ صلى اللهُ عليه وسلّم ـ لعبدِ الرَّحمن بن سَمُرَةَ : يا عبدَ الرَّحْمَان لا تَسْأَلِ **الإمَارَةَ**، فإنَّكَ إن أَعْطِيتَهَا عن غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا : وإن أَعْطِيتَهَا عن مسألة وُكِلْتَ إليْهَا (تركت بدون مساعدة).

وكانَ أيوبُ السَّخْتِيانِي يقولُ : اللهمّ إن كنتَ أَذِنْتَ لأحدٍ أن يصلِّيَ في **قَبْرِهِ** فَأْذَنْ لِي. فكَانَ أصحابُ الجِصِّ (الذين يستخرجون الجص من الجبل) يقولون : كنَّا إذَا عَبَرْنَا (مررنا) بِقَبْرِهِ في **الأَسْحَارِ** (بعد منتصف الليل) نَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ مِنْ قَبْرِهِ. كلُّ ذلِكَ لَمَّا كانَ يَسْتَلِذُّ **بالخِدْمَةِ** ويَسْتَرْوِحُ (يجد الراحة) إلى **العبادَةِ**. **وقِيلَ إنَّ عامِرَ بْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بَكَى. فَقِيلَ له : ما يُبْكِيكَ ؟ فقالَ : أَبْكِي عَلَى ظَمَإِ الْهَوَاجِرِ** (جمع هاجرة وقت اشتداد الحر) **وقِيَامِ لَيْلِ** الشِّتَاءِ. كلُّ هذَا لأنَّ اللهَ رَفَعَ عنهُمْ **ثِقَلَ الْخِدْمَةِ** وبدَّلهم (منه) وجودَ **اللَّذَاذَةِ لها**.

أمَّا قَوْلُنا : يُعْطِيكَ قَدْرَ حَاجَتِكَ (فـ) لِعِلْمِهِ أنَّهَا تَضُرُّكَ فَيَحْمِيكَ **الفَضْلَ** (الزائد عن الحاجة) مِنْهَا **صِيَانَةً** لكَ، ويُعطِيكَ قَدْرَ حاجتِكَ **شَفَقَةً** مِنه عليك (كما يَحْمِي (يجنب) أحدُكُمْ سَقِيمَهُ (مريضه) الماءَ **والسَّقِيمُ** يَحْتَمِي من فَضْلِ المَاءِ لِعِلْمِهِ أنَّهُ يَضُرُّهُ، وأيضًا فإنّ **المُحِبَّ** يُحِبُّ **لحبِيبِهِ** ما يُحِبّ لِنَفْسِهِ، واللهُ منذُ خَلَقَ **الدُّنْيَا** لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا **بُغْضًا** (كراهية) لَها وقَال ـ عليه السَّلامُ ـ لَوْ عَدَلَتِ الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ ـ تعالى ـ قَدْرَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ، مَا أَعْطَى مِنْهَا **الكَافِرَ** شَيْئًا.

وأَمَّا قَوْلُنا : يُكْثِرُ **بَلاءَهُ ومِحْنَتَهُ**، (فـ) كَيْلَا يَسْتَكِنَّ (يستريح) إِلَيْهَا **غَيْرَةً** مِنه علَيْهِ، ولِتَدُومَ **اسْتِغَاثَتُهُ مِنْهَا** إليه، ولِيَحْرِصَ عَلَى **الخُرُوجِ** مِنهَا **والقُدُومِ** عَلَيْهِ. ومِنْهَا قالَ ـ عليه السلامُ ـ : « **الدُّنْيا سِجْنُ** المُؤْمِنِ **وجنّةُ الكَافِرِ** » لأنَّ المُؤْمِنَ يُرِيدُ الاتِّصَالَ، والدُّنْيا حابِسَتُه والمحبُوس مَسْجُونٌ.

وقَالَ ـ عليه السلامُ ـ « إذا أَحَبَّ اللهُ **عَبْدًا** ابْتَلاهُ (اختبره بالمصائب)، فإذا أَحَبَّهُ الحبَّ البالِغَ **اقْتَنَاهُ** » قِيلَ : وما اقْتَنَاه ؟ قالَ : « يُمِيتُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ **ويُفَرِّغُهُ لِعِبَادَتِهِ** » وقَدْ قِيلَ : يقولُ اللهُ تعالَى : « مَنْ طَلَبَنِي **قَتَلْتُهُ** وَمَنْ أَحَبَّنِي **أَبْلَيْتُهُ** ومن هَرَبَ مِنّي أَحْرَقْتُهُ وقَالَ ـ عليه السلام ـ : « نحنُ معاشرَ الأنبياءِ أكثرُ

النّاسِ **بَلاءً** ثمّ الصالِحُونَ، ثم الأمثلُ فالأمْثَلُ (الأحسن فالأحسن) فمَنْ **ثَخِنَ** (قوى) دينُه ثخِنَ بَلَاؤُهُ ومن رَقَّ (ضعف) رَقَّ بلاؤُه ».

وأمّا قولُنا : يُخْفيهِ عن خلقِهِ، (فـ) لأنَّ **الخَلْقَ** لو عَلِمُوا قدْرَ **محبّةِ اللهِ** لهُ لعبدُوه، **فغارَ الحقُّ عليْهِ** أن يشهرَهُ لخلْقِه، ورفَقَ به أن يُبْلِيَهُ بقبُولِهم لهُ وقالَ ـ عليه السلامُ ـ : « إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُحِبُّ **الأتْقِيَاءَ الأخْفِيَاءَ** الذينَ إذا غَابُوا لمْ يُفْقَدُوا، وإذا حَضَرُوا لم يُعْرَفُوا، **قُلُوبهُمْ** مصابيحُ الدُّجَى، لو أقسَمَ (أحدهم) علَى اللهِ **لأبَـرَّهُ** (أجابه إلى طلبه) وقِيلَ : لو قَسَّمَ **ودَّه** على أهلِ الأرضِ لوسِعَهُم وأَعْلَمَ أن تِلْكَ المصابيحَ في **القلوبِ هي نورُ المحبَّةِ**.

وأمّا قولُنا : يضايقُه **ولا يسامِحُه** (فـ) لأنَّ المُخَالَفَةَ من المحْبُوبِ في **مَشْهَدِ القُرْبِ** أصعبُ مِنها مِنَ **الأجْنبِيِّ في حالِ البُعْدِ**، ولهذا المعْنَى أخْرَجَ آدَمَ من الجنَّةِ بِزَلَّةٍ (غلطة) كانتْ مِنه نَعْمَلُ مِثْلَهَا نَحْنُ فِي اليومِ الواحِدِ أضعافًا ولا نُعَاتَبُ عَلَيْهَا.

و(منه) قَوْلُه تَعَالى : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي : ظَنَّ أَنْ لا نُضَيِّقَ عَلَيْهِ في هَذَا القَدْرِ وَلَا نُؤَاخِذَهُ بِه. كقولِهِ : (وَمَنْ **قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ**) أي مَنْ ضَيِّقَ (**فَلْيُنْفِقْ** مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ).

وأمّا قولُنا : يُحسّنُ **أخْلَاقَهُ**، (فـ) لأنَّهُ يَخْلَعُ عَلَيْهِ (أي يُهْدِيه) مِنْ حُبِّهِ **خِلَعًا** (هدايا) ومِنْ أخلاقِهِ أخْلَاقًا، ويُلْبِسُهُ مِنْ **نُورِهِ** نُورًا، ومنْ **جَمَالِهِ جَمَالًا** ومنْ بهائِهِ **بَهَاءً**، ومِنْ كَرَمِهِ **كَرَمًا**، ومِنْ حِلْمِهِ (صبْرِهِ) **حِلْمًا** ومِنْ **بِرِّهِ بِرًّا** ومنْ سَخَائِهِ (أشد الكرم) **سَخَاءً** وهكذا سائرُ الصفاتِ، فيتخلّقُ بأخلاقِ **اللّهِ ـ تعالى ـ**.

ومِنْها قالَ اللهُ ـ تعالَى ـ لِنَبِيِّهِ ـ عليهِ السلامُ ـ : (وَإِنَّكَ لَعَلَى **خُلُقٍ** عَظِيمٍ) لأنَّهُ تَخَلَّقَ **بأخْلَاقِهِ** اللَّابِسَةِ لَهُ، قَالَ ـ عليهِ السلامُ ـ : « إنَّ لِلَّهِ ثلاثمِائةٍ وسِتِّينَ **خُلُقًا**. من تخلَّقَ مِنْها بواحدةٍ دَخَلَ **الْجَنَّةَ** » كَيْفَ وَمَنْ تَخَلَّقَ الأكْثَرَ أوْ بالْكُلِّ ؟ ومِنْها قالَ ـ عليه السلام ـ « **أحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُم خُلُقًا** » **لأنّه بِقَدْرِ محبّتِهِ لَه يَخْلَعُ** عَلَيْهِ وبِمِقْدارِها يُؤثِّرُ فِيهِ.

وأمّا قَوْلُنَا : يُبَغِّضُ إليهِ **الدُّنْيَا**، (فـ)لأن الدُّنيا بعيدةٌ مِنَ اللَّهِ، والمُحِبُّ لا يُحِبُّ مَنْ أَبْعَدَهُ مِنْ حَبِيبِه، ولأنَّها مَبْغُوضَةٌ إِلَى اللَّهِ، والمَحْبُوبُ يُوافِقُ حَبِيبَه فَيَبْغَضُها **لِبُغْضِهِ لَها**، ومنْهَا قِيلَ : **حقيقةُ المحبَّةِ** أن تُحِبَّ مَا يحبُّه **حَبِيبُكَ** وتُبْغِضَ مَا يُبْغِضُ حَبيبُك.

ورُوِيَ في بَعْضِ الأخْبَارِ أنَّ اللَّهَ ـ تعَالى ـ يقولُ : « استَوْجَبَ المُتَوَكِّلُونَ عَلَى كَمَالِ مَحَبَّتِي ولَيْسَ لذلك **علمٌ** (حـد) **ولا غـايَـةٌ** (نهاية) كلَّما أذَقْتُهُمْ مِنْهَا علمًا رفَعْتُ لَهم منْهَا علمًا لم يخطُرْ على **بالِهِمْ** أولئِكَ الَّذِينَ يَنْظُرونَ إِلَى **الدُّنْيَا** بِنَظَرِي إِلَيْهَا ».

فَهَذا تفسيرُ أبْوَابِ (أنواع) **شَوَاهِدِ مَحَبَّةِ اللَّهِ** ـ تعَالَى ـ لِعَبْدِهِ.

التـــدريـبــات

١ ـ لاحـظ الـتـعـبـيـرات الـتـالـيـة :

- الحب الإلهي (أو العشق الالهي) : اصطلاح صوفي يعبر عن أرقى درجات تعلق المتعبد بالله.
- كشف عن فضول للمعرفة : أظهر حبا للمعرفة.
- الملاحظة والتجربة : الاكتشاف عن طريق الممارسة والاختبار والمراقبة.
- صميم الموضوع : الجانب الأساسي في الموضوع، أو قلب الموضوع.
- شواهد المحبة : علامات الحب.
- محبة الخواص : الطريقة التي يحب بها الطبقة العليا من المتصوفين.
- محبة العوام : الطريقة التي يحب بها عامة الناس.
- يوثق حججه : يقدم البراهين التي تثبت صحة ما يستدل به.
- دعا له فشفي من ساعته : أي شفي في الحال.
- إني أرى ربك يسارع في هواك : ما تريد بلا تأخير.
- كنت له يدا : كنت له عونا.
- من كان الحق سائسه : من يوجهه الله.
- صعق موسى : سقط فاقد الوعي.
- البلاء موكل بالمنطق : المصائب مربوطة بما يقوله الإنسان.
- حضره الموت : جاءت ساعة موته.
- قيام الليل : العبادة أثناء الليل.
- قدر جناح بعوضة : مقدار يسير جدا.
- نحن، معاشر الأنبياء : نحن، أعني بكلامي طائفة الأنبياء
- غار الحق عليه : لم يرض الله أن يكون في قلب العبد مكان لغير الله.
- أثر هواه على طاعة الله : فضل اتباع رغباته الشخصية على طاعة الله.
- آمر بك (إلى النار) : أرسلك إلى النار.
- ذو النون : صاحب الحوت، وهو النبي يونس بن متى، الذي ابتلعه الحوت، وبقي في بطنه مدة طويلة، ثم خرج سليما.
- تخلّق بأخلاق النبوة : يتخذ من أخلاق النبي نموذجا له.

٢ ـ أســئـلـة حـول الـنـص :

١ ـ من هو الديلمي ؟

٢ ـ إلى أي البلاد ينسب ؟

٣ ـ متى ولد ؟ وأين نشأ ؟

٤ ـ على من تعلم الديلمي ؟

٥ ـ كم سنة صحب أستاذه ؟

٦ ـ ما البلاد التي تنقل فيها الديلمي ؟

٧ ـ ما أنواع المعرفة التي حصلها الديلمي في حياته ؟

٨ ـ ما المجال الذي ألف فيه الديلمي كتبه ؟
٩ ـ من أشهر العلماء الذين اتصل بهم الديلمي ؟
١٠ ـ ما الذي تتميز به كتابات الديلمي ؟
١١ ـ ما أشهر الكتب التي ألفها الديلمي ؟
١٢ ـ ما عنوان كتاب الديلمي الذي أخذ منه النص الذي معنا ؟
١٣ ـ ما معنى هذا العنوان ؟
١٤ ـ هل اخترع الديلمي هذا العنوان أو أخذه عن غيره ؟
١٥ ـ ما الفكرة الأساسية التي يشتمل عليها الكتاب ؟
١٦ ـ ما الموضوعات التي يشتمل عليها الكتاب ؟
١٧ ـ ما معنى « الحب »، و« المحبوب »، و« المحب » ؟
١٨ ـ ما الصفات الحسنة للمحبة بمعناها الصوفي ؟
١٩ ـ هل يمكن أن تذم المحبة في ذاتها ؟
٢٠ ـ ما معنى « السبب العارض » ؟
٢١ ـ ما أنواع شواهد المحبة ؟
٢٢ ـ ما الصفات التي يتصف بها أسلوب كتاب الديلمي ؟
٢٣ ـ لماذا يكثر المؤلف من الاستشهاد بالنصوص الأدبية ؟
٢٤ ـ ما موضوع النص الذي معنا من كتاب الديلمي ؟
٢٥ ـ كم عدد النقاط التي يُجْمِلُ (يلخص) فيها هذا النص ؟
٢٦ ـ ما طريقة الديلمي في شرح هذه النقاط ؟
٢٧ ـ لماذا يكثر الديلمي من الاستشهاد بالنصوص الدينية ؟
٢٨ ـ ما نوع ثقافة المؤلف التي يكشف عنها شرحه للنصوص ؟
٢٩ ـ ما نوع المصطلحات العلمية التي تتردد في النص أكثر من غيرها ؟
٣٠ ـ لماذا تختلف فقرات النص الذي معنا قصرا وطولا ؟
٣١ ـ لماذا كان هذا النص من أهم النصوص في شرح نظرية الحب الالهي ؟
٣٢ ـ ما معنى الحديث القدسي الذي يقول : « يا جبريل إن محبتي هي الدليل على » ؟
٣٣ ـ ما الذي طلبه أبو طالب (عم النبي) من النبي حين دخل عليه وهو مريض ؟
٣٤ ـ ماذا قال أبو طالب للنبي ردا على ذلك ؟
٣٥ ـ وما الذي قاله النبي لعمه ؟
٣٦ ـ هل استجاب الله لدعوة النبي لأبي طالب ؟
٣٧ ـ ما الذي حدث للنبي موسى حين عاد من مناجاة (مخاطبة) ربه ؟
٣٨ ـ ما معنى أن موسى « برقع » وجهه ؟
٣٩ ـ ما معنى البيت القائل :

مَـنْ لَـمْ يَـكُـنْ لِلـوِصَـالِ أَهْــلًا فَـكُـلُّ إِحْسَــانِـهِ ذُنُــوبُ ؟

٤٠ ـ لماذا رأى محمد ربه دون تعب في حين صُعِق موسى حين رآه ؟
٤١ ـ لماذا يجب على الإنسان ألا يطلب تولي « الإمارة » (الحكم) ؟
٤٢ ـ لماذا بكى عامر بن عبد القيس لما حضره الموت ؟
٤٣ ـ لماذا يتجنب المريض شرب الماء ؟
٤٤ ـ ما الدليل الوارد في النص على أن الدنيا لا تساوي عند الله شيئا ؟

٤٥ ـ ما معنى الحديث القائل : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ؟
٤٦ ـ ما معنى الحديث القائل : « إذا أحب الله عبدا ابتلاه » ؟
٤٧ ـ ما أنواع عباد الله الذين يبتليهم ؟ وكيف تتحدد مراتبهم طبقا لهذا الابتلاء ؟
٤٨ ـ ما معنى قوله تعالى في وصف النبي محمد : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ؟
٤٩ ـ كيف تكون كراهية الدنيا دليلا على محبة الله للإنسان ؟
٥٠ ـ ما معنى هذه العبارة الواردة في الحديث : « إذا غابوا لم يُفْقَدوا وإذا حضروا لم يُعْرَفُوا » ؟
٥١ ـ ما المقصود بعبارة : « قلوبهم مصابيح الدُجَى » ؟

٣ ـ صواب أو خطأ :

١ ـ « الديلمي » نسبة إلى بلاد الديلم.
٢ ـ ولد الديلمي بمدينة أصفهان.
٣ ـ ليس تاريخ وفاة الديلمي معروفا لنا بالضبط.
٤ ـ تشبه آراء الديلمي في التصوف آراء الحلاج ولكن في اعتدال.
٥ ـ كان الديلمي يكره التنقل ويحب الاستقرار.
٦ ـ اشتهر الديلمي بحب التصوف.
٧ ـ يهتم الديلمي بالتجارب الواقعية، والنقل عن الآثار المكتوبة.
٨ ـ الأصل العربي لكتاب « سيرة أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي » مفقود.
٩ ـ موضوع كتاب « عطف الألف المألوف على اللام المعطوف » الفلسفة الإسلامية.
١٠ ـ للحروف الموجودة في عنوان الكتاب دلالة رمزية.
١١ ـ من يذم المحبة يذمها لسبب عارض وأما أصل المحبة فلا يمكن أن يذم أبدا.
١٢ ـ شواهد المحبة ـ عند الديلمي ـ عشرون نوعا.
١٣ ـ مضى على تأليف كتاب الديلمي حوالي ألف سنة.
١٤ ـ يفتقد كتاب الديلمي التنسيق بين أجزائه.
١٥ ـ لغة كتاب الديلمي صعبة جدا.
١٦ ـ كتاب الديلمي أهم كتاب ألف في موضوع « العشق الإلهي ».
١٧ ـ موضوع النص الذي معنا شواهد المحبة بين الناس.
١٨ ـ يجمل المؤلف شواهد المحبة في عشر نقاط.
١٩ ـ يكثر الديلمي في النص من الاستشهاد بالشعر.
٢٠ ـ لغة هذا النص قوية ولكنها ليست معقدة.
٢١ ـ النص مليء بالمصطلحات الصوفية.
٢٢ ـ تختلف فقرات النص بين الطول والقصر.
٢٣ ـ يكثر في النص الاستشهاد بالآيات القرآنية.
٢٤ ـ إذا أحب الله عبدا حببه إلى إخوانه.
٢٥ ـ محبة الله هي الدليل عليه.
٢٦ ـ يفهم من النص أن أبا طالب كان مسلما.
٢٧ ـ يقال إنه لما رجع موسى من المناجاة لم ينظر إليه أحد إلا مات.
٢٨ ـ النوافل (العبادات التطوعية) تقرب الإنسان من الله.
٢٩ ـ رفع محمد إلى ربه بتعب شديد.

٣٠ ـ من طلب أن يولى الحكم لا يعينه الله عليه.
٣١ ـ قيل إن أيوب السختياني كان يصلي في قبره.
٣٢ ـ بكى عامر بن عبد القيس حين اقترب موته لأنه كان يخاف من الموت.
٣٣ ـ المحب يحب لحبيبه ما يحب لنفسه.
٣٤ ـ المصائب دليل على أن الله يكره الإنسان.
٣٥ ـ الأنبياء أكثر الناس بلاء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل.
٣٦ ـ إذا أحب الله عبدا حسن أخلاقه.
٣٧ ـ أذا أحب الله عبدا جعله يحب الدنيا.
٣٨ ـ يقول بعض الصوفية إن لله ثلاثمائة وستين خلقا.
٣٩ ـ من أدلة محبة الله للإنسان أن يجعله صاحب شهرة وجاه.
٤٠ ـ إذا أحب الله عبدا أجابه إلى طلبه.
٤١ ـ النص المأخوذ من كتاب الديلمي نص طويل جدا.
٤٢ ـ عبارة المؤلف في هذا النص ضعيفة جدا.
٤٣ ـ هذا النص مفيد ولكنه صعب جدا.
٤٤ ـ يكثر في هذا النص الآيات القرآنية والأحاديث القدسية والنبوية.

٤ ـ أكمل الجمل الآتية بما يناسبها من الكلمات التالية :

نقطة ـ أولعوا ـ المقدمات ـ تكشف ـ فضوله ـ المسببات ـ آمر ـ ورث ـ يدي ـ أحسن ـ حيث ـ بغضا ـ كنت ـ معاشر ـ تسأل ـ يسارع.

١ ـ طريقة المؤلف في تناوله الموضوع .... عن ثقافة واسعة.
٢ ـ يشرح المؤلف الموضوع .... نقطة.
٣ ـ تأثر الديلمي بأفكار أستاذه و .... عنه آراءه.
٤ ـ تعلم على .... شيخ من كبار الصوفية.
٥ ـ كان .... دافعا له إلى التعلم من كل التجارب التي مر بها.
٦ ـ الصوفية هم الذين .... بالبحث وراء استخدام الحروف.
٧ ـ أسلوب الكتاب دقيق في انتقاله من .... إلى النتائج ومن الأسباب إلى ....
٨ ـ فحينئذ لا انقسام بين العبد وربه من .... فناؤه به.
٩ ـ إني أرى ربك .... في هواك.
١٠ ـ ما .... حال من كان الحق سائسه.
١١ ـ فإذا أحببته .... قلبه الذي يعقل به.
١٢ ـ لا .... الإمارة.
١٣ ـ لما .... الموت بكى.
١٤ ـ لم ينظر الله إلى الدنيا منذ خلقتها .... لها.
١٥ ـ نحن .... الأنبياء أكثر الناس بلاء.

لاحظ العبارة التالية :

فحينئذ لا انقسام بين العبد وربه **من حيث فناؤه به**.

- « حيث » **ظرف مكان مبهم** (أي غير محدد المعنى) ويجب أن يضاف إلى شيء بعده لكي يأخذ منه تحديد معناه.
- تضاف « **حيث** » إلى الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية.
- في العبارة التي معنا أضيفت حيث إلى جملة اسمية هي : « **فناؤه به** » ومن أمثلة إضافة « حيث » إلى الجملة الاسمية أيضا : « حيث **إنَّ المُتَّهم بريءٌ إلى أن تَثْبُتَ إدانتُه** فمن الواجب أَلا يُعامَل مُعامَلَة المُذْنبين ».

ومن أمثلة إضافة حيث إلى الجمل الفعلية قوله تعالى : « الله أَعْلَمُ حيثُ **يجعلُ رسالته** ».

- تستخدم « حيث » في لغة القضاء في الوقت الحاضر مضافة إلى كل سبب من الأسباب التي يبني عليها القاضي حُكْمَه في قضية ما، فيقال مثلا : « من حيث إن المتهم قد ضُبِطَ في مكان الجريمة، ومن حيثُ إن الشُهوذ قد رأوه ممسكا بالسكين في يده، ومن حيثُ إنّه لم يُقَدِّم شرحا لسبب وجوده في هذا المكان... الخ... الخ، فالمحكمة ترى كذا وكذا ». ولهذا تسمى الأسباب التي يقدمها القاضي لحكمه « **حَيْثِيَّاتُ الحُكْم** ».

٥ ـ أكمل العبارات التالية بما يناسبها :

١ ـ خاصم الحيوان الإنسان من حيث إنه ....
٢ ـ الحيوان أقوى على الدفاع عن نفسه من حيث ....
٣ ـ .... من حيث كونه مؤسس علم الاجتماع.
٤ ـ تعتبر رحلة ابن بطوطة من أشهر الرحلات في التاريخ من حيث ....
٥ ـ .... من حيث عطفت عليه وأرضعته.
٦ ـ .... من حيث اللون والحجم.
٧ ـ .... من حيث تفوقها على لغات البشر.
٨ ـ بلغ به الشبع بحيث أصبح ....
٩ ـ .... بحيث يخيفك ولا يظهر.
١٠ ـ .... بحيث ....

لاحظ التعبيرات التالية :

نحن ـ **مَعَاشِرَ الأنبياء** ـ أكْثَر النَّاس بلاءً.

- الجملة السابقة من نوع ما يسمى « **بأسلوب الاختصاص** ». فقد ورد فيها « ضمير المتكلمينَ » : « نحن » متبوعا بعبارة « **معاشر الأنبياء** » لكي تفسر المقصود بالضمير أو تخصص معناه. نلاحظ أن « معاشر الأنبياء » قد فصلت بين طرفي الجملة وهي : **نحن أكثر الناس بلاء.**

- يرد أسلوب الاختصاص دائما بعد ضمير المتكلم - سواء أكان مفردا أو مثنى أو جمعا - وذلك لتوضيح المقصود بضمير المتكلم إذا كان ذلك ضروريا.
- الكلمة التي تشرح الضمير تكون منصوبة دائما مثل كلمة « معاشر » هنا.
- من أمثلة أسلوب الاختصاص أيضا :

لنا - معشرَ الأنصارِ - مجدٌ مؤثَّلٌ   بإرضائِنا خيرَ البريةِ أحمدَا

(مؤثل : ثابت - أحمد : اسم من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وسلم) نحنُ - معاشرَ الأنبياء - لا نُورِّثُ. ما تركناه صدقةٌ (حديث شريف).

٦ - أكمل العبارات التالية بما يناسبها :

١ - الملاحظة والتجربة أن ....
٢ - محبة الخواص هي ....
٣ - يقال إن موسى يَرْفَعُ وجهه بعد ....
٤ - إذا أردت أن تعرف قدرك عند الله ....
٥ - ما أَحْسَنَ حالَ من ....
٦ - إذا أَحَبَّ الله عبدا ....
٧ - لا تسأل الإمارة فإنك إن ....
٨ - أخرج الله آدم من الجنة لأنه ....
٩ - أحبكم إلى الله ....
١٠ - نرتكب في اليوم الواحد كثيرا من المعاصي ولكن الله ....
١١ - أكتب موضوعا عنوانه : « الحب الإلهي والحب البشري ».

اقرأ واحفظ

الشريف الرضى فى الغزل الرمزى أو "الغزل الصوفى"

(من بحر البَسِيط)

يا ظَبْيَةَ البانِ تَرْعَى فى خَمائِلِهِ ... لِيَهْنِكِ اليومَ أَنَّ القلبَ مَرْعاكِ
الماءُ عندكِ مَبْذولٌ لشارِبِهِ ... وليسَ يُرْوِيكِ إلَّا مَدْمَعِى الباكِى
هَبَّتْ لَنا مِنْ رِياحِ الغَوْرِ رائِحَةٌ ... يَوْمَ الرُّقادِ عَرَفْناها بِرَيَّاكِ
سَهْمٌ أَصابَ ورامِيهِ بِذِى سَلَمٍ ... مَنْ بِالْعِراقِ لَقَدْ أَبْعَدْتِ مَرْماكِ
أَنتِ النَّعيمُ لِقَلْبِى والعذابُ لَهُ ... فَما أَمَرَّكِ فى قَلْبِى وأَحْلاكِ
عِنْدِى رَسائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُها ... لولا الرَّقيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُها فاكِ

الشاعر : الشريف الرضى من بني هاشم ومن أشراف بغداد. اشتهر بالشعر الغزلي الرقيق الذي يحمل مغزى صوفيا. توفي سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٥ م).

شروح : **البان** : من أشجار الصحراء المعروفة بالاعتدال واللين ـ **لِيَهْنِكِ** : أي هنيئا لك ـ **الغَوْر** : الأماكن المنخفضة ـ **ريّاك** : رائحتك الطيبة ـ **ذو سلم** : موضع بالحجاز ـ **أبعدْتِ مَرْمَاكِ** : أي أصبت المرمى من مسافة بعيدة جدا ـ **الرقيب** : يشكو شعراء الغزل في الشعر العربي دائما من « الرقيب » وهو الشخص الذي يراقب المحبين، ويحسب عليهم حركاتهم، ويمنعهم من اللقاء ـ **فـاك** : فمك.

الدرس السادس عشر

خطبة النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع

الخطابة فن عربي قديم، ساعد على ازدهاره في مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام اعتماد العرب على المشافهة، أي التواصل عن طريق الكلمة المنطوقة. كما ساعد على ازدهاره أيضا وجود الحاجة إلى هذا النوع من الخطاب الجماعي في المناسبات التي اقتضتها طبيعة الحياة في هذا المجتمع، مثل الدعوة إلى الحرب (وقد كانت كثيرة الحدوث بين القبائل المختلفة) ومفاوضات الصلح، والقدوم على الملوك والأمراء ورؤساء القبائل لطلب المساعدة، والتفاخر بالقبيلة ومنجزاتها في الأسواق والمحافل الأدبية. وبمجيء الإسلام اكتسبت الخطابة روحا جديدة، إذ أصبحت لسان الدعوة للدين، كما أصبحت ركنا من أركان العبادات الاسلامية كما هو الحال في صلاة الجمعة والعيدين. والخطبة التي معنا هنا قالها النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ولذلك تعتبر أيضا من الحديث النبوي إلى جانب كونها نموذجا لفن الخطابة في التراث العربي.

مداخل إلى دراسة النص

مناسبة النص :

- قيلت هذه الخطبة في حجة الوداع، وهي الحجة التي ودع فيها النبي صلى الله عليه وسلم جموع المسلمين، فقد مات بعدها بقليل.
- كان خروج النبي من المدينة (حيث كان يقيم منذ هجرته إليها) إلى مكة (حيث يوجد البيت الحرام والأماكن المقدسة الأخرى) يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة في السنة العاشرة من الهجرة (٦٣١ م). وقد بلغ مكة في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة.

- وفي اليوم الثامن من ذي الحجة وصل منى في خارج مكة، وفي اليوم التاسع وقف على جبل عرفات (كما تقضي بذلك فريضة الحج) وهناك ألقى هذه الخطبة على جميع من أدوا معه فريضة الحج في ذلك العام.
- يقدر العدد الذي صحب الرسول في رحلته إلى مكة في ذلك العام لأداء فريضة الحج بتسعين ألفا من المسلمين رجالا ونساء. وفي تقدير آخر كانوا مائة وأربعة عشر ألفا. وهذا الوفد الكبير يعكس عظمة قوة المسلمين، واستقرار الإسلام، وسيادته على جزيرة العرب، في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الدعوة الجديدة.
- اتخذ النبي من هذه المناسبة ـ كما كان يفعل دائما ـ فرصة ليعلم المسلمين شعائر الحج وتعاليمه، فقد تنقل في الأماكن المقدسة، وشرح للصحابة ما ينبغي عمله في الحج خطوة خطوة، وأجاب على استفساراتهم.
- في اليوم التاسع من ذي الحجة وقف النبي والمسلمون على جبل عرفة. والوقوف على عرفة هو المناسبة الوحيدة التي يجب أن يجتمع فيها جميع الحجاج معا في مكان واحد أثناء فريضة الحج.
- الوقوف بعرفة أيضا هو ركن الحج الأساسي الذي لا يتم الحج ولا يحتسب للمسلم حجُهُ إلا به. ولذلك يقال : « الحج عرفة ».
- اجتمع لسماع خطبة النبي في ذلك اليوم المشهود عدد لم يجتمع لخطيب من قبله في الجزيرة العربية. ولذلك اتخذت وسائل للإبلاغ والاستماع بعضها يتفق وتقاليد الخطابة المتوارثة عند العرب، وبعضها مستحدث اقتضته المناسبة الفريدة لهذه الخطبة.
- ألقى النبي خطبته ـ كما كان يفعل الخطباء من قبله ـ من فوق ظهر ناقته. ولكي يتمكن جميع الحاضرين من سماع كلامه اتخذ لنفسه « مُبلّغا » هو ربيعة بن أمية بن خلف (والمبلغ شخص يقف على مسافة مناسبة من الخطيب ويردد كلامه لكي يصل إلى الذين لا يسمعون الخطيب مباشرة).
- كذلك تم إلقاء الخطبة مجزأة (أي على أجزاء)، وبطريقة تشبه الحوار أو الأسئلة التي تقدم عليها أجوبة. فمثلا كان الرسول يقول لربيعة بن أمية (المبلغ) : قل : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : « هل تدرون أيّ شهر هذا ؟ »، فيبلغهم ربيعة بن أمية بهذا فيردون عليه قائلين معا : « الشهر الحرام » فيقول النبي : « إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم... إلى آخر ما سيأتي في النص.
- حوت هذه الخطبة تلخيصا لأوامر الدين ونواهيه بصفة عامة، كما قدمت مناهج للسلوك الذي ينبغي للمسلم أن يتبعه في حياته وصلاته بربه وبالناس من حوله. ولذلك فقد اعتبرت ختاما للرسالة التي جاء بها النبي للبشرية.
- في هذه المناسبة نزلت الآية القرآنية : « اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ». وحين سمع أبو بكر الصديق هذه الآية تأكد من أن وفاة الرسول قد اقتربت؛ فما دامت الرسالة قد اكتملت فلا بد أن تكتمل معها حياة الرسول في هذه الدنيا.
- يسمي بعض العلماء ـ للسبب السابق ـ المناسبة التي قيلت فيها هذه الخطبة « حجة الوداع ». لأن النبي ودع فيها المسلمين، فلم يلقهم مجتمعين بعد ذلك أبدا، ويسميها البعض « حجة الإسلام »، لأن الإسلام ـ بها ـ أصبح كاملا تاما، ويسميها البعض « حجة البلاغ »، لأن النبي بلغ فيها ما أمره الله بتبليغه، ولأنه كان يقول في خطبته بعد كل فقرة من فقراتها : « ألا هل بلغت ؟ » وبعد فترة صمت يقول : « اللهم فاشهد ».
- بقي نص الخطبة شفويا يتداول بين الناس كغيره من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلّم وأحاديثه. فلما جاء عصر التدوين دونت هذه الخطبة في كتب الحديث باعتبارها حديثا نبويا، كما دونت في كتب الأدب باعتبارها نموذجا للخطابة العربية.
- وتدرس هذه الخطبة باعتبارها نصا أدبيا لبلاغتها وفصاحتها وأسلوبها في التبليغ والاقناع، وتدرس باعتبارها حديثا نبويا لما فيها من أحكام وواجبات ووصايا دينية.

النص بصفته حديثا نبويا :

- للحديث النبوي معنى اصطلاحي وهو : كل ما قاله النبي عليه السلام، أو فعله، أو أقرّه (وافق عليه).

- وخطبته في حجة الوداع هي أيضا حديث، وذلك لأنها اشتملت على أقوال وأفعال له.
- لذلك **يصدق** عليها ما يصدق على كل نصوص الحديث الشريف.
- والعناية بالحديث النبوي قديمة جدا، ولكن أول محاولة شاملة لتدوينه هي محاولة ابن شهاب الزُهْري (المتوفى سنة ١٢٤ هـ (٧٤١ م))، فقد **عني أشد عناية** بدراسة غزوات الرسول (حروبه في سبيل الدعوة).
- تطورت هذه العناية بالحديث حتى أصبحت علما له أصوله ورجاله ومناهجه. وتفرعت المناهج حتى أصبحت تخصصات متعددة، فهناك ما يسمى **علم السند** (وهو دراسة سلسلة الناس الذين نقل عنهم الحديث حتى وصل إلينا) وهناك **علم المَتْن** (وهو فحص نص الحديث من داخله) وهناك **علم الجَرْح** (وهو يتناول العيوب التي تمنع الثقة براوٍ من رُوَاة الحديث)، **وعلم التَّعْديل** (وهو يتناول الأمور التي تثبت بها عدالة راوي الحديث وتمام الثقة به) وعلم **غريب الحديث** (وهو علم متخصص في شرح الأحاديث الغامضة من حيث ألفاظها ومعانيها).
- ويتشدد علماء الحديث تشددا كبيرا في قبول الروايات المختلفة التي ينقلها الناس عن الرسول أو عن **الصحابة** أو **التابعين** وذلك قبل أن **يُدَوِّنوا** أحاديثهم.
- ونصوص الأحاديث ذاتها تختلف باختلاف الذين نقلوها، فمنها الأحاديث **المتواترة** (التي رواها عدد كثير لا يمكن أن يتفقوا على الكذب) وأحاديث **الآحاد** (التي رواها شخص واحد) والأحاديث **الصحيحة** (التي لم يحدث اضطراب في سلسلة روايتها)، ومنها أيضا الأحاديث **الضعيفة**، وكذلك **الموضوعة (أي المخترعة المكذوبة التي لم يقلها النبي عليه السلام)**.
- **وهناك شروط دقيقة في علم الحديث يصير بها الشخص محدثا** (أي مؤهلا لحمل الحديث وأدائه) وأهمها : **السماع** من أستاذ، **والقراءة** على أستاذ، **والإجازة** (أي التصريح من أستاذ)، **والمراسلة** بين تلميذ وأستاذ، **والوصية** من أستاذ إلى تلميذ، وشروط أخرى كثيرة.
- وهناك كتب خمسة تعتبر أهم كتب الحديث المدونة التي وصلت إلينا وهي كتب : البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي. وبعضهم يجعلها ستة بإضافة كتاب ابن ماجة، أو بإضافة كتاب مالك المسمى الموطأ.

عن النص :

- سبقت الإشارة إلى الطريقة الخاصة التي ألقيت بها هذه **الخطبة**، والتي نتج عنها قيام التحام بين المتكلم والسامع عن طريق إشراك السامع في سياق الحديث، مما يهيئه للاستيعاب، وقد خلع هذا على النص جوا من السلاسة والتدفق.
- يبدأ النص بإشارة خاصة بأن حياة الرسول قد تكون في نهايتها : « **فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا** ». ومن **شأن هذا أن** يجعل النفوس تتحرك وتتعلق **بالقائل** (الخطيب أو المتحدث) **وبالقول** ذاته (الخطبة أو الحديث).
- يدخل الموضوع بعد ذلك في أهم ما يحرص عليه من **حرمة الدماء والأموال** ؟ فقد أعطى الإسلام أبلغ عناية للنفس (الدم) والملكية (الأموال)، وجعلها تتصدر الأمور **المحرمة** (أي التي لا يمكن التسامح في الاعتداء عليها بأي حال من الأحوال).
- يستمر النص في تناول الأمور ذات الخطر (الأهمية) المتصلة بالأموال فيذكر أمرين :
  ١ ـ وجوب أداء الأمانة إلى صاحبها، وهي مسألة ذات أهمية قصوى في الاسلام لدرجة أنها قد ورد فيها آية خاصة في القرآن : « **إنّ الله يأمركُمْ أن تُؤدُوا الأماناتِ إلى أهلِها** ».
  ٢ ـ تحريم الربا تحريما قاطعا (والربا أن تستغل حاجة الآخرين فتقرضهم مالا بالفائدة (أي زيادة على أصل المبلغ الذي اقترضوه).
- وبعد هذا الجزء المهم يعود النص إلى عنصر التأثير النفسي الذي كان قد بدأ به : وهو هذه المرة يحذر من الشيطان (الذي يغري الإنسان بالمعصية) وتأثيره على النفوس، وذلك قبل أن ينهى عن الرجوع إلى أمر كان معمولا به قبل الإسلام هو « النسيء ».

- ويقصد بالنسيء العادة التي جرى عليها العرب في الجاهلية من تلاعبهم بنظام الأشهر. فكانوا يغيرون الأشهر الحرم من عام إلى آخر حسب هواهم وأغراضهم الشخصية.

والأشهر الحرام (أو الحُرُم) هي ذو القِعْدة وذو الحجة ومحرم ورجب. وكان العرب في الجاهلية يحرمون كل أنواع القتال والمنازعات فيها. فيخرجون آمنين لتبادل التجارة وإقامة الأسواق التجارية والأدبية الشهيرة في عكاظ، ومجنة، وذو المجاز. غير أن المصالح الشخصية لبعض رؤساء القبائل كانت لا تتفق مع هذا التحريم. وكذلك كانوا ينقلون التحريم من شهر إلى شهر آخر فيقولون مثلا : هذا العام شهر « المُحَرّم » مباح والشهر الحرام هو « صفر ». وقد عُرِف عملهم هذا باسم « النَّسِيء » أي التأخير. وهو ما ذَمَّه القرآن وعابهم عليه، بل جعله نوعا زائدا من أنواع الكفر، لما فيه من تغيير للشرع من أجل الهوى والرغبة الشخصية.

- جعل النص من تحريم النسيء مدخلا (مقدمة) لترتيب التقويم السنوي **ترتيبا صحيحا**، فحدد الأشهر الحرم تحديدا قاطعا. وسماها بأسمائها ومنع تغييرها منعا باتا، وذلك حتى لا يحدث الخلط والتحايل الذي كان حادثا قبل الإسلام.
- يخصص النص بعد ذلك جانبا كبيرا لموضوع « المرأة في الإسلام » وهذا ليس غريبا « فالنساء » نصف المجتمع.
وقد نظم النص موقف الإسلام مِنْهُنَّ كما يلي :
١ ـ ما على النساء للرجال (واجباتهن).
٢ ـ ما على الرجال للنساء (حقوقهن).
٣ ـ وصية عامة بإحسان معاملة النساء.
- يختتم النص بناحية نفسية شاملة هي التذكير بكتاب الله ووجوب الاستمساك به. وتأكيد تضامن (تماسك) المجتمع الإسلامي، والأخوة الإسلامية، القائمة على أساس العدل الاجتماعي، والابتعاد عن **ظلم الآخرين** الذي هو **ظلم للنفس** في واقع الحال.
- يمتاز هذا النص بسهولة الألفاظ، وذلك لأنه موجه إلى **جماهير** واسعة من مستويات متعددة. وهذا من بين ما يميزه عن النصوص الخطابية التي وصلتنا من عصر ما قبل الإسلام، والتي كانت حافلة بالألفاظ والتعابير الغريبة.
- ويمتاز كذلك بأن أفكاره واضحة، وأسلوبه متين، ونقاطه التي يتناولها متماسكة، فكل نقطة فيه تفضي (تسلم إلى) **تاليتها** دون قلق، وهو يربط بين أجزائه الأساسية بالتركيز على مشاعر المستمعين فيرتبطون بالنص، ويتابعون معانيه، ويستجيبون له.
- يتخلل النص الاستشهاد بالقرآن **بالنص** (حرفيا) أحيانا مثل قوله عند الحديث عن تحريم الربا « **لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** » ومثل « **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا (ليطابقوا) عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ** ». والاستشهاد به بالمعنى أحيانا مثل : «وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فإنَّ الله أَذِنَ لكُمْ أن تهجـروهنّ في المَضاجِع وتضْرِبوهنّ... » فكل هذا شرح وإشارة إلى آيات قرآنية.
- تعتبر خطبة النبي في حجة الوداع من أقدم النصوص النثرية في الإسلام.

النـــص

خُطْبَةُ النَّبِيّ فِي حَجَّةِ الوَدَاع

قالَ ابنُ إسْحَاق :

ثُمَّ مَضَى رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عَلَى حَجِّهِ، فَأَرَى النّاسَ مناسِكَهُمْ، وأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجِّهِمْ، وخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَ فِيهَا ما بَيَّنَ، فَحَمِدَ الله وأَثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا، وكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هذَا، وإنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ ربَّكُمْ، فيسأَلُكُمْ عَنْ أَعْمالِكُمْ، وقد بلَّغْتُ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أمانةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وإنَّ كُلَّ رِبًا **مَوْضُوعٌ** (باطل)، ولكِنْ لكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ ولَا تُظْلَمُونَ. قَضَى اللَّهُ أنَّهُ لا رِبًا، وإنَّ رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كلُّهُ. وإنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الجاهليَّةِ مَوْضُوعٌ، وإنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضَعُ دَمَ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وكانَ **مُسْتَرْضَعًا** في بَنِي لَيْثٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، فَهُو أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ.

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ **يَئِسَ** (فقد الأمل) مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هذِهِ أَبَدًا، ولكنَّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ به مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ : إنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ في الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الذين كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عامًا، **لِيُوَاطِئُوا** (يوافقوا أو يطابقوا) عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ، ويُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وإنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمواتِ والأَرْضَ، وإنَّ عِدَّةَ الشهورِ عندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثلاثَةٌ مُتَوالِيَةٌ، ورَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وشَعْبَانَ. أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فإنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، ولَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لكُم عليهِنَّ أنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أحدًا تَكْرَهُونَهُ، وعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فإنْ فَعَلْنَ فإنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ وتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ **مُبَرِّحٍ** (شديد) فإن انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، واسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا، فإنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ **عَوَانٍ** (جمع عانِيَةٍ وهي الأسيرة) لا يَمْلِكْنَ لأنفسِهِنَّ شَيْئًا، وإنَّكُمْ إنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، واسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ، فاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي، فإنِّي قَدْ بَلَّغْتُ، وقَدْ تركْتُ فِيكُم ما إنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ (تمسّكتم به) فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيِّنًا، كِتَابَ اللَّهِ وسُنَّةَ نَبِيِّهِ.

أيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي واعْقِلُوهُ، تَعَلَّمُنَّ أنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أخٌ لِلْمُسْلِمِ، وأنَّ المُسْلِمِينَ إخْوَةٌ، فلا يَحِلُّ لامْرِئٍ مِنْ أخِيهِ إلّا مَا أعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَظْلِمُنَّ أنْفُسَكُمْ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟

فَذُكِرَ لِي أنَّ النَّاسَ قَالُوا : اللهمَّ نَعَمْ. فقالَ رسولُ اللّهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم : اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

★ ★ ★ ★ ★

قال ابْنُ إسْحَاق : وحدَّثَني يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أبِيهِ عَبَّادٍ قَالَ : كانَ الرَّجُلُ الّذي يَصْرُخُ فِي النَّاسِ بِقَوْلِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ علَيْه وسلّمَ وهُوَ بِعَرَفَةَ، ربيعةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ قَالَ : يقولُ لَهُ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ علَيهِ وسلّم : قُلْ : ياأيُّها النّاسُ، إنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ : هَلْ تَدْرُونَ أيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ فيقولُ لهم، فيقولون : الشهرُ الحرامُ، فيقولُ : قلْ لهم : إنّ اللّهَ قَدْ حَرَّمَ عليْكُمْ دِمَاءَكُمْ وأمْوالَكُمْ إلى أن تَلْقَوْا ربَّكُمْ كَحُرْمَةِ شَهْرِكم هَذَا، ثمّ يقولُ : قلْ : ياأيُّهَا النَّاسُ، إنَّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : هَلْ تَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ قال : فيصرُخُ بهِ، قالَ : فيقولُونَ : البلدُ الحرَامُ، قال : فيقولُ : قُلْ لَهُمْ : إنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وأمْوَالَكُمْ إلى أنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كحُرْمَةِ بلَدِكُمْ هَذا، قالَ : ثمّ يقول : قُلْ : يا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّم يقولُ : هل تَدْرُون أيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قالَ : فيقولُه لَهمْ. فيقُولُون : يومُ الحَجِّ الأكْبَرِ، قالَ : فيقولُ : قلْ لَهمْ : إنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ علَيْكُمْ دماءَكم وأموالَكم إلَى أن تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذا.

التدريبات

١ ـ لاحظ التعبيرات التالية :

بيّن فيها ما بين : يستخدم مثل هذا التعبير بمعنيين، الأول حقيقي وهو شرح الموضوعات التي قصد شرحها، والثاني بلاغي وهو شرح وعبر عن أمور عظيمة.

كل ربا موضوع : كل تعامل وإقراض بالفائدة حرام.

كل دم موضوع : الأخذ بالثأر على طريق الجاهلية باطل.

ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب : أحد أولاد عم النبي.

مما تحقرون من أعمالكم : من الأشياء التي تعدونها يسيرة تافهة.

فاحذروه على دينكم : احترسوا أن يؤثر على دينكم.

رجب مضر : هو الشهر الذي بين جمادى الثانية وشعبان، وهو غير رجب ربيعة وهي قبيلة كانت تحرم رمضان.

عن طيب نفس : عن طيب خاطر، أي عن رغبة وسماح نفس.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما الذي ساعد على ازدهار الخطابة عند العرب ؟

٢ ـ ما المناسبة التي ألقيت فيها خطبة حجة الوداع ؟

٣ ـ متى خرج النبي من المدينة إلى مكة ؟

٤ ـ ومتى وصل إلى منى ؟

٥ ـ أين ألقى النبي ـ عليه السلام ـ هذه الخطبة ؟
٦ ـ كم رجلا خرج مع النبي إلى مكة في حجة الوداع ؟
٧ ـ لماذا سميت هذه الحجة حجة الوداع ؟
٨ ـ علام يدل كثرة عدد المسلمين في حجة الوداع ؟
٩ ـ ما المقصود بشعائر الحج ؟
١٠ ـ يقال « الحج عرفة ». ما معنى هذه العبارة ؟
١١ ـ لماذا اعتبرت خطبة حجة الوداع ختاما لما جاء به النبي ؟
١٢ ـ ما الآية القرآنية الكريمة التي نزلت في هذه المناسبة ؟
١٣ ـ لماذا فهم أبو بكر أن الرسول سيموت قريبا ؟
١٤ ـ لماذا سميت حجة الإسلام ؟
١٥ ـ ولماذا سميت حجة البلاغ ؟
١٦ ـ كيف ألقى النبي هذه الخطبة ؟
١٧ ـ لماذا كان من الضروري أن يكون هناك مبلغ ؟
١٨ ـ من الذي قام بدور المبلغ ؟
١٩ ـ ما الطريقة التي ألقيت بها الخطبة ؟ ولماذا ألقيت هكذا ؟
٢٠ ـ لماذا تدرس هذه الخطبة باعتبارها نصا أدبيا ؟
٢١ ـ ولماذا تدرس باعتبارها حديثا نبويا ؟
٢٢ ـ ما هو الحديث النبوي ؟
٢٣ ـ ما الفرق بين الحديث النبوي والقرآن ؟
٢٤ ـ من أول من اهتم بتدوين الحديث الشريف ؟
٢٥ ـ ما هو علم السند ؟
٢٦ ـ ما هو علم المتن ؟
٢٧ ـ ما هو علم الجرح والتعديل ؟
٢٨ ـ ما علم غريب الحديث ؟
٢٩ ـ ما الفرق بين الصحابة والتابعين ؟
٣٠ ـ من هم الرواة ؟
٣١ ـ ما الفرق بين الأحاديث المتواترة وأحاديث الآحاد ؟
٣٢ ـ ما الفرق بين الأحاديث الصحيحة والأحاديث الضعيفة والموضوعة ؟
٣٣ ـ ما الشروط الواجب توافرها ليصير الرجل محدثا ؟
٣٤ ـ ما أهم كتب الحديث ؟ وما مميزات كل منها ؟
٣٥ ـ لماذا بدأ الرسول خطبته بهذه العبارة : « فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا » ؟
٣٦ ـ ما معنى حرمة الدم ؟
٣٧ ـ ما معنى حرمة الأموال ؟
٣٨ ـ ما معنى أداء الأمانة ؟
٣٩ ـ ما الربا ؟ ولماذا حرمه الإسلام ؟
٤٠ ـ ما النسيء الذي حرمه الإسلام ؟
٤١ ـ ما موقف النبي من المرأة كما يفهم من خطبته ؟
٤٢ ـ كيف ختمت هذه الخطبة ؟

٤٣ ـ بم تمتاز هذه الخطبة ؟

٣ ـ صـواب أو خـطـأ :

١ ـ يأتي الحديث النبوي في مرتبة تالية لمرتبة القرآن الكريم.
٢ ـ حج النبي عليه السلام قبل حجة الوداع مرات كثيرة.
٣ ـ ألقيت خطبة الوداع من عرفات يوم التاسع من ذي الحجة.
٤ ـ كان عدد المسلمين الذين صحبوا الرسول في رحلته للحج أكثر من ثمانين ألفا.
٥ ـ لم تُدَوَّن أحاديث الرسول إلا في القرن الثاني الهجري.
٦ ـ التابعي هو الذي عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم وسمع منه.
٧ ـ « **علم السند** » هو العلم الذي يهتم بدراسة النص من داخله.
٨ ـ « **علم المتن** » هو الذي يهتم بدراسة أحوال الرواة الذين نقلوا الحديث.
٩ ـ الصحابي هو الذي صحب الرسول وسمع منه بعض أحاديثه.
١٠ ـ سميت « خطبة الوداع » بهذا الاسم لأن النبي ودع فيها المسلمين وودع الدنيا بعدها.
١١ ـ أبو بكر الصديق هو الخليفة الأول للمسلمين بعد وفاة الرسول.
١٢ ـ « حجة الوداع » و« حجة الإسلام » و« حجة البلاغ » مسميات لشيء واحد.
١٣ ـ « **علم الجرح** » و« **علم التعديل** » من العلوم ذات الصلة بالحديث النبوي.
١٤ ـ الأحاديث الموضوعة هي الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم.
١٥ ـ شروط التأهيل لرواية الحديث غير وسائل « **التحمل** » ونقل العلم.
١٦ ـ من أهم طرق التحمل السماع والإجازة والقراءة على أستاذ.
١٧ ـ كتاب « الموطأ » كتاب جمع فيه البخاري أحاديث الرسول.
١٨ ـ الربا هو استغلال حاجة الآخرين وإقراضهم مالا يرد بفوائد.
١٩ ـ الشهور الحرام هي الشهور التي يحرم فيها القتال.
٢٠ ـ اهتمت خطبة النبي اهتماما كبيرا بالإحسان للنساء.

٤ ـ ضع كل عبارة مما يأتي في موضعها المناسب :

جبل عرفات ـ مائة وأربعة عشر ألفا ـ شعائر الحج ـ حديث نبوي ـ يصدق على ـ الأحكام الاسلامية ـ حرمة الدماء والأموال ـ أداء الأمانة لأصحابها ـ العدل الاجتماعي ـ الأشهر الحرم.

١ ـ لا بد من الرجوع للقرآن والسنّة لاستنباط .... التي يحتاج إليها المسلمون.
٢ ـ .... فعل الرسول ما يصدق على قوله.
٣ ـ وقوف الحجاج على .... ركن أساسي من أركان الحج.
٤ ـ صحب النبي صلى الله عليه وسلم في رحلته للحج .... من المسلمين.
٥ ـ أهم .... الطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة.
٦ ـ اهتم القرآن بـ .... وقد ذكر ذلك في آية من آياته.
٧ ـ تمتاز خطبة النبي في حجة الوداع بأنها .... وبأنها نص أدبي في الوقت نفسه.
٨ ـ من أهم ما عني به الإسلام .... من أجل حماية المجتمع واستقراره.
٩ ـ .... هي التي حرم فيها القتال، وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم.
١٠ ـ تقوم الأخوة الاسلامية على أساس من .... والابتعاد عن ظلم الآخرين.

٥ ـ أكمل الجمل الآتية :

١ ـ سميت خطبة النبي في حجه خطبة الوداع لأنها ....
٢ ـ ألقى النبي خطبته المشهورة فوق .... وكان ذلك في يوم ....
٣ ـ الذي لا يقف بعرفة في حَجِّه ....
٤ ـ تعد خطبة النبي نصا أدبيا لأنها ....
٥ ـ الحديث النبوي هو ....
٦ ـ أول من اهتم بتدوين الحديث هو ....
٧ ـ علم السَّنَد هو دراسة ....
٨ ـ علم المَتْن هو ....
٩ ـ علم الجَرْح هو ....
١٠ ـ رواة الحديث هم ....
١١ ـ شروط المحدث أن يكون ....
١٢ ـ أهم كتب الحديث المدونة خمسة هي ....
١٣ ـ علم التعديل هو ....
١٤ ـ اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بـ ....
١٥ ـ الربا هو .... وقد وضعه ....
١٦ ـ كان العرب قبل الإسلام يستخدمون النسيء وهو ....
١٧ ـ حقوق النساء على الرجال هي ....
١٨ ـ حقوق الرجال على النساء هي ....
١٩ ـ من كانت عنده أمانة ....
٢٠ ـ إن النساء كالأسيرات لأنهن ....

لاحظ هذا التعبير :

ـ **أمَّا بَعْدُ أيُّهَا** الناسُ **فـ**إنَّ الشيطانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هذه أبدًا.
ـ **أمَّا بَعْدُ أيُّهَا** النَّاسُ **فـ**إنَّ لكم على نسائكم حقًّا ولَهنَّ عَلَيْكُم حَقًّا.
ـ « **أمَّا بَعْدُ** » عبارة تستخدم عادة في الخُطَب وفي الرَّسائل للانتقال من المقدمة إلى صميم الموضوع فيقال مثلا : بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. **أما بعد** فقد بلغني أنه ....
ـ يأتي حرف « الفاء » **دائما** تاليا لعبارة « **أما بعد** ».

لاحظ أسلوب النداء التالي :

أيُّها النَّاسُ : يا أيُّها النَّاسُ
(إذا كانِ المنادىَ فيه « ال » مثل « الناس » توصلت اللغة إلى ندائه بـ « **أيها** » للمذكر و« **أيتُها** » للمؤنث) مثال المؤنث قوله تعالى : يا أيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربِّكِ راضيةً مَرْضيَّةً.

٦ ـ **خاطب بالعبارة الآتية غير الجمع، وغيّر ما يلزم :**

يا أيها الناس. تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعده أبدا.

١ ـ .... المؤمن.

٢ ـ .... المؤمنة.

٣ ـ .... المؤمنان.

٤ ـ .... المؤمنتان.

٥ ـ .... المؤمنات.

لاحظ العبارة التالية :

إن الزمانَ قدِ استدار كهيئتِه يوم **خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ.**

- في العبارة السابقة أضيف ظرف الزمان « يوم » إلى الجملة الفعلية : « خلق الله السموات والأرض ».
- كلمة يوم من الظروف المبهمة أي غير المحدّدة المعنى، ومثلها في ذلك الظروف الزمنية : حين، وقت، ساعة، منذ، لحظة... الخ. والظروف المكانية : حيث، عند، قرب.
- تضاف هذه الظروف إلى شيء بعدها لكي يتحدد-معناها. ما تضاف إليه قد يكون مفردا أو جملة اسمية أو جملة فعلية.
- مثال المفرد : يوم الخميس، وقت الصلاة، ساعة الضحى، منذ عام.
- مثال الجملة الاسمية : يومَ **هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيءٌ.**
- مثال الجملة الفعلية : هذا يوم **ينفعُ الصادقين صدقُهم.**

٧ ـ **حوّل المضاف إليه المفرد إلى جملة فيما يأتي طبقا للنموذج :**

أصحو من نومي ساعة **أذان الفجر.**
أصحو من نومي ساعة **يؤذن الفجر.**

١ ـ خطب النبي خطبة الوداع يوم **الوقوف بعرفة.**

٢ ـ يجب صلاة المغرب ساعة **غروب الشمس.**

٣ ـ صار يوسف أمينا على خزائن الدولة بعد **خروجه من السجن.**

٤ ـ تحين صلاة الظهر عند **زوال الشمس** عن وسط السماء.

٥ ـ يبدأ الصيام عند المسلمين حين رؤية **هلال رمضان.**

٨ ـ **لخص بأسلوبك أهم التعليمات التي وردت في خطبة الوداع.**

من الشعر العربي (١٥)

اقرأ واحفظ

مالكُ بن الرَّيْب في رثاء نفسه
(من بحر الطّويل)

تقولُ ابنتي لمّا رأتْ طولَ رحلتي ... سِفارُكَ هذا تاركي لا أباليا
تذكّرتُ مَنْ يبكي عليَّ فلمْ أجدْ ... سوى السّيفِ والرّمحِ الرُّدَيْنيّ باكيا
أقولُ لأصحابي ارْفعوني فإنّهُ ... يقرُّ لعيْني أنْ سُهيْلُ بدا ليا
فيا صاحِبَيْ رحْلي دنا الموتُ فانزِلا ... برابيةٍ إنّي مُقيمٌ لياليا
أقيما عليَّ اليومَ أو بعضَ ليْلةٍ ... ولا تُعْجِلاني قدْ تبيّنَ شانيا
وقوما إذا ما اسْتُلَّ روحي فهيِّئا ... ليَ السِّدْرَ والأكْفانَ عِنْدَ فَنائيا
وخُطّا بأطْرافِ الأسنّةِ مَضْجَعي ... ورُدّا على عيْنيَّ فضْلَ ردائيا
ولا تحْسُداني باركَ اللهُ فيكُما ... مِنَ الأرْضِ ذاتِ العرْضِ أنْ توسِعا ليا
خُذاني فجُرّاني بِثَوْبي إليْكُما ... فقدْ كنْتُ قبْلَ اليوْمِ صَعْبًا قياديا

الشاعر : من الشعراء الصعاليك، عاش في العصر الأمَوي، ويمتاز شعره بالمتانة وحسن التعبير. قطع الطريق (أي كان لصًا فاتكا يهاجم المسافرين) مدة، ثم قابله صدفة أحد ولاة بني أمية، فعاتبه وأنّبه على أفعاله فندم وتاب، وصحب الوالي إلى خراسان، فأقام بها فترة من الزمن. ثم مرض في مدينة مرو، ولما أحس بدنو الموت قال قصيدته المشهورة التي أخذنا منها الأبيات التي معنا هنا. وقد توفي مالك بن الريب حوالي عام ٦٠ هـ (٦٨٠ م).

شروح : **الرُّدَيْني** : الرمح المنسوب إلى ردينة، والرمح الرديني من أجود أنواع الرماح - **سُهَيْل** : نجم كبير في السماء - **السِّدْر** : شجر النبق، كانت أوراقه تستخدم مع الماء في تغسيل جسم الميت - **أطراف الأسِنَّة** : أطراف الرماح المركب عليها السن (الرماح جمع رمح) - **مضجعي** : مكان نومي، والمقصود هنا القبر - **رُدّا على عينيّ فضْلَ ردائيا**. أي غطياني بالجزء الزائد من ثوبي : والمقصود هنا أن يدفنوه بثوبه دون احتفال أو تعظيم على طريقة الناس، بل على طريقته هو ! - **لا تَحْسُداني من الأرض أن توسعالي** : أي لا تستكثرا عليّ أن تعطوني قطعة أرض واسعة لتكون قبرا لي، أي أنه كان حرا يحب الخلاء الواسع.

الدرس السابع عشر

من « ألف ليلة وليلة » :

أبو محمد الكسلان

الأدب الشعبي ـ أو أدب العامة ـ هو **القسيم** (المقابل) للأدب الرسمي أو أدبِ الخاصة وآداب الأمم جميعًا فيها هذان النوعان.

وقد عَرَفَ التراث العربي الأدبَ الشعبي منذ القديم، فمن العصر الجاهلي وصلتنا حكاياتٌ شعبية عن عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن وغيرهما. ثم **تواترت** (اطردت واستمرت) القصص شعرا ونثرا مثل قصة الأميرة ذات الهمة، والسيرة الهلالية. وبعض هذه القصص له أساس تاريخي، وكثير منه أسطوري خرافي. وكله يمثل روحَ الشعب في لهوه وجده، وفرحه وحزنه، وحياته اليومية، وسخريته وتمرده.

وتعتبر **ألف ليلة وليلة** ـ التي أخذنا منها النص الذي معنا ـ بلا شك أشهرَ كتاب في الأدب الشعبي العربي، بل في الأدب الشعبي العالمي كله.

مداخل إلى دراسة النص

عن القَصص الشعبي :

- يختلف القَصص الشعبي عن القَصص «الرسمي» بأنه **مجهولُ المؤلِّف**، فنحن لا نعرف ـ على وجه التحديد ـ مَن صاحب قصة عنترة بن شداد أو سيف بن ذي يزن مثلا. وهذا يوسع من دائرة انتمائها إلى الشعب، ويفتح المجال للإضافة إليها، و**تحويرها** (التبديل فيها) على نحو واسع.

- والأدبُ الشعبي **حافل** (مليء) بروح الشعب التي تميل إلى المبالغة، والتهويل وبخاصة في ابتكار القصص الخرافية، وقصص السّحر والشياطين، ونسبة الأفعال المُستحيلة إلى الأبطال، بل وإلى الناس العاديين.

- كثيرا ما يكون لأبطال الأدب الشعبي وجود ملحوظ وسابق في أدب الخاصة، أو الأدب الرسمي، فعنترةُ بنُ شداد مثلا، صاحب السيرة الشعبية المتداولة والمعروفة لدى الطبقات الشعبية، هو أيضا البطل التاريخي صاحب المَعلّقَةِ الشعرية الشهيرة، وبطل المعارك التي دارت في العصر الجاهلي بين عبس وذبيان وعاشق عبلة بنت مالك سيد قبيلته. وأبطال الحب العذري العفيف الذين حيكتْ حولَهم الأساطير والقِصص في الأدبين العربي والفارسي (أمثال مجنون ليلى وقيس لبنى وكثير عزة وجميل بثينة) هم أيضا أصحاب قصائد ودواوين شعرية تنسب إليهم في الأدب الرسمي.

- والجانب الشعبي من شخصية البطل أكثر خصوبة في العادة، فعنترة في الأدب الرسمي – على كثرة بطولاته – محدود الصورة وقريب من الواقع. أما في الأدب الشعبي فهو بطل نموذجي متعدد الجوانب، غير محدود القدراتِ تتجمع فيه أحلام الشعب وطموحاته.

- والقسم الشعبي من الشخصية هو القسم الأكثر خصوبة. فشعر الشعراء العذريين (شعراء الحب العذري أمثال مجنون ليلى وكثير عزة وجميل بثينة مثلا) له مستوى أدبي عادي، ولكن قصص العذريين هي التي أكسبتهم شهرة وذلك بما تحتوي عليه من الأساطير الشعبية والخوارق (المستحيلات).

- يستخدم الأدب الشعبي الشخصيات بحريةٍ تامة، ويركز على الطبقات الشعبية من رجال ونساء وأطفال، ولا يعطي للحكام كل هذا التعظيم الذي قد نجده في الأدب الخاص.

- والقَصص الشعبي متحرر كذلك في حياته وفي تطوير أفعاله، فهو يدخل من حادثة إلى حادثة، ويتنقل من شخصية إلى شخصية دون اهتمام بما يسمى «**الحبكة الفنية**» أو «**مَنطقية الأحداث**». وهو بذلك يعطي صورة لحياة الناس ولأحلامهم في الوقت نفسه.

- لغة القَصص الشعبي فصيحة ومبسطة إلى أبعد حد. وهي ركيكة (ضعيفة) إذا قيست بلغة الأدب الرسمي. وهذه البساطة اللغوية تكسبها حيوية بالغة ودفئا يُقرّبانِها من لغة الحديث العادي.

- كثيرا ما يتضمن القَصص الشعبي أشعارا وحِكما وإشاراتٍ إلى أحداث تاريخية وأخرى متخَيّلَةٍ. وهذا يضفي عليه (يكسبه) أبعادا أدبية واسعة.

- تتحرك شخصياتُ الأدب الشعبي في مجال واسع لا يعرف الحدود، وإذا ضاقت بها حدود العالم المعروف مثل الجزيرة العربية وأفريقيا والهند والعراق واليونان مَدت خيالها إلى بلاد أخرى أسطورية، وارتادت الطبيعة التي لم تطأها قدم من قبل (لم تكتشف).

- والقصص الشعبي مَعْرِض حي لمعتقدات الجماهير، ولأزياء طبقات المجتمع، وأذواق الناس في المأكل والمشرب وآداب المائدة وفي مستوى الجمال والقبح، وهو أيضا مرآة لأحلام الشعب وطموحاته ومخاوفه.

- في القَصص الشعبي يعيش **الوهمُ** مع **الحقيقةِ** جنبا إلى جنب، ودون أي إحساس بالقلق أو التناقض.

عن الكتاب :

- لعل كتاب ألف ليلة وليلة (أو الليالي العربية كما يعرف في الغرب أحيانا) من أشهر كتب الأدب الشعبي في العالم، إن لم يكن أشهرها على الإطلاق.

- يقال إنه في الأصل حكايات **هندية** انتقلت إلى **فارس**، وأضيفت إليها بعض حكايات فارسية، ثم انتقلت هذه الحكايات كلها إلى العربية، وأضيف إليها ـ **على مر الأيام** ـ حكايات من بغداد ومصر والشام، كما أضيف إليها نوادر وأشعار من كتب الأدب العربي.
- وربما عاد تاريخ الحكايات البغدادية إلى الفترة الواقعة ما بين القرن الرابع والسادس للهجرة (العاشر والثاني عشر من الميلاد)، والحكايات المصرية إلى القرنين السابع والثامن للهجرة (الثالث عشر والرابع عشر من الميلاد).
- ظل الكتاب مرنًا لم يأخذ صورة نهائية في كل تاريخه، وذلك لخضوعه للإضافة والتعديل المستمرين.
- أول طبعة عربية ظهرت له كانت في الهند : ١٨١٨/١٨١٤ م ثم طبع في مصر سنة ١٨٣٥، ثم في أوربا ١٨٣٨/١٨٢٥ م ثم في جميع أنحاء العالم.
- والكتاب لا يُعرَف له مؤلفٌ **شأنه في ذلك شأن** الأدبِ الشعبي المكتوب كله، ومع ذلك فلا بد أن يكون ـ **بالطبع** ـ هناك من **ألفه** وهناك من رواه، وهناك من **دونه**، وهناك من **عدله وغيّرَهُ**، وهناك من **جمعه وبوّبه**، ولكن **الزمنَ** تجاهل هؤلاء جميعا **وبقي الكتاب**.
- ومن أشهر من ترجمه إلى اللغات الغربية (كليا وجزئيا) جَالاند (١٧١٣) وسكوت (١٨١١) ولين (١٨٤١) وبورتين (١٨٨٥) وليتمان (١٩٢٨) وجابيريللي (١٩٤٩) ـ **ولم تبقَ لغةٌ من لغات العالم** إلا وقد عرفت الآن كتاب ألف ليلة وليلة مترجما إليها.
- منذ أن ترجم الكتاب إلى اللغات الأوربية على نطاق واسع أصبح تيارا **مؤثرا ثابتا** في الأدب الغربي، **فهو يُقتبَس** (يستشهد به) **ويستوحى** (يستلهم ويؤخذ منه) ويختصر، **ويحور** (يغير) ويدخل في أشكال أدبية جديدة، وتعتمد عليه أعمال مسرحية وسينمائية وقِصصُ أطفال **وما أشبه**.
- يشتمل كتاب ألف ليلة وليلة على موضوعات أساسية أهمها :

أ ـ **قِصصُ الخوارق** : وأحاديث السحر والسحرة وأخبار الكنوز والعفاريت والحيوانات التي تخطط وتدبر وتتكلم.

ب ـ **موضوعات دينية** : معظمها إسلامية، واشارات إلى الديانات السماوية الأخرى (اليهودية والنصرانية) وكذلك إلى المعتقدات غير السماوية (مثل المجوسية وغيرها).

ج ـ **قصص الحيوانات** : كقصة الحمار والثور مع صاحب الزرع، وقصةِ الطاووس والطاووسة... الخ.

د ـ **موضوعات اجتماعية** : تمثل الحياة الاجتماعية للطبقة المتوسطة البغدادية، أو الحياةَ الاجتماعية في البصرة، أو في القاهرة. كذلك تصور هذه الناحية الحياةَ الاجتماعية للشطار (المحتالين) واللصوص.

هـ ـ **موضوعات تاريخية** : وأهم قصة تاريخية في الليالي هي قصة هارون الرشيد، وكذلك عُمَرَ النعمان، وهناك إشارات إلى شخصيات تاريخية كثيرة، مثل الأمين والمأمون وعمرَ بنِ عبد العزيز وحاتم الطائيّ وغيرهم.

و ـ **موضوعات تعليمية** : مثل قصص الجواري العالمات، وقصص المواعظ المنتشرة في كل جوانب الكتاب.

- ويمكن أن نقوم بتقسيم آخرَ لمادة الكتاب فنقول إن فيه :

١ ـ قَصص الحب ٢ ـ قصص الجريمة ٣ ـ قصص الرحلات ٤ ـ القَصص الخرافي ٥ ـ القصص التعليمي.

- ففي الجانب الأول نجد محبين من **الفرس** (تاج الملوك ودنيا والحداد والمغنية، واردشير وحياة النفوس) ومن **التاريخ العربي** المتلمس وأميمة وعدى بن زيد وهند) ومن **بغداد** (نورَ الدين وأنيس الجليس وعلي بن بكار وشمس النهار) ومن **مصر** (ابراهيم وجميلة)... الخ.

- وفي الجانب الثاني نجد قصة التفاحاتِ الثلاثِ، واللصِ والتاجِرِ وغيرهما.

- وفي الجانب الثالث نجد السندباد ورحلاته السبع وعبد الله البري وعبد الله البحري وأبو صِيرِ وأبو قِيرِ، وغيرَ ذلك.

- وفي الجانب الرابع نجد قصة علاء الدين والمصباح السحري، وغيرَها.

- وفي الجانب الخامس نجد مدينة ارم ذاتَ العماد وطائر الرخ وغيرَهما.

- وبالإضافة إلى كل ذلك يوجد في الكتاب كثير من الهزل، وصوَر لمجالس اللهو والشراب، وهو حافل بالكلمات والمشاهد الجنسية الصريحة.

- والأسلوب القَصصي العام في كتاب ألف ليلة وليلة يتلخص في أن القصة الأصلية تبدأ، وتستمر قليلا، ثم تتفرع منها **قصة جانبية**، وتستمر، ثم تتفرع من هذه القصةِ الثانية قصة جانبية ثالثة، ولكنَ **الاطار العام** للقصة الأصلية في كل ذلك لا ينسى، فبعد أن تنتهي كل القِصص الفرعية، يعود **مجرى الحديث** إلى القصة الأصلية. لتصل إلى ختامها ثم تنشأ قصة أصلية جديدة وهكذا.

- ويعتمد تقسيم الكتاب إلى ليالِ على عنصر التشويق، وعادة تنتهي الليلة عند نقطة تجعل النفسَ **تتطلع** إلى تَكمِلةِ القصة بشدة، ولكن الراوية (شهرزاد) تؤجل البقية إلى الليلة التالية.

- وبطلة القصة الأساسية ـ كما هو معروف ـ شهرزاد ـ ذاتُ الصيت ـ والملك شهريار ـ الأقل شهرة ـ فشهريار ـ الذي خانته زوجته الأولى ـ أصبح حاقدا على كل النساء، ونشأت عنده رغبة شاذة في الانتقام منهن جميعا، فهو يتزوج فتاة يبيت معها ليلة واحدة ثم يقتلها في الصباح. طلبت شهرزاد من أبيها الوزيرِ أن يقدمها زوجةَ للملك، وألحت عليه فاضطر إلى القبول. كان لدى شهرزاد خطة لوقف هذه المَذبحة التي يقوم بها الملك لبنات جنسها، وقد استعانت على ذلك بما لديها من كنز لا يفنى من القصص والحكايات الغريبة. في الليلة الأولى بدأت قصة ثم توقفت ـ مع الفجر ـ عند نقطة مشوقة منها، ووعدت بإتمامها في الليلة التالية. وفي الليلة التالية فعلت ما فعلته في الليلة السابقة وهكذا. والملك في كل ذلك حريص على سماع بقية القصة أكثرَ من حرصه على استمراره في عملية الانتقام. لقد تحول شهريارُ الملك ـ بالفن ـ من سفاح أعماه الأخذ بالثأر إلى مستَمع يدمن الاستماع إلى الأدب.

- في حالات قليلة جدا تخرج **الرّاوية** عن السياق القصصي فتتحدث إلى الملك (شهريار) في عبارة غير قَصصية (دعاء له أو شرح لبعض الأشياء) أو تتحدث إلى أختها التي كانت تجلس معهما حول الموضوع، ولكنها في **الأغلبِ الأعم من الوقت** (في معظم الوقت) تعيش داخل القصة.

- وطريقة **السرد القصصي** هي الطريقة الغالبة على الكتاب، وشهرزاد تبدو محايدة لا تتدخل في سير القصة، ولا تنصر شخصا على شخص أو فكرة على فكرة.

- وتوزيع القَصص على الليالي ليس توزيعا متساويا، فبعضُ الليالي طويل تستوعب قدرا كبيرا من القصة، وبعضها يشتمل على أكثر من قصة قصيرة، وبعضُها قصير لا تَحكي فيه شهرزاد سوى قدر قليل من القصص.

- واللغة في الكتاب متعددةُ المستويات، ففيها الكلماتُ العامية، وفيها الكلمات الفصيحة، وفيها الكلمات التي تحمل ظِلالا محلية، وفيها الأشعارَ والأمثال والحكم المقتبسة، ولكنها في **نسيجها** (تركيبها) العام لغة بسيطة، تعكس **صورة صوتية** لحياة الشعب اليومية في البيئة التي تحْكِي عنها، سواء أكانت بغداد أم القاهرة.

عن النـــص :

- يبدأ النص المختار لهذا الدرس من كتاب ألف ليلة وليلة ـ النسخة المصرية ـ من بداية الليلة الأولى بعد الثلاثمائة، ويمتد في الليلتين الثانية والثالثة.

- وهذا النص نموذج يمثل الكتاب تمثيلا صحيحا، ففيه شخصيات مهمة تتردد في الليالي مثل هارون الرشيد، وفيه إلى جانب ذلك تمثيل لطبقة التجار (الشيخ أبو المظفر) وتمثيل للطبقات الشعبية (أبو محمد الكسلان وأمه وآخرون)، وفيه جو السحر والخوارق الذي هو **محور** (ركن مهم) من المحاور الأساسية في الليالي.

- النص الذي معنا بكامله هو في الواقع قصة فرعية تقع ضمن قصة أوسع منها، وهما معا يقعان ضمن قصة أوسع، كما تتفرع من النص الذي معنا أيضا قصص جانبية.

- ومع أن القصة التي يحكيها النص تقع ضمن قصص **الخوارق**. فإن فيها حسا اجتماعيا واضحا وهدفا تعليميا وتربويا أيضا. فالتاجر الكبير يعطف على الفقراء، ويقبل أن يجلب لهم (يحضر معه من أسفاره) ما يتاجرون به وينمون به مالهم القليل، ومحمد الكسلان لا تتحسن حاله إلا بعد أن يتغلب على كسله، ولو بالرغم عنه، فيسعى إلى طلب رزقه والجد والاجتهاد في العمل.

- يخرج التجار في الحكاية من أزمة إلى أزمة، ويتطور الحدث تبعا لذلك من عقدة إلى حل ومن حل إلى عقدة. والمعلومات تقدم للقارئ في خلال كل ذلك في حرية تامة (انظر الكلام على القبائل التي تأكل لحوم البشر مثلا).

- تتدرج القصة نحو الخوارق مباشرة في حديث القرد، حين ينطق بلسان فصيح معترفا لصاحبه بأنه ليس قردا في الحقيقة وإنما هو مارد (شيطان) من الجن. وتكون ذروة الخوارق في موضوع الطلسم الذي كان يحرس الفتاة من المارد (الذي هو القرد في الحقيقة) ولا يفك الطلسم إلا بذبح الديك الذي كان يحرس هذا الطلسم.

- تتخلل القصة أشعار بسيطة ذات دلالة مهمة على الأفكار التعليمية التي تهدف إليها القصة، فالنص الشعري الوارد هنا يعكس ظاهرة اجتماعية هي **الإعلاء** (الرفع) من شأن المال.

- تنتهي القصة بالاعلان عن مغزاها (هدفها) الأخلاقي، وهو أن **الجميل** (صنع المعروف) لا يضيع حتى لو كان في الجن ـ **فكيف به** (فما بالك) إذا صنع في الإنسان !

- كتب النص بعبارة واضحة. ولغته فصيحة ولكنها قريبة جدا (في روحها) من لغة الناس التي قد نستمع إليها في الحياة العادية. ولا شك أن الحوار الذي يجري على لسان الشخصيات في بساطة **وعفوية** (دون تكلف) هو الذي يساعد على جعل هذه اللغة أشبه **بصورة صوتية** (حكاية مسموعة) لما يمكن أن يحدث في الحياة.

- يساعد على **إضفاء** البساطة على اللغة أسلوب السرد المباشر الذي يتنقل في الأمكنة والأزمنة بحرية؛ فقد انتقل بنا النص من البصرة إلى الصين، مارا بالبحار والجزر، وعارضا حياة المقيمين والمسافرين، ومقدما ـ في خلال ذلك ـ شتى الأفكار والانطباعات، والصور والعادات.

- وفي هذا النص مجموعة من اللوازم (العبارات المتكررة) والكلام الحكمي (المأثور) نذكر منها :

أ ـ «**بلغني أيها الملك السعيد**» (وهي عبارة تفتح بها شهرزاد الحكاية كل ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة).

ب ـ «حديثي عجيب وأمره غريب، لو كتب بالإبر على آماق (أحداق) البصر لكان عبرة لمن اعتبر» (وهو تعبير يرد كثيرا في الليالي ليشيع جوا من التشويق واللهفة على سماع ما سيأتي من القصة).

ج - «وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح» وهي عبارة تتكرر في ختامِ كلِّ ليلة من الليالي - وقد أصبحت رمزا في الأدب العربي على قطع كل حديث قبل أوانه - والنفوس مشتاقةٌ إلى استمراره.

- يلاحَظ أن النص المختار ينتهي في منتصف جملة لغوية، وذلك تمشيا مع طبيعته ذات النهاية المفتوحة، وأسلوبه القصصي القائم على التشعّبِ (التفرّع) الذي يوْحي بالامتداد إلى ما لا نهاية.

النـــص

فلمّا كَانتْ الليلةُ الأُولى بَعد الثّلاثِمائة

قالت بَلَغَنِي أيُّها المَلِكُ السَّعيد أن أبا محمد الكَسْلانِ، قال للخليفة يا أميرَ المُؤْمنين، اسمع حديثي، فَإنه عجيب، وأمْرُه غَريب، لو كُتِبَ بالإبَر على آماقِ (جانب العين من جهة الأنْف) البَصَرِ، لكان عِبْرَةً لِمَن اعْتَبر. فقال الرَّشيد حَدِّثْ بما عِنْدَكَ، وأَخْبِرني به يا أبا محمد فقال : اعْلَم يا أميرَ المؤمنين - أَدَامَ اللّهُ لك العِز والتمكين - أَنّ أخْبَارَ النَّاسِ بأني أُعْرَف بالكسلان، وأن أبي لم يُخَلِّفْ لي مالا، صدَقٌ؛ لأن أبي لم يَكُن إلا كما ذكرت، فإنهُ كان **حَجَّاما** في حَمَّامِ (الحَجَّام : مَنْ حرفته الحجامة، وهي امتصاص الدم من المريض لعلاجه وذلك بعملِ قَطْعٍ في أحد العروق). وكنتُ وأنا في صِغَري أكسَلُ من يُوجَد على وَجْه الأرضِ. وبَلَغ من كَسَلي أنّي إذا كُنْتُ نائما في أيام الحرِّ وطلعتْ عليّ الشمسُ أكسَلُ عن أن أقُومَ وأنْتَقِلَ من الشَّمْسِ إلى الظِّل. وأقمتُ على ذلك خمسةَ عشرَ عاما. ثم إن أبي تُوُفِّي إلى رحمة الله تعالى، ولم يُخلِّفْ شيأ. وكانت



وكانت أمي تخدم الناس، وتطعمني وتسقيني وأنا راقد على جنبي.

أمّي تَخدمُ الناسَ، وتُطعِمُني، وتَسقِيني، وأنا راقد على جنبي **فاتُّفِق** (تصادف) أنّ أمي دخلت عليّ في بعض الأيّام، ومعها خمسةُ دراهمَ من الفضة، وقالت لي : يا ولدي، بلغني أن الشيخ أبا المُظَفَّر عزم على ان يسافر إلى الصين، وكان ذلك الشيخُ يحب الفقراءَ، وهو من أهلِ الخير، فقالت أمي يا ولدي، خُذْ هذه الخمسةَ دارهـمَ، وامْض بنا إليه، ونسألُه أن يشتريَ لك بها شيئا من بلاد الصين، لعله يَحْصُلُ لك فيه ربحٌ من فضل الله تعالى، فكسِلْت عن القيام معها، فأقْسمتُ بالله إنْ لم أَقُم معها أنّهَا لا تُطعِمّني، ولا تَسقِيني، ولا تدخل عليّ، بل تَترُكُني أموتُ جوعا وعطشا. فلما سمعتُ كلامَها يا أميرَ المؤمنين علمتُ أنها تفعلُ ذلك لمَا تَعْلَمُ من كَسَلي، فقلت لها : أَقْعِديني فأَقْعَدتْني، وأنا باكِي العينِ، وقلت ائتيني **بمَداسي** (ما يلبس في الرجل من خف وحذاء)، فأَتَتني به فقلت : ضعيه في رِجْلَيّ، فوضعته فيهما، فقلت لها احمِليني حتى ترفَعِيني من الأرض، ففعَلَتْ ذلك، فقلت إسْنِديني حتى أمشي، فصارت تَسنِدني، وما زلت أمشي، **وأتعثّر في أذيالي** (نهاية أثوابي) إلى أن وصلْنا إلى ساحلِ البحر، فسلّمْنا على الشيخِ، وقلت له : يا عمّ أنت المُظَفَّر قال : **لبَّيْك** (نعم) قلت خذ هذه الدراهم واشترِ بها إليّ شيئا من بلادِ الصين، عسى الله أن يُرْبِحَني فيه، فقال الشيخ أبو المظفر لأصحابه أتعرفون هذا الشابَّ ؟ قالوا نعم هذا يُعْرف بأبي محمدِ الكسلان، وما رأيناه قَطُّ خرج من داره إلا في هذا الوقت، فقال الشيخُ أبو المظفر : يا ولدي هاتِ الدراهمَ على بركة الله تعالى. ثم أخذ مني الدراهم وقال : بسم الله، ثم رجعت مع أمي إلى البيت، وتوجّه الشيخُ أبو المظفر إلى السفر، ومعه جماعة من التجار، ولم يَزالوا مسافرين، حتى وصلوا إلى بلاد الصين. ثم إن الشيخَ باع واشترى، وبعد ذلك توجّه إلى الرجوع هو ومن معه بعد قضاء أغراضهم، وساروا في البحر ثلاثةَ أيّام فقال الشيخُ لأصحابه : قِفوا بالمركَب، فقال التجار : وما حاجتُك فقال : اِعلموا أنّ الرسالةَ التي معي لأبي محمد الكسلان نسيتُها، فارجعوا بنا حتى نشتريَ له شيئا ينتفع به، فقالوا له : سألناك باللّه تعالى أنْ لا تردَّنا، فإننا قطعنا مسافةً طويلةً زائدةً، وحَصَل لنا في ذلك **أهوالٌ** (مخاطر وصعوبات) عظيمة ومَشقَّة زائدة فقال : لا بُدَّ لنا من الرجوع فقالوا : خُذْ منّا أضعافَ ربحِ الخَمسةِ دراهمَ ولا تَرُدَّنا، فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلا، ثم ساروا حتى أشرفوا على جزيرةٍ فيها خَلْق كثير فأَرْسَوْا عليها، وطلع التجارُ يشترون منها مُتَّجَرًا من معادنَ وجواهرَ ولؤلؤٍ وغيرِ ذلك، ثم رأى أبو المظفر رجلا جالسا وَبيْنَ يديْه قرودٌ كثيرة، وبينهم قرد منْتُوفُ الشّعر. وكانت تلك القرودُ كلما غفَل صاحبُهم يُمْسِكون ذلك القردَ المنتوف، ويضربونه، ويرْمُونه على صاحبهم فيقوم يضربهم ويُقَيِّدهم ويعذِّبهم على ذلك فتغتاظُ القرودُ كلُّها من ذلك القردِ، ويضربونه. ثم إن الشيخَ أبا المظفر لما رأى ذلك القردَ حزُن عليه، ورفَق به، فقال لصاحبه : أتبيعني هذا القرد قال : اشْترِ قال : إن معي لِصَبِيٍّ **يتيم** (من مات أبوه) خمسةَ دراهمَ هل تبيعني إياهُ بها ؟ فقال



له : بِعْتُك بارك الله لك فيه، ثم تسلَّمه وأقْبَضَه الدراهمَ، وأخذ القردَ عَبيدُ الشيخ، وربطوه في المركب، ثم حلُّوا وسافروا إلى جزيرة أخرى، فأرْسَوْا عليها، فنزل الغطَّاسون **الذين يغطِسُون على المعادن واللؤلؤ والجَوْهر وغير ذلك**، فأعطاهم التّجارُ دَراهمَ أجرةً على الغِطَاس، فغطسوا، فرآهم القردُ يفعلون ذلك، فحَلَّ نفسَه من رِبَاطِه، ونطَّ من المَرْكب وغطَس معهم فقال أبو المظفر : لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللّه العليِّ العظيمِ، قد عُدِم القردُ منا بِبَخْت هذا المسكين الذي أخذناه له، ويَئِسُوا من القرد. ثم طَلَعَ جماعةُ الغطاسين وإذا بالقرد طلع معهم، وفي يديه نفائس الجواهِر، فرماها بين يَدَيْ أبي المظفر، فتعجَّب من ذلك، وقال : إن هذا القردَ فيه سِرٌ عظيم. ثم حلوا وسافروا، إلى أن وصلوا جزيرةً فيها قومٌ يأكلون لحمَ بني آدم. فلما رأوهم رَكِبُوا عليهم في القوارب، وأتَوْا إليهم، وأخذوا كلَّ من في المَرْكَب، وكتَّفوهم وأتَوْا بهم، إلى الملك فأمرهم بذَبْح جماعة من التّجارِ، فذبَحُوهم، وأكلوا لحومَهم. ثم إن بقيةَ التجارِ باتوا محْبوسين، وهم في نَكَدٍ عظيم. فلما كان وقتُ الليل قام القردُ إلى أبي المظفر، وحلَّ قيدَه. فلما رأى التجار أبا المظفر قد انحَلّ قالوا عسى الله أن يكون خلاصُنا على يديك يا أبا المظفر، فقال لهم : اعلموا انه ما خلصَني بإرادة الله تعالى إلا هذا القردُ وأدْرَك شهرزاد الصباح، فسكتتْ عنِ الكلام المباح.

فلما كانت الليلةُ الثانيةُ بعد الثلاثِمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد، أن أبا المظفر قال : ما خلَّصني بإرادة الله تعالى إلا هذا القردُ، وقد خَرَجْتُ له عن (تنازلت عن) ألفِ دينار. فقال التجار : ونحن كذلك كلُّ واحدٍ منا خرج له عن ألفِ دينار إنْ خلَّصَنا فقام القرد إليهم، وصار يَحُلُّ واحدًا بعدَ واحد، حتى حَلَ الجميعَ من قيودِهم، وذهبوا إلى المَرْكَب، وطلعوا فيها. فوجدوها سالمةً، ولم يَنْقُص منها شيء. ثم حَلوا وسافروا، فقال أبو المظفر : يا تُجَّارُ أوفُوا بالذي قلتم عليه للقرد فقالوا : سمعا وطاعة، ودفع كل واحد منه ألفَ دينار وأخرج أبو المظفر من ماله ألفَ دينار فاجتمع للقرد من المال شيءٌ عظيم. ثم سافروا حتى وصلوا إلى مدينة البَصْرة، فتلقَّاهم أصحابُهم، حتى طلعُوا من المركبِ، فقال أبو المظفر : أين أبو محمدٍ الكسلانَ ؟ فبلغ الخبرُ إلى أمّي، فبينما أنا نائم إذْ أقبلَتْ عليّ ـ أمي وقالت : يا ولدي إن الشيخ أبا المظفر قد أتى ووصل إلى المدينة، فقُمْ وتوجَّهْ إليه، وسلِّمْ عليه، وَاسْأَلْهُ عن الذي جاء به لك : فلعل اللهَ تعالى يكون قد فتح عليك بشيء، فقلتُ لها احمليني من الأرض واسْنِديني حتى أخرجَ وأمشِي إلى ساحل البحر. ثم مشيت وأنا أتعثَّرُ في أذيالي، حتى وصلتُ إلى الشيخ أبي المظفر، فلما رآني قال لي أهلا بمن كانت دراهمُه سببا لخَلَاصِي، وخلاصِ هؤلاء التجارِ بإرادة الله تعالى. ثم قال لي : خُذْ هذا القردَ فإني اشتريتُه لك، وامض إلى بيتك حتى أجيءَ إليك فأخذت القرد بين يديّ، ومضيت وقلت لنفسي : واللهِ ما هذا **إلا متْجَرٌ** (بضاعة يتاجر فيها) عظيم : ثم دخلت بيتي، وقلتُ لأمّي كلَّما أنامُ تأمريني بالقِيام لِأتَّجر، فانظري بعينِكِ هذا المُتَّجَرَ، ثم جلستُ فبينما أنا جالس، وإذا بعَبيد أبي المظفر قد أقْبلوا عليّ وقالوا لي : هل أنتَ أبو محمدٍ الكسلان ؟ فقلت لهم : نعم وإذا بأبي المظفر أقبل خَلْفَهم، فقمتُ إليه وقبَّلْتُ يديه وقال لي : سِرْ معي إلى دارِي، فقلت سمعًا وطاعةً، وسِرْتُ معه إلى أن دخلتُ الدارَ فأمر عبيدَه أن يحْضُروا بالمال، فحضروا به فقال : يا ولدِي، لقد فتح اللهُ عليك بهذا المالِ من رِبْح الخَمْسَةِ

دراهم، ثم حملوه في صناديقه على رُؤوسهم، وأعطاني مفاتيحَ تلك الصناديق وقال لي : امْضِ قُدَّامَ العبيد إلى دارك فإن هذا المالَ كلَّه لك، فمضيتُ إلى أمّي ففرحَتْ بذلك، وقالت : يا ولدي لقد فتح اللهُ عليك بهذا المالِ الكثير، فدعْ عنك هذا الكسلَ، وانزلْ السوقَ، وبعْ واشْترِ، فتركْتُ الكسل وفتحتُ دكّانا، في السوق وصار القردُ يجلسُ معي على **مرتبتي**، فإذا أكلتُ يأكلُ معي، وإذا شربتُ يشرب معي. وصار كلَّ يوم من **بُكْرَةِ النهار** (أول النهار) يغيب إلى وقت الظهر، ثم يأتي ومعه كِيسٌ فيه ألف دينار، فيضعُه في جانبي، ويجلس. ولم يَزَلْ على هذه الحالةِ مدةً من الزمان حتى اجتمع عندي مالٌ كثير فاشتريت يا أميرَ المؤمنين الأملاكَ **والرُّبوع** (جمع رَبْع وهو الدار) وغرَسْت البساتين، واشتريت المماليكَ والعبيدَ والجَواري، فاتَّفق في بعض الأيام أنني كنت جالسا والقردُ جالسٌ معي على المَرْتبَة وإذا به التفت يمينا وشِمالا فقلتُ في نَفْسي : أيُّ شيءٍ خبَرُ هذا فأنطق اللهُ القرد بِلِسان فَصِيح، وقال يا أبا محمد : فلمّا سَمِعْتُ كلامَه فَزِعت فَزَعا شديدا فقال لي : لا تَفْزعْ أنا أُخْبِرك بحالي، إني مارِدٌ من الجِنّ، ولكني جئتُك بسبب ضَعْفِ حالِك وأنتَ اليومَ لا تدري قَدْر مالك، وقد وقعتْ لي عندك حاجةٌ وهي خيرٌ لك، فقلت : ما هي قال : أريد أن أزوِّجك بصبية مِثْلِ البدرِ، فقلت له : وكيف ذلك، فقال لي : في غدٍ اِلبسْ قماشَك الفاخرَ، واركبْ بغلتك بالسَّرْج والذَّهَب، وامْض إلى سُوق **العَلاّفين** (الذين يبيعون العَلَفَ أكْلَ الحيوانِ وأكْلَ الإنسان) واسألْ عن دكان الشريف، واجلس عنده، وقل له : إني جئتُك خاطبا راغبا في ابنتِك فإنْ قال لك : أنت ليس لك مال **ولا حَسَب ولا نَسَب** (الحسب والنسب : شرف الأصل) فادفعْ له، ألف دينار، فان قال لك : زِدْني فَزِدْه ورَغِّبْه في المال، فقال : سمعا وطاعة، في غد أفعل ذلك إن شاء اللهُ تعالى : قال أبو محمد : فلما أصبحتُ لبِستُ أفخرَ قُماشي، وركبت البغلة بالسرج الذهب، ثم مضيت إلى سوق العلافين، وسألت عن دكّان الشريف، فوجدتُه جالسا في دكّانه، فنزلت وسلَّمْت عليه، وجلست عنده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

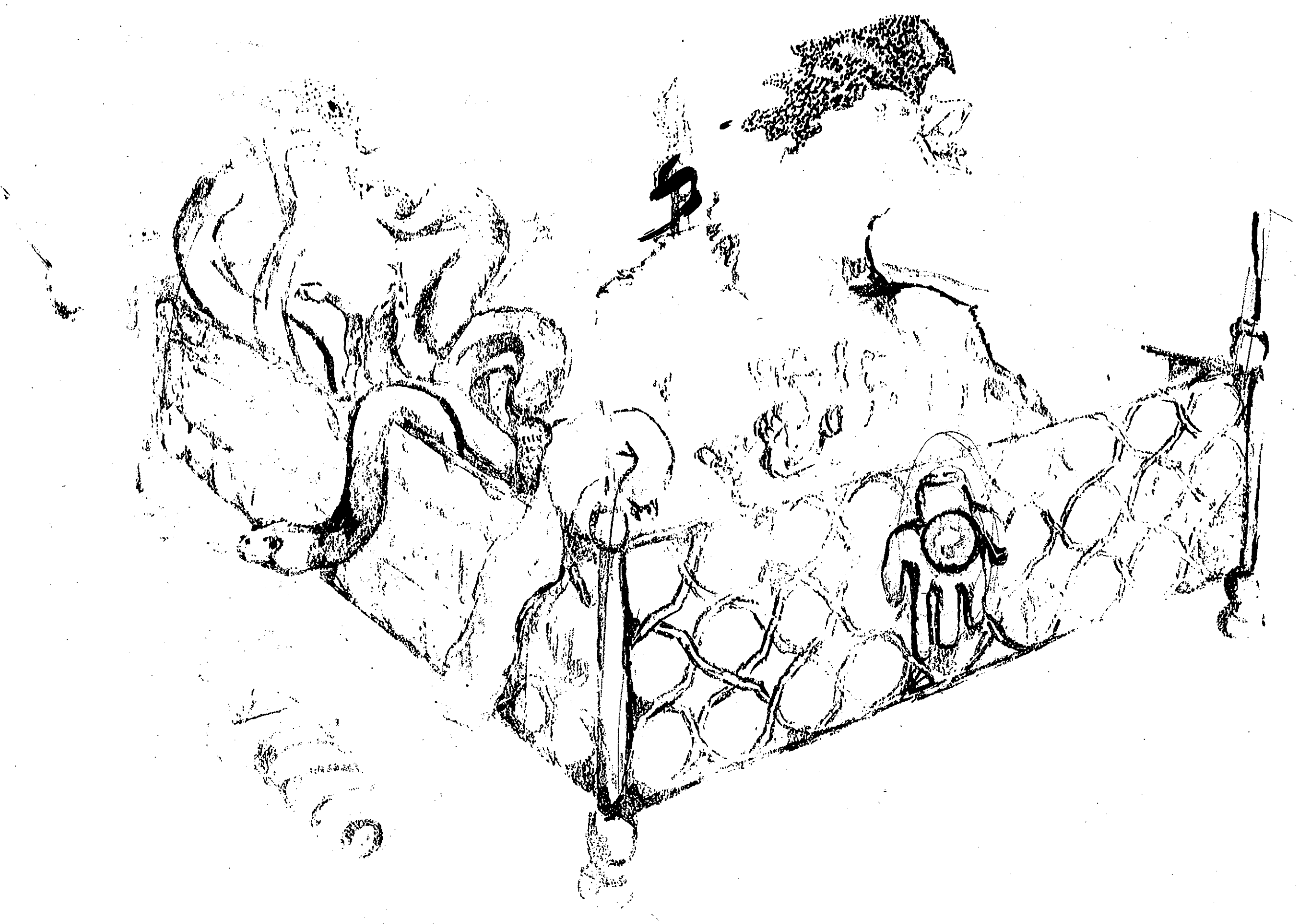
فلما كانت الليلةُ الثالثةُ بعد الثلاثِمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال : فنزلت وسلمت عليه، وجلسْت عنده، وكان معي عَشَرَةٌ من العبيدِ والمماليك، فقال الشريف : لعلّ لك عندنا حاجةً نفوز بقضائِها فقلت : نعم لي عندك حاجةٌ قال : وما حاجَتُك فقلت جئتك خاطبا راغبا في ابنتِك، فقال لي : أنت ليس لك مالٌ ولا حَسَبَ ولا نَسَبَ، فأخرجت له كيسا فيه ألفُ دينار ذهبا أحْمَرَ، وقلت له : هذا حسبي ونسبي. **وقد قال صلى الله عليه وسلم «نعم الحَسَبُ المالُ»** وما أحسَنَ قَوْلَ من قال :

مَنْ كانَ يَمْلِكُ درهمَين تعلّمتْ ★ شفتاه أنواعَ الكلامِ فقالا
وتَقَدَّم الإخْوان فاستمعوا لـه ★ ورأيتَه بين **الوَرَى** (الناس جميعا) مُخْتالا
لَوْلا دراهمُه التي يزهو بها ★ لوجدْتَه في الناس أسْوأَ حالا
إنّ الغنيّ إذا تكلّم بالخطأ ★ قالوا صدَقت وما نطقت مُحالا
أمّا الفقيرُ إذا تكلم صادقا ★ قالوا كذبتَ وأبْطلوا ما قالا

ان الدراهمَ في المْواطن كُلِّها ★ تكسو الرِّجالَ مهابةً وجمالا
فَهْيَ اللسانُ لمن أراد فصاحةً ★ وهي السِّلاحُ لمن أرادَ قِتالا

فلمّا سَمِع الشريفُ منه هذا الكَلامَ، وفَهِمَ الشعر **والنِّظام**، (النظام : هو الشعر الموزون) **طَرَق** (أطرق : طأطأ : خفَض رأسه) برأسه إلى الأرض ساعةً، ثم رفع رأسَه وقال له : إنْ كان ولا بُدَّ فإني أريد منك ثلاثة آلافِ دينَارٍ أخرى فقلت : سمعا وطاعة، ثم أرسلتُ بعض المماليك إلى منزلي، فجاء لي بالمال الذي طَلَبه، فلمّا رأى ذلك وصل إليه قام من الدكان، وقال لِغِلْمانه : اقفِلوها ثم دعا أصحابَهُ من السوق إلى داره، وكتب كتابي على بِنْته، وقال لي بعد عشرةِ أيام أُدْخِلُك عليها ثم مضيت إلى منزلي وأنا فرْحَان، فخلوت مع القرد وأخبرته بما جرى، فقال **نِعْمَ ما فَعَلْتَ**. فلما قَرُب ميعاد الشريف قال لي القرد : إن لي عندك حاجةً إن قَضَيْتَها لي فَلَك عندي ما شئتَ قلت : وما حاجتك ؟ قال لي إنّ في صَدْرِ القاعة التي تدخلُ فيها على بنتِ الشريفِ خِزانةً، وعلى بابه حَلقة من نُحاس، والمفاتيح تحْت الحلق فخذْها وافتحْ الباب تجِدْ صُندوقا من حديد على أركانه اربعُ رَايات من **الطَّلَّسْم**، (الشيء المعمى الذي لا يستطاع حله الا بسرٍ خارق للعادة) وفي وَسْط



تجد صندوقا من حديد على أركانه أربع رايات من الطَّلَّسْم وفي وسط ذلك طشت ملآن من المال وفي جانبه إحدى عشرة حيّة وفي الطشت ديك أفرق أبيض مربوط وهناك سكّين بجنب الصندوق.

ذلك طِشْت ملآن من المال وفي جانبه إحدى عشرة حيَّة وفي الطشت دِيكٌ **أفرقُ** (له عرفان) أبيضُ مربوطٌ وهناك سكين بجنْب الصندوق فَخُذِ السكينَ، واذبح بها الديكَ، وقطِّع الراياتِ، وكُبّ الصندوق، وبعد ذلك اخرُجْ للعروسة وأزِل بكارَتها فهذه حاجتي عندك فقلت له : سمعا وطاعة. ثم مضيت إلى دار الشريف دخلتُ القاعةَ، ونظرت إلى الخزانة التي وصفها لي القردُ، فلمّا خَلَوْت بالعروسة تعجبت من حُسْنها وجمالها وقَدِّها واعتدالها لأنها لا تستطيع الألسُنُ أن تصف حسنَها وجمالَها ثم فرحتُ بها فرحا شديد لمَّا كان نِصفُ الليل ونامتِ العروسَةُ قمت أخذت المفاتيح، وفتحت الخزانة، وأخذت السكين وذبحت الديك، ورمَيْت الراياتِ، وقلبتُ الصندوقَ، فاستيقظت الصَبيّةُ فرأت الخزانةَ قد فُتِحَت، والدِّيكَ قد ذُبِح، فقالتْ : لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليّ العظيم قد أخذني الماردُ فما استتَمَّتْ كلامَها إلا وقد أحاط الماردُ بالدار، وخطف العروسة، فعِند ذلك وقعت الضجّةُ، وإذا بالشريف قد أقبل، وهو **يلْطِمُ** وجهه (يضرب وجهه بيديه) وقال يا أبا محمد : ما هذا الفعلُ الذي فعلتَه معنا هل هذا جزاؤُنا منك ! وأنا قد عَمِلتُ هذا الطِّلَّسم في هذه الخزانة خوفا على بنتي من هَذا الملْعُون، فإنَه كان يقصِدُ أخْذَ هذه الصبية مِنْ منذ ست سنين، ولا يقدر على ذلك. ولكن ما بَقِي لَك عندنا مُقام، **فامضِ إلى حال سبيلِك**، (اذهب) فخرجت من دار الشريف، وجئت إلى داري، وفتَّشْت على القرد فلم أجِدْه، ولم أرَ لَهُ أثرًا فعلمت أنه هو المارد الذي أخذ زَوْجتي، وتحيَّل عليّ حتى فعلت ذلك بالطِّلسم والديك، اللذين كانا يمنعانه من أخذها فَندِمْت، وقطَّعْت أثوابي، ولطمت على وجهي، ولم تَسَعْني أرض، فخرجت مِنْ **ساعتي** (فورا) وقصدت **البرِّيَة** (الأرض الفضاء) ولم أزلْ سائرا إلى أن أمْسَى عليّ المساءُ، ولا أعْلَمُ أينَ أرُوحُ فبينما أنا مشغولُ الفكر إذ.



فما استتمّت كلامها إلا وقد أحاط المارد بالدار، وخطف العروسة

التـــدريـــبـــات

١ - لاحظ هذه التعبيرات :

الحبكة الفنية = مصطلح في النقد الأدبي يقصد به بناء القصة في صورة تتتابع فيها الأحداث على نحو مترابط.

منطقية الأحداث = مصطلح أدبي يقصد به أن تجرى أحداث القصة على نحو يزبط المسببات بالأسباب المقنعة.

وما أشبه = عبارة تستخدم استخدام عبارات مثل : إلى آخره، نحو ذلك، وما إلى ذلك.

الخوارق = الأحداث أو الوقائع التي لا تتبع القوانين الطبيعية المعروفة.

عبرة لمن اعتبر = عظة لمن يريد أن يتعظ.

خلق كثير = في مثل هذا التركيب استخدمت كلمة «كثير» في صيغة المفرد، ومثلها في ذلك التراكيب : ناس كثير، جمع كثير.

جلس بين يديه = جلس أمامه.

امْضِ إلى حال سبيلك = انصرف من هنا أو أنت مطلق السَّراح.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ فيم (في أي شيء) يختلف الأدب الشعبي عن الأدب الرسمي ؟

٢ ـ لماذا لا يعطى الأدب الشعبي للحكام ما يعطيه لهم الأدب الخاص ؟

٣ ـ ماذا يعني استخدام الأشعار والحكم في الأدب الشعبي ؟

٤ ـ في أي مجال تتحرك شخصيات الأدب الشعبي ؟

٥ ـ لماذا نال كتاب ألف ليلة وليلة هذه الشهرة الواسعة ؟

٦ ـ ما الأصل الذي جاءت منه حكايات ألف ليلة وليلة ؟

٧ ـ ما الروافد التي غذت المجرى الأصلي للقصة فيه ؟

٨ ـ ما تأثير ألف ليلة وليلة على الأدب الغربي ؟

٩ ـ لماذا اهتم أصحاب الثقافات الأخرى بترجمة هذا الكتاب ؟

١٠ ـ ما الموضوعات الأساسية التي دار حولها الكتاب ؟

١١ ـ ما الموضوعات الدينية التي اشتمل عليها ألف ليلة وليلة ؟

١٢ ـ ما أنواع القصص في ألف ليلة وليلة ؟

١٣ ـ ما أهم القصص التاريخية في ألف ليلة وليلة ؟

١٤ ـ ما القصة الأصلية التي تفرعت عنها القصص الجانبية في ألف ليلة وليلة ؟

١٥ ـ لماذا قسم الكتاب إلى ليال ؟

١٦ ـ ما أهم خصائص البطل الرئيسي شهريار ؟

١٧ ـ ما أهم خصائص البطلة الأساسية شهرزاد ؟

١٨ ـ كيف استطاعت شهرزاد أن تنجو من القتل ؟

١٩ ـ ما التحول الذي أصاب شخصية شهريار ؟

٢٠ ـ هل كان من الطبيعي أن تتساوى القصص في كل ليلة ؟

٢١ ـ ما أهم خصائص اللغة المستعملة في القصص ؟

٢٢ ـ لماذا تتداخل القصص في ألف ليلة وليلة ؟

٢٣ ـ ما المقصود بقصص الخوارق ؟

٢٤ ـ ما أهم الموضوعات التاريخية في ألف ليلة وليلة ؟

٢٥ ـ فيم أفاد أسلوب السرد المباشر الذي اتبعه كتاب ألف ليلة وليلة ؟

٢٦ ـ ما أشهر اللوازم في ألف ليلة وليلة ؟

٢٧ ـ ما مظاهر كسل أبى محمد الكسلان ؟

٢٨ ـ كم درهما أعطاها أبو محمد الكسلان للشيخ أبى المظفر ؟

٢٩ ـ كيف تضاعفت هذه الدراهم الخمسة ؟

٣٠ ـ من كان ذلك القرد الذي اشتراه أبو المظفر ؟

٣١ ـ على أي شيء كان يحتال هذا القرد ؟

٣٢ ـ كيف تزوج أبو محمد الكسلان بنت الشريف ؟

٣٣ ـ لماذا وضع الشريف الطلسم في داره ؟

٣٤ ـ بماذا تصف صنيع أبي محمد الكسلان ؟

٣٥ ـ ما مظاهر الخرافة في هذه القصة ؟

٣ ـ صـواب أو خـطـأ :

١ ـ الأدب الشعبي أدب معروف المؤلف في كل عصر.

٢ ـ يمتلئ الأدب الشعبي بالخرافة والمبالغة والتهويل وقصص الجن والسحرة.

٣ ـ مجنون ليلى وكثير عزة وجميل بُثَيْنَةَ من الشعراء العذريين.

٤ ـ لا يهتم الأدب الشعبي إلا بالأمراء والحكام والطبقات العالية من المجتمع.

٥ ـ يعيش الوهم والحقيقة في الأدب الشعبي جنبا إلى جنب.

٦ - قصص ألف ليلة وليلة في أصلها حكايات هندية ترجمت إلى الفارسية.

٧ - القصص الشعبي لا يكشف عن معتقدات الجماهير ولا أذواقهم في الطعام ومستوى الجمال.

٨ - لم يترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى أية لغة غربية.

٩ - يمتلئ كتاب ألف ليلة وليلة بأحاديث السحر والسحرة وأخبار الكنوز والجنُّ والحيوانات التي تتكلم.

١٠ - الشيخ أبو المظفر يمثل في القصة الطبقة الشعبية الفقيرة.

١١ - لم يكن القرد في قصة أبي محمد الكسلان سوى مارد محتال.

١٢ - لم ينفذ أبو محمد الكسلان التعليمات التي أوصاه بها القرد.

١٣ - عمل الشريف الطلسم ووضعه في الخزانة خوفا على أمواله من اللصوص.

١٤ - كان الطلسم والديك سحرا يمنع المارد من أخذ بنت الشريف.

١٥ - كان القرد سببا في غنى أبى محمد الكسلان.

١٦ - كان أبو المظفر تاجرا أمينا لم يطمع في شيء مما ائتمنه عليه الناس.

١٧ - كانت رحلة الشيخ أبي المظفر إلى سواحل إفريقية.

١٨ - كانت شهرزاد تحكي قصة كاملة كل ليلة.

١٩ - الحجامة امتصاص بعض دم المريض ليبرأ من مرضه.

٢٠ - اشترى الشيخ أبو المظفر القرد المنتوف الشعر بمال اليتيم.

٤ - أكمل ما يأتي بحيث يكون كاملا مفيدا :

١ - من أشهر قصص الأدب الشعبي العربي ....

٢ - الأدب الشعبي أدب ....

٣ - يميل الروح الشعبي إلى ....

٤ - من شعراء الحب العذري في التراث العربي ....

٥ - لا يعطي الأدب الشعبي للحكام ....

٦ - لغة الأدب الشعبي ....

٧ - يكشف الأدب الشعبي بوضوح عن ....

٨ - يعرف كتاب ألف ليلة وليلة أحيانا في أوربا باسم ....

٩ - يحتمل أن يكون تاريخ الحكايات البغدادية ....

١٠ ـ الحكايات المصرية في ألف ليلة وليلة ترجع إلى الفترة ....

١١ ـ من أشهر من ترجموا كتاب ألف ليلة وليلة ....

١٢ ـ الموضوعات الأساسية التي يشتمل عليها كتاب ألف ليلة وليلة ....

١٣ ـ تمثل الموضوعات الاجتماعية ....

١٤ ـ استطاعت شهرزاد بالفن أن تحول شهريار من ....

١٥ ـ من الشخصيات المشهورة في ألف ليلة وليلة ....

١٦ ـ القرد في القصة المختارة لم يكن سوى ....

١٧ ـ البطل في القصة المختارة هو ....

٥ ـ أكمل بذكر اسم البلد أو المنطقة التي عاش فيها العشاق الآتي ذكرهم :

١ ـ ابراهيم وجميلة محبان من ....

٢ ـ نور الدين وأنيس الجليس محبان من ....

٣ ـ تاج الملوك ودنيا عاشا في ....

٤ ـ المتلمس وأميمة من ....

٥ ـ الحداد والمغنية من ....

٦ ـ عدى بن زيد وهند من ....

٧ ـ علي بن بكار وشمس النهار من ....

٨ ـ أردشير وحياة النفوس من ....

٩ ـ جميل وبثينة من ....

١٠ ـ قيس وليلى عاشقان من ....

لاحظِ التراكيب التالية :

١ ـ **فإذا أكلتُ يأكل معي، وإذا شربتُ يشرب معي.**

٢ ـ فبينما أنا جاليس، وإذا بعبيد أبي المظفر قد أقبلوا.

ـ **في المثال رقم ١ :** وردت «**إذا**» ـ كما درستَ في الجزء الثاني من هذا الكتاب ـ «**أداة شرط**» تفيد تَوَقُّف حدوث الجواب على حدوث الشرط في الزمن المستقبل.

وفي المثال رقم ٢ : وردت «**إذا**» بمعنى مختلف ووظيفة مختلفة عن معناها ووظيفتها رقم ١ : فهي هنا **تفيد المفاجأة** (أي أن حدوث ما بعدها جاء مفاجأة بالنسبة للموقف الذي كان قائما قبلها؛ فوصول عبيد أبي المظفر كان مفاجأة تماما للمتحدث أثناء جلوسه). وتسمى «إذا» هنا. **إذا الفجائية**.

- إذا الفجائية لا تأتي أبدا في أول الكلام (على العكس من إذا الشرطية). كذلك تكون الجملة التي بعدها من نوع الجملة الاسمية، وقد يدخل عليها حرف **الباء** كما في هذا المثال.

٧ ـ عين (إذا) الفجائية و(إذا) الشرطية في الآيات القرآنية الآتية :

١ ـ قال : ألقها يا موسى. فألقاها فإذا هي حية تسعى.

٢ ـ قال : بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى.

٣ ـ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه .

٤ ـ وإذا ذكروا لا يذكرون.

٥ ـ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون.

٦ ـ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون.

٧ ـ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون.

٨ ـ واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا.

٩ ـ وإذا بشر أحدهم بالأنثى، ظل وجهه مسودا وهو كظيم.

١٠ ـ فإذا نفخ في الصورة، فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

١١ ـ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه.

١٢ ـ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون.

١٣ ـ فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون.

١٤ ـ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون.

١٥ ـ وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا.

١٦ ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون.

لاحظ هذا التعبير :

★ **نِعْمَ** الحسبُ المالُ.

هذا التعبير يعرف **بأسلوب المدح**، وهو يتكون من :

١ ـ **فعل المدح** «نِعْمَ».

٢ ـ **الفاعل** (الحسب). وقد يأتي اسم موصول مثل : نِعْمَ مَا فَعَلْتَ !

٣ ـ **المخصوص بالمدح** (المال).

- هناك فعل آخر للمدح هو «**حبذا**» هو يتكون من : **فعل المدح** (حَبَّ) **وفاعله** (ذا).

مثل : حَبَّذَا المالُ.

- وهناك أسلوب موازٍ لأسلوب المدح يسمى **أسلوب الذم** مثل «بِئْس الخُلُقُ الكَذِبُ».

وفعل الذم هو : بئس **والفاعل** : الخلق **والمخصوص بالذم** : الكذب.

- هناك فعل آخر للذم هو «(**لا حبذا**)» «لا حبَّذَا الكذبُ».

- المخصوص بالمدح أو الذم يمكن أن يتقدم على فعل المدح أو الذم مثل : **المال** نعم الحسب، **الكذب** بئس الخلق. وهو مبتدأ سواء تقدم أو تأخر وجملة المدح أو الذم خبر له.

لاحظ التركيب التالي :

أَتَبِيعُني إِيَّاه بها ؟

- في هذا التركيب الفعل تبيع متعدٍّ لمفعولين : **الأول** ضمير المتكلم المفرد **والثاني** ضمير المفرد الغائب المذكر. وقد ورد ضمير المتكلم **متصلا بالفعل** (ى) وورد ضمير الغائب منفصلا عنه (إياه).

- والقاعدة أنه في مثل الحالة السابقة أي عندما يجتمع ضميران منصوبان فإن ترتيبهما يكون على الطريقة التالية :

١ ـ إذا كان الضميران متصلين فإن الأخص منهما يتقدم على غيره مثل : أَعْطَيْتَنِيه، وأَعْطَيْتُكَه.

٢ ـ إذا كان أحدهما متصلا والآخر منفصلا فلا يتحتم اتباع ترتيب معين.

فنقول : أَتَبِيعُني إياه (بتقديم الأخص)
وتقول : أَتَبِيعُه إياي (بتأخير الأخص)

٣ ـ إذا تساوى الضميران في درجة الخصوصية كأن يكونا ضميري متكلم، أو ضميري مُخَاطب، أو ضميري غائب، فإن من الواجب فصل أحدهما مثل : البيت بعته إيَّاه.

- ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أخص، من ضمير الغائب.

٨ ـ غير الجمل الآتية طبقا للنموذج :

١ ـ أ ـ أريتك الحق.
ب ـ الحق أريتكه. أو أريتك إياه.

٢ ـ أ ـ أنبأني الخبر السار
ب ـ

٣ ـ أخبرتهما الصدق.
ب ـ

٤ ـ أ ـ الزمتك العهد.
ب ـ

٥ ـ أ ـ كسانا النعمة.
ب ـ

٦ ـ أ ـ ألبستهُ ثوب الحق
ب ـ

لاحظ هذا التركيب :

١ ـ نحمد الله **لأنّنا نجونا من هذه الحادثة.**

٢ ـ نحمد الله **أنّنا نجونا من هذه الحادثة.**

٣ ـ نحمد الله **أنْ خلصنا من هذه المشكلة.**

٤ ـ نحمد الله **لأنْ خلصنا من هذه المشكلة.**

ـ في العبارات السابقة الجزء التالي للحرفين «أنّ» و«أنْ» علة وسبب في المعنى لما قبلهما.

ـ يفاد التعليل في الأمثلة السابقة من لام التعليل الموجودة في المثالين ١، ٣ والمحذوفة أو المقدرة في المثالين ٢، ٤.

٩ ـ أكمل العبارات التالية حسب النموذج :

أ ـ اشكر الله ....

ب ـ اشكر الله أنْ مَنَّ عليكَ بِنِعْمَةِ البَصر.

١ ـ كان مفيدًا لك أن ....

٢ ـ .... أنْ كتبت رحلة ابن بطوطة.

٣ ـ يسرني جدا ....

٤ ـ .... أن نشأ علم الاجتماع.

٥ ـ دهش محمد الكسلان ....

٦ ـ .... أن فك الطلسم.

٧ ـ .... أن رزقنا علما ومعرفة.

١٠ ـ تدريب كتابي :

لخص قصة أبي محمد الكسلان فيما لا يقل عن عشرين سطرا بأسلوبك الخاص.

اقرأ واحفظ

البحترى فى وصف قتال مع ذئب

(من بحر الطويل)

وليل كأن الصبح فى أخرياته   حشاشة نصل ضم إفرنده غمد
تسربلته والذئب وسنان هاجع   بعين ابن ليل ماله بالكرى عهد
أثير القطا الكدرى عن جثمانه   ويألفنى فيه الثعالب والربد
وأطلس ملء العين يحمل زوره   وأضلاعه من جانبيه شوى نهد
له ذنب مثل الرشاء يجره   ومتن كمتن القوس أعوج منأد
طواه الطوى حتى استمر مريره   فما فيه إلا العظم والروح والجلد
يقضقض عصلا فى أسرتها الردى   كقضقضة المقرور أرعده البرد
سما لى وبى من شدة الجوع ما به   ببيداء لم تعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب يحدث نفسه   بصاحبه والجد يتعسه الجد
عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته   فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

فأوْجَرْتُهُ خزْقاءَ تحْسِبُ ريشَها ‏ على كوكَبٍ ينقضُّ والليلُ مُسْوَدُّ

فما ازْدادَ إلّا جُرْأةً وصَرامَةً ‏ وأيْقَنْتُ أنَّ الأمْرَ مِنْهُ هو الجِدُّ

فأتْبَعْتُها أُخْرى فأضْلَلْتُ نَصْلَها ‏ بحيثُ يكونُ اللبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ

فخَرَّ وقَدْ أوْرَدْتُهُ مَنْهَلَ الرَّدى ‏ على ظَمإٍ لَوْ أنَّهُ عَذْبُ الوِرْدُ

وقمتُ فجمَّعْتُ الحصَى فاشْتَوَيْتُهُ ‏ عليهِ وللرَّمْضاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقْدُ

ونِلْتُ خَسِيسًا مِنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ ‏ وأقْلَعْتُ عنهُ وهْوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدُ

الشاعر : شاعر عباسي، ولد سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) ومات سنة ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) ويمتاز شعره برقة الأسلوب وسعة الخيال، وإجادة الوصف.

شروح : **حُشَاشة النَّصل** : بقية السيف ـ **الإفْرِنْد** : جسم السيف وحليته ـ **تَسَرْبلتُه** : لبسته، والمقصود أنه سار فيه ـ **وسنان** : نائم ـ **الكرى** : النوم ـ **القطا الكدرى** : طير القطا الذي يميل لونه إلى السواد ـ **الربد** : الأسد ـ **الأطلس** : الذئب الأغبر ـ **ملء العين** : كبير مهيب ـ **الزور** : العزيمة ـ **الشَّوى** : الأطراف ـ **النَّهْد** : البارز (أي أن جسم هذا الذئب القوي المملوء بالعزيمة الجبارة يقوم على أرجل صلبة متينة) ـ **الرِّشاء** : الحبل الذي ينزل به الدلو في البئر **المتن** : الظهر ـ **مُنْأَدّ** : مُعْوَجّ ـ **الطَّوَى** : الجوع ـ **استْمر مريره** : اشتد عليه الجوع ـ **يقضقض** : يحدث صوتا ـ **عُصْل** : أسنان معوجة ـ **أَسِرَّتها** : أواسَطها ـ **الرّدى** : الموت ـ **المُقْرُور** : الذي يشعر بالبرد ـ **سَمَالي** : خرج لي ـ **بَيْداء** : صحراء ـ **عِيشَة رَغْد** : عيشة طيبة ـ **الجَدّ** : الحظ ـ **أقْعى** : جلس على مؤخرته ـ **ارْتَجَزْت** : رفعت صوتي أو أنشدت أرجوزة (قطعة) من الشعر ـ **هجته** : أغضبته فهاج وثار ـ **أوْجَرته** : طعنته ـ **خزقاء** : أي سن الرمح (وهو يشببها هذا بالكوكب الذي يهوى من السماء في لمعانها) ـ **أضْلَلْت نصلها** : أدخلت رأس الحربة (في جسمه) حتى ضَلَّ منيّ، أي غاب عن بصري، ـ **بحيث يكون اللب والرعب والحقد** : أي في القلب، أراد أنه أدخل رأس الرمح في قلب الذئب ـ **خرَّ** : وقع ـ **الرَّمْضاء** : الأرض الحامية ـ **وَقْد** : نار ـ **الخَسِيس** : القليل ـ **مُنْعفر** : ممرغ في التراب.

الـدرس الـثـامـن عـشـر

من كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخورازمي :

«الجَبْرُ في خِدْمَةِ مَصَالِحِ النَّاس»

الجبر اسم عربي لواحد من العلوم الرياضية التي يقوم عليها تشكيل المجتمع **الذي** نعيش فيه .: فالمخترعات التي غيرت تاريخ البشرية بدأ معظمها في صورة معادلة جبرية. والمخترعات التي ستغير حاضر البشرية وتفتح للإنسان طريق استيطان الكواكب، وتنقذه من الدمار الشامل، ستبدأ أيضا في صورة معادلة جبرية. لقد اسْتَعْمَل كلمةَ الجبر لأول مرة مُحَمَّد بن موسى الخُوارِزْمي عندما أطلقها عَلَمًا على أصول هذا العلم الذي كان من رواده، فبَقِيَ هذا العلم وازدهر وبقيت الكلمةُ بذاتِها علما عليه في جميع لغات العالم.

مـداخـل إلـى دراسـة الـنـص

عـن الـكـاتـب :

- هو محمد بن موسى الخوارزمي.
- لا يعلم أحد على وجه التحقيق تاريخ ميلاد الخوارزمي، وهذا ليس غريبا بالنسبة لمن كان يولد في بيئات **لا تتصل بأسباب الشهرة**، من العلم أو الأدب أو السلطان.
- ولكن الغريب حقا أن أحدا لا يعرف أيضا على وجه التحقيق تاريخ وفاته ! وربما كان السبب في ذلك راجعا إلى أن علم الجبر والعلوم الأخرى التي برع فيها الخوارزمي لم تكن في ذلك الوقت المبكر من بين العلوم التي يتصل أصحابها بالجماهير اتصالا مباشرا، وبالتالي بأسباب الشهرة الواسعة. (قارن حالة الخوارزمي مثلا بحالة أبي يوسف مؤلف

كتاب الخراج وهو مجهول الميلاد مشهور الوفاة، وقارنه أيضا بابن سحنون مؤلف كتاب آداب المعلمين وهو مشهور الميلاد مشهور الوفاة).

- يذكر ابن النديم في كتاب الفهرست (ألّف عام ٣٦٨ هـ (٩٨٧ م) أن الخوارزمي «كان منقطعا إلى خزانة الحكمة» وهي مكتبة الخليفة العباسي المأمون، الذي حكم من سنة ١٩٨ إلى سنة ٢١٨ هـ (٨١٣-٨٣٣ م).

- كذلك يذكر الخوارزمي نفسه في مقدمة كتاب الجبر والمقابلة ـ الذي أخذنا منه النص الذي معنا ـ أن تقريب الخليفة المأمون لأهل الأدب قد شجعه على تأليف هذا الكتاب المختصر، الحاصر (الجامع) للطيف (بسيط) الحساب، وجليله (صعبه) لما يلزم الناس من الحاجة إليه.

- من النصين السابقين نستطيع أن نستدل على فترة مؤكدة من فترات اشتغال الخوارزمي بالعلم، وهي فترة حكم الخليفة المأمون. أما عمر الخوارزمي فيقدره العلماء فيما بين عامي ١٦٤ و٢٣٥ هـ (٧٨٠-٨٥٠ م).

- درس الخوارزمي العلوم الرياضية الهندية واليونانية وعلوم الفلك وغيرها في مكتبة الخليفة المأمون ببغداد، وبرع في الهندسة والجغرافيا والتاريخ والموسيقى، ولمع في علم الرياضيات والفلك حتى عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة.

- طور الخوارزمي علم الجبر بوصفه علما مستقلا عن الحساب.

- اهتم في بداية أمره بالأبحاث النظرية في علمي الرياضيات والفلك فأدى ذلك إلى ابتكار علم حساب «اللوغاريتمات»، التي أخذت اسمها من اسمه، وعمل لها الجداول التي لا تزال تستخدم إلى آن.

- اهتم الخوارزمي أيضا بمشكلة عملية وهي كيفية تقسيم المواريث (جمع ميراث وهو ما يتركه الميت من أموال وعقارات وأراض....) بين من يستحقون الإرث من أفراد عائلة الميت. وتقسيم المواريث عملية معقدة، ويرجع ذلك لاختلاف درجات القرابة وتعقدها.

- كذلك اهتم الخوارزمي بقضية تقسيم الأنصاب في التجارة والمعاملات. ونتيجة لهذا الاهتمام طور طريقة للتقسيم تتصف بالدقة والمرونة والشمول والبساطة في الوقت ذاته. وسمى هذه الطريقة **علم الجبر**.

اللوغاريتمات مأخوذة من اسم الخوارزمي بعد تحريفه لكي يتفق مع أصوات اللغة اللاتينية.

- استطاع الخوارزمي أن يلفت الأنظار إلى علمه الجديد (علم **الجبر**) حينما كان منهمكا في أعماله الفلكية ببغداد.

- لم يقتصر الخوارزمي على أوليات علم الجبر، بل تجاوزها ووصل بهذا العلم إلى مرحلة استطاع معها أن يوجد نظاما لتحليل كل «معادلات الدرجة الأولى والثانية ذات المجهول الواحد» بطرق جبرية وهندسية.

- ترك لنا الخوارزمي أكثر من ثلاثين مؤلفا منها : «رسالة عن الوحدة المستعملة في المساحات والحجوم»، و«رسالة عن النسبة التقريبية وقيمتها الرياضية»، و«كتاب صورة الأرض في المدن والبحار والجزر والأنهار»، و«كتاب جداول النجوم وحركتها»، و«كتاب زيج الخوارزمي» وهو عبارة عن جداول فلكية تحدد منازل (أي مواقع) الكواكب في السماء، وكيفية حسابها)، وكتاب في التاريخ، وكتاب جمع فيه بين الحساب والهندسة والموسيقى والفلك، وهو كتاب يشتمل على خلاصة دراساته لأعلى اكتشافاته العظيمة»، كما يقول عنه أحد العلماء.

- كان الخوارزمي أعظم رياضي، كما كان واحدا من الذين ساعدوا على تطوير المعرفة الإنسانية عبر التاريخ. وقد أطلق العالم جورج سارتون (في كتابه المسمى «مقدمة في تاريخ العلوم») على النصف الأول من القرن التاسع الميلادي اسم «عصر الخوارزمي». ويستطرد سارتون فيقول :

«وإذا أخذنا جميع الحالات بعين الاعتبار فإن الخوارزمي يعد بدون شك واحدا من أعظم الرياضيين في كل العصور».

- سجل التاريخ للخوارزمي هذه المنزلة الرفيعة التي نعرفها. فقد أصبح اسمه كلمة دخلت قواميس أغلب لغات العالم. ففي اللغة الإنجليزية مثلا تستخدم كلمة « الجورذم ـ Algorithm » ـ التي هي ولا شك تحريف لاسم الخوارزمي ـ للدلالة على الطريقة الوضعية في حل المسائل الرياضية. كما يستخدم الشاعر الإنجليزي تشوسر كلمة «أوجرم ـ Augrim» للدلالة على الصفر. كما أن علم الجبر في الإنجليزية ـ بل في جميع لغات العالم ـ مشتق من الكلمة العربية الجبر، وهي التي استخدمها الخوارزمي اسما لكتابه، والتي تعني في العربية «التكملة أو سد النقص».

- وفي اللاتينية كانت الأعداد : ١، ٢ إلى ٨، ٩، تسمى إلى أوائل القرن الثامن عشر «الجورزمس ـ Algorismus» وفي الإسبانية يطلق على الأعداد أو الأرقام كلمة «جوارزمو ـ Guarismo».

- أما حساب اللوغاريتمات «الجورذم ـ Algorism» فقد اشتق اسمه كاملا ـ كما ذكر من قبل ـ من اسم الخوارزمي نفسه.

- ولعل أكبر شاهد على إمامة الخوارزمي في علم الجبر تكرار استخدام معادلاته في جميع المؤلفات الجبرية منذ عصره إلى أوائل العصر الحديث.بل إن بعض هذه المعادلات لا تزال ترد في كتب الجبر إلى يومنا هذا، ناطقة بفضل الخوارزمي على علم الجبر.

- إن من الغريب حقا أن تهمل المراجع التاريخية تسجيل مناسبة وفاة الخوارزمي !!

عن الكتاب :

- عنوان الكتاب ـ كما سماه الخوارزمي ـ «كتاب الجبر والمقابلة».

- هذا الكتاب أول ما ألف في اللغة العربية في هذا الموضوع، وأول كتاب في تاريخ البشرية يحمل اسم الجبر. ومن المرجح أن الخوارزمي ألفه في العهد الأول (العشر السنوات الأولى) من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

- كان سبب تأليف الكتاب كما ذكر المؤلف هو تشجيع المأمون للعلماء على التأليف في الموضوعات الغامضة والصعبة، بغرض إيضاح غوامضها وتسهيل صعوباتها. يقول الخوارزمي : «وقد شجعني ما فضل الله به الإمام المأمون أمير المؤمنين ـ مع الخلافة التي حاز له إرثها، وأكرمه بلباسها، وحلاه بزينتها ـ من الرغبة في الأدب، وتقريب أهله، وإدنائهم وبسط كنفه لهم، ومعونته إياهم على إيضاح ما كان مستبهما وتسهيل ما كان مستوعرا (شجعني كل ما سبق) على أن ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا.......».

- أما موضوع الكتاب فهو جمع مسائل الحساب صغيرها وكبيرها.

- يحدد الخوارزمي الغرض من تأليف الكتاب بأنه : تقديم طريقة واضحة ودقيقة في الوقت ذاته، يستطيع الناس أن يستخدموها بسهولة في قسمة «مواريثهم ووصاياهم، وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجارتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرضين، وكرى (استئجار) الأنهار (أي الانتفاع بمياهها) والهندسة وغير ذلك من وجهه وفنونه».

- ترجم الكتاب من اللغة العربية أول مرة في القرن الثاني عشر الميلادي (أي بعد كتابته بثلاثة قرون)، وكان ذلك إلى اللغة اللاتينية، وقام بالترجمة عالم الرياضيات الأوربي جرارد كريمون.

- نقل الخوارزمي «العدد» ـ بكتابه هذا من صفة البدائية الحسابية لكمية محدودة إلى عنصر ذي علاقة لا نهاية لها من الاحتمالات، كما كانت خطوته التي خطاها من الحساب إلى الجبر خطوة من الكينونة (أي الوجود والثبات) إلى الملاءمة والمناسبة، أو بعبارة أخرى، نقل «العدد» من العالم الساكن والمتناهي إلى العالم المتحرك واللامتناهي.

- استخدم الخوارزمي في كتابه مصطلحات فنية خاصة من ابتكاره هو، مثل **الجذر** (وهو ما يرمز له عادة بالرمز **س**) و**المال** (وهو س × س أو س تربيع أو س^{2}) و**العدد المفرد** (وهو الحد الخالي من س)، وهي مصطلحات يعرفها اليوم تلاميذ المدارس في جميع أنحاء العالم ويستخدمونها.

- اشتمل الكتاب على الموضوعات الأساسية التالية :

ـ الجذر، والمال، والعدد، والضرب، والجمع، والنقصان، والقسمة، والمسائل الست، والمسائل المختلفة، وباب المعاملات، وكتاب الوصايا.

- إن كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي كان له بالغ الأثر في تقدم كل من علمي الحساب والجبر في الشرق والغرب، بل كان له دور كبير في تشكيل مسار التفكير البشري كله في فترة من فترات تطوره. وبهذا لا يعتبر كتاب الجبر والمقابلة جزءا هاما من التراث العربي وحده، بل جزءا من تراث الإنسانية جمعاء.

ـ صدر الكتاب في القاهرة عام ١٩٣٩ م بتحقيق ودراسة الدكتور علي مصطفى مشرفة، والدكتور محمد مرسي أحمد.

عن النـــص :

- يبدأ النص الذي معنا مع بداية موضوع الكتاب، فيتحدث أولا عن الأعداد ويقسمها إلى **آحاد** (من الواحد إلى التسعة)، وعشرات (عشرة وعشرين وثلاثين إلى التسعين)، ومئات)مائة ومائتين وثلاثمائة إلى تسعمائة)، و**ألوف** (ألف وألفين وثلاثة آلاف إلى «غاية (نهاية) المُدْرَك من الأعداد».

- ثم يتحدث النص عن المكونات أو العناصر التي يُحْتاجُ إليها في حساب الجبر والمقابلة، أي في عمل المعادلات الجبرية، فينص على أنها ثلاثة أنواع : **جذور**، **وأموال**، و**عدد مفرد** لا ينسب إلى جذر ولا إلى مال. ثم يُعَرِّف كلَّ واحد من هذه الثلاثة.

- ينتقل النص بعد ذلك لبيان علاقات هذه الثلاثة بعضها ببعض، فيبين أن كل واحد من هذه الثلاثة قد يَعْدِلُ (أي يساوي) الواحد الآخر؛ فهناك أموال تعدل جذورا، وأموال تعدل عددا، وجذور تعدل عددا.

النـــص

أَلَّفْتُ كتاب الجبر والمُقَابلة كتابا مختصَرا حاصِرا للطيف الحسابِ وجليلِه، لما يَلْزَم الناسَ من الحاجة إليه في مَوَاريثهم وَوَصَاياهم، وفي مُقَاسَمتهم وأحكامِهم وتِجاراتِهم، وفي جميع ما يتَعَلَّمون به بينهم من مساحة الأرَضِين (أي الأراضي) وكَرْيِ الأنْهارِ والهندسة وغيرِ ذلك من وجوهه وفُنونه، مقدِّما لحسن النيّة فيه وراجيا لأن يُنْزِلَه أهلُ الأدب بفضل ما استُودِعوا من نعم الله تعالى وجَليل الآئِه وجميلِ بلائه عندهم منزلتَه، وباللة توفيقي هذا وفي غيره، عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم. وصلى الله على جميع الأنبياء

والمرسلين. وإنّي لما نظرتُ فيما يحتاج إليه الناس من الحساب وَجَدْت جميعَ ذلك عددا، ووجدت جميع الأعداد إنما تركَّبَتْ من الواحِد، والواحدُ داخِل في جميع الأعداد. ووجدت جميع ما يُلفظ به (ينطق به) من الأعداد ما جاوز الواحدَ إلى العشرةِ يخرج مخرَجَ الواحد، ثم تُثَنَّى العشرة وتُثَلَّث ـ كما فُعِل بالواحد ـ فتكون منها العشرون والثلاثون إلى تمام المائة. ثم تُثَنَّى المائة وتُثَلَّث ـ كما فُعِل بالواحدِ وبالعشرة ـ إلى الألف، ثم كذلك تُرَدَّد الألف عند كل عِقْد إلى غاية المُدْرَك من العدد. ووجدتُ الأعدادَ التي يُحْتاج إليها في حِساب الجبر والمقابلة على ثلاثة ضروب : وهي **جُذورٌ** و**أمْوالٌ** و**عَدَدٌ مُفْرد** لا يُنْسب إلى جِذْر ولا إلى مال.

لما كان الخوارزمي بصدد البحث في معادلات الدرجة الثانية، فقد بين الأنواع الثلاثة من الحدود التي تدخل في هذه المعادلات. **فالجذر** هو ما يرمز له في الجبر عادة بالرمز **س** و**العدد المفرد** هو **الحد الخالي من س.** وقد بدأ بذكر المعادلات التي تحتوي على حدين اثنين من هذه الحدود فعدد أشكالها الثلاثة على الترتيب :

أ س^2 = ب س، أ س^2 = جـ، ب س = جـ

وشرح طريقة حل كل منها بأمثلة عديدة مقتصرا على الكميات الموجبة المحدودة.

فالجذر منها : كلُ شيء مضروبٌ في نفسه من الواحد وما فَوْقَه من الأعداد وما دُونَه من الكُسور. **والمال** : كل ما اجتَمَعَ من الجذر المضروبِ في نفسِهِ. **والعَدَد المفرَدُ** : كل مَلْفُوظ به من العدد بلا نسبةٍ إلى جذر ولا إلى مال. فمِنْ هذه الضروبِ الثلاثةِ ما يَعْدِل بعضُها بعضا وهو كقولك : أموالٌ تَعْدِلُ جذورا. وأموال تعدل عددا. وجذور تعدل عددا.

فأما الأموالُ التي تعدل الجذور فمثلُ قولِك مالٌ يعدل خمسةَ أجذاره، فجذر المال خمسةٌ، والمال خمسة وعشرون، وهو مثل خَمسةِ أجذارِهِ. وكقولك ثلث مال يعدل أربعةَ أجذارٍ، فالمال كلُّه يعدل اثني عشر جذرا وهو مائةٌ وأربعةٌ وأربعون، وجذرُهُ اثنا عشر. ومثلِ قولك خمسة أموال تعدل عشرةَ أجذار، فالمالِ الواحدُ يعدل جذرين، وجذر المال اثنان، والمال أربعة وكذلك ما كثر من الأموال أو قل يُرَدُّ إلى مالٍ واحد. وكذلك يُفْعَل بما عادَلها من الأجذار يرد إلى مثل ما يرد إليه المال. وأما الأموال التي تعدل العدد فمثلا قولُك مالٌ يعدل تسعة، فهو المال وجذره ثلاثة، وكقولك خمسة أموال تعدل ثمانين، فالمال الواحد خُمْس الثمانين وهو ستَّةَ عَشَرَ، وكقولك نصف مال يعدل ثمانيةَ عشرَ، فالمال يعدل ستةً وكذلك جميع الأموال زائدُها وناقصُها تُرَدّ إلى مال واحد، وإن كان أقلَّ من مال زِيدَ عليها حتى تَكْمُلَ مالا تاما، وكذلك ما عادلها من الأعداد.

وأما الجذورُ التي تَعْدل عددا كقولك جذر يعدلِ ثلاثةً من العدد، فالجذر ثلاثةٌ والمالُ الذي يكون منه تسعةٌ. وكقولك أربعة أجذارٍ تعدل عشرين فالجذرُ الواحدُ يعدل خمسةً والمالُ الذي يكون منه خمسةٌ وعشرون، وكقولك نصفُ جذرٍ يعدل عشرةً، فالجذر يعدل عشرين والمالُ الذي يكون منه أربعُمائة.

ووجدت هذه الضروبَ الثلاثةَ، التي هي الجذورُ والأموالُ والعَدَدُ، تقترنُ فيكون منها ثلاثةُ أجناسٍ مقترنةٌ وهي أموال وجذور تعدل عددا، وأموال وعدد تعدل جذورا، وجذور وعدد تعدل أموالا.

فأما الأموال والجذور التي تعدل العدد فمثل قولك مال وعشرةُ أجذارِه يعدل تسعةٍ وثلاثين درهما، ومعناهُ : أيُّ مالٍ إذا زدت عليه مثل عشرةِ أجذارِه بلغ ذلك كلُه تسعةً وثلاثين. فبابه أن تُنصِّف الأجذارَ وهي في هذه المسئلةِ خمسةٌ وعشرون، فتزيدها على التسعة والثلاثين فتكون أربعةً وستين، فتأخذ جذرَها وهو ثمانية فتنقص منه نصفَ الأجذارِ هو خمسةٌ فيبقى ثلاثةٌ وهو جذر المال الذي تريد والمالُ تسعةٌ. وكذلك لو ذكر مالين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فارْدُدْه إلى مال واحدٍ واردد ما كان معه من الأجذار والعددِ إلى مِثْلِ ما رددْتَ إليه المالَ. وهو نحو قولك : مالان وعشرةُ أجذارِ أحدهما درهما، ومعناه أي مالينِ إذا جُمِعَا وزيدَ عليهما مثلُ عشرةِ أجذارِ أحدهما بلغ ذلك ثمانيةً وأربعين درهما، فينبغي أن تَرُدّ المالَيْنِ إلى مال واحد. وقد علمتَ أن مالا من مالين نُصفُهُمَا فاردد كل شيء في المسئلة إلى نصفه، فكأنه قال : مالٌ وخمسةُ أجذار يعدل أربعةً وعشرين درهما. ومعناه أيُّ مالٍ إذا زِدت عليه خمسةَ أجذاره بلغ ذلك أربعة وعشرين. فَنصِّفْ الأجذارَ فتكونُ اثنين ونصفا فاضرِبْها في مثلها فتكون **ستةٌ** وربعا، فزِدْها على الأربعة والعشرين فتكون ثلاثين درهما وربعا، فخُذْ جذرَها ـ وهو خمسة ونِصْفٌ ـ فأنْقصْ منها نصفَ الأجذار ـ وهو اثنان ونِصْفٌ ـ يبقى ثلاثة وهو جِذرُ المال، والمال تسعةٌ. وكذلك لو قال : نِصْفُ مالٍ وخمسةُ أجذارِهِ بلَغ ذلك ثمانيةً وعشرين درهما، فمعنى ذلك : أيُّ مال إذا زِدْت على نصفه مثل خمسة أجذارِه بلغ ذلك ثمانية وعشرين درهما، فتُريدُ أن تكمّل مالَك حتى يبلغ مالا تاما، وهو أن تضعّفه فأضْعِفْه وأضعِف كلَّ ما معك مما يعادلُه فيكونُ مالا وعشرةَ أجذارٍ يعدل ستة وخمسين درهما، فنصِّفْ الأجذار تكون خمسةً، فاضربها في مثلِها تكون خمسةً وعشرين، فزدْها على الستة والخمسين تكون أحدا وثمانين، فخذ جذرَها ـ وهو تسعةٌ ـ فانْقِص منها نصفَ الأجذار ـ وهو خمسة ـ فيبقى أربعةٌ، وهو جذر المال الذي أردتَ، والمالُ ستةَ عَشَرَ، ونصفُه ثمانيةٌ، وكذلك فافعل بجميع ما جاءك من الأموالِ والجذورِ وما عَادَلَها من العدد تُصِبْ إن شاء اللهُ.

وأما الأموالُ والعَدَدُ التي تعدل الجذورَ فنحوُ قولِك، مالٌ واحد وعشرونَ من العدد يعدل عشرَةَ أجذارِه، ومعناه : أيُّ مالٍ إذا زدت عليه واحدا وعشرين درهما كان ما اجتَمَعَ مثلُ عشرةِ أجذارِ ذلك المال فبابُه (فطريقة إجرائه) أن تُنَصِّفَ الأجذار فتكونَ خمسة فاضربها في مثلِها تكونَ خمسةً وعشرين فانْقِص منها الواحدَ والعشرين التي ذكر أنها مع المال فيبقى أربعةٌ، فخُذْ جذرَها ـ وهو اثنان ـ فانقصْه من نصف الأجذار ـ وهو خمسة ـ فيبقى ثلاثة، وهو جذر المال الذي تريده والمالُ تسعةٌ.

وإن شئت فزد الجِذرَ على نصف الأجذار فتكون سبعةً، وجذر المال الذي تريده والمال تسعة وأربعون. فإذا وردت عليك مسئلة تُخرِجك إلى هذا الباب (أي النوع) فامتحنْ صوابَها بالزيادة، فإن لم تكن فهي بالنقصان لا محالةَ، وهذا الباب يُعْمَل بالزيادة والنقصان جميعا، وليس ذلك في غيره من الأبواب الثلاثة التي يُحْتاج فيها إلى تَنْصِيف الأجذار. واعلم أنك إذا نصَّفْت الأجذارَ في هذا الباب وضربتَها في مثلها فكان مبلغُ ذلك أقلَّ من الدراهم التي مع المال فالمسئلةُ مستحيلةٌ.

تنبه الخوارزمي للحالة التي يستحيل فيها إيجاد قيمة حقيقية للمجهول فقال إن المسئلة تكون في هذه الحالة «مستحيلة» وقد بقى هذا اسمها بين علماء الرياضيات إلى أواخر القرن الثامن عشر عندما بدأ البحث في الكميات التخيلية على أيدي كاسبار فسل، وجان روبير أرجان.

وان كان مثلُ الدراهم بعينها فجذرُ المال مثلُ نصفِ الأجذار سواءً (أي بالضبط) لا زيادةَ ولا نقصانَ. وكل ما أتاك من مالين أو أكثرَ أو أقلَّ فارددْه إلى مال واحد كنحو ما بينتُ لك في الباب الأول.

وأما الجذور والعدد التي تعدِلُ الأموالَ فنحوُ قولك : ثلاثة أجذار وأربعة من العدد تعدلُ مالًا. فبابُه أن تنصِّفَ الأجذارَ واحدًا ونصفًا، فاضرِبْها في مثلِها فتكون اثنين وربعا، فزدْها على الأربعة فتكون ستةً وربعا، فخذ جذرَها ـ وهو اثنان ونصف ـ فزده على نصف الأجذار ـ وهو واحدٌ ونصفٌ ـ فتكون أربعةً وهو جذر المالِ، والمال ستَّةَ عَشَرَ. كل ما كان أكثَر من مال أو أقلَّ فارددْه إلى مالٍ واحد.

فهذه الستةُ الضروبُ التي ذكرتُها في صدر كتابي هذا وقد أتيتُ على تفسيرها. وأخبرت أن منها ثلاثةَ ضروبٍ لا تُصَنَّفُ فيها الأجذارُ وقد بينت قياسها واضطرارها. فأمَّا ما تحتاجُ فيه إلى تصنيف الأجذارِ في الثلاثة الأبوابِ الباقيةِ فقد وصفتُه بأبواب صحيحةٍ لكل باب منها صورةٌ يُسْتَدَلّ منها على العِلَّةِ في التَّصْنِيف.

التــــدريـبــــات

١ ـ لاحظ هذه التعبيرات :

كان منقطعا إلى خزانة الحكمة = مواظبا على العمل في بيت الحكمة بدون انقطاع.

لمع في علم الرياضيات = برز واشتهر في هذا العلم.

الطريقة الوضعية = الطريقة التجريبية التي تعتمد مبادئ المنطق الحديث، وهي تقابل الطريقة الصورية التي تقوم على المنطق الأرسطي في البرهان والاستدلال.

العقد الأول من القرن الثالث الهجري = أي العشر سنوات الأولى من القرن الثالث الهجري، وتجمع على عقود.

٢ ـ أسئلة حول النص :

١ ـ ما أهمية الجبر في حياتنا المعاصرة والمستقبلة ؟

٢ ـ لماذا أهمل المؤرخون تاريخ ولادة الخوارزمي ؟

٣ ـ لماذا كان الخوارزمي من رواد العلم في عصره ؟

٤ ـ في عصر أي الخلفاء العباسيين عاش الخوارزمي ؟

٥ ـ ما اسم الكتاب الذي ألفه الخوارزمي وفيه اكتشافه الخطير (الجبر) ؟

٦ ـ ما الغرض الذي ذكره الخوارزمي من تأليفه هذا الكتاب ؟

٧ ـ كم سنة قدرها العلماء لحياة الخوارزمي ؟

٨ ـ ما العلوم التي درسها الخوارزمي وأهلته لتحقيق اكتشافه ؟

٩ ـ أين تلقى الخوارزمي تعليمه ؟

١٠ ـ يكف بدأت عند الخوارزمي بوادر اكتشاف علم الجبر ؟

١١ ـ هل اكتفى الخوارزمي بأوّليّات علم الجبر ؟

١٢ ـ ما أعلى منصب تولاه الخوارزمي في حياته ؟

١٣ ـ كم مؤلفا تركه الخوارزمي في التراث العربي الإنساني ؟

١٤ ـ ما أهم هذه المؤلفات وأبقاها أثرا ؟

١٥ ـ ماذا قال جورج سارتون عن الخوارزمي ؟

١٦ ـ بم ارتبط اسم الخوارزمي في معظم لغات العالم ؟

١٧ ـ ما الدليل على أن الخوارزمي كان إماما في علم الجبر ؟

١٨ ـ لماذا عينه الخليفة المأمون رئيسا لبيت الحكمة ؟

١٩ ـ متى ترجم كتاب الخوارزمي من اللغة العربية أول مرة ؟

٢٠ ـ من قام بهذه الترجمة ؟

٢١ ـ ما الموضوعات الأساسية التي اشتمل عليها كتاب الخوارزمي ؟

٢٢ ـ ما رأيك في طريقة الخوارزمي في عرض مسائله والتطبيق عليها؟

٢٣ ـ هل تعتقد أن الخوارزمي أحد عظماء التاريخ ؟ لماذا ؟

٢٤ ـ لماذا يؤلف العلماء الكتب من وجهة نظر الخوارزمي ؟

٢٥ ـ ما الفرق بين «الجذر» و«المال» و«العدد» ؟

٢٦ ـ ما الذي يخرج مخرج الواحد من الأعداد ؟

٢٧ ـ ما العقود ؟

٢٨ ـ إلى كم نوع تنقسم الأعداد التي يحتاج إليها في حساب الجبر ؟

٢٩ ـ ما مثال المال الذي يعدل جذره ؟

٣٠ ـ كيف تعدل خمسة أموال ثمانين ؟

٣١ ـ ما الأموال التي تعدل عددا ؟

٣٢ ـ ما الجذور التي تعدل عددا ؟

٣ ـ صـواب أو خــطــأ :

١ ـ كانت أسرة الخوارزمي من الأسر التي تتصل بأسباب الشهرة.

٢ ـ أول من استخدم مصطلح «الجبر» هو محمد بن موسى الخوارزمي.

٣ ـ لا يعرف أحد على التحقيق تاريخ ميلاد الخوارزمي.

٤ ـ كان الخليفة العباسي المأمون لا يشجع العلماء على البحث والابتكار.

٥ ـ لم تكن للخوارزمي اهتمامات إلا بالرياضيات وعلم الفلك.

٦ ـ المواريث توزع على مستحقيها بطريقة معقدة لأن الناس لا يعرفون الحساب.

٧ ـ اخترع الخوارزمي علم الجبر وطوره استجابة لحاجة الناس إليه.

٨ ـ علم الجبر في كل لغات العالم مشتق من الكلمة العربية «الجبر».

٩ ـ كل معادلات الخوارزمي صالحة للاستعمال في العصر الحديث.

١٠ ـ الأعداد التي يحتاج إليها في حساب الجبر والمقابلة خمسة ضروب.

١١ ـ العدد المفرد لا ينسب إلى جذر ولا إلى مال.

١٢ ـ مائة وأربعون جذرها اثنا عشر.

١٣ ـ إذا كان المال أربعمائة فالجذر منه يساوي ثلاثين.

١٤ ـ لم يكن كتاب الجبر والمقابلة أول كتاب في موضوعه في اللغة العربية.

١٥ ـ من الغريب أن تهمل المراجع التاريخية تاريخ وفاة الخوارزمي.

١٦ ـ المصطلحات التي استخدمها الخوارزمي لم تكن من ابتكاره.

١٧ ـ المخترعات التي غيرت تاريخ البشرية بدأ معظمها في صورة معادلة جبرية.

٤ ـ أكمل الجمل الآتية بما يناسبها :

١ ـ مكتبة الخليفة العباسي المأمون كانت تسمى ....

٢ ـ كتاب ابن النديم في التراجم يسمى ....

٣ ـ حكم الخليفة العباسي المأمون حوالي ....

٤ ـ العلم الذي يدرس طريقة توزيع ممتلكات المتوفى على أقاربه يسمى ....

٥ ـ المستحقون لممتلكات المتوفى يسمون ....

٦ ـ كانت للخوارزمي أعمال فلكية في ....

٧ ـ الذي شجع الخوارزمي على البحث والابتكار هو ....

٨ ـ كلمة الجبر ـ قبل أن تكون مصطلحا ـ تعني في العربية ....

٩ ـ القرن فيه عشرة ....

١٠ ـ من ابتكارات الخوارزمي في المصطلحات .... و ....

١١ ـ العقد يساوي ....

١٢ ـ الجذر هو كل شيء مضروب في ....

١٣ ـ المال هو كل ما اجتمع من ....

١٤ ـ العدد المفرد كل ملفوظ به من ....

١٥ ـ لم تكن أسرة الخوارزمي متصلة بأسباب ....

١٦ ـ إذا كان ثلث مال يساوي أربعة أجذار فالمال كله يساوي ....

١٧ ـ إذا كانت أربعة أجذار تساوي عشرين فالجذر الواحد يساوي ....

١٨ ـ قسم الخوارزمي الأعداد إلى ....

٥ ـ ضع كل تعبير مما يأتي في موضعه المناسب في الجمل التالية :

على وجه التحقيق ـ الغريب حقا ـ بأسباب الشهرة ـ منقطعا إلى ـ على الأقل ـ نظرا لـ ـ نتيجة لـ ـ يلفت الأنظار ـ بعين الاعتبار ـ من المرجح أن.

١ ـ إذا لم تتصل أحوال الأسرة الاجتماعية .... فليس من المتوقع أن يهتم أحد بمولد أبنائها أو وفاتهم.

٢ ـ لا يستطيع الباحث أن يحقق شيئا مفيدا ما لم يكن .... البحث والاطلاع.

٣ ـ لم يسجل التاريخ سنة ميلاد الخوارزمي .... أن أسرته لم تكن مشهورة.

٤ ـ يعد الخوارزمي .... مؤسس علم الجبر بمعناه الحديث.

٥ ـ تطورت البشرية تطورا ملحوظا .... ما قدمه الخوارزمي.

٦ ـ .... معاصري الخوارزمي لم يدركوا تماما ما قدمه للبشرية كلها.

٧ ـ إذا أخذت الحالة الثقافية .... سهل علينا معرفة سر نبوغ الخوارزمي.

٨ ـ إذا لم تقبل هذا الرأي، فـ .... ناقش معي أسباب رفضك.

٩ ـ إنه لمن .... أن يهمل التاريخ سنة وفاة الخوارزمي العظيم.

١٠ ـ استطاع الخوارزمي أن .... إلى علمه في الشرق والغرب القديم والحديث.

٦ ـ ضع كل تعبير مما يأتي في جملة مفيدة :

على وجه اليقين، على الأقل، على وجه التحقيق، على الأكثر، على وجه العموم، بصفة خاصة، على وجه الخصوص، بصفة عامة، على وجه السرعة، ولا شك، على وجه من الوجوه، مهما يكن من أمر.

٧ ـ أكمل الجمل التالية طبقا للنموذج :

أ ـ **بل** استطاع أن يوجد نظاما لتحليل كثير من المعادلات.

ب ـ لم يقتصر الخوارزمي على أوليات علم الجبر بل استطاع أن يوجد نظاما لتحليل كثير من المعادلات.

١ ـ لم تقتصر رحلة ابن بطوطة على البلاد العربية بل ....

٢ ـ .... بل قدمت له الحماية من الوحوش أيضا.

٣ ـ لم يقتصر ابن خلدون على إيجاد قوانين العمران الخاصة بعصره وحدها بل ....

٤ ـ .... بل اشتملت على قصص الخوارق والسحر أيضا.

٥ ـ لم ينقذ القرد أبا المظفر وحده بل ....

٦ ـ .... بل أوجب أن تسلم إليه نفقة طعامهم في أيديهم.

٧ ـ لم تقتصر الشتائم المتبادلة في المقامة الدينارية على المحسوسات بل ....

٨ ـ .... بل يوجد اللؤلؤ داخل الفم أيضا.

٩ ـ .... بل يأتي أثناء المنام أيضا.

٨ ـ حول من الصفة (النعت) أو من التركيب الاضافي إلى البدل كما في النموذج :

أ ـ لم يترك كتاب الخوارزمي شيئا من مسائل الحساب **الصغيرة والكبيرة**.

ب ـ لم يترك كتاب الخوارزمي شيئا من مسائل الحساب **صغيرها وكبيرها**.

١ ـ الناس **الفقراء والأغنياء** محتاجون إلى العمل.

٢ ـ الكتب **الجديدة والقديمة** مفيدة في تحصيل العلم والمعرفة.

٣ ـ يحتاج الطلاب **الضعفاء والأقوياء** إلى الرعاية والاهتمام.

٤ ـ ينبغي أن نهتم بالأمر **الجليل والحقير**.

٥ ـ قرأت **نصف كتاب** الخوارزمي في الجبر والمقابلة.

٦ ـ إن **بعض الدرس** مبني على بعضه الآخر.

٧ ـ إن **أبواب الكتاب** وفصوله منظمة تنظيماً دقيقاً.

٨ ـ كل الناس **الحاكمين والمحكومين** سواء أمام القانون.

٩ ـ يعتمد **بعض الناس في** شؤون الحياة على بعض.

١٠ ـ أحب أكل الفاكهة **الحلوة والحامضة** فهي مفيدة جدا.

٩ ـ حول من المصدر المؤول إلى المصدر الصريح كما في النموذج :

أ ـ الغريبُ حقا **أن أحدًا لا يعرف تاريخ** وفاةِ الخوارزمي.

ب ـ الغريبُ حقا **عَدَمُ معرفةِ أحدٍ تاريخَ** وفاةِ الخوارزمي.

١ ـ يذكر ابْن النديم في كتاب الفهرست أن الخوارزمي كان منقطعا إلى خزانة الحكمة.

٢ ـ يذكر الخوارزمي أن الخليفة شجعه على تأليف كتاب الجبر والمقابلة.

٣ ـ نستطيع أن نستدل على فترة مؤكدة من فترات اشتغال الخوارزمي بالعلم.

٤ ـ استطاع الخوارزمي أن يلفت الأنظار إلى علمه الجديد الذي اكتشفه.

٥ ـ استطاع الخوارزمي أن يوجد نظاما لتحليل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذات المجهول الواحد بطرق جبرية وهندسية.

٦ ـ كان الخوارزمي واحدًا من الذين ساعدوا على أن تتطور المعرفة الإنسانية عبر التاريخ.

٧ ـ من الأدلة على عظمة الخوارزمي أن اسم حساب اللوغاريتمات مشتق من اسم الخوارزمي نفسه.

٨ ـ إن من الغريب حقا أن تهمل المراجع التاريخية أن تسجل مناسبة وفاة الخوارزمي.

٩ ـ من المرجح أن الخوارزمي قد ألف كتابه في العقد الأول من القرن الثالث الهجري.

١٠ ـ شجعت معاملة المأمون الخوارزمي على أن ألف من كتاب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا.

١١ ـ كان للخوارزمي أبلغ الأثر في أن يتقدم علما الحساب والجبر في العالم كله.

١٢ ـ يبين الخوارزمي أن كل واحد من الجذر والمال والعدد يساوي الآخر.

١٠ ـ تدريب كتابي :

أشار الخوارزمي في نصه إلى ثلاثة أسباب للتأليف وثلاثة طرق للتأليف. اعرض كلا منها بأسلوبك الخاص.

اقرأ واحفظ

طَرَفَةُ بنُ العَبْد في ذِكْرِ المَوْتِ وعِبْرَةِ الحياةِ
(من بحر الطويل)

أرى قَبْرَ نَحَّامٍ بخيلٍ بمالِه ... كقَبْرِ غَوِيٍّ في الضَلالَةِ مُفْسِدِ
ترى جُثْوَتَيْنِ من ترابٍ عليهما ... صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ منضَّدِ
أرى العيشَ كَنْزًا ناقصًا كلَّ ليلةٍ ... وما تَنْقُصُ الأيامُ والدهرُ يَنْفَدِ
لعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأ الفتى ... لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليدِ
متى ما يَشَأْ يومًا يَقُدْه لحَتْفِه ... ومن يَكُ في حَبْلِ المنيَّةِ يَنْقَدِ
فإنْ مِتُّ فانْعَيْنِي بما أنا أهلُه ... وشُقِّي عليَّ الجَيْبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ
ولا تَجْعَلِيني كامرئٍ ليس هَمُّه ... كهَمِّي ولا يُغْني غَنائي ومَشْهَدي
أرى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا أرى ... بعيدًا غدًا ما أقْرَبَ اليومَ من غَدِ

سَتُبْدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلا   ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لمْ تُزَوِّدِ
ويأتيكَ بالأنباءِ من لمْ تَبِعْ له   بَتاتاً ولم تَضْرِبْ له وَقْتَ مَوْعِدِ

الشاعر : شاعر جاهلي شهير من أصحاب المعلقات. والمعلقات سبع أو عشر قصائد طويلة جيّدة، يقال إنّ كل واحدة منها قد اختيرتْ في مسابقة بين الشعراء في المواسم الأدبية، التي كانت تقام في الأشهر الحُرُم في الجاهلية في أسواق «عكاظ»، و«مجنة» و«ذو المجاز». كما يقال إن هذه القصائد الفائزة كتبت بماء الذهب على قماش من الحرير، وأنها علقت على أستار الكعبة. وقد توفى طرفة سنة ٧٠ هـ (٥٤٨ م) والقطعة التي معنا هي من معلقته.

شروح : **نحّام** : الذي يتهرب بشتى الطرق من إنفاق المال لبخله الشديد **غويّ** : الضال الذي يبتعد عن طريق الصواب ويسرف في إنفاق المال **البطَالة** : الضلال ـ **جُثْوتين** : مثنى جُثوة وهي الكومة ـ **صفائح** : ألواح ـ **صُمّ** : صلبة مُصْمتة لا تجويف بداخلها ـ **صفيح** : أحجار عريضة ـ **مُنضّد** : منسق مرتب ومضموم بعضه إلى بعض ـ **ينفد** : ينتهي لا يبقى منه شيء ـ **أخطأ الفتى** : لم يصل إليه ـ **ما أخطأ الفتى** : طوال الوقت الذي لم يصل إليه فيه ـ **الطِّوَل** : الحبل الذي يقاد به الحيوان ـ **ثِنْيَاه** : طرفاه ـ **يَقُده** : (يقوده) **لحتفه** : يسحبه إلى موته ـ **يَكُ** : يَكُنْ (يَكُون) ـ **المنية** : الموت ـ **انعيني** : ابكي على واذكري فضائلي بعد موتي ـ **الجَيْب** : فتحة الثوب التي يدخل الإنسان رأسه في الثوب منها ـ **شُقّي عليّ الجيب** : مزقي ثيابك حزنا على ـ **ابنة معبد** : زوجة الشاعر ومعبد اسم أبيها ـ **همه** : عزيمته وقوته وبأسه ـ **لا يغني غنائي** : لا يحلّ محلي، لا يقوم بما أقوم به، أي لا يستطيع أن يعمل مثل ما أعمل ـ **مشهدي** : حضوري وأفعالي ـ **أعْدَاد النفوس** : عدد الناس، أرى الموت أعداد النفوس : الموت كثير كثرة الناس ـ **من لم تُزَوِّد** : من لم تعطه الزاد، أي لم تجهزه وتنفق على رحلته لكي يأتيك بالأخبار ـ **لم تَبِعْ له بَتَاتًا** : لم تشتر له زادا وطعاما لكي يسافر ويأتيك بالأخبار.

حنين بن إسحاق في :

طبيعة العين وتركيبها*

نشأ طب العيون العربي - بالمعنى العلمي للتسمية - في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أيام الخلفاء العباسيين. في تلك الفترة ترجم الأطباء المُتَبَحِّرون في العلم جملة ما تركه اليونان من كتب الطب إلى السريانية والعربية. وكان هذا النشاط الواسع في الترجمة بتشجيع من الخلفاء، وبالأخص المأمون والمتوكل على الله. وقد بلغ العلم العربي في عمومه أعلى مراتبه في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). وهناك كتابان نفيسان يمثلان الذِّروة في طب العيون هما : «**تذكرة الكحالين**» لعلي بن عيسى من أهل بغداد، و«**كتاب المنتخب في علاج أمراض العيون**» لعمار بن علي الموصلي، الطبيب القاهري. ثم انتقل الطب العربي إلى أوربا - بعد ترجمة كتبه إلى اللاتينية - حيث ساعد على نشأة طب العيون في الغرب كما نعرفه اليوم. أما كتاب حنين بن إسحاق المعنون «**العشر مقالات في العين**» - الذي ألفه في أوائل القرن الثالث الهجري، والذي أخذنا منه النص الذي معنا - فله أهميته البالغة في تاريخ الطب العربي بصفة خاصة، وتاريخ طب العيون بصفة عامة؛ فهو أقدم كتاب في طب العيون ألف على الطريقة العلمية، كما أنه يمثل البداية الحقيقية لطب العيون العربي.

مداخل إلى دراسة النص

عن الكاتب :

- هو أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي.
- ولد سنة ١٩٤ هـ (٨٠٩ م) في الحيرة بالعراق من أب كان يشتغل بالصيدلة.

- درس الطب أول ما درس في أكاديمية الطب الشهيرة في جنديسابور (بخوزستان من أعمال فارس).

- تتلمذ حنين في ذلك العهد على يحيى بن ماسويه (الذي قرأنا له نصا في صفة اللؤلؤ)، ولكن حنينا كره من أستاذه ما كان عليه من غطرسة وتكبر، فترك الأكاديمية كلها.

- أمضى حنين بعد ذلك سنوات عديدة في مكان مجهول أتقن خلالها اللغة اليونانية، ثم قصد البصرة، وكانت في ذلك العهد أكبر مركز لعلوم اللغة العربية، وملتقى كبار علمائها. أصبح يجيد اليونانية والعربية إلى جانب الفارسية والسريانية اللتين كان يعرفهما بحكم النشأة.

- توجه إلى بغداد حوالي عام ٢١١ هـ (٨٢٦ م) ودخل في خدمة جبرائيل بن بختيشوع (المتوفى ٢١٤ هـ - ٨٢٩ م)، وهو أشهر أفراد عائلة بختيشوع، التي كان منها أطباء البلاط. وكان هو نفسه الطبيب الخاص للخليفة المأمون المتوفي ٢١٨ هـ (٨٣٣ م). ومعروف أن هذا الخليفة العباسي كان يشجع أعمال الترجمة من الكتب اليونانية الطبية والعلمية إلى اللغتين العربية والسريانية. وقد ترجم حنين، وهو في السابعة عشرة من عمره، لجبرائيل كتاب جالينوس «أصناف الحميات»، ثم كتابه «في القوى الطبيعية».

- سر جبرائيل بذكاء الفتى حنين وكفايته اللغوية فامتدحه عند الخليفة، فعينه الخليفة عميدا لبيت الحكمة الذي أنشئ عام ٢١٥ هـ (٨٣٠ م)، واختزنت فيه جميع المخطوطات اليونانية التي جمعها المأمون من أماكن كثيرة في إمبراطوريته الشاسعة.

- قام حنين بعد ذلك بترجمة قدر هائل من كتب الطب والفلسفة عن اليونانية، كما قام برحلات طويلة جاب فيها أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر سعيا وراء الحصول على المخطوطات العلمية اليونانية. وكان الخليفة نفسه وكبار رجال البلاط يدفعون نفقات هذه الرحلات وأثمان الكتب النادرة.

- في أيام الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢-٢٤٧ هـ (٨٤٦-٨٦١ م) بلغ حنين قمة مجده كمترجم وطبيب، لكنه خلال هذا الوقت نفسه نكب بمصائب جرها سوء ظن المتوكل به، وذلك بسبب المكائد التي دبرها له زملاؤه، ومنهم بختيشوع بن جبرائيل، وإسرائيل بن زكريا، فحبسه المتوكل ظلما، ثم اكتشف براءته فأخرجه من السجن وكافأه.

- عاش حنين بعد نكباته هذه عشرين عاما. معظما لدى الخلفاء : المنتصر بالله توفى عام ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م) والمستعين بالله توفى عام ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) والمعتز بالله توفى عام ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) والمهتدى بالله توفى عام ٢٥٦ هـ (٨٦٩ م) والمعتمد على الله توفى عام ٢٧٩ هـ (٨٩٢ م). وتوفى هو نفسه عام ٢٦٤ هـ (٨٧٧ م)، وعمره سبعون عاما.

- ومما يؤسف له أننا لا نعلم الشيء الكثير عن طريقة العمل التي اتبعها هذا العلامة في حياته العلمية، كما لم يرد شئ عن أسلوب حياته اليومية سوى ما كتبه ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان) الذي ألفه عام ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) حين قال : «كان حنين في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء ويخرج فيلتف في قطيفة ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة ويتكئ حتى ينشف عرقه، وربما نام ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ زيرباجا (بالكمون - فارسي) ورغيف وزنه مائتا درهم. فيحسو من المرقة ويأكل الفروج والخبز وينام. فإذا انتبه (صحا من نومه) شرب أربعة أرطال شرابا عتيقا. فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي والسفرجل. وكان ذلك دأبه إلى أن مات».

- كان حنين طبيبا ممتازا ذا حظوة عند الخلفاء، وقد نوه المؤرخون بمهارته الخاصة في معالجة أمراض العين. ولكن أهم جانب من حياته العلمية هو تراجمه التي من بينها كل مؤلفات جالينوس تقريبا، وقد ترجمها من اليونانية إلى السريانية والعربية.

- ترجم حنين من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابا إلى السريانية، وتسعة وثلاثين إلى العربية، وراجع وأصلح ما ترجمه تلاميذه، وهي ستة إلى السريانية، ونحو سبعين إلى العربية، كما راجع وأصلح معظم الخمسين كتابا التي كان قد ترجمها إلى السريانية أيوب الرهاوى وسرجس الرأسعيني وسواهما من الأطباء المتقدمين.

- كان أسلوب حنين في الترجمة رائعا ووافيا بأغراض علم اللغات، وكان ينتقد بعنف تراجم المتقدمين وتراجمه هو نفسه، التي قام بها عندما كان شابا (وقد ترجم معظمها من جديد). وكان حنين وتلميذه الشهير حبيش يتجشمان عناء كبيرا في التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقدر ما يستطيعان من الوضوح. وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى لو ضحيا في سبيل ذلك بجمال اللغة وتنسيق أسلوبها. ومع ذلك فإن ترجمتهما تكشف عن تمكن وثيق من اللغة وحسن تصرف في مذاهبها. ويتجلى ذلك في سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقة المتناهية في التعبير مع الإيجاز.

- وإلى جانب هذه المترجمات الكثيرة كان لحنين أيضا مؤلفات باللغتين السريانية والعربية. ونحن لا نعلم إلا القليل، والقليل جدا، عن مؤلفاته بالسريانية. أما مؤلفاته بالعربية فقد بلغت أكثر من مائة كتاب في مختلف فروع الطب. ولعل أهم هذه الكتب وأكثرها شهرة هو كتاب العشر مقالات في العين، وقد أخذنا منه النص الذي معنا هنا.

عـن الكـتـــاب :

- عنوان الكتاب هو «**العشر مقالات في العين**».

- وصفه طبيب العيون ماكس مايرهوف عام ١٩٢٨ بأنه «**أقدم كتاب في طب العيون ألف على الطريقة العلمية**».

- وصفه ابن أبي أصيبعة في كتابه «طبقات الأطباء» فقال : «**هذا الكتاب يوجد في نسخه اختلاف كثير. وليست مقالاته على نسق واحد. فإن بعضها توجد مختصرة موجزة في المعنى الذي هي فيه. والبعض الآخر قد طول فيه وزاد عما يوجبه تأليف الكتاب. والسبب في ذلك أن كل مقالة فيه كانت بمفردها من غير التئام لها مع غيرها. وذلك لأن حنينا يقول في المقالة الأخيرة من هذا الكتاب : «إني كنت قد ألفت منذ نيف وثلاثين سنة في العين مقالات مفردة نحوت فيها إلى أغراض شتى سألني تأليفها قوم بعد قوم.... (قال) ثم إن حبيشا سألني أن أجمع له ذلك وهو تسع مقالات وأجعلها كتابا واحدا. وأن أضيف للتسع مقالات الماضية مقالة أخرى أذكر فيها شرح الحال في الأدوية المركبة التي ألفها القدماء وأثبتوها في كتبهم لعلل العين. وهذا ذكر أغراض المقالات التي تضمنها هذا الكتاب :**

المقالة الأولى	ـ يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها.
المقالة الثانية	ـ يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعه.
المقالة الثالثة	ـ يذكر فيهاالعصب الباصر والروح الباصر، وفي نفس الإبصار كيف يكون.
المقالة الرابعة	ـ يذكر فيها جملة الأشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها.
المقالة الخامسة	ـ يذكر فيها أسباب الأمراض الكائنة في العين.
المقالة السادسة	ـ في علاجات الأمراض التي في العين.
المقالة السابعة	ـ يذكر فيها قوى جميع الأدوية عامة.
المقالة الثامنة	ـ يذكر فيها أجناس الأدوية للعين خاصة وأنواعها.
المقالة التاسعة	ـ يذكر فيها مداواة أمراض العين.
المقالة العاشرة	ـ في الأدوية المركبة الموافقة لأمراض العيون.

ثم يضيف ابن أبي أصيبعة قائلا : «ووجدت مقالة حادية عشرة لحنين مضافة إلى هذا الكتاب يذكر فيها علاج الأمراض التي تعرض للعين بالتحديد (أي بالآلات الجراحية).

- والمقالات كلها هي في الواقع تلخيص لكتب جالينوس، وقد كتب حنين في المقدمة أنه كتب هذا الكتاب «على ما بينه وشرحه جالينوس الحكيم».

- اتبع حنين في تناول موضوعه الطريقة التي اتبعها اليونان من قبل وأوائل أطباء العرب الذين جاءوا بعده. وهذه الطريقة هي الكتابة عن المرض الواحد مرات ثلاثا في فصول مقالات مختلفة. فأولا يتكلم عن **تشخيص** المرض ثم عن **أعراضه** وأخيرا يتكلم عن **علاجه**. أما الطريقة التي تتبع في العصر الحاضر (ونعني بها وصف المرض وأعراضه وعلاجه في فصل واحد) فقد اتبعت ابتداء من علي بن عيسى في القرن الرابع الهجري.

- يزدان الكتاب برسوم فريدة ـ شائقة جدا. ولا بد أنها كانت ثمانية أو عشرة. وقد فقد بعضها ولم يبق منها إلا خمسة. وهذه الرسوم أرقى بكثير من تلك التي زينت بها الكتب الأوربية في القرون الوسطى.

- الاصطلاحات اليونانية المنقولة إلى العربية شائعة بكثرة في الكتاب، وهي تدل على تملك المؤلف ناصية العربية كما كان على علم بالاصطلاحات اليونانية الفنية.

- للغة الكتاب وأسلوبه أهمية خاصة؛ ذلك أن مؤلفه حنين بن اسحاق ـ بفضل ترجماته العلمية ـ كان من أوائل الذين طبعوا اللغة العربية بطابع الأسلوب العلمي على عهد العباسيين.

- يرجح محقق الكتاب ـ الدكتور ماكس مايرهوف ـ أن تلاميذ حنين ومن أتى بعده من أطباء العيون ـ ممن تداولوا الكتاب وتناقلوه بالنسخ ـ قد أفسدوا عبارته الفصيحة. فمع أن لغة الكتاب تشيع فيها بعض خواص امتاز بها أسلوب حنين وتلميذه حبيش إلا أنها في الوقت ذاته تختلط بأسلوب عربي رديء لا يمكن أن ينسب انحطاطه وسوقيته إلا إلى عبث الناسخين وحدهم.

- من الكلمات والعبارات التي تشيع في الكتاب ـ والتي هي من خصائص أسلوب حنين ـ ما يأتي : «ربما»، و«في بعض الأوقات» و «في وقت من الأوقات»، و«ومثل ما» و «مثل ذلك من أشياء ليس وفق ـ لكن» و «بل ـ أيضا» و «لعل» وغير ذلك.

- ومع ذلك فإن محقق الكتاب يرى عدم نسبة الكتاب بصورته التي وصلت إلينا إلى حنين على نحو قاطع، بل يفضل استخدام عبارة : «المنسوب إلى حنين».

- لقد نال كتاب «العشر مقالات في العين» إعجاب جميع أطباء العيون العرب وغير العرب من الأطباء المتأخرين. فليس هذا الكتاب بداية طب العيون عند العرب فحسب، بل هو أول كتاب في طب العيون يؤلف على الطريقة العلمية كما وصفه مُحَقِّقُه طبيب العيون ماكس مايرهوف.

عـن الـنــــص :

- النص الذي معنا هو عبارة عن المقالة الأولى من الكتاب، وهي تتناول تشريح العين، فتقرر أن كل شيء في الجسم وفي العين أيضا قد خلق لفائدة معينة، وتكرر أغلاط جالينوس التي شاعت وترددت مدة تزيد على ألف وأربعمائة عام دون أن **ينقضها** أحد. فمثلا وضعت عدسة العين التي ترجمت إلى العربية تحت اسم (الرطوبة الجليدية) في وسط المقلة خطأ، وجعلتها عضو البصر الرئيسي. وقررت أن أغشية العين ورطوباتها (سوائلها) قد جعلت لحماية وتغذية العين. ولاحظت أن الشبكية إنما هي امتداد لنهاية ـ عصب الإبصار (ولكن طبيعتها الحقيقية على اعتبار أنها عضو الإبصار

الحقيقي كانت لا تزال مجهولة). ووصفت المقالة أيضا اتصال الشبكية بالمخ بواسطة عصب الإبصار. ولكن كان المظنون أن هذا العصب مجوف لكي يسير فيه «روح البصر» أو «الروح النوري» من المخ إلى العين والعدسة «وإنسان العين». وقدمت المقالة أيضا وصفا للمخ، ووصفت إنسان العين جيدا بأنه ثقب في القزحية، ووصفت عضلات العين الست وصفا جيدا، ولكن العضلة التي تسترجع المقلة أضيفت إليها مع أنها لا توجد في عين الإنسان، ولكن في أنواع معينة من الحيوانات الثديية.

- علينا أن نذكر أن العرب ما كانوا يستطيعون تشريح الجثث الإنسانية، وما كانوا يمارسون سوى تشريح الحيوانات الداجنة على وجه الخصوص.

- يسبق النص فقرة ـ هي في الواقع مقدمة للكتاب كله ـ تبين أنه يجب على من يريد أن يعرف طرق علاج أمراض العين أن يدرس طبيعتها وأجزاءها التي تتركب منها ووظيفة كل جزء وصلته بغيره من الأجزاء. وهذا هو ما فعله حنين في كتابه.

النـــص

المـقـدمـة :

أول ما بدأ به حنين بن اسحاق أنه قال : إنه يَنْبَغِي لمن أراد مَعْرفةَ عِلاجِ عِلَلِ العينِ أن يكون بطبيعتها عارفا. وذلك لأن نَفْيَ الآلامِ والعلل عن كل عُضْو إنما يكون بِردِّه إلى طبيعته التي خرج عنها، ومَعْرفة طبيعة كلِّ ما هو مُرَكَّب إنما تكون بإحْكَام معرفةِ الأجزاء التي هو منها مُؤَلَّف. فلذلك يجب على مَنْ أراد معرفة طبيعَةِ العينِ أن يعلم مِنْ كَمْ جزءٍ رُكِّبَت العينُ، وما فِعْلُ كل واحد منها وما الحاجةُ إليه وكيف هَيْئَته ومِنْ أين مَبْدؤه وأين مُنْتَهاه وفي أي موضع هو من العين، مع أسباب ذلك والاحْتِجَاج فيه.

وأنا مُؤَلِّف لك كتابا كما سألتَ أجمعُ لك فيه باختصارِ جميعَ ما قدمتُ ذكره، على ما بيَّنَه وشرحه جالِينُوس الحكيم، بأوضح ما أقْدِر عليه من القوْل وأوجزه.

المـقـالـة الأولـى :
في طـبـيـعـة الـعـيـن وتـركـيـبـهـا

أعلم أن كل عضو من الأعضاء المركَّبةِ له فعلٌ خاص له أُعِدَّ وهُيِّئ، وله أجزاء كثيرة مختلفةٌ في حالاتها ولا يفعل ذلك الفعلَ بجميع أجزائه بل بواحد منها.

وأما سائرُ الأجزاء فإنما أُعِدّت لذلك الجزءِ الذي به يكون الفعل. وكذلك نجد العينَ أنها مركبةٌ من أجزاءٍ كثيرة مُختلفة، وليس بجميع أجزائها يكون البصرُ بل بالرطوبةِ (السوائل) الشبيهةِ بالجليد المسماة باليونانية (قريسطالويذاس) أو الجَليدية (عدسة العين). وأمّا سائرُ الرطوبات التي في العين والطبقات وجميع

ما سِوَى ذلك فانه إنما خلق كلُّ واحد منها لمنفعةٍ فيه للرطوبةِ الجليدية التي ذكرتُ. وسنبين ذلك لك إذا نحن شرحنا لك منفعةَ كلِّ واحدٍ من أجزاء العين إن شاء اللهُ تعالى.

الرطوبةُ الجليديةُ ـ وأما الآن فنَبتدئ بالقول في الرطوبة الجليدية. فنقول إنها بيضاءُ صافيةٌ نَيِّرة مستديرة ليست بمستحكِمَة الاستدارة بل فيها عَرْض، وهي في وسْطِ العين كنقطة توهمْنَاها في وسْطِ كُرَة. أما بياضُها ونورُها وصفاؤُها فتقبل الاستحالةَ (التغير) من الألوان سريعا، وذلك لأنه الشيءَ الأبيض الصافي النيِّرَ يُسْرِع إلى قبول الألوانِ كالزجاجة الصافية وما أشبَه ذلك.

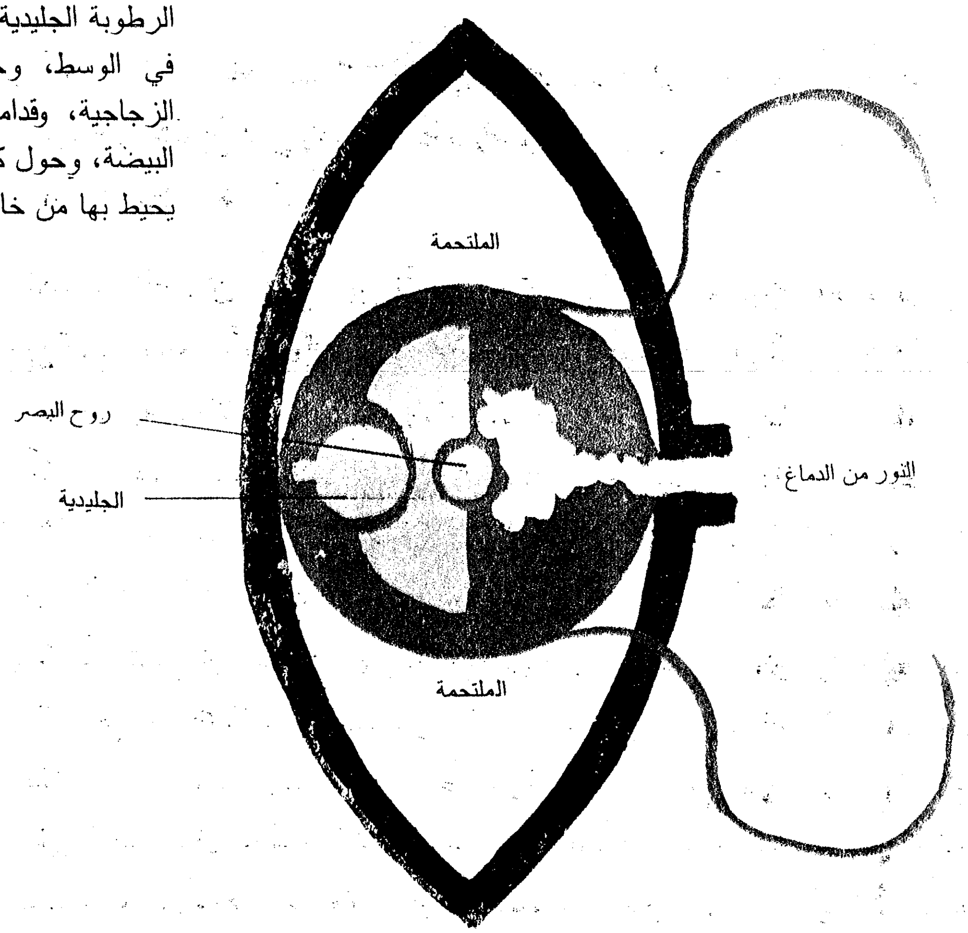
وأمّا استدارتُها فلئلّا يسرع إليها قبولُ الآلامِ، وذلك لأن كل شكل خلا المستديرَ تُسْرِع إليه الآفةُ (الخلل ـ الأذى) لما له من الزوايا.

وأما عَرْضُها فلتقبل من المحسوس أجزاءً كثيرة، وذلك لأنها لو كانت مستحكِمَةَ الاستدارة لما لقى منها المحسوسَ إلا أجزاء يسيرة، وأما الشيء المُسَطَّح فإنه يلقى مما يُمَاسُّه أكثرَ مما يلقى الشيء الكُرِيُّ المستدير.

وأما ما ذُكِر من أن موضعَها في وسْط العينِ فذلك دليل على أن جميع ما سواها مِمَّا في العين إنما خُلِق لها، إما ليدفع عنها آفةً، وإما ليُؤدِيَ لها منفعةً. ولذلك أحاطت بها الأجزاءُ من كل جانب وصارت في الوَسْط. والدليلُ أيضا على أن بهذه الرطوبةِ يكون البصرُ لا بغيرها من أجزاء العين أن الماءَ إذا حال بينها وبين المحسوسِ بَطَل البصرُ. فإذا أزيل عنها بالقَدْح (الثقب والتصفية) عاد البصرُ.

وهذه الرطوبةُ، أعني الجليديةَ، بين رطوبتين، واحدةٌ من خَلْفها شبيهةٌ بالزجاج الذائب المسماة باليونانية (ايلويذاس) أي الزجاجية، وأخرى من قُدَّامها شبيهةٌ ببياض البَيْض وتسمى باليونانية (أوويذاس) أي البَيْضة. وخلف الرطوبة الزجاجية ثلاثُ طبقاتٍ. الطبقة الأولى تَحْوي الرطوبةَ الزجاجيةَ وهي شبيهة بالشَّبَكَة، وتسمى باليونانية (أمفيبليسطر ويذيس خيطن) أي حِجَابٌ شَبَكِي. والطبقة الثانيةُ التي خلف الأولى وهي شبيهة بالمَشِيَمة وتسمى باليونانية (خوريوذيس خيطن) أي الطبقة المَشِيمِيَّة. والطبقة الثالثة خَلْفَ الثانية تَلِي العظمَ وهي صُلْبَة جَاسية (الصلبة) ولذلك تسمى باليونانية (سقليروس) أي الغشاءُ الصُّلْب. وقُدَّامَ الرطوبة الشبيهة ببياض البيض ثلاثُ طبقات : الطبقةُ الأولَى تَحْوِي الرُّطوبَةَ الشبيهةَ ببيَاضِ البَيْضِ وهي شبيهة بالعِنَبَة، وفي لونها سوادٌ مع لون السماء يقال لها باليونانية (راغويذيس خيطن) أي العنَبِيّة. وعلى هذه الطبقة طبقةٌ ثانية شبيهة بالذَّبْل (العظم) في لَوْنِها وهيئَتها لأنها مُرَكَّبة من أجزاءَ إذا قُشِرَت بعضُها عن بعض وُجِدَت كالصفائح، ولذلك سُمِّيَتْ باليونانية (قيراطويذيس) أي القَرْنِية. وتحيط بهذه الطبقة من خارجَ طبقةٌ أخرى لا تُغَشِّيها (لا تُغطيها تماما) يقال لها باليونانية (افيفافيقوس) أي المُلْتَحم، من أنها غشاء يلتحم حول الطَبقة القرنية ولا يغشيها كما يغشى سائرُ الطبقات بعضُها بعضا. لأنه لو غشاه كلَّه لمنع البصر من أن يَنْفُذ وهي على هذا المثال : (أنظر اللوحة).

الرطوبة الجليدية (عدسة العين) في الوسط، وخلفها الرطوبة الزجاجية، وقدامها أخرى هي البيضة، وحول كل منها طبقات يحيط بها من خارج الملتحمة.



وأنا مُبْتدِئٌ بالإخبار عن منافع كل واحد من الرطوبات والطَّبقات التي وَصَفنا، مع ابتدائها وكونِها ومنتهاها ومواضِعِها. وقد كنت قدمت في إخبارك أن الرطوبة الجليدية في وسْط العينِ، وأن خلفها رطوبةٌ واحدة وثلاثُ طبقات.

فنبتدئُ بعون الله بالإخبار عن منفعةِ الرُّطوبة التي خلف الجليدية وهي الزجاجيةُ، وعن الثلاث طبقات التي ذكرنا خلفَها. فنقول إن كل عضوٍ من أعضاء البدن لا بد له من غِذاء. وذلك لأنه لا بد له من أن يَنْقُص منه شيء بِتَحَلّل الحرارةِ الطبيعية من داخلٍ، وحرارة الهواء من خارجٍ، فهو لذلك مضْطَر (محتاج) لا محالةَ إلى ما يَخْلُف (يحِل محله) ما يتحلّل منه، ولا يَخلف ما يتحلل منه إلا ما كانَ شبيهًا بما يتحلل. وذلك شبيه بطبيعة العُضْو وكذلك بكون الغِذاء أعنِي أن يَقْبَل العضوُ زيادةً شبيهةً بطبيعته، وليس يُمْكنُ أن تكون الزيادة شبيهة بطَبيعة العضو إلا أن يُحِيلَها (يحولها) العضوُ إلى طَبْعه. وأسرعُ الأشياء في الاستحالةِ إلى الشيء ما كان أقربَها من طبعه. فلأنّ الرطوبةَ الجليدية احتاجت لا محالَة إلى غِذاء، وكانت هذه الرطوبةُ على ما وصفنا من البياض والصَّفَاء والنّور، لم يمكن أن يكون غذاؤه من الدَّم بلا مُتَوسِّط (بلا وسيط)، فاحتاجت إلى متوسط بين طبيعتها إلى طبيعة الدم. وذلك هي الرطوبةُ الزجاجيةُ لأنها أقربُ إلى البياض والصفاء من الدم. فلذلك صارت الرطوبةُ الجليدية مُمَاسَّةً للرطوبة الزجاجية ليس بينهما حاجزٌ وهي مُغْرَقَةٌ فيها إلى نصفها.

الطبقة الشبيهةُ بالشَّبكة ـ وأما الطبقة التي تَحْوِيَ هذه الرطوبةَ الزجاجية فإنها مركبة من شيئين : من عُصْبَةٍ مجوَّفة يجريٌ فيها الرُّوحُ الذي به يكون البَصَرُ، ومن عُرُوق وأوْردة. وقد ينبغي أن نُوقِفَ القولَ في هذا الموضع ونبتدئُ بالكلام من أوّله.

القولُ على الدماغ ـ أُعلم ان الدماغَ عينُ كلّ حس وكل حركةٍ، ومنه تجرى قوةُ الحس وقوة الحركة في العَصَب إلى جميع الأعضاءِ الحسَّاسَّة والمتحركة. فالعينُ عضو حساس متحركٌ فلذلك يجيئُها من الدماغ عَصَبَتان : أما الواحدةُ فصلبةٌ بها تكون حركتُها. وأنا أذكرها من بعدُ إذا انتهى القولُ إلى العَضَل المحرك للعين. وأما العَصَبَة الأخرى فليّنة مجوّفة وليس في البدن عَصَبَةٌ مجوفة سواها. وذلك لما احتاجت إليه العينُ من الروح النفسانيِّ ليكون به البصرُ، وعلى الدماغ حِجَابان يقال لهما باليونانية (مانينغس) (وفي أخرى مييننجس) أحدُهما رقيق ليّنٌ، والآخرُ غليظ صُلْب. فأما الرقيق اللين فإنه شبيهٌ بالمَشِيمة لكثرةِ ما فيه من الأوْردة والعُرُوق. ومنفعتُه للدماغ أن يَغْذُوه (يغذيه) بما فيه من الأوردة والعروق وأن يُوقِيَه (يحفظه ويحميه) وأما الغليظ الصلب فإنه يوقي الدماغ فقط ويحوطُه من آفةِ عَضْم الرأس المجاور له. وكل عَصَبَة تخرج من الدماغ فإنها مُغَشّاة بِكلا الغشائين، حتى تخرجَ من عَظْم الرأس لهذه المنافع التي ذكرتُ بأعْيانها، وكذلك العَصَبَةُ التي تجيء إلى العينين فإنها مغشاةٌ بكلا الغشائين، فإذا نَظرت من الثُّقْب الذي في العظم الذي في قَعْر العين فارقت بعضُها بعضا. وأما العَصَبة فإنها تَعْرُض وتتسع فيها، وتأتيها العروقُ والأوردةُ من الغِشاء الرقيقِ ويكون من ذلك الحجابُ الشَّبَكِيُّ الذي يحوي الرطوبةَ الزجاجية ويلتحِمُ في النِّصْفِ مِنَ الجليدية. وهذا الحجاب يؤدي بالعروق والأوردة التي فيه غِذاءً إلى الرطوبة الزجاجية، ويُؤَدِّي بالعَصَب الذي فيه الحس والروح النُّوريُّ الذي به يكون البصر (يحدث البصر) إلى الرطوبة الجليدية.

فأمّا الغشاءان اللّذان على العَصَبة فالرقيق منهما يسمَّى باليونانية (خوريويذيس) أي الشبيه بالمشيمة وهو الذي يلي العصبةَ فإنه يحوي الطَّبَقَةَ الشبكِيَّة ويلتحمُ بها في الموضع الذي تلتحم فيه الشبكيةُ بالجليديةِ. ومنفعتُه أن يغذُوَ الشبيكةَ بما فيه من الأوردة والعروق وأن يُوقِيَ ما يَحْوِيه. وأما الغشاءُ الغليظُ الصُلب فإنه يقوي الغشاءَ الرقيقَ ويلتحمُ به أيضا في الموضع حيثُ يلتحمُ الذي يلتحِمُ، ومنفعتُه أن يُوقِّيَ أيضا العينَ من آفةِ العَظْم الذي هو في جَوْفِه لئلّا يَضْرِبَها بصَلَابَتِه، وهو أيضا شبيهٌ بالرِّباط للعَيْن.

فهذا ما أرَدْنا شرحَه من القول في الرُّطوبة الزجاجية التي خلف الرطوبة الجليدية والثلاثِ الحُجُبِ خلفَها.

أما الرطوبةُ التي قُدَّامَ الجليديةِ والثلاث الحجب التي قدامَها ـ فهي على هذه الهيئةِ، وقد تقدَّمتُ بإعلامِك أن من الغشاءَيْن اللذيْن على الدماغ ينبتُ على العَصَبَة التي تجيء إلى العين غشاءان. إذا وَرَدا إلى العَين فارقا العصبةَ وكان منهما طبقتان واحدةٌ تحوي الأخرى وتلتَحِمان كلتاهُما على النصفِ من الجليديةِ في الموضع الذي يقال له باليونانية (أيرس) من أنه شبيه بالقَوْس الذي يُرَى في السماء (وهو قوس قُزَح) واعلم أنه فوق قِحْف الرأس (عظم الدماغ) حجابٌ يغشّيه نباتُه (أي مادته) من الغشاء الصلب الذي على الدماغ،

والحجاب الذي ذكرنا أنه شبيه بالعِنَبة نباتُه من الغشاء الرقيقِ الشبيه بالمشيمةِ الذي ذكرنا أنه يَلْتَحم بالطبقة الشبيهة بالشَّبَكية. والحجاب الشبيهُ بالقَرْن نباتُه من الغشاء الصُّلبِ الذي ذكرنا أنه يلتحم بالحجاب الشبيه بالمشيمة، والحجاب الخارجُ المسمى باليونانية (افيقافيقوس) أي المُلْتَحِم نباتُه من الغشاء الذي فوق قِحْفِ الرأس.

وأما الحجاب القَرْني فإنه إنما خلق ليَسْتُر الرطوبةَ الجليدية لِلِينِها وسرعةِ الآفةِ إليها مما يَعْرِض من خارج. وهي رقيقةٌ بيضاءُ كثيفةٌ صُلْبَة، أما بياضها ورقتها فلينفُذَ فيها البصرُ ولا تمنعُه مثلَ ما تمنعُه إذا غَلُظَت بالأثر. أما كثافتها وصلابتُها فاحتاجت إليهما لِرقتها.

وأما الطبقةُ العِنَبية فاحتيج إليها لثلاثِ خصالٍ : أما واحدةٌ فلتغذِّي القَرْنيةَ وذلك لأنه لم يُمْكن أن يكونَ في القرنية من الأوردةِ والعروق ما يُكْتفى به لَتغْتَذِيَ منها لرقَّتها وصلابتِها وكثافتها. وأما الثانيةُ فلِتَحْجُزَ بين الجليدية وبين القرنية لئلَّا يَضُرّ بها لِصَلابَتها وأمّا الثالثةُ فلتجمعَ النورَ بلونها. فصارت العِنَبية كثيرةَ الأوردة لتَغْذوَ القرنية، وصارت ليِّنةً لئلا تَضُر بالجليديةِ بملاقاتها لها. ولذلك صار لها من داخلِ خُمُلٌ (شعيرات) يتعلق بها الماءُ إذا قَدَحْنَاه. وأما من خارج فهي ملساءُ لئلا تَضُرَّ بها القرنيةُ، وفي لونها سوادٌ مع لون السماء لتجْمَعَ النورَ الذي به يكونُ البصرُ لئلَّا يتبددَ من النورِ الخارج. وفي وَسْطها ثقبٌ لِيَنْفُذَ فيه النورُ إلى الهواء خارجَ ويلقى المحسوسَ. وفي جوف العنبيةِ الرطوبةُ التي تشبه بياضَ البَيْض وروحٌ مضيء نيِّرٌ لهما منفعة عَامِيَّةٌ أن يفرِّقا بين الرطوبة الجليدية والطبقة القرنية لئلا يَضُر بها، وللرطوبة البيضيةِ منافعُ خاصيةٌ أن تُنَدِّي (تبلل) وتُغذِّي الرطوبة الجليديةَ لئلا يُجَفِّفَها الهواء، وأن تُنَدِّي وتُغذِّي الطبقةَ العنبيةَ لئلا تجفَّ وتَصْلُب إذا لاقتْها. وأما الروح النيِّرُ فإن به يكون البصرُ إذا اتصل بالنور الخارج. وبين الرُّطوبة الجليدية إلى الرطوبة الشبيهة ببياضِ البيْض على النصف من الجليدية قِشْرٌ رقيق جدا شبيهٌ بقشر البَصَلَة وبِنَسْج العنكبوتِ ليوقيَها من العنبية ومن الآفات العارضةِ من خارج. ولذلك زعَم قومٌ أن طبقات العين سبعةٌ وآخرون ستة وآخرون خمسة وآخرون أربعة وآخرون ثلاثة وآخرون اثنتان. والاختلافُ بينهم لا فِي المعنى بل في اللفظ. فأما الذين قالوا إن طبقات العين سبعةٌ فعدُّوا الطبقةَ الشبكية والطبقة المشيمية والصلبة والغِشاء الذي على نِصْف الجليدية من خارج والعنبية والقرنية والملتحمة. وأسماؤها باليونانية الشبكية (امفيبليس طرويذيس) والمشيمية (خوريويذيس خيطون) والصلبة (سقليروس خيطون) والعَنْكَبُوتِية (اراخنويذيس خيطون) والمُلْتحمة (افيفافيقوس). وأما الذين زعموا أن طبقات العين ستةٌ فإنهم قالوا ذلك من طريق أنَّهم لم يروا أن يُسَمُّوا الشبكية حِجابا لأن الطبقة عندهم، إنما مَنْفَعَتُها أن تُوقِيَ ما هي عليه مُطْبِقة وليس منفعة الشبكية أن توقى. وأمّا الذين قالوا خمسةٌ فلم يَرَوْا أيضا أن يسمُوا الغشاءَ الذي على نصف الجليدية حجابًا، وقالوا إنه جزء منها. وأما الذين قالوا أربعةٌ فلم يَرَوْا أيضا أن يسموا الملتحمةَ حِجَابا لأنه إنما هو شبيهٌ بِرِبَاطِ العين من خارج، وليس يَغْشَى الحجابَ الذي يَلْتحم به كسائر الحجب. وأما الذين قالوا إنها ثلاثة فإنهم قالوا أيضا إن العِنَبية والمشيمية طبقةٌ واحدةٌ لأن العنبية كما ذكرنا نَبَاتُها من المشيمية. وأما الذين قالوا إن طبقات العين اثنتانِ فقالوا أيضا إن الصُّلبة والقَرْنية طَبْقةٌ واحدة لأن نبات القرنيةِ من الصلبة وهي على هذا المثالِ الذي يأتي.

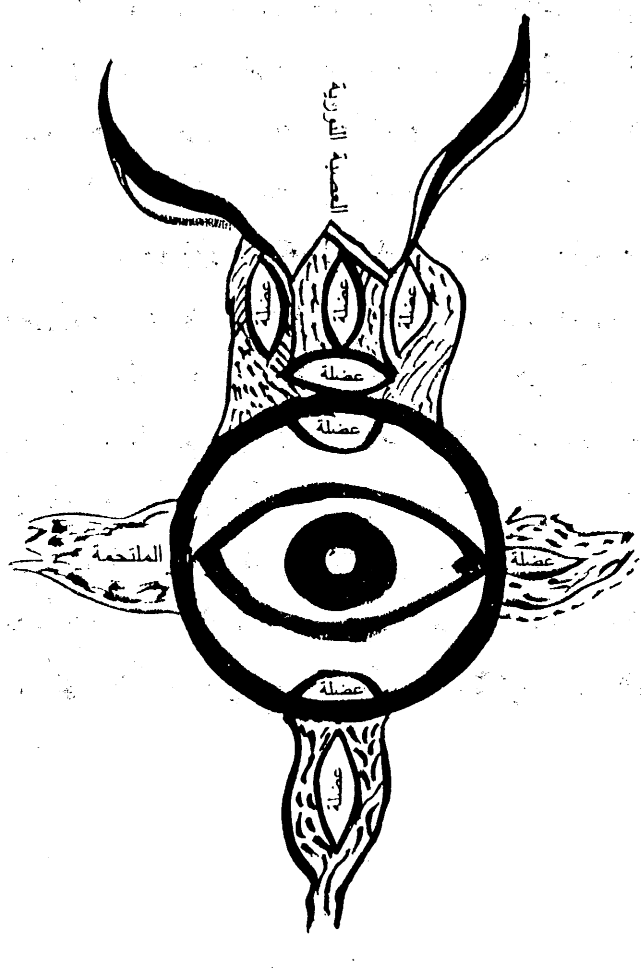
فهذا ما أردنا إيضاحَه من أمر طبقاتِ العين لئلا يَظُنَّ ظانّ أن بين الأولينَ اختلافًا في طبقات العين ورطوبتِها. وقد أوضحت لك منافعَ جميعِ رطوباتِ العين وطبقاتِها مع ابتداء نباتِها ومنتهاها ومواضعِها وهيئتها خلا الطبقةَ الخارجيةَ التي تُسَمى الملتحمة. فإني تركت ذكرَها على عَمْد لتقدُّمِ ذكرِ ما تحتها قَبْل ذِكرِها وهي العضلاتُ التي تحرِّكُ العينَ.

عَضَل العينِ والجَفْن

اعلم أن العينَ احتاجت إلى عَضَلٍ يحرِّكُها لتُحَاذِي ما ترى، وذلك أن فيها تِسْعَ عضلات. ثلاثة منها في أصل العَصَبة التي يجرى فيها النورُ إلى العين لتشدَّها وتثبِّتَها، وبعضٌ قالوا اثنتان وبعض قالوا واحدة. فواحدة في اللَّحَاظ (جانب العين الخارجي) تحركها إلى ناحية الصَّدْغ. وواحدة في المَاقِ (جانب العين الداخلي) تحرك العين إل ناحيةِ الأنف. وواحدة من فوقٍ تحركها إلى فوق. وأخرى من أسفل تحركها إلى أسفل. واثنتان فيهما عِوَجٌ من فوق ومن أسفل يديران العينَ. وحركةُ هذا العَضَلِ من العَصَبة الصُّلبةِ التي ذكرناها آنفا أنها تجيء إلى العين. وفوقَ هذه العضل الحجابُ الذي يسمى باليونانية (افيفافيقوس) وهو يُغَشِّي بياض العين كلَّه وينتهي عند السوادِ ويلتحمُ بالقرنية. ومنفعتُه أن يَرْبط العَينَ بالعظمِ، وأن يغطِّيَ العَضَلَ الذي في العين. وتركيب الجَفْن أيضا من هذا الحجاب، والجَفْن الأعلى يتحرك بثلاثةِ عضلاتٍ اثنتان يُحَرِّكَانِهِ إلى أسفلَ وواحدةٌ إلى فوقٍ. وأمَّا الجفنُ الأسفلُ فلا حركةَ له.

(تمت المقالة الأولى في تركيب العين لحنين بن اسحق).

وتركيب العضل على هذا المثال (انظر اللوحة).



التـــدريبـــات

١ ـ لاحظ هذه التعبيرات :

- (أن يعرف وظيفة كل جزء) وكيف هيئته = طبيعته والحالة التي هو عليها.
- مستحكمة الاستدارة = أي تامة الاستدارة.
- الدماغ عين كل حس = المخ مركز إدراك المحسوسات جميعا.
- اختلاف في اللفظ لا في المعنى = خلاف في العبارة واللغة المستخدمة لا في المضمون.

٢ ـ أجب عن الأسئلة الآتية :

١ ـ ما لقب حنين ؟ وما كنيته ؟

٢ ـ أين ولد حنين ؟ وماذا كانت مهنة أبيه ؟

٣ ـ ما علاقة حنين بيحيى بن ماسويه ؟ وماذا كان رأى حنين في ابن ماسويه ؟

٤ ـ أين درس حنين الطب ؟ وأين درس اللغة اليونانية ؟ وأين درس اللغة العربية ؟

٥ ـ ماذا كانت صلة حنين بجبرائيل بن بختيشوع ؟ وماذا كانت وظيفة هذا الأخير ؟

٦ ـ ما الكتب التي ترجمها حنين وهو في السابعة عشرة من عمره ؟

٧ ـ من الذي أنشأ بيت الحكمة ؟ وماذا كان الغرض من إنشائه ؟

٨ ـ لماذا قام حنين برحلات كثيرة ومن الذي موّل هذه الرحلات ؟

٩ ـ في أي عهد حدثت النكبات لحنين ؟ ومن الذي كان السبب فيها ؟

١٠ ـ كيف خرج حنين من السجن ؟ وكيف كان حاله في السنوات العشرين الأخيرة من حياته ؟

١١ ـ ماذا كان طعام حنين المفضل ؟ وماذا كان شرابه ؟ ومتى كان يأكل ؟ ومتى كان يشرب ؟ وأي أنواع الفاكهة كان يفضل ؟

١٢ ـ كم كتابا لجالينوس ترجمه حنين إلى السريانية ؟ وكم كتابا منها ترجم إلى العربية ؟ وكم كتابا راجع وأصلح من المترجم إلى السريانية ؟ ومن المترجم إلى العربية ؟

١٣ ـ أيهما كان يفضل حنين في الترجمة ؟ جمال الأسلوب أم الدقة العلمية ؟

١٤ ـ كم كتابا ألف حنين بالعربية ؟ وكم كتابا ألف بالسريانية ؟

١٥ ـ ما أهم مؤلفات حنين ؟ ومن الذي نشر هذا الكتاب ؟ ومتى ؟ وأين ؟

١٦ ـ لماذا نجد بعض مقالات الكتاب طويلا وبعضها قصيرا ؟

١٧ ـ بعد كم سنة من كتابة المقالات قام حنين بجمعها في كتاب ؟ ومن الذي طلب من حنين أن يفعل ذلك ؟

١٨ ـ ما موضوع المقالة الحادية عشرة ؟

١٩ ـ ما المقالة التي يتحدث فيها عن طبيعة المُخ وتركيبه ووظائفه ؟

٢٠ ـ ما المقالة التي يتحدث فيها عن طرق المحافظة على الصحة ؟

٢١ ـ من أين استقى حنين موضوعات مقالاته ؟

٢٢ ـ ما الطريقة التي اتبعها حنين في وصف الأمراض وطرق علاجها ؟ وما الفرق بينها وبين الطريقة المتبعة في العصر الحديث ؟ ومتى بدأ العمل بالطريقة الأخيرة ؟

٢٣ ـ كم رسما توضيحيا كان في الكتاب أصلا ؟ وكم رسما بقي لنا الآن ؟

٢٤ ـ ماذا تدل عليه كثرة الاصطلاحات اليونانية في الكتاب ؟

٢٥ ـ ما العبارات التي يمتاز بها أسلوب حنين ؟

٢٦ ـ ما موضوع النص الذي معنا ؟

٢٧ ـ أين توجد «عدسة العين» في رأي حنين ؟ وكيف وصف حنين «عصب الإبصار» ؟ وكيف وصف «إنسان العين» ؟

٢٨ ـ كم عضلة في العين كما ذكر حنين ؟ وكيف كان حنين مخطئا في حديثه عن العضلة التي تسترجع المقلة ؟

٢٩ ـ من أين استمد الأطباء العرب معلوماتهم في التشريح ؟

٣٠ ـ ما موضوع المقدمة التي يبدأ بها الكتاب ؟

٣١ ـ بماذا يكون البصر في رأي حنين ؟

٣٢ ـ لماذا كانت الرطوبة الجليدية (عدسة العين) بيضاء صافية نيّرة ؟

٣٣ ـ كم رطوبة خلف العدسة ؟ وكم رطوبة أمامها ؟ وما اسم كل من هذه الرطوبات ؟

٣٤ ـ كم طبقة خلف الرطوبة الزجاجية ؟ وما اسم كل طبقة ؟

٣٥ ـ كم طبقة أمام الرطوبة الشبيهة ببياض البيض ؟ وما اسم كل طبقة ؟

٣٦ ـ ما وظيفة الرطوبة الزجاجية في رأي حنين ؟

٣٧ ـ ما وظيفة الدماغ عند حنين ؟ وكم عصبة تصل منه إلى العين ؟ وما طبيعة كل عصبة ؟ وما وظيفتها ؟

٣٨ ـ كم حجابا على الدماغ ؟ وما طبيعة كل حجاب ؟ وما وظيفته ؟

٣٩ ـ كم غشاء يغطي العصبة التي تأتي للعين ؟ وأين تتفرع هذه العصبة ؟ وما وظيفة الغشاء الرقيق ؟ وما وظيفة الغشاء الغليظ الصلب ؟ ومن أين تأتي العروق والأوردة إلى العصبة ؟

٤٠ ـ ما وظيفة الحجاب القرني (قرنية العين) في رأي حنين ؟ ولماذا كانت رقيقة بيضاء وكثيفة صلبة في الوقت ذاته ؟

٤١ ـ لماذا تحتاج القرنية أن تغتذي من الطبقة العنبية ؟ وما الذي يحجز بين الجليدية والقرنية ؟ ولماذا كان من الضروري الحجز بينهما ؟ ولِمَ كانت الطبقة العنبية كثيرة الأوردة ولينة في الوقت ذاته ؟ ولماذا كان في لونها سواد ؟ ولماذا كان في وسطها ثقب ؟

٤٢ ـ ما وظيفة الروح النير ؟ وماذا يحدث عندما يتصل بالنور الخارج ؟

٤٣ ـ كم رأيا في عدد طبقات العين ؟ وما الفرق بين من يقول بأنها أربعة ومن يقول بأنها ستة ؟ وما حقيقة الخلاف في هذه القضية ؟

٤٤ ـ كم عضلة في العين ؟ ولماذا تحتاج إلى عضلات ؟ وما وظيفة عضلة اللحاظ ؟ وما وظيفة عضلة المأق ؟ وما وظيفة العضلتين المعوجتين ؟ وكم عضلة تحرك الجفن الأعلى ؟

٣ ـ أكمل الجمل الآتية بما يناسبها من الموضوع السابق :

١ ـ كره حنين الصفات الشخصية لـ ....

٢ ـ تعلم حنين اللغة العربية في بيئة ....

٣ ـ أحد الأطباء الذين دبروا المكائد لحنين هو ابن الطبيب ....

٤ ـ اختزنت المخطوطات اليونانية الطبية التي جمعها المأمون في ....

٥ ـ ترجم حنين من كتب جالينوس ....

٦ ـ السبب في طول بعض المقالات وقصر بعضها الأخر في الكتاب الذي أخذنا منه النص أن حنينا ....

٧ ـ يتناول حنين جراحة العيون في المقالة ....

٨ ـ يتناول حنين موضوعه كالتالي : ....

٩ ـ الطريقة التي تتبع في كتب الطب حاليا في تناول موضوع هي كالتالي : ....

١٠ ـ كانت الرسوم التي يزدان بها الكتاب ....

١١ ـ الرسوم التي يزدان بها الكتاب أرقى من ....

١٢ ـ من الأغلاط التي نقلت عن جالينوس في طب العيون أن .... وأن .... وأن ....

١٣ ـ العضلة التي تسترجع العين ....

١٤ ـ تشريح الحيوانات الداجنة ....

١٥ ـ يجب على من يريد معرفة طرق علاج أمراض العين ....

١٦ ـ الرطوبة الجليدية ....

١٧ ـ تجد الألوان قبولا سريعا في ....

١٨ ـ تقبل عدسة العين من المحسوس ....

١٩ ـ تقع الرطوبة الجليدية بين ....

٤ ـ كون أسئلة تكون إجابتها العبارات التالية بالضبط طبقا للنموذج :

نموذج : كان يشتغل بالصيدلة.

ماذا كان عمل والد حنين بن اسحق ؟؟

١ ـ يحيى بن ماسوية.

٢ ـ في صفة اللؤلؤ.

٣ ـ ما كان عليه من غطرسة وتكبر.

٤ ـ في مكان مجهول.

٥ ـ وهو في السابعة عشرة من عمره.

٦ ـ سعيا وراء الحصول على المخطوطات العلمية.

٧ ـ حبه التفاح الشامي والسفرجل.

٨ ـ أكل التفاح الشامي والسفرجل.

٩ ـ تكشف عن تمكن وثيق من اللغة.

١٠ ـ أكثر من مائة كتاب في مختلف فروع الطب.

١١ ـ طبيب العيون ماكس مايرهوف.

١٢ ـ يذكر فيها مداواة أمراض العيون.

١٣ ـ نعني بها وصف المرض وأعراضه وعلاجه في فصل واحد.

١٤ ـ برسوم فريدة شائقة.

١٥ ـ على عهد العباسيين.

١٦ ـ في بيت الحكمة.

١٧ ـ عبارة المنسوب إلى حنين.

١٨ ـ مدة تزيد على ألف وأربعمائة عام.

١٩ ـ في وسط المقلة.

٢٠ ـ لكي يسير فيه روح البصر.

٢١ ـ ثقب في القزْحية.

٢٢ ـ في أنواع معينة من الحيوانات الثديية.

٢٣ ـ على ما بينه وشرحه جالينوس الحكيم.

٢٤ ـ لتقبل الاستحالة من الألوان سريعا.

٢٥ ـ خلف الرطوبة الزجاجية.

٥ ـ ضع كلا من الكلمات والعبارات التالية في جملة تكشف عن معناها :

١ ـ ربما.

٢ ـ في بعض الأوقات.

٣ ـ في وقت من الأوقات.

٤ ـ مثل ما.

٥ ـ مثل ذلك من أشياء ليس فقط ـ لكن.

٦ ـ بل ـ أيضا.

٧ ـ لعل.

٨ ـ وبالعين يكون.

٩ ـ كما سألت.

١٠ ـ من الخارج.

١١ ـ على عمد.

١٢ ـ أما الأولى.

١٣ ـ لئلا.

١٤ ـ وأما الآن.

١٥ ـ بل بواحد منها.

اقرأ واحفظ

الشَّهْرَزُورِى فى الغَزَلِ الرَّمزى الصوفى

(من بحر الخَفِيف)

لَمَعَتْ نارُهُمْ وَقَدْ عَسْعَسَ اللَّيْلُ وَمَلَّ الحادِى وَحارَ الدَّلِيلُ
فَتَأَمَّلْتُها وَفِكْرِى مِنَ البَيْنِ عَلِيلٌ وَلَحْظُ عَيْنِى كَلِيلُ

وَفُؤادِى ذاكَ الْفُؤادُ الْمُعَنَّى ... وَغَرامِى ذاكَ الْغَرامُ الدَّخِيلُ
ثُمَّ قابَلْتُها وَقُلْتُ لِصَحْبِى ... هَذِهِ النّارُ نارُ لَيْلَى فَمِيلُوا
فَرَمَوْا نَحْوَها لِحاظًا صَحِيحا ... تٍ فَعادَتْ خَواسِئًا وَهْىَ حُولُ
ثُمَّ مالُوا إِلَى المَلامِ وَقالُوا ... خُلَّبٌ ما رَأَيْتَ أَمْ تَخْيِيلُ
فَتَجَنَّبْتُهُمْ وَمِلْتُ إِلَيْها ... والهَوَى مَرْكَبِى وَشَوْقِى الزَّمِيلُ
وَمَعِى صاحِبٌ أَتَى يَقْتَفِى الآ ... ثارَ والحُبُّ شَأْنُهُ التَّطْفِيلُ
فَدَنَوْنا مِنَ الطُّلُولِ فَحالَتْ ... زَفَراتٌ مِنْ دُونِها وَعَوِيلُ
قُلْتُ مَنْ بِالدِّيارِ؟ قالَتْ جَرِيحٌ ... وَأَسِيرٌ مُكَبَّلٌ وَقَتِيلُ
ما الَّذِى جِئْتَ تَبْتَغِى؟ قُلْتُ ضَيْفٌ ... جاءَ يَبْغِى القِرَى فَأَيْنَ النُّزُولُ

فأشارتْ بالرُّحْبِ دُونَكَ فاعْقِلْـها فَمَا عِنْدَنا لِضَيْفٍ رَحِيلُ

مَنْ أَتانا أَلْقَى عَصَا السَّيْرِ عَنْهُ — قُلْتُ مَنْ لِي بِذَا وَكَيْفَ السَّبِيلُ؟

فَحَطَطْنَا إلى مَنَازِلِ قَوْمٍ — صَرَعَتْهُم قَبْلَ المَذَاقِ الشَّمُولُ

ومِنَ القومِ مَنْ يُشِيرُ إلى وَجْـدٍ تَبَقَّى عَلَيْهِ مِنْهُ القَلِيلُ

قُلْتُ أَهْلَ الهَوَى سلامٌ عليكم — لِي فُؤادٌ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغُولُ

لم يَزَلْ حافزٌ مِنَ الشَّوْقِ يَحْدُو — بِي إِلَيْكُمْ والحَادِثَاتُ تَطُولُ

جِئْتُ كَيْ أَصْطَلِي فَهَلْ لِي إلى نا — رِكُمُو هذهِ الغَدَاةَ سَبِيلُ

فأَجَابَتْ شَوَاهِدُ الحَالِ عَنْهُمْ: — كُلُّ حَدٍّ مِنْ دُونِهَا مَفْلُولُ

نَارُنَا هذهِ تُضِيءُ لِمَنْ يَسْـرِي بِلَيْلٍ لَكِنَّهَا لا تُنِيلُ

هَذِهِ حَالُنَا وَمَا وَصَلَ العِلْـمِ إِلَيْنَا وَكُلُّ حَالٍ تَحُولُ

الشاعر :

- شاعر متصوف تُوفِّي سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م).

القصيدة : هذه قصيدة في الحب الالهي. وهي تأْخُذُ شكل القصة التي تتسلسل أحداثها على نحو يتدرج من المقدمة إلى الموضوع إلى النتيجة. و«النار» التي لمعت في البداية استدعت التساؤل عن حقيقتها، ثم ترتب على التساؤل السلوك الذي جعل الشاعر يختلف مع أصحابه، ويمر بالتجربة التي يطرح فيها الأسئلة، ثم ينتهي إلى نتيجة هي أن النار **تضيء ولكنها لا تُنيل** (لا تحقق الراحة الذهائية). أي أنها تساعد فقط على المُضيّ في الطريق إلى الهدف، ولكنها ليست الهدف ذاته، بل الهدف هو الوصول إلى الحبيب وهو الله.

- والقصيدة ـ على هذا النحو ـ تسير في خطين : خط غزلي غرامي عادي، وخط غزلي رمزي صوفي.

- وكل صفة يستخدمها الشعر العربي في الغزل التقليدي تستخدمها هذه القصيدة في التعبير عن معان صوفية إشارية.

- وهناك قيم أساسية تؤدي الدورين، منها :

النار : فهي في المعنى العادي «نار القِرَى» (القرى : الضيافة) التي تُوقَد ليهتدي بها الضيوف في البادية (الصحراء) العربية، وهي ذاتها «نار المعرفة» التي يهدي بها الله عباده ليأتوا إلى طريق العشق الالهي.

الغرام : هي في المعنى العادي شوق المحب إلى محبوبته، وفي المعنى الصوفي قوة العشق والجذب الذي يكون به الحب الالهي.

ليلى : هو في المعنى العادي الفتاة العربية التي كانت في الأصل محبوبة قيس بن الملوح، ثم صارت رمزا لكل محبوبة بشرية، ثم تطورت وأصبحت في المعنى الصوفي الرمز الموصل إلى دائرة المحبة الإلهية.

الطُّلول : هي آثار المحبين التي خربت بعد أن تركوها. و«الوقوف على الأطلال» (للبكاء، وتذكر الأيام الجميلة حين كانت الديار عامرة بأهليها) من الموضوعات الأساسية في الشعر العربي في العصر الجاهلي، و«الأطلال». في المعنى الصوفي آثار الخالق **في الدنيا التي يسترشد بها المحبون من خلقه إلى طريقة الوصول إليه.**

الشَّمول : (الخمر) **ويستخدم المحبون هذه الكلمة للتعبير عن اللذة (النشوة) التي يشعرون بها عند لقاء المحبوب، وهي عند الصوفية اللذة الحاصلة من تذوق محبة الله.**

- وبنفس الطريقة يفهم استخدام كلمات مثل : **الهوى، والوجد، والشوق، وسُرَى الليل،** وغير ذلك من الكلمات التي تحتمل الناحيتين : **الغزلية والصوفية في القصيدة.**

- وحين تقترب القصيدة من نهايتها يبرز فيها المصطلح الصوفي فيطغى على المصطلح الغزلي العادي. وعلى رأس المصطلحات **الصوفية في هذه الناحية : شواهد الحال** (فأجابت شواهد الحال عنهم)، **والحال** (هذه حالُنا) **والعلم** (وما وصل العلم إلينا). وكل هذا يشير إلى أن معنى القصيدة هو معنى صوفي في نهاية المطاف، وأن الغزل العادي ما هو إلا غطاء ووسيلة للتوصل إلى المعنى الإشاري والرمزي البعيد الذي هو المعنى الصوفي.

شروح واشارات :

حار الدليل : تحير المرشد فلم يهتد إلى الطريق الصحيح. والمعنى حين اشتدت الظلمة وسئم زميل الرحلة، وتحير المرشد ظهر ضوء الحقيقة. والشاعر يُشبِّه الحيرة في الدنيا بموكب السفر المتعب المضطرب. **ـ البين** : الفراق **ـ عليل** : مجهد مريض **ـ لحْظ عيني** : بصري **ـ كليل** : ضعيف مرهق والمعنى : كان ذهنه مجهدا من رحلة الحياة المادية الشاقة، وكان بصره ضعيفا في مواجهة نار الحقيقة القوية. **ـ المُعَنَّى** : الذي أصابه العناء، أي الهم والمشقة **ـ الغرام الدّخيل** : الحب الدفين، وهو يشير إلى معنى الحب الإلهي **ـ قابلتها** : واجهتها **ـ ليلى** : هي عند الصوفية رمز الحقيقة، أي رمز الله سبحانه وتعالى ـ وقد تطورت نظرية المحبة من حب البشر (ليلى) إلى حب خالق البشر (الله) ـ (انظر النص المأخوذ في كتابنا هذا «بعنوان : **من شواهد محبة الله لعبده») رموا نحوها** : ألقوا نحوها، والمراد نظروا إليها، أي اتجهوا نحو رمز الحقيقة التي هي النار ـ **لحاظا صحيحات** : أي أبصارا صحيحة قوية، **خواسئا** : متعبة، وفي القرآن الكريم : «ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا...» **ـ حُول** : جمع أحول، وهو الذي في عينه حَوَلٌ، أي أن إنسان عينه لا يكون في وسط العين بل في جانب منها. **ـ مالوا إلى الملام** : اتجهوا إلى اللوم ـ وهذا معناه أن الحب عادة يصاحبه اللوم والعتاب **ـ خُلّب** : أي برق خلب، والبرق الخُلّب : الخادع **ـ تخييل** : أي خيال ووهم، والمعنى أن اللوم من الآخرين يصاحب الحب، كما يصاحبه التشكيك فيه، **فأصحابه** لاموه، وقالوا له إن ما رأيت وظننته ضوءا إنما هو في الواقع برق خادع أو وهم وخيال **ـ فتجنبتهم** : أي فارقتهم **ـ وملت إليها** : ذهبت إليها، أي ناحيتها، أي أنه خالف رأي أصحابه لأن لديه استعدادا طبيعيا للمحبة دونهم **ـ الهوى مَرْكبي** : أي ركبت الحب إليها **ـ شوقي الزميل** : أي صاحبي (في رحلة الحب) هو شوقي **ـ يقتفي الآثار** : يبحث عن الأخبار، وهو الرقيب الذي ينغّص على المحب **ـ شأنه التطفيل** : أي لا بد في الحب من شخص متطفل يتدخل فيما لا يعنيه ـ دنونا من **الطلّول** : اقتربنا

من آثار ديار من نحب ـ **فحالت** : فمنعت ـ **زفرات** : أنفاس مسموعة تدل على شدة الألم من الحب ـ **عويل** : بكاء بصوت مسموع ـ **من بالديار** : من الذي وصل قبلنا إلى الديار ؟ ـ **أسير مُكَبَّل** : سجين مقيّد بالأغلال ـ **تبتغي** : تطلب ـ **القِرَى** : إكرام الضيف ـ **النزول** : المكان الذي ينزل فيه. وكل الكلمات لها معنيان : معنى لغوي عادي هو الظاهر، وآخر صوفي هو القرب من المحبة الإلهية، «فمكان النزول» مثلا إشارة إلى نوع «المرتبة» التي يحتلها المحب (الصوفي) عند محبوبه (الله) ـ **بالرحب دونك** : يعني انزل على الرحب، أي : مرحبا بك ـ **فاعقلها** : يعني ضع العقال (القيد) على رجل الناقة الأمامية وهي مطوية حتى لا تستطيع النهوض من بُروكها فلا تهرب. وهذا أشارة إلى الحديث الشريف : «اعقلها وتوكل»، كما أنه إشارة إلى الإقامة الطويلة عند المحبوب ـ **فما عندنا لضيف رحيل** : أي أن من نزل في ضيافتنا (من وافقنا له على محبتنا) لا يرحل عنا مرة أخرى ـ **ألقى عصا السير** : أي استقر في المكان وكف عن الرحلة، ويقال أيضا ألقى عصا التَسيار. وفي الشعر : فألقت عصاها واستقر بها النّوى. ـ **من لي بهذا** ؟ من يساعدني على فعل هذا الشيء ؟ ـ **كيف السبيل** : أين الطريق ؟ **فحططنا** : ألقينا أمتعة السفر وأقمنا ـ **إلى منازل قوم** : عند مكان إقامة هؤلاء القوم ـ **صرعْتهم** : أسكرتهم (كأن الخمر (الشوق) أفقدتهم الوعي. ـ **قبل المذاق** : قبل أن يتذوقوها (يشربوا منها أقل شيء) ـ **الشَمُول** : الخمر. والمراد بعبارة «صرعتهم قبل المذاق الشمول» : أن الحب الإلهي الذي يُشبّه في لغة الصوفية بالخمر قوي جدا، بحيث يمكن أن يَسْلب الإنسان عقله العادي من مسافة بعيدة، حتى من قبل أن يقع فيه فعلا، فالمحبون الذين انضم إليهم الشاعر سكارى (واقعون في الحب) بالخمر (بالحب الإلهي) قبل المذاق (أي قبل أن يتذوقوه على حقيقته) ـ **وجْد** : حب عميق ـ **تبقّى عليه منه القليل** : أي أوشك على الوصول إلى كامل المحبة أي لا زالت تظهر عليه ملامح وجد قديم وحيث لم يبلغ بعدُ «مرتبة الفناء». أو هو يمضي على الطريق وقد أوشك على الوصول إلى كامل المحبة. **فؤاد** : قلب ـ **عنكم بكم مشغول** : أي مشغول عنكم بالتفكير فيكم، أي أن ذهاب العقل من الحب الصوفي يجعل المحب مشغولا (أي منصرفا) حتى عن من يحبه، وهذا من تجاوزات الصوفية المعروفة. ـ **حافز** : مُنبّه ـ **يحْذوني إليكم** : يدفعني إليكم ـ **الحادثات** : الحوادث ـ أصطلي : أطلب الدفء من النار من شدة البرد، والمعنى الصوفي أنه يهتدي بالحقيقة الرّبانية لينجو من الضلال ـ **هل لي إلى ناركمو هذه الغداة سبيل** : أي كيف الطريق إلى هذه النار، وهذا يعبر عن الحيرة الكبرى التي تعتري الصوفي، وهو يبحث عن طريق الوصول ـ **شواهد الحال** : الأدلة الصامتة، أو الأدلة غير المباشرة ـ **حد** : حد السيف الذي يقطع (شفرته) ـ **مفْلول** : مثْني، مُتكسّر، عاجز ـ **منْ دونها** : قبل الوصول إليها ـ **كل حد من دونها مفلول** : المقصود هنا أن القدرات البشرية مهما ارتقت تعجز عن الوصول إلى المعرفة دون مساعدة إلهية. ـ **يسري** : يمشي بالليل، **لا تُنيل** : لا تُبلّغ الإنسان هدفه. وهذا دليل على أن الوصول إلى الحقيقة الإلهية ـ وهو طريق الصوفية ـ مسألة صعبة جدا ـ **هذه حالنا** : هذا وضعنا الآن، والحال عند الصوفية «ما يرد على القلب بمحْض الموهبة من غير تكلف» ـ **كل حال تحول** : أي تتغير فلا تبقى على نفس المرتبة. (فيمكن للحال الصوفية مثلا أن تتعمق فتصبح ما يسمى عندهم بـ «المقام» وهكذا). والمقصود استمرار الصعود في المعارج الروحية؛ فقد يصل العلم إلى ما فوق ذلك. وكل حال تحول.

مصادر المعلومات الواردة في هذا الكتاب

أفاد المؤلفون في تحرير دروس هذا الجزء من الكتاب الأساسي من مراجع عدة يأتي في مقدمتها الأعمال العلمية التالية :

الدرس الثاني : «فضل لغة العرب»

كتاب الزينة في المصطلحات الإسلامية والعربية، تأليف : أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، تحقيق : الدكتور حسين الهمداني، القاهرة ١٩٥٦ م.

الدرس الثالث : «ابن بطوطة يجوب العالم القديم»

تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ أملاه شرف الدين أبو عبد الله محمد اللواتي المشهور بابن بطوطة، القاهرة ١٣٢٢ هـ. وأيضا **رحلة مع ابن بطوطة**، محمود الشرقاوي. القاهرة ١٩٦٨ م.

الدرس الرابع : «حي بن يقظان يبحث عن الخالق»

قصة حي بن يقظان، تأليف أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل، تحقيق : الدكتور عبد الحليم محمود، القاهرة، بدون تاريخ. وأيضا الدكتور أحمد أمين، القاهرة ١٩٦٦ م.

الدرس الخامس : «اللؤلؤ والغوص عليه»

كتاب الجواهر وصفاتها، وفي أي بلد هي، وصفة الغواصين والتجار، تأليف : أبو زكريا يحيى بن ماسويه، تحقيق : الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، القاهرة، ١٩٧٧ م.

الدرس السادس : «أصول التربية الإسلامية»

آداب المعلمين، تأليف محمد بن سحنون، تحقيق ودراسة مقارنة : الدكتور محمود عبد المولى، الجزائر ١٩٦٩ م، وأيضا **التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي**، الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة ١٩٥٥ م.

الدرس السابع : «أنواع الوحي»

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، المشهور باسم السيرة الشامية، تأليف : شمس الدين بن يوسف الشامي، الجزء الثاني، تحقيق : الدكتور مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٩٧٤ م.

الدرس الثامن : «ابن البيطار يتحدث عن خواص العسل»

الجامع في مفردات الأدوية والأغذية، تأليف : عبد الله بن أحمد بن البيطار، طبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩١ هـ وأيضا **ابن البيطار الأندلسي**، علي الجمبلاطي وأبو الفتوح التوانسي، القاهرة، بدون تاريخ.

الدرس التاسع : «المقامة الدينارية»

مقامات بديع الزمان الهمذاني، تأليف : أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان، تحقيق : الشيخ محمد عبده، بيروت ١٨٨٩ م.

الدرس العاشر : «حقوق السجين في الفقه الإسلامي»

كتاب الخراج، تأليف : أبو يوسف يعقوب ابراهيم بن حبيب، تحقيق ودراسة : الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٨٥ م.

الدرس الحادي عشر : «النبي يوسف يفسر رؤيا فرعون مصر»

تفسير القرآن العظيم، المشهور باسم : تفسير ابن كثير، تأليف : الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، اختصار : **محمد علي الصابوني**، وأيضا **ابن كثير ومنهجه في التفسير**، الدكتور إسماعيل سالم عبد العال، القاهرة ١٩٨٤ م.

الدرس الثاني عشر : «ابن خلدون يؤصل قوانين العمران البشري»

مقدمة ابن خلدون، تحقيق ودراسة علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٦٢ م وأيضا **عبد الرحمن بن خلدون : حياته وآثاره ومظاهر عبقريته**، الدكتور علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٢ م، وأيضا **دائرة المعارف الإسلامية**.

الدرس الثالث عشر : «حد الشبع»

الإمتاع والمؤانسة، تأليف : أبو حيان التوحيدي، تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، ١٩٤٤ م.

الدرس الرابع عشر : «الإنسان والحيوان أمام محكمة الجن»

رسائل إخوان الصفا : رسالة تداعي الإنسان والحيوان ـ تقديم فاروق سعد، بيروت ١٩٧٧ م، وأيضا **إخوان الصفا**، جبور عبد النور، بيروت، ١٩٥٤ م، وأيضا **إخوان الصفا**، الدكتور محمد غلاب، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٦٨ م.

الدرس الخامس عشر : «شواهد محبة الله تعالى لعبده»

عطف الألف المألوف على اللام المعطوف، تأليف : أبو الحسن علي بن محمد الديلمي، دراسة وتحقيق وترجمة إلى الإنجليزية : الدكتور حسن عبد اللطيف الشافعي والدكتور جوزيف بل، القاهرة (تحت الطبع).

الدرس السادس عشر : «خطبة النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع»

السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وشلبي، القاهرة ١٩٣٦ م. **وأيضا حياة محمد، محمد** حسين هيكل، ط ٤، القاهرة ١٩٤٧ م.

الدرس السابع عشر : «أبو محمد الكسلان»

ألف ليلة وليلة، مقابلة وتصحيح : الشيخ محمد قطة العدوي، مطبعة بولاق، القاهرة. ١٢٥٢ هـ، وأيضا **ألف ليلة وليلة**، الدكتورة سهير القلماوي، القاهرة، ١٩٤٦ م.

الدرس الثامن عشر : «الجبر في خدمة مصالح الناس»

كتاب الجبر والمقابلة، تأليف : محمد بن موسى الخوارزمي، تحقيق : الدكتور علي مصطفى مشرفة والدكتور محمد مرسي أحمد، القاهرة، ١٩٣٩ م، وأيضا **نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات**، الدكتور علي عبد الله الدفاع، دار جون وايلي وأبناؤه للنشر، ١٩٧٨ م.

الدرس التاسع عشر : «طبيعة العين وتركيبها»

كتاب العشر مقالات في العين : تأليف : حنين بن اسحاق، تحقيق ودراسة وترجمة إلى الإنجليزية : الدكتور ماكس مايرهوف، القاهرة، ١٩٢٧ م.